العبودية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شرح فضيلة الشيخ

أ.د عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر حفظه الله

(من المجلس الأول إلى المجلس الأخير)

رابط تسجيلات المجالس:

http://www.al-badr.net/sub/272

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المجلس الأول

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن كتاب [العبودية] لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتابٌ عظيم في بابه، وهو من أحسن وأجود وأنفع ما أُلِّفَ في هذا الباب تقعيدًا وتأصيلًا وتقريرًا واستشهادًا واستدلالًا.

ومؤلفه معروف بباعه العلمي، ومكانته العلية، وجودة مصنفاته، ومكانة تحقيقاته، وإمامته في الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وحظيت كتاباته بعناية أهل العلم واهتمامهم واستفادتهم، وكتب الله عَزَّوَجَلَّ لها قبولًا عظيمًا ونفعًا عميمًا، ولقد كان من عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أغلب ما كتبه من مصنفات ألا يكتب ابتداءً؛ وإنما يكتب بناءً على طلب السائلين، ورغبة المستفتين، وكان في العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وغيره سخيًا كريمًا؛ فيُسأل سؤالًا ربما يُجيب عليه غيره بكلمةٍ أو كلمتين؛ فيبسطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفحاتٍ بل أحيانًا في مجلدات.

وعندما تحدَّث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منزلة السخاء في كتابه [مدارج السالكين] تحدَّث بحديثٍ عجب يجدر بطالب العلم أن يقف عليه من حيث مكانة شيخ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في السخاء، ولاسيما سخاؤه بالعلم نصحًا وتعليمًا وتفقيهًا وبيانًا لدين الله جَلَّ وَعَلَا.

وكما أشرت -وقد ذكر ذلك هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: أنه لا يكتب إلا بناءً على طلب السائلين، ولهذا كانت تأتيه الأسئلة من الأنحاء المختلفة فيجيب.

وتُعرف كثيرٌ من رسائله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ومؤلفاته بأسماء البلدان التي وردت إليه تلك السؤالات منها فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ كرسالته رَحِمَهُ ٱللَّهُ التدمرية، والحموية، والصفدية، والواسطية، وغيرها من كتبه كثير، يبعث إليه السائل ويبسط الجواب بأوراقٍ كثيرة تبلغ أحيانًا مجلدات، وأحيانًا يجيب إجابة مختصرة ثم يعتذر للسائل في آخر الجواب أو في آخر صفحة بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا ما أمكن الكتابة فيه بحسب ما لدينا من أوراق"، أي أن عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسطًا أوسع وكلامًا أوفى لكن ليس عنده ورق يكتب فيه ذلك البسط ويبين فيه ذلك البيان الواسع.

وهنا -أيها الإخوة الكرام- يجدر بطالب العلم أن ينتبه إلى مكانة السؤال وأهميته، ولاسيما إذا صدر السؤال من شخصٍ مخلص، وناصح، ومحبًا للخير له ولإخوانه المسلمين، فخذ على سبيل المثال: ذلك الرجل الذي من واسط طلب من ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن يكتب رسالةً مختصرة في العقيدة وألح على شيخ الإسلام، ماذا ترتب على هذا السؤال وذاك الإلحاح؟

أصبحت الواسطية متنًا يعتمد عليه أغلب طلبة العلم من زمن شيخ الإسلام، حيث إنها انتشرت بين طلاب العلم في زمانه انتشارًا واسعًا، فكيف بالأمر بعد زمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؟!

وانظر في هذا المقام هذا السائل الموفَّق الذي سأل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا السؤال، قال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21]؛ فما العبادة؟ وفروعها؟ وهل مجموع الدين داخلٌ في العبادة أم لا؟ وما حقيقة العبودية؟ وما هي أعلى المقامات؟ وهل هي أعلى المقامات أم فوقها شيء من المقامات ليبسط لنا القول في ذلك، لا يُدرى من هو هذا السائل، لكن رب العالمين يعلمه جَلَّوَعَلَا.

وتسبب بسؤاله هذا الذي هو في سطرٍ أو في سطرين بوجود هذا المؤلف القيِّم والكتاب النفيس، والدال على الخير كفاعله، ورب العالمين يعلمه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فالنصيحة والإخلاص والصدق ينبغي حتى يكون في السؤال؛ السؤال الذي تطرحه تكون مخلصًا فيه صادقًا ناصحًا يبارك الله في سؤالك، وينفع به، كأن يكون يرى في إخوانه تقصيرًا في جانبٍ معين، أو في أمرٍ ما؛ فيسأل عالمًا وهو يطمع بسؤاله أن يفقه الناس دين الله، وأن يعرفوا الحق، وأن يتبينوا الهدى، وأن يهتدوا إلى الصواب، يقوم في قلبه هذه المعاني فيجيب العالم وينتفع

الناس إلى ما لا حد له ولا عد؛ فكان هذا السائل موفقًا في هذا السؤال الذي طرحه أو ألقاه على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وتأمل جمال سؤاله في تصديره للسؤال بالآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21]؛ فكانت سؤالاته كلها تفقهٌ في هذه الآية، وعملٌ على تدبرها وفهم معناها وما دلت عليه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [سورة النساء، من الآية:82]، ويقول: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:68]، ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [سورة ص، من الآية:29]. فأراد هذا السائل أن يفقه هذه العبودية التي أمر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بها في هذه الآية الكريمة؛ لاسيما وأن هذه الآية الكريمة هي أول أمرٍ في القرآن، إذا فتحت المصحف من أوله أول أمرٍ يواجهك هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21]. كما أن أول نهيٍ يواجهك في الآية التي تليها وهو قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:22]؛ فأول أمرٍ في القرآن أمرٌ بالعبادة، وأول نهيٍ في القرآن نهيٌّ عن الشرك، ولا شك أن هذا البدء دليلٌ على الاهتمام، وعظم ما بُدء به؛ فأول أمرٍ بُدئ به في القرآن الأمر بعبادة الله، وأول نهيٍ نُهي عنه في القرآن الكريم النهي عن الإشراك به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وكل أمرٍ بالعبادة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أمرٌ بالتوحيد، فقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ أي: وحدوا ربكم بالعبادة، ولا تكون العبادة عبادة إلا بالتوحيد، فإذا لم تكن قائمة على التوحيد والإخلاص لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا تكون عبادةً مقبولة بل تكون عملًا باطلًا، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [سورة الزمر، من الآية:65]؛ أي: خصه وحده بالعبادة. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:66]، فالعبادة لا تكون عبادةً إلا بالتوحيد، كما أن الصلاة لا تكون صلاةً إلا بالطهارة، أرأيتم لو أن شخصًا صلى الظهر أربع ركعات مع الجماعة مؤديًا الأركان والواجبات والمستحبات، ثم قال: صليت أنا من دون طهارة؛ أليس يصح أن يقال له: ما صليت؟! أليس يصح أن يقال له: ما صليت؟! نعم؛ لأنه الصلاة لا تكون صلاةً صحيحةً مقبولة إلا بالطهارة، فمن صلى بدون طهارة كأنه لم يصلِّ، أيضًا من عبد الله بدون الإخلاص لا تكون عبادته مقبولة، ولا يقبلها الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ منه؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا لا يقبل العبادة إلا بالإخلاص. وفي الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

فإذًا قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ أي وحدوا ربكم، أخلصوا له العبادة، أفردوه وحده بالعبادة، لا تجعلوا معه الشركاء والأنداد.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ وهذا فيه أن العبادة مأمورٌ بها جميع الناس؛ الذكر والأنثى، الحر والعبد، الصغير والكبير، الجميع مأمور بذلك، المسلم والكافر، الكل مأمور بالعبادة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ فهذا أمرٌ للجميع أن يدخلوا في هذه العبادة التي خُلقوا لأجلها وأوجدوا لتحقيقها.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ إنما خلق الثقلين وأوجدهم ليعبدوه ويفردوه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالعبادة، كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56]، ولأجلها أنزل الكتب، وأرسل الرسل، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:36]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:25]، ولأجلها خُلقت الجنة والنار، فعباد الله حقًّا هم أهل الجنة، والمتخذون في العبادة الأنداد والشركاء هم أهل النار، وهي حق الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على العباد، كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث معاذ: «**حَقُّ اَللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»؛ فهو حقٌّ أوجبه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على عباده، ولأجله خلقهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وأوجدهم.

إذا عُلم ذلك فلتعظم عناية المسلم لهذه العبادة التي هي أجل غايةٍ وأعظم مطلبٍ وأنبل مقصد، وليكن اهتمامه بها تفقهًا، وتعلمًا، وفهمًا، وعلمًا، وتطبيقًا مقدمٌ على كل أمر؛ فهي التي لأجلها خُلق، ولأجلها أُوجد، وعليها

مدار الحساب والعقاب يوم لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا وقفت الخلائق بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ يُسألون: ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا أجبتم المرسلين؟ سؤالٌ عن توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، وتجريد المتابعة لرسوله -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

أقول: لقد كان هذا السائل -ولا يُدرى من هو- موفقًا في هذا السؤال الذي صدَّره بهذه الآية الكريمة، ثم ذكر عدة سؤالات كلها في باب الفقه والفهم لهذه الآية الكريمة قال: (**فَمَا الْعِبَادَة؟ وَمَا فروعها؟ وَهل مَجْمُوع الدَّين دَاخل فِي العبادة أم لَا؟ وَمَا حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة؟ وَهل هِيَ أَعلَى المقامات أم فَوْقهَا شَيْء من المقامات؟ وليبسط لنا الْقَوْل فِي ذَلِك**).

هذا سؤال هذا السائل الموفق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له وجزاه على سؤاله خير الجزاء، ثم بسط شيخ الإسلام الجواب على هذا السؤال بسطًا وافيًا، وحرر المسألة تحريرًا دقيقًا، وضمَّن كتابه هذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التقعيدات المتينة، والتقريرات الرصينة، والأصول الكلية الجامعة، والشواهد والدلائل الواضحة، وأيضًا البيان البين، والبسط الوافي ما كان بحق أنفس مؤلفٍ كُتب في هذا الباب العظيم.

وما أحوج طالب العلم إلى قراءة هذا الكتاب، والاستفادة من مضامينه العظيمة، وما اشتمل عليه من تقريراتٍ متينة، وتحقيقاتٍ عظيمة أجزل الله

جَلَّوَعَلَا لمؤلفه الثواب وأعظم له الأجر وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وثقَّل به موازينه يوم لقاء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ الذي منَّ علينا وتفضل وهو المانُّ جَلَّوَعَلَا المتفضل وحده بهذا المجلس بقراءة هذا الكتاب العظيم أن يشرح صدورنا أجمعين لحسن الاستفادة، وحُسن الانتفاع، وحُسن العمل، وأن يجعل ما نقرأه ونتعلمه ونفيده حُجةً لنا لا علينا، وأن يمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في طلب العلم، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل بالعلم، وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه، لا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، وعلى الله توكلنا، وبه تبارك وحده جَلَّوَعَلَا نستعين، ومنه وحده جَلَّوَعَلَا نستمنح المن والعون والتوفيق، فنبدأ مستعينين بالله متوكلين عليه سبحانه، بسم الله ما شاء الله توكلنا على الله.

القارئ:

(بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم.. وَبِه نستعين..

إِن الْحَمد لله نحمده ونستعينه وَنَسْتَغْفِرهُ، ونعوذ بِاللَّه من شرور أَنْفُسنَا، وَمن سيئات أَعمالنَا، من يهده الله فَلَا مضل لَهُ، وَمن يضلل فَلَا هادي لَهُ.

وَأشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أما بعد: فقد سُئِلَ شيخ الْإِسْلَام وَعلم الْأَعْلَام نَاصِر السُّنَّة وَقَامِعُ الْبِدْعَةُ أَحْمد بن عبد الْحَلِيم ابْن تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَن قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21]، فَمَا الْعِبَادَة؟ وَمَا فروعها؟ وَهل مَجْمُوع الدَّين دَاخل فِيهَا أم لَا؟ وَمَا حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة؟ وَهل هِيَ أَعلَى المقامات فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة أم فَوْقهَا شَيْء من المقامات؟ وليبسط لنا القَوْل فِي ذَلِك.

فَأَجَاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(...).

هذا كما عرفنا سؤال السائل، وقد صُدِّر هذا الكلام بهذه الكلمة كما سمعنا: **(سُئِلَ شيخ الْإِسْلَام)**؛ بالبناء بما لم يسمى فاعله، فلا يُدرى من هو هذا السائل، لكن سؤاله يدل على خيرٍ عظيم، وحرصٍ على نفعه ونفع إخوانه المسلمين، ولاسيما أن سؤاله اشتمل على جمالٍ في الطرح، وأدبٍ في السؤال، وأيضًا ارتباط بكتاب الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وتأدبٍ مع المسئول، ورغبةٍ أيضًا في بسط المسألة والتوسع في بيانها؛ فلما ذكر السؤالات المتنوعة التي رغب في الإجابة عليها تفقهًا في الآية الكريمة التي صدَّر بها سؤاله؛ قال في تمام ذلك: **(وليبسط لنا القَوْل)**؛ وبسط القول يعني التوسع في البيان والإيضاح والشرح والتقرير على خلاف ما يفهمه كثير من العوام من كلمة البسط، يعني عندما يقول بعضهم: عندي مسألة بسيطة؛ يعني يقصد قليلة، أو يسيرة، أو ليست بطويلة، بينما البسط معناه السعة والتوسع، فأراد هذا السائل

من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن يتوسع، وأن يبسط القول في الجواب على هذا السؤال.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين)، هكذا في النسخة التي معنا.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة؛ فَالصَّلَاة، وَالزَّكَاة، وَالصِّيَام، وَالْحج، وَصدق الحَدِيث، وَأَدَاء الْأَمَانَة، وبرُّ الْوَالِدين، وصلَة الْأَرْحَام، وَالْوَفَاء بالعهود، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَالْجهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيِّين والبهائم، وَالدُّعَاء، وَالذكر، وَالْقِرَاءَة، وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة.

وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله، وخشية الله والإنابة إِلَيْهِ، وإخلاص الدَّين لَهُ، وَالصَّبْر لحكمه، وَالشُّكْر لنعمه، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، والتوكل عَلَيْهِ، والرجاء لِرَحْمَتِهِ، وَالْخَوْف من عَذَابه، وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله).

نعم.. بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالبسملة وهي يؤتى بها طلبًا للعون من الله عَزَّوَجَلَّ، فالباء في البسملة باء الاستعانة، فيبدأ بها طلبًا للعون وتبركًا بذكر اسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا بدأ بحمد الله عَزَّوَجَلَّ والثناء عليه جَلَّ وَعَلَا بما هو أهلٌ.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة**)؛ هذا تعريف للعبادة صدَّر به شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتابه [العبودية]، وهو تعريفٌ ثمين للغاية ومتين جدًا، بل هو من أجود ما عرفت به العبادة، وهو من تقريرات شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو من الدلائل والشواهد على متانة علم هذا الإمام ومكانته، ولهذا أصبح هذا التعريف هو التعريف المتبادر لذهن كل عالمٍ ومؤلفٍ يكتب في معنى العبادة، فقل أن تجد مؤلفٍ يكتب في بيان العبادة، أو عالمًا يشرح في درسه بيان العبادة إلا ويورد هذا التعريف، ويذكر هذا التعريف؛ فهو تعريفٌ نفع الله عَزَّوَجَلَّ به نفعًا عظيمًا، وانتشر انتشارًا واسعًا.

فكما قدمت قل من يعرف العبادة في مؤلف أو في تعليم أو نحو ذلك إلا ويحتاج إلى هذا التعريف الجامع المانع الذي هو من تقريرات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه [العبودية]، بل صدر به كتابه [العبودية].

ونستفيد من ذلك متانة تقريرات شيخ الإسلام وقوة تأصيلاته، وأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تميز في تقريراته وتأليفاته بكلمات وجيزات تحوي علومًا كثيرات نافعات، وهذا أمر معلوم يشهده من يطالع ويقرأ كتب هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وغفر له.

وهذا التعريف للعبادة تعريفٌ جامعٌ مانع؛ جامع من حيث أنه تناول ما تشمله العبادة من معنى ومدلول، ومانع من أن يكون يدخل في هذا التعريف في العبادة ما ليس من العبادة، فهو تعريف جامع مانع، ونافع جدًا، قال فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة**)؛ فالعبادة تتناول ذلك كله، اسمٌ يجمع ذلك كله، يجمع كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة سواءً ما كان منها ظاهرًا معلنًا، أو باطنًا أي سرًا وخفيًا.

فتتناول العبادة ما يقوم في القلب من أعمال، وما يكون في اللسان من أقوال، وما يكون أيضًا من الجوارح من أعمال، فالعبودية أو العبادة تتناول ذلك كله،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فالعبادة مدارها على القلب واللسان والجوارح، ولكلٍ منها عبوديته الذي تختص به.

قال: (**الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة**). قوله: (**يُحِبهُ الله ويرضاه**)؛ تنبيه لطيف على أن المقصد بهذه الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة نيل رضا الله والفوز بمحبته، فهذا مقصد العابدين ومراد العاملين، البحث عن رضا الله، والفوز بمحبته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهي الغاية، وهي المقصد، وهي المطلب، وإليها السعي والعمل بحثًا عن الفوز برضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والفوز بمحبته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:72].

فالعبادة سعيٌ للفوز برضا الله ومحبته؛ وذلك بالقيام بالأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة التي يحبها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويرضاها من عباده؛ هذا هو تعريف العبادة.

ثم أتبع التعريف بذكر المثال لأنواعٍ من العبادات التي أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عباده بها، قال: (**فَالصَّلَاة، وَالزَّكَاة، وَالصِّيَام، وَالْحج، وَصدق الحَدِيث، وَأَدَاء الْأَمَانَة، وبرُّ الْوَالِدين، وصلَة الْأَرْحَام، وَالْوَفَاء بالعهود، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَالْجهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقين، وَالْإِحْسَان إلى الْجَار واليتيم والمسكين والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم، وَالدُّعَاء، وَالذكر، وَالْقِرَاءَة،**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة)؛ فهذه أمثلة، ولهذا قال: **(من الْعِبَادَة)**؛ ليست هذه المذكورات هي كل العبادة، وإنما هي من العبادة التي خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلق لأجلها، وأوجدهم لتحقيقها.

وبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذه العبادات بمباني الإسلام، وأركان الإسلام كما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَام**»، فبدأ بهذه المباني التي هي أركان للإسلام وأعمدةٌ لهذا الدين، وعليها بناء الإسلام. وبدأ بالصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، وأول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي أعظم فرائض الدين بعد الشهادتين، فلذلك بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بها، قال: **(فَالصَّلَاة، وَالزَّكَاة)**؛ والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله، وفي غالب الآيات التي يؤمر فيها في القرآن الكريم بالصلاة؛ تتبع بالأمر بالزكاة، فهي قرينة الصلاة في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. وصيام رمضان؛ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:183]؛ وهو شهرٌ واحدٌ في السنة افترض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده صيامه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَالْحج)؛ وهو فريضة افترضها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على عباده في العمر كله مرةً واحدة، وما زاد على ذلك فهو نفلٌ وتطوع.

ومن العبادة (صدق الحَدِيث)؛ مما يُعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به، ويتقرب إليه جَلَّوَعَلَا به صدق الحديث، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:119]؛ فأمر جَلَّوَعَلَا عباده بأن يكونوا مع الصادقين بأن يصدقوا في أقوالهم وفي كلامهم، فلا يتكلمون إلا بالحق، ولا يقولون إلا الصدق، فصدق الحديث عبادة وقربة يتقرب بها الصادق إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

كذلكم (أَدَاء الْأَمَانَة)؛ لمن ائتمنك؛ فهذا أيضًا مما يتعبد لله به ويتقرب لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به.

(وبرُّ الْوَالِدين)؛ وهو عبادةٌ عظيمة قرنها الله جَلَّوَعَلَا في مواضع من القرآن بحقه سبحانه؛ كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:23]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:36]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:151]، وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، من الآية:14]؛ فبر

الوالدين عبادة عظيمة قرنها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة التي هي حقه جَلَّ وَعَلَا على عباده في مواضع من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

وأيضًا (وصلَة الْأَرْحَام)؛ التي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بصلتها كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [سورة الرعد، من الآية:21]، وقال عَزَّ وَجَلَّ متوعدًا من قطع ما أمر الله به أن يوصل: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [سورة محمد، من الآية:22-23].

(وَالْوَفَاء بالعهود)؛ أي ما قام في ذمة الإنسان من عهدٍ فإنه يجب عليه الوفاء به، وأن يلتزم ما تم من معاقدة بينه وبين غيره أو معاهدة أو التزام بينه وبين غيره يجب عليه أن يفي بذلك، والوفاء بالعهد عبودية يُتقرب بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذلكم (وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر)؛ من العبادة التي يُتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها. ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:104]؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادةٌ يُتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وكذلكم (وَالْجِهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ)؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:73].

كذلكم (وَالْإِحْسَان إلى الْجَار، واليتيم، والمسكين، والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم)؛ هذا كله من العبادة، ودين الإسلام دين الإحسان، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كتب الإحسان على كل شيء؛ فيجب على المسلم القائم بالعبادة لله أن يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإحسان إلى الوالدين، بالإحسان للجيران، بالإحسان للقريب، بالإحسان أيضًا إلى بهيمة الأنعام، وهذا الإحسان من موجبات الفوز برحمة الله، ودخول جنته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فالبهيمة إذا رحمتهما رحمك الله، وإذا أحسنت إليها أحسن الله إليك، وأعظم لك الأجر والجزاء والمثوبة، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:60]؛ فهذا مما يُتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به.

كذلكم من العبادة (الدُّعَاء، وَالذكر، وَالْقِرَاءَة)؛ أي للقرآن، وبالعلم النافع المقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا كله من العبادة، من عبادة الله أن تذكر الله الذكر المشروع المأثور عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل تحرص أن يكون ذكرك لله بالكثرة كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:41-42]، وقال جَلَّوَعَلَا:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:35]؛ والدعاء من العبادة بل هو كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العبادة، كما في حديث النعمان بن بشير، قال: «**الدعاء هو العبادة**»، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60]؛ فسمى جَلَّ وَعَلَا الدعاء عبادة.

وقراءة القرآن، وأيضًا قراءة العلوم النافعة فقهًا وتفسيرًا وغير ذلك من علوم الشريعة؛ كل ذلكم من العبادة ومما يُتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا به، وفي الحديث: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يلتمس فِيهِ عِلْمًا سهَّل الله لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ**».

قال: (**وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة**)؛ ينبه بذلك إلى أن ما ذكره مجرد أمثلة، وليس على وجه الاستقصاء أو الحصر، وإنما ذكر أمثلة على أشياء هي من العبادة ومما يُتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به.

قال: (**وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله**)؛ انتقل هنا إلى بيان أنواع من العبودية الباطنة التي هي في القلب قلب العابد، فقال: (**وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله**)؛ فحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبادة، ومن أعظم ما تتقرب إلى الله به حبه جَلَّ وَعَلَا، بل إن الحب روح العبادة وأساسها ولبها، والمؤمنون يحبهم الله جَلَّ وَعَلَا ويحبونه، ويتقربون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمحبته، ومحبة من يحب، ومحبة ما يحب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الدعاء المأثور: «**اللهم إني اسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يقربني إلى حبك**»، وفي الحديث يقول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَ الْبُغْضُ فِي اللهِ**».

فمما يتقرب إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ به حبه جَلَّ وَعَلَا، وحب رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بعد أن أنقذه الله منه كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

كذلكم خشية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وخشيته عَزَّ وَجَلَّ عبادةٌ قلبية عظيمة بل هي ركنٌ من أركان التعبد القلبية، لأن التعبد لله بعموم العبادات وأنواع الطاعات يقوم على ثلاثة أركان: وهي المحبة، والخوف، والرجاء؛ فهذه أركان لعبادة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والتقرب إليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فمما أو من أعظم ما يتقرب به المتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكون في قلبه خشية وخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ، وكلما ازداد العبد بصيرةً بالله وأسماءه، وصفاته، وعظمته، وجلاله، وكماله، وكبريائه، وبطشه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ازداد خوفًا منه سبحانه، ولهذا قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر، من الآية:28]؛ أي أن العبد كلما ازداد علمًا بالله ازداد خشيةً من الله جَلَّ وَعَلَا، ولهذا قال بعض السلف: "من كان بالله أعرف

كان منه أخوف"؛ أي أن المعرفة بالله كلما زادت في القلب زاد الخوف والخشية من الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم يترتب على هذا الخوف وهذه الخشية من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى العمل بما رضي، فالعبد إذا خاف من الله فر إلى الله، وأناب إلى الله، وأقبل على طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فإن كل شيء يخافه الله ويخشاه يفر منه إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من يخافه ويخشاه يفر إليه كما قال سبحانه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:50]؛ فمن يخاف الله يفر إلى الله بالإقبال عليه، والإنابة إليه، والقيام بعبادته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على الوجه الذي يرضيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

كذلكم الإنابة إليه؛ مما يُتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ به الإنابة إليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:54]؛ فالإنابة هي الرجوع إلى الله بفعل مع أمر وترك ما نهى عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وزجر، فأهل الإيمان هم أهل الإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإقبال عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى طاعةً واستسلامًا وامتثالًا لأوامر الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وكذلكم إخلاص الدين لله؛ والإخلاص هو أساس العبادة الذي عليه تقوم، بل لا تكون العبادة عبادةً إلا بالإخلاص، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة، من الآية:5]، وقال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [سورة الزمر، من الآية:3]؛ فإخلاص الدين لله هو عبودية وهو أساس

العبودية الذي عليه تبنى وعليه تقوم العبادة، والإخلاص في العبادة وفي الدين أن يكون الدين صافيًا نقيًا لا يراد به إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالخالص هو الصافي النقي، وإخلاص الدين لله؛ أي أن يكون دين العبد صافيًا نقيًا لا يُراد به إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس فيه رياء ولا سمعة، ولا إرادةٍ للدنيا بالعمل، ولا غير ذلك من الأمور التي هي -والعياذ بالله- من محبطات الأعمال؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

وفي الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

كذلكم يدخل في العبادة الصبر لحكمه؛ وفي القرآن الكريم في أواخر الطور قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [سورة الطور، من الآية:48]، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ وحكم الله جَلَّ وَعَلَا يتناول في هذا الموضع في الآية المشار إليها: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ يتناول الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، وفي كلٍّ منهما مطلوب من العبد الصبر، ولهذا تنوعت تنوع الصبر بحسب ما يُطلب من العبد المؤمن أن يُحقق عبودية الصبر فيه، فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ وحكم الله نوعان: حكمٌ كوني قدري، وحكمٌ شرعيٌّ ديني، فإذا حكم الله وقضى كونًا وقدرًا على عبده بمصيبة من المصائب، أو بلية من البلايا من فقر، أو موت قريبٍ، أو فقد حبيبٍ، أو

حصول نقصٍ في صحة، أو في مالٍ أو غير ذلك فإنه مطلوبٌ منه أن يتلقى هذا الحكم الكوني القدري بالصبر، وقد قال الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:155-157]؛ فهذا صبر على حكم الله، أي ما قضاه وقدَّره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عبده من موت قريب، أو فقد لمال، أو حصول فقر، أو وجود مرضٍ، أو غير ذلك؛ كل ذلكم يجب عليه أن يتلقاه بالصبر.

وأن يعلم أنما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن، من الآية:11]، قال علقمة رَحِمَهُ اللَّهُ: "هو المؤمن تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلم".

وأيضًا الحكم يُطلق ويُراد به الحكم الشرعي الديني؛ أي ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عباده به وما نهاهم عنه، فالله عَزَّوَجَلَّ حكم حكمًا شرعيًا ديني بأوامر أمر عباده أن يفعلوها، ونواهي نهى عباده أن يقارفوها، فيجب على العبد أن يقابل هذا الحكم الشرعي الديني بالصبر، فالأوامر يصبر على فعلها، والنواهي يصبر عن فعلها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ولهذا قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى: الصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤلمة، وجميع هذه الأنواع الثلاثة تدخل تحت قوله: (**وَالصَّبْر لحكمه**)، وفي الآية الكريمة: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ فيدخل تحت الصبر لحكم الله هذه الأنواع الثلاثة؛ الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤلمة.

والصبر هو حبس النفس ومنعها، فيصبر على طاعة الله بأن يحبس نفسه على فعل الطاعة، ويصبر عن المعصية بأن يحبس نفسه ويمنعها من فعل المعصية، وأيضًا في الأقدار المؤلمة يحبس نفسه عن الجزع، والتسخط، والنياحة، ولطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، يحبس نفسه ويمنع نفسه من ذلك كله.

والصبر المعتبر ما كان عند الصدمة الأولى، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لتلك المرأة التي وجدها عند قبرٍ تبكي لفقد صبي لها كما جاء في بعض روايات الحديث، فقال لها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اتقِ الله واصبري**»، فقالت: إليك عني لم تصب بمثل مصيبتي، فمضى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقيل لها: إنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلحقته عند بيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلم تجد حُجابًا ولا بوابين جاءت إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لتعتذر، فقال لها: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةُ الْأُوْلَى**»، فهذا أصلٌ متين لا بد من العناية به في باب الصبر على المصاب ألا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وهو أن الصبر عند الصدمة الأولى، أما بعد ذلك فالعبد سيسلو، ولهذا قيل قديمًا: "من لم يصبر في أول المُصاب سلى فيما بعد سلو البهائم"؛ لأن البهيمة عندما مثلًا يموت وليدها تحزن، وهي بهيمة، خاصةً أول ما تُصاب بفقده، ثم مع الوقت تسلوا مع الأكل والشرب والبحث عن الطعام تسلوا وتنساه.

ورأيت ناقةً مرة -وفي ذلك عبرة- تذهب إلى مكان بعيد؛ لأن وليدها مات فيه، ورأيتها تذهب وتقف عند المكان وتشم وليدها الميت، وسألت عنها قالوا: استمرت على ذلك أيام ثم سلت ونست ذلك، وهي ناقة. فيقول أهل العلم: "من لم يصبر في أول المصاب سلى سلو البهائم".

ولهذا في الحديث قال: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةُ الْأُوْلَى**»؛ فينبغي على المسلم أن يُوطِّد نفسه على التحلي بهذا الخُلق العظيم، والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به، وموعود الله وثوابه جَلَّوَعَلَا بالصابرين عظيمٌ جدًا، يكفي في ذلك إطلاق البشارة في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:155]؛ ولم يذكر لعظم ما أعده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهم من مكرماتٍ وثوابٍ وعطاءٍ جزيل.

قال: (**وَالشُّكْرِ لِنِعَمِهِ**)؛ أيضًا مما يتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به أن يكون العبد شاكرًا لله، شاكرًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على نعمه، ونعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:34]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة النحل، من الآية:53]؛ فيتأمل العبد في نِعَم الله عليه في سمعه، في بصره، في حواسه، في صحته، في عافيته، في بدنه، في طعامه، في شرابه، في مسكنه، في أولاده، نِعَم لا تُعد ولا تُحصى، ولا يربط الإنسان باب النعمة في حاله التي هو عليها في يومٍ من أيام حياته، بل نعم الله من أول وجوده بل قبل وجوده، ونعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه متوالية.

أقول ذلك لأن بعض الناس قد يُصاب في مرحلة من حياته بمرض، أو يصاب بفقر، أو يصاب بشدة فينسى نعم الله عليه، ينسى نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، لكن إذا وسَّع نظره وتجاوز حد هذا المُصاب الذي هو فيه وجد أن نعم الله عليه لا تُعد ولا تُحصى بدءً من كونه جنينًا في بطن أمه، كيف يسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الغذاء؟! ويوم ولادته كيف عطفت أمه عليه بالحليب والعطف؟! وغير ذلك من النعم التي لا تُعد ولا تُحصى، فمما يتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به الشكر لنعمه جَلَّ وَعَلَا، ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [سورة النحل، من الآية:121].

والشكر للنعمة يكون بالقلب اعترافًا، ويكون باللسان حمدًا وثناءً على المُنعم، ويكون بالجوارح عملًا بطاعة الله كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سورة سبأ، من الآية:13].

كذلكم يدخل في العبادة الرضا بقضاء الله، فمما يُتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به أن يرضى بقضائه، والرضا بالقضاء منزلة أعلى من منزلة الصبر وأرفع وأعلى

شأنًا ومقامًا، فالرضا بقضاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عبودية قلبية عظيمة، يُكرم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها خواص عباده وأصفياء أولياءه.

(**وَالتَّوَكُّل عَلَيْهِ**)؛ أيضًا هذا من العبادة التي يُتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها أن يكون العبد متوكلًا على الله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان، من الآية:58]؛ والتوكل هو الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مع بذل الأسباب، فالتوكل هو ما يجمع -التوكل حقًا- هو ما يجمع هذين الأصلين أن يستعين بالله ويعتمد عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويبذل الأسباب التي أمر جَلَّوَعَلَا عباده ببذلها والقيام بها.

وعبودية التوكل عبادة تصحب المسلم في كل شئونه؛ فالأعمال الدينية والطاعات كلها تحتاج إلى توكل، وأيضًا الأعمال والمصالح الدنيوية كلها تحتاج من العبد إلى توكل، ولهذا شرع للمسلم في كل مرة يخرج فيها من بيته لأي مصلحة دينية أو دنيوية أن يخرج مستحضرًا التوكل على الله قائلًا: (بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله).

(**والرَّجاء لِرَحْمَتِهِ**)؛ أيضًا مما يتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به الرجاء لرحمته، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:57]؛ فرجاء رحمة الله من العبوديات التي يتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها، بل هو من أركان التعبد

القلبية كما قدمت، كل عبادةٍ نتقرب إلى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بها تقام على أركانٍ ثلاثة؛ الحب، والرجاء، والخوف.

ولهذا قال: (**والرجاء لِرَحْمَتِهِ، وَالْخَوْف من عَذَابه**)، فمر معنا في الآية: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:57]؛ فالخوف من عذاب الله عبودية يتقرب إلى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بها، وكلما كان العبد شديد الخوف من عذاب الله وعقاب الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ازداد تهيؤًا وعملًا بطاعة الله.

ولهذا من يُكرمهم الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بدخول الجنة يذكرون ذلك، يذكرون حالهم في الحياة الدنيا وكونهم كانوا على خوف من ذلك اليوم ومن عذاب الله، وأن هذا هو الذي أوصلهم تلك الرتب، مثل ما جاء في الآية في سورة الطور: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الطور، من الآية:25-28]، وفي سورة الحاقة قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [سورة الحاقة، من الآية:19-20]، وقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:46]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات، من الآية:40-41]؛ فإذا خاف العبد من عذاب الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ زجره ذلك عن فعل المحذور أو ترك المأمور، واستعد للقاء الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا تكثر الآيات في

القرآن التي فيها الترهيب من عذاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتى يتجنب العبد كل أمرٍ يسخط الله ويغضبه جَلَّوَعَلَا.

لما ذكر رَحِمَهُٱللَّهُ هذه الأمثلة أيضًا لا على وجه الحصر قال: (**وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله**)؛ ومراد شيخ الإسلام بذكر هذه الأمثلة بدءً من ذكره للصلاة إلى الخوف من عذاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أراد أن يوضح التعريف السابق بالأمثلة؛ فعرَّف العبادة بأنها اسم جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، ثم وضَّح هذا التعريف بالمثال.

القارئ:

قال رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: (وَذَلِك أَن الْعِبَادَة لله هِيَ الْغَايَة المحبوبة لَهُ والمرضية لَهُ الَّتِي خلق الْخلق لَهَا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56].

وَبهَا أُرسل جَمِيع الرُّسُل كَمَا قَالَ نوح لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:59]، وَكَذَلِكَ قَالَ هود وَصَالح وَشُعَيْب وَغيرهم لقومهم، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [سورة النحل، من الآية:36]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:25]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:92]، كَمَا قَالَ فِي الْآيَة الْأُخْرَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:51-52].

وَجعل ذَلِك لَازِمًا لرَسُوله إِلَى الْمَوْت كَمَا قَالَ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:99]، وَبِذَلِك وصف مَلَائكَته وأنبياءه فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:19-20]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:206].

وذم المستكبرين عَنْهَا بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية لَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:6]، وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:63-77] الْآيَات.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَلما قَالَ الشَّيْطَان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:39-40]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:42].

وَقَالَ فِي وَصف الْمَلَائِكَة بذلك: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:26-28]، وَقَالَ تعالَى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [سورة مريم، من الآية:88-95].

وَقَالَ تَعَالَى عَن الْمَسِيح الَّذِي ادعيت فِيهِ الإلهية والبنوة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:59]، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْن مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد، فقولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَقد نَعته الله بالعبودية فِي أكمل أَحْوَاله فَقَالَ فِي الْإِسْرَاء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:1]، وَقَالَ فِي الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:10]، وَقَالَ فِي الدعْوَة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [سورة الجن، من الآية:19]، وَقَالَ فِي التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:23]).

أردت أن نقف فقط على هذه الآيات، وأيضًا نعرف مكانة هؤلاء الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وعنايتهم العظيمة بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا، ومداواتهم للناس بالقرآن، ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق، من الآية:45]؛ وهذه طريقة الأئمة من أهل العلم والفضل؛ يحيون القلوب، ويذكرون الناس، ويعلمونهم بسوق الآيات وذكر الأدلة من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسُنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-.

أما الكلام على مضامين هذه الآيات ومدلولها والشاهد منها للسياق فيكون في لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

أحسن الله إليكم.. وبارك فيكم، ونفعنا الله بما قلتم، وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يقول السائل: ما صحة المقولة التي تقول: أنه يجب الرضا بقدر الله ويجب الرضا بالمقدور المؤلم بل يكفي فيه الصبر؟

الجواب: هناك فرق بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي، الرضا بالقضاء واجب، وأما المقضي فبحسبه، قد يكون المقضي على عبد الوقوع في معصية مثلًا أو ذنب من الذنوب؛ فعليه أن يتوب إلى الله وأن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق للتوبة، والعون على الهداية، ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر له ذنبه وخطيئته، فثمة فرق بين القضاء والمقضي.

أحسن الله إليكم، يقول: بعض الناس إذا سُئل عن العمل الدنيوي قال: العمل عبادة، فما صحة ذلك؟

الجواب: العبادة مفهومها -كما تقدم معنا- أوسع من العبادة المحضة، العبادة المحضة التي هي حق الله على عباده، المتعلق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من صلاة وصيام وذكر ونحو ذلك، ليست العبادة مقصورة على ذلك، وليست أيضًا مقصورة على فعل ما أوجبه الله على عباده من حقوق للآدميين مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام ونحو ذلك، بل إنها أوسع من ذلك؛ فيدخل فيها ترك العبد للمنهي الذي حرَّمه الله عليه، ويدخل فيها فعله للمباح إذا قَصد به التقرب إلى الله، وعمله طلبًا لرضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مثل أن يأكل أو يطعم أو ينام؛ ليكون أكله وشربه ونومه قوةً له على طاعة الله، فهذه تدخل في العبادة

بما قام في قلب العامل من نيةٍ صالحة، ويدل ذلك الحديث: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**».

فإذًا قول القائل: "العمل عبادة"؛ ليس على إطلاقه، العمل يعني أعمال العبد الدنيوية ومصالحه ونحو ذلك ليس على إطلاقه، العمل عبادة إذا كان نوى به الاستعانة على طاعة الله، مثل شخص يعمل في صنعة من الصناعات أو مهنة من المهن ويقصد بهذا العمل يسد حاجته وحاجة أولاده في باب الرزق، وأن يعمل بأمر الله له في السعي في طلب الرزق، ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ الرزق الحلال ويتجنب الحرام إلى غير ذلك يدخل عمله هذا في باب العبادة، أما إذا كان يعمل العمل الدنيوي ولم تقم في قلبه النية الصالحة، أو نية التقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فإنه حينئذٍ لا يدخل في العبادة، والأعمال معتبرةٌ بنياتها.

أحسن الله إليكم.. يسأل عن الفرق بين الإنابة والتوبة؟

الجواب: الإنابة هي الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [سورة الزمر، من الآية:54]؛ أي ارجعوا إليه وعودوا إليه بفعل أوامره وترك نواهيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. والمنيب هو المقبل على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والتوبة أيضًا فيها المعنى نفسه معنى الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ بترك ما نهى عنه وحرَّمه على عباده، وما قد وقع فيه العبد من ذنوبٍ أو أعمال تُسخط الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتكون التوبة بالندم على فعل ذلك الذنب، وبالعزم على عدم العودة إليه، وبالإقلاع عنه إقلاعًا تامًا.

أحسن الله إليكم.. يقول: ما حكم الخوف من الجن؟

الجواب: إذا كان في حدود خوف الإنسان الطبيعي كخوفه من عدو أو خوفه مثلًا من حية، أو خوفه مثلًا من عقرب أو مثلًا نحو ذلك؛ فهذا خوف طبيعي وليس داخل في العبادة ولا يلام الإنسان عليه، وفي القرآن قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:67]؛ لما جاء السحرة وألقوا حبالهم وعصيهم قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾، وموسى من أولي العزم من الرسل، وهذا الخوف خوف طبيعي، ومثل ما جاء في الحديث كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا خاف قومًا قال: «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم**»؛ هذا خوف طبيعي، فإذا كان في هذا الحدود فهو خوف طبيعي لا ملامة على الإنسان فيه، أما إذا دخل الإنسان في هذا الباب -باب الخوف من الجن- إلى حد الوسوسة والتوهمات والتخيلات؛ فهذا زائدٌ عن الحد، ويُعد مرض من الأمراض؛ فيكون في جانب الجبن المذموم والمعاني التي جاء الشرع بذمها، وإذا زاد هذا الأمر إلى الدخول في تعلقاتٍ باطلة وأعمالٍ محرمة فربما يصل بالإنسان إلى حد الإشراك.

أحسن الله إليكم.. يقول: ما صحة تقسيم أو زيادة الحكم الجزائي بالنسبة لأنواع الحكم؟

الجواب: الحكم الجزائي هو من الأحكام الثابتة، الحكم لله كونًا وقدرًا وشرعًا ودينًا، وأيضًا جزاءً وعقوبةً؛ فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الديان، وفي القرآن قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:4]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الانفطار، من الآية:17-18]؛ أي يوم الحساب والله عَزَّوَجَلَّ هو مالك يوم الدين أي الحساب، ومن أسمائه جَلَّوَعَلَا الديان، وقد جاء في الحديث الصحيح أن الله يقول يوم القيامة: «**أنا الملك أنا الديان**»، ومعنى الديان: أي المجازي، فالحكم الذي هو الجزاء والحساب هو لله وحده، قال تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [سورة النجم، من الآية:31].

أحسن الله إليكم.. يقول: كيف نوفق بين قول ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- في أن كل لفظ عبادة في القرآن معناه التوحيد، وبين تعريف شيخ الإسلام للعبادة؟

الجواب: ليس هناك تعارض بين القولين، فكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في بيان حد العبادة الجامع لها من حيث الأعمال التي يقوم بها العابد، وسيأتي عنده قريبًا تعريفٌ للعبادة من حيث النظر إلى العابد نفسه،

وكلمة ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في بيان أن الأمر بالعبادة في القرآن الكريم أو كل أمرٍ بالعبادة في القرآن الكريم أمرٌ بتوحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا المعنى موجود ضمنًا في تعريف شيخ الإسلام؛ لأن ابن تيمية قال: (**الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة**)، وذكر رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في شرحه لهذه الجملة أن من جملة الأعمال الباطنة الإخلاص لله إخلاص الدين لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعرفنا أنه أساس الدين الذي عليه يُبنى، وأن العبادة لا تقبل إلا به، وسيأتي عند شيخ الإسلام ابن تيمية تقرير ذلك بتوسعٍ وبسطٍ في هذا المقام، وذكرٍ للدلائل والشواهد عليه.

أحسن الله إليكم.. يقول: شاع عند ابتلاء أي شخصٍ بشيء أن يقال له: رزقك الله الصبر والسلوان، فما صحة ذلك وما معنى السلوان؟

الجواب: السلوان معناه أن يسلوا عن مصابه بأن تطيب نفسه ويطمئن قلبه ويسلو عن المصاب، والمصاب يحتاج إلى ما يسلو به قلبه، وقد ألَّف أحد الأئمة الأعلام في هذ الباب تسلية أهل المصائب، وهو كتاب نفيس ونافع جدًا في بابه، يعني ما هي الأمور والمعاني التي يحتاج إليها المصاب ليسلوا.

فالسلوان المراد بها أن يسلوا المصاب؛ فالدعاء له بذلك من حيث المعنى صحيح، والدعاء له بالصبر حال المصاب أيضًا صحيح، لكن بدون المصاب كيطلب الإنسان الصبر على المصاب فهذا فيه طلب للمصاب نفسه، فليس له

ذلك، وإنما إذا وقع في المصاب يسأل الله أن يعينه على الصبر على ما ابتلاه، وأن يوفقه إلى التحلي بالصبر.

وأيضًا إذا علم الإنسان عن آخر أنه ابتلي بمصيبة يسأل الله له أن يرزقه الصبر من حديث المعنى لا بأس بذلك.

أحسن الله إليكم.. يقول: هل يكفي في التعزية الهاتف إذا كان الإنسان في دولةٍ أخرى؟

الجواب: يقولون: ما لا يدرك لا يترك، إذا ما تستطيع تقابله المقابلة والمواجهة أبلغ وأمكن في الفائدة له، والتسلية له، وإذا لم يتمكن فما لا يدرك لا يترك، إذا لم يتمكن الإنسان من ملاقاة أخيه لمواساته؛ فالاتصال به هاتفيًا لا شك أن فيه فائدة ونفع.

أحسن الله إليكم.. يقول: هجرت ولدي بسبب إصراره على المعاصي، فما حكم هجري له؟

الجواب: هذا الزمان زمانٌ يمر فيه الكثير من الأبناء بفتن عاصفة جدًا، وخلطاء سوء كثر، وفتن متلاحقة جارفة، فحقيقةً ينبغي على الآباء في هذا المقام أن يحرص على احتواء الابن، والقرب منه، والعطف عليه، والإحساس بالشفقة عليه ورحمته، والهجر للزجر، لكن في مثل هذا الوقت

إذا هجر الإنسان ابنه تلقفه دعاة الشر وأهل الفساد وأهل المخدرات إلى غير ذلك.. فربما يكون باب عظيم لدخول الابن في الشر دخولًا واسعًا.

والهجر أصالةً إنما يؤتى به لزجر الإنسان ومداواته ومعالجته، فإذا كان الإنسان في مجتمع صلحاء ومستقيمين ووقع ابنه في خطأ وهجره لا شك أن الهجر في مثل ذلك المقام له تأثيره، لكن إذا كان المجتمع يعج بخلطاء الفساد وهجرهم واتضح من كلامه قرب من أهل الباطل، فالذي أراه ويظهر لي في مثل هذا أن يحرص الأب على احتواء ابنه، والتودد إليه، والإحسان إليه، والدفع بالتي أحسن، وتقليل الشر في ابنه ما أمكن، واللجوء الصادق إلى الله دعوة الوالد لولده مستجابة، وأن يحرص أن لا يدعو على ابنه، بعض الآباء يعني يشتد أحيانًا غضبه لفعلةٍ مشينة أو تصرف مشين على ابنه؛ فيدعوا عليه دعاءً شديدًا يدعو عليه بالنار، يدعو عليه بسخط الله، يدعو عليه بالهلاك، يدعو عليه بأمور كبيرة جدًا، ودعوة الوالد لولده مستجابة فعليه أن يدعو له، ويعطف عليه، ويرحمه، ويحاول أن يحتويه، وأيضًا يدفع إليه قرناء الخير، ودعاة الحق، يهديه مثلًا شيئًا من الأشرطة، أو شيء من الكتب، من هنا ومن هنا، ولا يستعجل النتيجة، لا يستعجل النتيجة إما تحقق هدايته في شهر الشهر الذي بعده إن شاء الله، وإن لم تكن هذه السنة السنة التي بعدها، يروض نفسه على.. وهو مأجور على صبره ومداواته لابنه والعمل على معالجته.

أحسن الله إليكم.. يقول: رجل رمى الجمرات وحلق رأسه، وقبل طواف الإفاضة جامع أهله، فماذا عليه؟

الجواب: في مثل هذه الحالة لا يفسد الحج لكن عليه شاة يذبحها لفقراء الحرم.

أحسن الله إليكم.. يقول: أديت فريضة الحج، وأريد أن أعمل عمرةً لأمي مع العلم أنها على قيد الحياة ولكنها كبيرة في السن؟

الجواب: إذا كان كبر والدتك في السن لا تتمكن معه من الركوب والسفر ولا تقدر على ذلك فلك أن تعتمر عنها، أما إذا كانت قادرة على الركوب والسفر وتتمكن من ذلك فليس لك أن تعتمر عنها.

أحسن الله إليكم.. يسأل عن حكم رفع اليدين في الدعاء في آخر المحاضرة، أو في الدعاء الجماعي؟

الجواب: رفع اليدين في الدعاء قال فيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا**»، أما الأحوال من حيث رفع اليدين وعدمها فهي ثلاثة.

- قسمٌ جاءت السنة بالرفع فيه، فيقال فيه: أن السنة ترفع الأيدي.

- وقسمٌ جاءت السنة بعدم رفع اليدين؛ فيقال فيه: السنة أن لا ترفع الأيدي، مثل الدعاء وقت خطبة الجمعة إلا في الاستسقاء السنة أن لا ترفع الأيدي.

- وقسمٌ مطلق.

فهذا الأمر فيه واسع، إن رفع يديه لا حرج وإن لم يرفع يديه لا حرج، لكن لا يتخذ سنة، لا يقال: من السنة رفع الأيدي، أو من السنة عدم رفعها، والأمر في ذلك نعم واسع. الأمر في هذا القسم واسع؛ إن شاء رفعه وإن شاء لم يرفع.

أحسن الله إليكم.. يقول: ما حكم تشميث العاطس؟

الجواب: تشميث العاطس واجب؛ وإذا حمد الله فشمته، وبعض أهل العلم يقول: حق على كل من سمع أن يشمته، وبعض أهل العلم يقول: إذا فعل هذا التشميت البعض أجزأ عن الباقين.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك وحُسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم ولي على المسلمين أينما كانوا خيارهم يا رب العالمين، واصرف عنهم شرارهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم وانصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا، وحافظًا ومؤيدًا، اللهم كن لنا ولهم ولا تكن علينا، اللهم أعنا وإياهم ولا تُعن علينا، وانصرنا وإياهم ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، اللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، إليك أواهين منيبين، لك مخبتين، لك مطيعين، اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخيمة صدورنا، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل

مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَذَلِكَ أَن الْعِبَادَة لله هِيَ الْغَايَة المحبوبة لَهُ، والمرضية لَهُ والَّتِي خلق الْخلق لَهَا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56].

وَبهَا أُرسل جَمِيع الرُّسُل كَمَا قَالَ نوح لِقَوْمِهِ:

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:59]، وَكَذَلِكَ قَالَ هود وَصَالح وَشُعَيْب وَغَيرهم لقومهم، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [سورة النحل، من الآية:36]، وَقَالَ تعالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:25]، وَقَالَ تعالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:92]، كَمَا قَالَ فِي الْآيَة الْأُخْرَى:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:51-52].

وَجعل ذَلِك لَازِمًا لرَسُوله إِلَى الْمَوْت كَمَا قَالَ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:99]).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في صدر كتابه [العبودية] معنى العبادة وحقيقتها وأنها: (**اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الظَّاهِرَة والْبَاطِنَة**)؛ ثم مثَّل بذلكم ببعض الأمثلة من عباداتٍ ظاهرةٍ فعليةٍ أو قولية، أو عباداتٍ باطنة.

فلما مثَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك ببعض الأمثلة بعد أن بيَّن العبادة انتقل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى بيان مقام العبادة، ومكانتها العلية، ومنزلتها من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقد عرفنا أن من سؤالات السائل سؤاله: (**هَلْ هِيَ أَعْلَى الْمَقَامَات؟ أَمْ فَوْقَهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَقَامَات؟**)؛ فكان مما سأل عنه السائل ذلك، ولذا شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مقام العبادة ومكانتها العلية ومنزلتها الرفيعة، وذلك بقوله: (**وَذَلِكَ أَن**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الْعِبَادَة لله هِيَ الْغَايَة المحبوبة لله، والمرضية لَهُ)؛ فالعبادة هي الغاية التي أحبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لعباده ورضيها لهم، ولأجلها خلقهم؛ فهي الغاية التي لأجلها خُلقوا، ولأجلها أوجدوا، وهي محبوبةٌ إلى الله مرضية عنده، خلق الخلق لأجلها، وأوجدهم لتحقيقها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولهذا ينبغي أن يُعلم أن مقام العبادة مقامُ تشريفٍ للعبد وشرفٍ عظيم؛ إذا وُفق العبد لأن كان من أهل العبادة وأهل الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ فهذا أعظم شرف، وأعظم مقام يوفق له العبد ويناله أن يكون من أهل عبادة الله، ومن عباد الرحمن سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأيُّ شرفٍ أعلى وأعظم وأرفع من هذه النسبة الشريفة العلية أن يكون عبدًا لله، وأن يكون من عباد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، محققًا العبودية التي هي الغاية المحبوبة لله، المرضية عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَمَا قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56])؛ ساق هذه الآية لما فيها من دلالة على أن الغاية من خلق الإنس والجن عبادة الله، الغاية التي خُلق لأجلها الإنس والجن عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56]؛ ﴿خَلَقْتُ﴾؛ هذا فعله هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أوجد الجن والإنس وأوجد هذه المخلوقات قال: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي إلا لآمرهم بعبادتي، والمراد بالعبادة التوحيد كما عرفنا ذلكم من قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: "كل أمرٍ بالعبادة في

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

القرآن أمرٌ بالتوحيد"، فمعنى قوله: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾؛ أي إلا لآمرهم بعبادتي وتوحيدي وإخلاص الدين لي، فهو عَزَّوَجَلَّ ما خلق الخلق باطلًا، ولا أوجده عبثًا، ولا أبدعه سدًا، تنزه وتقدس تَبَارَكَوَتَعَالَى عن ذلك.

ومن عقيدة أهل الإيمان اعتقادهم أن هذا الخلق لم يخلق باطلًا هذه عقيدة، ولها ثمرتها العظيمة، وأثرها المبارك على المؤمن الذي أعتقد ذلك، وانظروا إعلان أهل الإيمان والأبرار من عباد الله؛ هذه العقيدة في توسلهم وتذللهم لله عَزَّوَجَلَّ وطلبهم لرضاه، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:190-191]، ذكروا هذه العقيدة التي يدينون بها ويؤمنون بها في مقام توسلهم إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن ينجيهم من عذاب النار، ولا ينجو من عذاب النار إلا من يعتقد فعلًا أن هذا الخلق لم يُخلق باطلًا، وإنما خُلق للحق وبالحق، خُلق للعبادة وللطاعة والامتثال لله عَزَّوَجَلَّ.

أما -والعياذ بالله- إذا ظن الظان واعتقد المعتقد أن هذا الكون إنما خُلق باطلًا ووجد عبثًا من أجل أن يعبث الإنسان ويلعب ويلهوا ويمرح، ولا يقوم لله عَزَّوَجَلَّ بعبودية؛ فهذا الاعتقاد ضرره على الإنسان أعظم الضرر، ولهذا إذا

دخل أهل النار النار يوم القيامة يقول الله لهم -كما يدل على ذلك أواخر سورة المؤمنون- يقول الله لهم وهم في النار: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:115-116]؛ أي تنزه وتقدس عن ذلك، فهؤلاء الذين هم أهل النار ظنوا في الحياة الدنيا أن هذا الخلق خُلق عبثًا، ولهوًا وباطلًا، فأثمرت فيهم هذه العقيدة الباطلة صدودًا وإعراضًا عن دين الله وعن عبادة الله وعن طاعة الله؛ بخلاف المؤمن الذي اعتقد اعتقادًا جازمًا أن هذا الخلق لم يُخلق باطلًا.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيامة، من الآية:36]؛ أي لا يؤمر ولا يُنهى؟ أبدًا، بل خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليأمره وينهاه؛ فالمؤمن اعتقد ذلك وآمن به، فأثمر فيه هذه العقيدة طاعة وعبادةً وقيامًا بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالله عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق ليعبدوه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ لم يخلقهم باطلًا، ولم يوجدهم عبثًا، ولن يتركهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سدى؛ ولهذا أمرهم ونهاهم، ودعاهم إلى القيام بالعبودية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56-57]، أوجدهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو غني عن عبادتهم، وعن طاعتهم، وعن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

توحيدهم، وعن إخلاصهم، وعن جميع أعمالهم، لا تنفعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:57-58]؛ فهذه الآية الكريمة فيها دلالة على أن هذا الخلق إنما أوجد لتوحيد الله وإخلاص الدين له جَلَّ وَعَلَا. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

(وَبِهَا)؛ الضمير عائد على العبادة، **(أُرسل جَمِيع الرُّسُل)**؛ بها أي العبادة بحيث تكون لله خالصة، يُفرد جَلَّ وَعَلَا بها.

(وَبذلك أُرسل جَمِيع الرُّسُل كَمَا قَالَ نوح لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:59]، **وَكَذَلِك قَالَ هود وَصَالح وَشُعَيْب وَغَيرهم لقومهم)**؛ فهذه دعوة الأنبياء، كل نبيٍ يبعثه الله أول ما يبدأ قومه به من الدعوة هذه الكلمة، وأول كلمة تقرع سمع الأقوام من الأنبياء هذه الكلمة: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾؛ ليس في دعوة الأنبياء كلمة تسبق هذه الكلمة، بل بها يبدؤون، وهي أول ما يبدأ به الأنبياء في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لماذا؟ لأن هذا هو الأساس؛ أساس الدين الذي عليه يُبنى، ولو وجدت أعمال بدون هذه الأساس لم تُقبل من صاحبها، فالعمل لا يقبل إلا بهذا الأساس، ولهذا يبدأ الأنبياء أول ما يبدؤون بوضع الأساس؛ أساس

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بناء الدين، خلاف الدعوات التي تهتم بالأمور الأخرى وتُهمل الأساس، وأيُّ فائدةٍ تُرتجى من بناءٍ أساسه على شفا جرفٍ هار، أو لا أساس له.

فمهما على ذلك البنيان ما أسرع ما يتصدع وينهار، ولا يُستفاد مما جُعل فيه من حلية وزينة وغير ذلك، فأول ما يبدأ الأنبياء بالدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ يبدؤون بهذا الأصل: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ وهذه الكلمة: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ هي معنى لا إله إلا الله، فلو قال قائل: ما معنى لا إله إلا الله؟ فقيل: أي: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ كان الجواف وافيًا، فأول ما يبدأ الأنبياء بالدعوة؛ الدعوة إلى توحيد الله والبراءة من الشرك قائلين: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ هذه الكلمة تتكرر في دعوات الأنبياء بل في أول ما يبدأ به الأنبياء دعوتهم إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:36])؛ هذا دليل آخر؛ الأول: دليل تفصيلي، ذكر دعوة نوح، ودعوة هود، ودعوة صالح، ودعوة شعيب، ثم قال: (**وَغَيرهم**)؛ أي كل نبي يبعثه الله بهذه الدعوة، فهذا فيما يتعلق بتفصيل دعوة الأنبياء.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم بعد هذا التفصيل ذكر آيات مجملة تجمع جميع الأنبياء في أن هذا هو هدفهم في الدعوة إلى الله، قال: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:36])؛ أمة أي جماعة وطائفة من الناس، وأمة في القرآن وفي اللغة أيضًا لها إطلاقات عديدة وسيأتي إشارة إلى ذلك، فالأمة هنا المراد بها الطائفة والجماعة من الناس.

قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ وهذا فيه أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث رسله تترا إلى العباد، لأجل ماذا؟ ما الغاية من بعثتهم؟ ما الهدف من إرسالهم؟ قال: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ هذا الهدف والغاية من بعثة جميع النبيين، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ هذا هو معنى لا إله إلا الله، أمرٌ بعبادة الله وإخلاص العبادة له، والبراءة من الطاغوت، والطاغوت هو كل من عُبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ والطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد، فالطاغوت هو كل ما تجاوز به الناس الحد من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاع، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾؛ أي أن حال الناس تجاه دعوة الأنبياء أنهم على قسمين:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

- قسم هداهم الله فقبلوا دعوة الأنبياء، وشرح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صدورهم لقبولها والإيمان بها.

- وقسم حقت عليهم الضلالة فكانوا من أهل العناد والكفر والصدود والإعراض عما جاء به الأنبياء والمرسلون.

قال: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:25])؛ وهي نظير الآية التي قبلها في أن الهدف والغاية من بعثة جميع النبيين الدعوة إلى توحيد الله؛ فإن قوله هنا: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، نظير قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ فهذا هو التوحيد: لا إله إلا الله؛ كلمته، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ حقيقته؛ فحقيقة التوحيد عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واجتناب عبادة الطاغوت.

أيضًا نظير هذه الآيات قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:45]، كذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الأحقاف: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:21]؛ أي الرسل. ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:21]؛ لماذا؟ ما الغاية؟ ما الهدف؟ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحقاف، من

الآية:21]؛ وألا يكفي هذا المعنى أي تقرير أن الهدف من بعثة النبيين دعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له إجمالًا وتفصيلًا كثيرًا؟! وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أشار إلى طرفٍ منها.

قال: (**وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:92]، **كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:51-52])؛ وهاتان الآيتان في الباب نفسه بيان أن دعوة الأنبياء واحدة، وأنهم كلهم دعاةٌ إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، فإن قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾؛ المراد بالأمة هنا الدين؛ لأن كلمة أمة ولفظة: (أمة) تُطلق ولها معاني تعرف من خلال السياقات، مر معنا قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [سورة النحل، من الآية:36]؛ المراد بالأمة هناك أي طائفة وجماعة من الناس، وهنا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾؛ أي دينكم دينٌ واحد، قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف، من الآية:45]؛ المراد بالأمة هنا معنى آخر أي مدة من الوقت، ومدة من الزمان، قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ [سورة النحل، من الآية:120]؛ أي قدوة وإمامًا في الخير والتقى والصلاح، فإذًا كلمة أمة لفظةٌ تأتي لها معاني تُعرف من خلال السياق، فقوله جَلَّ وَعَلَا:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾؛ أي: دينكم دينٌ واحد.

وفي الآية الأخرى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي أمة الرسل ماذا؟ أمة واحدة، دينهم دين واحد، دين الرسل دين واحد ما هو؟ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ هذا دين جميع المرسلين.

أمتهم واحدة أي دينهم واحد، وهو عبادة الله وإخلاص الدين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا جاء في الحديث أن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**نَحْنُ الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُنَا شَتَّى**»، «**دِينُنَا وَاحِدٌ**»؛ أي عقيدتنا واحدة، كلنا دعاة إلى عبادة الله وإخلاص الدين له، «**أُمَّهَاتُنَا شَتَّى**»؛ أي الشرائع تختلف من نبي إلى آخر، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة، من الآية:48]؛ أما العقيدة فهي عقيدة واحدة، أمة الأنبياء أمة واحدة؛ أي دينهم دينٌ واحد.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَجعل ذَلِك لَازِمًا لرَسُوله إِلَى الْمَوْت**)، (**وَجعل ذَلِك**)؛ أي ذلك الأمر الذي خلق الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه وهو عبادة الله وإخلاص الدين له، (**وَجعل ذَلِك لَازِمًا لرَسُوله**)؛ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، صفوة خلقه، وسيد الأولين والآخرين جعله الله لازمًا له إلى الموت؛ فأمره الله

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

عَزَّوَجَلَّ بهذا الأمر قال: (قَالَ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:99])؛ هذا أمر لنبيه محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، صفوة خلقه، وسيد ولد آدم، أمره الله بهذا، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾؛ أي لازم عبادة الله، وواظب على عبادة الله، وداوم على عبادة الله، واستمر في عبادة الله إلى الموت، فاليقين هنا المراد به الموت بإجماع المفسرين من أئمة العلم والدراية بكلام الله وكلام رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، المراد باليقين الموت، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾؛ أي داوم على عبادة الله واستمر على عبادة الله إلى أن يتوفاك الله، وهذا الذي كان منه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى لحظاته الأخيرة وهو عبدٌ لله قائمٌ بعبادة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلى أن توفاه الله جَلَّ وَعَلَا. وتوفاه الله وهو يستغفر الله، كان يختم أعماله الصالحة بالاستغفار، وختم حياته كلها بالاستغفار، «**اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى**»؛ كان من آخر كلامه -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

فعبد الله حتى أتاه اليقين كما أمره الله، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾، نظير هذه الآية قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:102]، ما معنى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؛ وكلٌّ لا يدري متى يموت؟ ما المعنى؟ أي داوموا على عبادة الله ولازموا عبادة الله إلى أن يأتيكم الموت وأنتم على الإسلام، والإسلام عبادة

الله والقيام بطاعته جَلَّوَعَلَا وامتثال أمره، فقوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾؛ أي داوم على عبادة الله إلى أن يتوفاك الله، فجعل ذلك لازمًا لرسوله، انتبه لهذا! شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبه على معنى عظيم أيضًا ويحذر من خلل جسيم وجد عند بعض طوائف الضلال، ينبه على معنى عظيم إذا كان صفوة خلقه وسيد ولد آدم أمره الله عَزَّوَجَلَّ بذلك وجعل ذلك لازمًا له إلى الممات، وهو صفوة خلق الله، وأكملهم عبودية لله، أمره أن يداوم على العبادة إلى الممات؛ فمعنى ذلك أن العبادة لا تسقط عن أحدٍ بأي حال، مطلوبةٌ منه في وقت إلى أن يتوفاه الله، خلافًا لما يدعيه أئمة الضلال ودعاة الباطل من الطرقية؛ حيث يزعمون أن العبد يترقى في الأعمال والعبوديات إلى أن يبلغ درجةً بزعمهم تسقط عنه فيها التكاليف، ولا يكون مأمورًا بالعبادات، وهو من يسمونه بالواسط، إذا بلغ هذه الدرجة –درجة الوصول– ويفهمون هذه الآية الكريمة على غير بابها، يفهمون: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾؛ أي حتى تبلغ درجة اليقين التي هي بفهمهم المعرفة، وتتحقق بذلك؛ حينئذٍ توقف عن العبادة.

ولهذا يُوجد في هؤلاء فعلًا من يبلغ به الأمر إلى أن يتوقف عن العبادة لا يصلي، ولا يصوم، ولا يعبد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ويرتكب المحرمات، ويزعم أنه

واصل بلغ اليقين وسقطت عنه التكاليف، وهذا القول كفر بإجماع المسلمين وليس من دين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

إذا كان الله قال لصفوة خلقه -صلوات الله وسلامه عليه-: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾؛ أي لازم العبادة إلى أن تموت، واليقين هنا بإجماع أهل العلم الموت، لما مات عثمان بن مظعون قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أما عثمان فأتاه اليقين من ربه**»؛ أي الموت، أتاه اليقين من ربه؛ أي أتاه الموت، وأهل سقر لما يدخلون النار يقولون: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة المدثر، من الآية:42-47]؛ يعني كنا على هذه الحال إلى أن متنا، ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾؛ يعني مضينا على هذه الحال ترك للصلاة، وتضييع للدين، وتكذيب بالجزاء والحساب إلى أن أتانا اليقين أي أتانا الموت، ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾؛ ماذا يقول هؤلاء الطرقية في الآية ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾؛ هل يقولون: أن أولئك أهل سقر لما أتاهم اليقين أي أتاهم المعرفة؟ اليقين الموت، اليقين هو الموت، داوم على عبادة الله ولازم عبادة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ إلى أن يتوفاك الله سبحانه.

ولهذا وُجد لدى هؤلاء الضلال أن يقول شيخ الطريقة وقت إقامة الصلاة، يتكئ على سارية المسجد، ومن حوله من المريدين يصلون هو لا يصلي،

يقولون: هذا واصل، واصل معناه سقطت عنه التكاليف، بل يقولون: أن مقام هؤلاء مقام أعلى من أن يذهب للكعبة ليطوف بها، ومقامه أشرف من أن يذهب إلى الكعبة ليطوف بها، بل الكعبة تطوف بالأولياء يقولون، فلا يذهب يطوف، وأشرف خلق الله عَزَّوَجَلَّ كم من مرة ذهب إلى البيت وطاف به -صلوات الله وسلامه عليه-، فيزعمون أن الواصل يبلغ هذا المقام والكعبة تذهب وتطوف به، ويعتقدون ذلك عقيدة وكتبوه في كتبهم.

وفي أحد الكتب -كتب الأحكام المشهورة- عُقد فيه مسألة مبنية على هذه الخرافة، عُقد فيه مسألة فقهية في كتاب الصلاة مبنية على خرافة هؤلاء، قال: إذا مسألة قال: إذا ذهبت الكعبة تطوف بالأولياء، إلى أين يصلي الناس؟ هذه مسألة مبنية على خرافة هؤلاء وضلال هؤلاء وباطل هؤلاء، قال: إذا ذهبت الكعبة تطوف بالأولياء، إلى أين يصلي الناس؟ قال: اختلف العلماء فيها على قولين:

القول الأول: قال: يصلون إلى جهة الكعبة باعتبار الأصل وأنه لا يدري الناس أين ذهبت الكعبة؟

قال: وأما القول الثاني: فقالوا: إنه يجب على الناس في كل أنحاء الدنيا أن يبحثوا عن الكعبة أين ذهبت كل صلاة.

هذا موجود في كتاب مشهور ولا تزال الخرافة موجودة هذه إلى يومنا هذا، كلها مبنية على سوء الفهم، والعقائد الباطلة، والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، إذا كان الله قال لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾؛ جعل العبادة لازمة له حتى الموت، مثل ما قال الحسن البصري -أخذًا من هذه الآية- قال: لم يجعل لله لعبده المؤمن أو لعباده المؤمنين الأجل إلا الموت، فمطلوبة منهم العبادة إلى آخر لحظة إلى أن يتوفاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا هو معنى هذه الآية الكريمة: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾؛ وفيها دلالة على عِظم شأن العبادة ومقامها، وأنها أمر مطلوب من العبد إلى أن يتوفاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

القارئ:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (وَبِذَلِك وصف مَلَائكته وأنبياءه فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:19-20]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:206].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وذم المستكبرين عَنْهَا بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية لَهُ فقَالَ تعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:6]، وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:63-77] الْآيَات.

وَلما قَالَ الشَّيْطَان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:39-40]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:42].

وَقَالَ فِي وَصف الْمَلَائِكَة بذلك: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:26-28]، وَقَال تعالَى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ
وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [سورة مريم، من الآية:88-95]).

يواصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الآيات والأدلة من القرآن الكريم في بيان مقام العبودية والعبادة لله ومكانتها العظيمة، قال: (**وَبِذَلِك وَصَفَ مَلَائِكَتَهُ وأنبياءه**)؛ وصفهم بأنهم عباد الله عَزَّوَجَلَّ، قائمون بطاعته، ممتثلون أمره، فوصفهم الله جَلَّوَعَلَا بذلك، قال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾؛ أي من الملائكة الكرام، ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾؛ وصف الله الملائكة الكرام بذلك: أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله، بل يخضعون لله، ويذلون له سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ويقومون بالعبودية له عَزَّوَجَلَّ كما أمرهم دون استكبار، وأيضًا دون استحسار، ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾؛ أي لا يحصل لهم سآمة ولا ملل ولا ضجر ولا شيء من ذلك، بل بإقبالٍ على العبادة كما أمرهم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وتحقيقًا لها.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾؛ أي لا يحصل لهم فتور في التسبيح فهم مداومون عليه مواظبون عليه الليل والنهار.

فشاهد القول من هذه الآية: أن الله نعت ملائكته الكرام بذلك: بأنهم عباد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا يستكبرون عن عبادته.

نظيرها قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في آخر آية من سورة الأعراف قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [سورة الأعراف، من الآية:206]؛ فالآية التي قبلها قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:205-206]؛ فذكر الملائكة هنا وعبودتهم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ومواظبتهم على الذكر لله بعد أمره جَلَّوَعَلَا بعباده بذكره والمواظبة على ذكره؛ في ذلك دعوة للعباد أن يتشبهوا بالملائكة، كما أشار إلى ذلك أئمة التفسير رَحِمَهُمُٱللَّهُ تعالى، فلما أمر الله جَلَّوَعَلَا بالذكر أتبع ذلك بالإخبار عن حال الملائكة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾؛ فهذا من باب الحث على التشبه بالملائكة، مثل ما قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها**»؛ فهذا مثله، حث على الذكر ثم ذكر الملائكة ليحرص العبد على التشبه بالملائكة؛ فيجتهد ويجاهد نفسه على الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

شاهد القول من هذه الآية: أن الله عَزَّوَجَلَّ نعت الملائكة بالعبادة: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾.

قال: (**وَذَمَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا**)؛ ذم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المستكبرين عن عبادته بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60]؛ أي حقيرين ذليلين صاغرين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾؛ فسم جَلَّ وَعَلَا الاستكبار عن دعاءه استكبارًا عن عبادته، فدلت الآية على أن الدعاء عبادة، ولهذا صح في حديث النعمان بن بشير أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةَ**»، ثم تلا هذه الآية، لماذا؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ سمى فيها الدعاء عبادة، سمى الاستكبار عن دعاءه استكبارًا عن عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتوعد من كان كذلك بأنه يدخل جهنم يوم القيامة صاغرًا حقيرًا ذليلًا.

قال: (**وَنَعَتَ صَفْوَةَ خَلْقِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ**)؛ فقال في سورة الإنسان: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:6]، في الآية التي قبلها قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:5]، ﴿عَيْنًا﴾؛ أي تلك الكأس مستقاة ومأخوذة من عين، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ فهذه الكأس الذي يشرب منها الأبرار منبعها ومصدرها من ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾؛ أي يفجرون تلك العين تفجيرًا على الجهة التي يريدون إن شاءوا بين أشجارهم، وإن شاءوا أن تمر بين قصورهم، وإن شاءوا إلى أي مكان آخر ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

والكأس من تلك العين، ﴿كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾؛ أي ممزوجة ومخلوطة بالكافور مما يُعطي هذا الماء نكهة طيبة وطعمًا جميلًا ومذاقًا حلوًا، رزقنا الله عَزَّوَجَلَّ جميعًا الشرب من هذه الكأس بمنه وجوده وكرمه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

الشاهد من الآية قوله: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ فنعت بالعبادة صفوة خلقه الأبرار، عباد الله وصفهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بذلك، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:63-77]؛ أيضًا نعت صفوة عبادة أهل الصفات الجميلة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الكاملة، والعبوديات العظيمة، والبعد عما نهى الله عنه وعن المحرمات كما سيأتي أو كما أتى في سياق هذه الآية إلى تمام السورة؛ هؤلاء نعتهم الله عَزَّوَجَلَّ بهذا النعت قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ وأضاف إلى اسمه الرحمن وهذا فيه تشريف له وتعلية لمقامهم، وبيان لمكانتهم ومنزلتهم العلية، قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ نعتهم بذلك ثم ذكر أوصافهم، ثم ذكر جَلَّوَعَلَا أوصافهم.

قال: (وَلما قَالَ الشَّيْطَان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:39-40]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:42])؛ وشيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ ساق هذه الآية هنا لأنها

تبين مقام العبادة ومكانتها العلية، وأن عباد الله المخلِصين والمخلَصين الذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته هم أهل النجاة والسلامة من الشيطان، ولا سبيل للشيطان على أحدٍ منهم، نعم الشيطان عنده وسائل كثيرة ومغريات متعددة لكن عباد الله ليس له عليهم سلطان؛ هذا يبين مقام العبادة ومكانتها، قال عَزَّوَجَلَّ في سورة الإسراء: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:65]؛ هذا مما يبين مقام العبودية ومكانتها الرفيعة العلية أن الشيطان ليس له سبيل على أهله ولا طريق إليهم، ينجيهم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ منه، ويحفظهم من كيده بما من عليهم به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من عبوديةٍ لله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (**وَقَالَ فِي وَصف الْمَلَائِكَة بذلك:** ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾)؛ وصفهم بالعبادة، قال: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾؛ أي أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ وشرفهم. ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾؛ فنعتهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بذلك، بأنهم عباد لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [سورة مريم، من الآية:88-95])؛ وهذه الآية ساقها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبعًا للآية التي قبلها في بيان جُرم أو عِظم جُرم من ادعى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتقدس وتنزه اتخذ ولدًا، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾؛ وهذا فيه نسبة أمرٍ لله عَزَّوَجَلَّ يتنزه الرب ويتقدس عنه سبحانه جَلَّ وَعَلَا وتنزه وتقدس عن ذلك، فنسب إليه المشركون هذه النسبة أنه اتخذ ولدًا، قالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت المشركون: الملائكة بنات الله، تنزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتقدس عن إفكهم وما يصفون.

فأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وساق هذه الآية في بيان عظم هذا الجرم وغرر هذا القول وشناعته: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾؛ أي عظيمًا خطيرًا، جرمًا عظيمًا. ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾؛ أي يتشققن من هذا القول، ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾؛ تندك الجبال وتنهد من هذا القول الآثم. ﴿أَن دَعَوْا۟

﴿لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا﴾؛ وهذه الآية -يا إخوان- يستفاد منها فائدة عظيمة جدًا: وهي أن الخطأ في أسماء الله وصفاته ليس كالخطأ في أي اسمٍ آخر، أن يُخطئ الإنسان في صفات الله بأن ينفي ما أثبت الله، أو يُثبت ما نفى الله؛ هذا من أعظم الجرم وأكبر الإثم -والعياذ بالله-، فهؤلاء أثبتوا ما نفاه الله، الله عَزَّوَجَلَّ نفى عن نفسه الولد، ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية:3]؛ فأثبتوا ما نفاه الله؛ فترتب على ذلكم ما أشير إليه في هذه الآية الكريمة من بيان لعظم هذا الجرم وكبر هذا الإثم.

قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا﴾؛ وهذا جامع وشامل لكل من في السماوات، ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا﴾؛ أطلق العبد هنا وأراد به المعبَّد؛ لأن العبد تارة يطلب ويراد به المعبَّد المذلل، وتارة يطلق ويُراد به العابد الذي عبد الله مثل ما مر معنا قريبًا: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [سورة الحجر، من الآية:42]، قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾؛ هذا المراد به من قاموا بعبادتي، أما قوله هنا: ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا﴾؛ أي كلهم يأتي مذلل، ولهذا قال العلماء: العبودية نوعان:

- عبودية لربوبية الله.
- وعبودية لألوهيته.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

عبودية لربوبية الله؛ هذه العبودية لا يخرج عنها أي أحد، كما تدل على ذلك الآية الكريمة، عبودية لربوبية الله بمعنى أن الكل طوع أمره وتسخيره، وتدبيره، ومشيئته في الجميع نافذه، وحكمه ماضٍ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كلهم عبيد لله، فالعبد هنا يشمل المسلم، والكافر، والمؤمن، والبر، والفاجر، ويشمل ذلك كله، كله عبد لله، أي لا يخرجون عن ماذا؟ عن أمره الكوني القدري، فأمره فيهم نافذ، ومشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نافذة لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فقوله: ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾؛ أي معبدًا مذللًا، وهذا يشمل جميع الخلائق؛ برهم وفاجرهم، مسلمهم وكافرهم، ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ الَّذِي ادعيت فِيهِ الإلهية والبنوة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:59]؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد، فَقولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

وَقد نَعته الله بالعبودية فِي أكمل أَحْوَاله فَقَالَ فِي الْإِسْرَاء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:1]، وَقَالَ فِي الإيحاء: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:10]، وَقَالَ فِي الدعْوَة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ

كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا﴾ [سورة الجن، من الآية:19]، وَقَالَ فِي التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:23]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ**)؛ أي عيسى ابن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، (**الَّذِي ادعيت فِيهِ الإلهية والبنوة**)؛ (**ادعيت فِيهِ الإلهية**)؛ أي ادعي فيه أنه إله، (**والبنوة**)؛ أي ادعي فيه أنه ابن لله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ في المسيح عيسى ابن مريم: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ هذه حقيقة عيسى ابن مريم، عيسى عبد لله، عبدٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنعت جَلَّ وَعَلَا نبيه عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بهذا الوصف، مما يدل على شرف هذا الوصف ومكانته وعظم مقام العبادة ومنزلتها، وأنها وصف الأنبياء، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح**: «**لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْن مَرْيَمَ...**»)؛ النصارى ماذا قالوا؟ منهم من قال: إنه إله، ومنهم من قال: إنه ابن للإله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة، فنبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**لَا تطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْن مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد**»؛ ذكر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا المقام العظيم قال: «**فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد**»؛ أي أنا عبد لله، «**فَقولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»؛ أمرنا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن نذكره بهذين الوصفين عبد الله ورسوله، قال: «**عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وفي الجمع بين هذين الوصفين سلامة من الغلو والجفاء، في الجمع بين هذين الوصفين سلامة من الغلو والجفاء، فإذا آمن الإنسان بأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عبد خرج من الغلو؛ لأن العبد لا يُعبد، لا يُعطى شيء من حقوق الرب، ولا يُعطى أيضًا شيء من خصائص الرب، العبد لا يُعبد، ولا يضاف إليه شيء من خصائص الرب.

فإذًا من آمن أنه عبد لله خرج من الغلو الذي وقع فيه النصارى وأضرابهم وأشكالهم من قال: إنه ابن لله، أو قال: إنه إله، أو أعطاه من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذًا من آمن بأنه عبد خرج من الغلو، ومن آمن بأنه رسول، (**وَرَسُولُهُ**)؛ خرج من الجفاء؛ لأن الرسول يُطاع ويتبع، ويمتثل أمره، ففي هذين الوصفين وتحقيق الإيمان بهما سلامةٌ من الغلو والجفاء والإفراط والتفريط، ولهذا قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد، فَقولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقد نَعَتَهُ الله بِالْعُبُودِيَّة فِي أكمل أَحْوَاله**) -صلوات الله وسلامه عليه-، (**نَعته الله**)؛ أي وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**بالعبودية فِي أكمل أَحْوَاله فَقَالَ فِي الْإِسْرَاء**)؛ وهذه حال كريمة حصلت لنبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أسرى به إلى المسجد الأقصى ثم عُرج به إلى السماء قال الله في هذا المقام -مقام

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الإسراء-: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:1]؛ فنعته بالعبودية في هذا المقام مقام الإسراء.

أيضًا نعته بالعبودية في مقام الإيحاء وهو مقام شريف أكرم الله به نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: (وَقَالَ فِي الإيحاء: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:10])؛ فنعته بالعبودية في مقام الإيحاء.

ونعته بالعبودية في مقام الدعوة في قوله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [سورة الجن، من الآية:19]، فنعته بالعبودية في هذا المقام الشريف مقام الدعوة.

أيضًا نعته بالعبودية في مقام التحدي في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:23]؛ هذا مقام تحدي؛ تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله أي مثل القرآن الكريم، ففي هذا المقام -مقام التحدي- نعت نبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا الوصف بالعبودية قال: ﴿مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾.

فإذًا الله عَزَّوَجَلَّ نعت نبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالعبودية في أكمل أحواله في مقام الإسراء، والإيحاء، والدعوة، والتحدي، وهذا يدل دلالة ظاهرة وواضحة على مكانة العبادة، ومقامها العلي، ومنزلتها الرفيعة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم يمضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في بيان أيضًا مقام العبادة ومكانتها من الدين، وأن الدين كله داخلٌ في العبادة، ويكون مواصلة ذلك وقراءته والتعليق عليه في لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا بمنه وكرمه بما علمنا، وأن يجعل ما تعلمناه حُجَّة لنا لا علينا، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميعٌ قريبٌ مجيب.

أحسن الله إليكم.. وبارك فيكم.. ونفعنا الله بما قلتم، وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين.

يقول السائل: ما نصيحتكم لمن يقول: أن دعوة التوحيد تفرق الصف وتفرق الأمة؟

الجواب: هذا يقوله من لا يعرف التوحيد، ولا يعرف مقام التوحيد، ولا يعرف الحاجة إلى التوحيد، وأن حاجة الناس إلى التوحيد والتذكير به أشد من حاجتهم إلى الهواء والماء والطعام والشراب واللباس؛ حاجتهم إلى التوحيد هي أعظم الحاجات، وضرورتهم إليه أعظم الضرورات، فالواجب أن تكون دعوة التوحيد والتذكير به مقدمة على أي أمرٍ آخر، ويُبدأ بها قبل أي أمر آخر، ولو أن إنسانًا اشتغل بدعوة الناس إلى أشياء دون التوحيد ولم يدعهم إلى التوحيد ولم يبينه لهم؛ لم ينتفعوا بدعوته ولم يستفيدوا منها؛ لأن الأعمال لا تقبل بدون التوحيد والإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أحسن الله إليكم.. يقول: هل يجوز أن أتوسل إلى الله بحجي لشفاء والدتي؟

الجواب: حجك عمل صالح من أعمالك، وتوسل العبد بأعماله الصالحة جائز له أن يتوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعمله الصالح، مثل: الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار توسل كل واحد منهم بعملٍ صالح إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أحدهم توسل إلى الله ببره لوالديه، والثاني توسل إلى الله بتركه لفاحشة الزنا، والثالث توسل إلى الله بإعطاءه الأجير أجره وافيًا غير منقوص، فالتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل الصالح جائز.

أحسن الله إليكم.. يقول: هل يصح القول بأن ذكر الله من ثمار المحبة، وأن الدعاء من ثمار الخوف والرجاء لله سبحانه؟

الجواب: هذا يحتاج إلى تأمل، والمحبة والخوف والرجاء هي أركانٌ للتعبد كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أركانٌ للتعبد كله من دعاءٍ، وصلاةٍ، وصيامٍ، وغير ذلك؛ فالعبوديات كلها قائمة على هذه الأركان المحبة، والرجاء، والخوف، أما المحبة فهي روح العبودية، وأما الرجاء والخوف فهما للعبودية بمثابة الجناحين للطائر.

أحسن الله إليكم.. يقول: ما حكم قراءة سورة الفاتحة مرة واحدة، وسورة الإخلاص أحد عشر مرة بعد دفن الميت؟

الجواب: لا أصل لذلك.. لا أصل لهذه القراءة بعد دفن الميت أن تقرأ الفاتحة أو سورة الإخلاص أو غيرها من سور القرآن، لا أصل لذلك في هدي النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-، والذي ورد في هذا المقام الاستغفار للميت، وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ له التثبيت، ومشكلة الناس أنهم يشتغلون بما لا أصل له ويدعون ما هو ثابت في سنة النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أحسن الله إليكم.. يقول: هل تجوز الصلاة وإلقاء الدروس والمحاضرات في مسجدٍ فيه قبر؟

الجواب: المساجد التي بها قبر أو فيها قبور هي يشملها وعيد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد**»، قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحذر مما صنعوا، وقال ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في لحظاته الأخيرة، ومعنى اتخاذ القبور مساجد: إما بالصلاة عليها أو إليها، أو تحري الصلاة عندها، أو العكوف عندها، أو ببناء المساجد عليها؛ فهذا كله من اتخاذ القبور مساجد، وهو أمر لا يحل وفيه هذه اللعنة وفيه هذا الوعيد، ولهذا قال أهل العلم: "أن المساجد التي بها قبر يُنظر إذا كان القبر أُدخل في المسجد ينبش ويُنقل إلى المقابر، وإذا كان المسجد بُني على القبر يُهدم وينقل إلى مكان آخر، ولا يجوز أن يبقى الأمر كذلك" ، قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد**».

وفي هذا المقام يخطئ كثير من الناس بالاستدلال بالواقع في المسجد -المسجد النبوي- ويخفى على هؤلاء أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما مات لم يدفن في المسجد، لم يدفن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد وإنما دفن في حجرة أم المؤمنين عائشة، ولما وُسِّع المسجد في زمن عمر وفي زمن عثمان لم يوسع من الناحية الشرقية، والتوسعة من الناحية الشرقية كانت في زمن بني أُمية، وأيضًا احتيط في وضع الحجرات التي دُفن في حجرة عائشة من هذه الحجرات -صلوات الله وسلامه عليه- ومعه أبو بكر وعمر احتيط في ذلك وضع جدر تحيط بالحجرة؛ فلا يصل أحد إلى القبر نفسه؛ قبر النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-، وفضيلة المسجد باقية، «**صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**».

فالواجب في هذه المساجد التي أشار إليها السائل أن يُعمل على إصلاح أوضاعها، لا أن تبقى آهلة بالمصلين والدروس، ويُترك هذا المُنكر على ما هو عليه.

أحسن الله إليكم.. يقول: لا أُحسن الدعاء باللغة العربية، فهل أستطيع أن ادعوا بلغتي؟

الجواب: لك أن تسأل حاجتك بلغتك، وأيضًا تجتهد في أن تتعلم بعض الدعوات الجوامع المأثورة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتواظب عليها، احفظ ما

جاء في القرآن في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:201]، وهذه الدعوة من أكثر دعاء النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاحفظها وادعوا الله بها، واحفظ معها بعض الدعوات الجامع وأكثر الجوامع، وأكثر من دعاء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بها، ولا حرج أن يدعو الإنسان أو يسأل الله عَزَّوَجَلَّ بلغته إذا عرضت له حاجة أو احتاج إلى أمر يسأل الله عَزَّوَجَلَّ بلغته، ويحذر أن يشتمل ألفاظ الدعاء أو كلمات الدعاء شيئًا من التعدي أو المخالفة.

أحسن الله إليكم.. يقول: هل ورد فضلٌ في صيام العشر الأوائل من شهر محرم؟

الجواب: جاء في الحديث: «**أن أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**»، جاء في فضل صيامه والإكثار من الصيام فيه، وصيام اليوم العاشر منه ويوم قبله مخالفةً لليهود فيه فضل عظيم؛ فهو يُكفِّر السنة التي قبلها كما صح بذلكم الحديث عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

أحسن الله إليكم.. يقول: طفت طواف الوداع بأمي المريضة بالعربة بعد العشاء وغادرت بعد الصبح، فهل علي شيء، أو هل عليها شيء؟

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الجواب: ما دام إن الطواف بعد العشاء والمغادرة بعد الفجر؛ فالذي يظهر أنه ليس عليكم شيء خاصةً مع صعوبة ومعك الوالدة والعربية وصعوبة التنقل والتحرك والزحام، فالذي يظهر أنه ليس عليك شيء.

أحسن الله إليكم.. يقول: صليت ركعتين عشر دقائق قبل أذان الظهر فقيل لي: أن هذا وقتٌ منهيٌّ عن الصلاة فيه، فهل هذا صحيح؟

الجواب: من قال لك ذلك أصاب، هذا الوقت وقت نهي، يعني قبل أذان الظهر بعشر دقائق وربع الساعة هذا وقت نهي، إذا كانت الشمس في كبد السماء حتى تزول هذا وقت نهيٍ عن الصلاة، فالذي نهاك عن ذلك أصاب ونبهك على أن ذلك وقتُ نهيٍ، أما إذا كانت صلاتك تلك تحية المسجد كنت دخلت المسجد في ذلك الوقت فصليت تحية المسجد ففي مثل هذه الحال من صلى لا يُنهى ومن لم يصلي لا يُنهى، لأن في عمومان في الحديث، وأهل العلم لهم خلافٌ في ذلك.

فإذا كانت تحية الذي صليته تحية المسجد فتكون من ذوات الأسباب، وذوات الأسباب تصلى في وقت النهي على خلافٍ بين أهل العلم معروف في هذه المسألة.

أحسن الله إليكم.. يقول: ما نصيحتكم لمن ينام عن الصلوات عمدًا ونُوصح مرات ولا يزال متعمدًا في ذلك، وهل يدخل هذا في الإحداث في المدينة؟

الجواب: أنه جاء في المسند للإمام أحمد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكرت عنده الصلاة يومًا، فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يُحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاة يوم القيامة وحُشر مع قارون وفرعون وهامان وأُمية بن خلف**» حديث حسن.

وهذا الحديث يدل على أن تارك الصلاة والمتهاون بها الغير محافظ عليها، يُحشر يوم القيامة شاء أم أبى مع صناديد الكفر وأئمة الباطل، ويأتي يوم القيامة وليس له نور ولا برهان ولا نجاة، كما أخبر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته؛ فإذا أحسن فيها أفلح وأنجح، وإذا ضيعها خاب وخسر، فهي أول ما يُسأل عنه يوم القيامة، يوم يقف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي الحديث: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»، فمثل هذا يجب عليك أن تمضي في مناصحته وتذكيره وإيراد الأحاديث له وتدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يهديه وأن يدله إلى الصواب، ومن كان على هذه الحال فلا شك أنه على خطرٍ عظيم، وفي هلكة لنفسه؛ لأن ترك الصلاة كفرٌ كما دلت على ذلكم الأحاديث المتقدمة، وغيرها مما جاء عن رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

أحسن الله إليكم.. يقول: هل ثبت في فضل الميزاب شيء، وهل يسمى بميزاب الرحمة؟

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الجواب: لا أعلم شيء خاصًا بالميزاب في ذكر فضيلة أو شيء من ذلك، وكذلكم تسميته بميزاب الرحمة، لا أعلم شيئًا يدل على صحة هذه التسمية.

أحسن الله إليكم.. يقول: هل يجوز استلام الحجر بدون طواف؟

الجواب: الذي جاء في الأحاديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يستلم الحجر في بدء طوافه وفي أثناء طوافه وفي تمام طوافه، وأظن -والله تعالى أعلم- جاء بعض الآثار أظن عن ابن عمر أو عن غيره استلام الحجر في غير طواف، فالله تعالى أعلم بذلك.

أحسن الله إليكم.. يقول: بتنا ليلتين خارج منى، فهل علينا شيء؟

الجواب: نعم.. إذا تركتم المبيت في منى ليالي أيام التشريق تكونون بذلك تركتم واجبًا من واجبات حجكم؛ فيكون عليكم دمًا شاةً تُذبح بمكة، وتُقسم على فقراء الحرم.

أحسن الله إليكم.. يقول: طفنا طواف الوداع حوالي الساعة الحادية عشرة ليلًا، وتأخرنا في الخروج إلى ما بعد الفجر لتأخر الحافلة، فهل علينا شيء؟

الجواب: ما دام أن الأمر كما ذكرتم وأن التأخر مرتبط بالحافلة وتأخرها؛ فهذا أمرٌ لا شيء عليكم فيه.

أحسن الله إليكم.. يسأل: عن معنى الإيحاء والتحدي؟

الجواب: الإيحاء الوحي، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [سورة النجم، من الآية:10]؛ الإيحاء هو الوحي، والتحدي أي تحدي الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ للمشركين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فتحداهم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يأتوا بسورة من مثله، وكانوا أهل فصاحة، وأهل بلاغة، وأهل شعر، وأهل بيان، وتحداهم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يأتوا بسورة من مثله، ومن حاول أن يأتي بسورة من مثله أو آية مثله لم يخرج عن أحد حالين:

- إما أن يكون قد جاء بكلامٍ يُضحك الناس، كلام سقيم سخيف يُضحك الناس؛ مثل: مسيلمة الكذاب وقصته معروفة لما لقيه عمرو بن العاص قال مسيلمة لعمرو: ماذا أُنزل على صاحبكم؟ قال عمرو: أنزل عليه سورة قصيرة وجيزة بليغة، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر، من الآية:1-3]؛ مثل ما وصفها عمرو، وقيل: أن عمر قال ذلك قبل إسلامه، أن هذه القصة كانت قبل إسلام عمرو، ذكر ذلك بعض المؤرخين، وقيل: أنها بعد إسلامه، فسكت برهة مسيلمة ثم قال: وأنا أُنزل علي مثله، ثم جاء بكلامٍ سخيف: "يا وبر يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر"، يعني كلام سخيف

جدًا، ثم نظر إلى عمر وقال: ما رأيك؟ قال: والله إنك تعلم أني أعلم أنك كاذب، يعني كلام سخيف؛ فهذه حال.

- الحال الأخرى: أن يعلن عجزه، مثل أحد الفلاسفة الكبار طُلب منه أن يأتي بآية مثل القرآن، فانقطع فترة ثم خرج وأعلن عجزه في قصة معروفة ذكرها بعض المفسرين ومنهم الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [فتح القدير]، فليس لهم من إحدى هاتين الحالتين، إما أن يأتي بكلام سخيف، أو يعلن عجزه عن ذلك.

فالتحدي أن الله تحدى المشركين؛ وهم أهل فصاحة، وبيان، وشعر، وغير ذلك، تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك، وهم أعجز عن ذلك.

أحسن الله إليكم.. يقول: من دخل المسجد الحرام فهل يصلي تحية المسجد أم يطوف البيت؟

الجواب: إذا كان عنده نية طواف فتحية البيت الطواف إذا كان يريد أن يطوف؛ مثل طواف القدوم أو طواف العمرة، أما إذا كان ليس عنده نية الطواف وإنما سيجلس لانتظار الصلاة، أو قراءة العلم؛ فتحيته مثل تحية سائر المساجد يصلي ركعتين ويجلس. «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**».

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ وأن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يجعل ما تعلمناه حُجَّة لنا لا علينا، وأن يصلح لنا شأننا كلنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولمشايخنا والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، وأجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الثالث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (فالدين كُله دَاخل فِي الْعِبَادَة وَقد ثَبت فِي "الصَّحِيح" أَن جِبْرِيل لما جَاءَ إِلَى النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَة أَعْرَابِي وَسَأَلَهُ عَن الْإِسْلَام قَالَ: «**الْإِسْلَام أَن تشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَن مُحَمَّدًا رَسُول الله وتقيم الصَّلَاة، وتؤتي الزَّكَاة، وتصوم رَمَضَان، وتحج الْبَيْت إِن اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: فَمَا الْإِيمَان؟ قَالَ: «**أَن تؤمن بِاللَّه، وَمَلَائِكَته، وَكتبه، وَرُسُله، والبعث بعد الْمَوْت، وتؤمن بِالْقدرِ خَيره وشره**»، قَالَ: فَمَا الْإِحْسَان؟ قَالَ: «**أَن تعبد الله كَأَنَّك ترَاهُ، فَإِن لم تكن ترَاهُ فَإِنَّهُ يراك**»، ثمَّ قَالَ فِي آخر الحَدِيث: «**هَذَا جِبْرِيل جَاءَكُم يعلمكم دينكُمْ**»، فَجعل هَذَا كُله من الدّين).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لما بيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حقيقة العبادة، وأنها اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولما بيَّن أيضًا مكانة العبادة، وأنها الغاية المحبوبة لله والمرضية له جَلَّوَعَلَا، وكذلك نعت الله عَزَّوَجَلَّ أنبياؤه وملائكته، وعباده وأولياءه بها، ونعت بها صفوة خلقه -صلوات الله وسلامه عليه- في أشرف مقاماته -صلوات الله وسلامه عليه-، وساق المؤلف في كل ذلك من أدلة القرآن ما تيسر لبيان المقصود.

ثم بعد ذلكم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالدين كُله دَاخل فِي الْعِبَادَة**)؛ لأنا عرفنا أن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله، فإذًا الدين كله داخلٌ في العبادة، وقد بيَّن ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى جوابًا للسائل؛ لأن من سؤالاته التي طرحها على شيخ الإسلام: (**وَهل مَجْمُوع الدَّين دَاخلٌ فِي الْعِبَادَة أم لَا؟**)؛ جواب هذا السؤال في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالدين كُله دَاخل فِي الْعِبَادَة**)؛ واستدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك بحديث جبريل المشهور، وحديث جبريل حديثٌ جامع جاء فيه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صورة أعرابي، وسأل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأجاب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان ذلك، فبيَّن الإسلام، وبيَّن الإيمان، وبيَّن الإحسان -صلوات الله وسلامه عليه-.

ثم قال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تمام الحديث: (**«هَذَا جِبْرِيل أَتَاكُم يعلمكم دينكُمْ»**)؛ فعلم أن الدين دين الله عَزَّوَجَلَّ الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم دينًا

سواه، يتناول ذلك كله، ويشمل ذلك كله، جميع ما ذُكر في هذا الحديث الجامع يتناوله هذا الاسم: (الدين)، قال: (**يعلمكم دينكُمْ**).

ومن ينظر المعاني التي بُينت في الحديث يجد أن الإسلام بُيِّن بشرائعه، والإيمان بُيِّن بحقائقه الباطنة من عقائد وأصول تقوم في قلب المؤمن، وأيضًا الإحسان الذي هو أعلى رتب الدين، («**أَن تعبد الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِن لم تكن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يراك**»). ثم في تمام ذلك يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («**هَذَا جِبْرِيل جَاءَكُم يعلمكم دينكُمْ**»)؛ إذًا الدين يتناول العقيدة والشريعة، يتناول العلم والعمل كله دين، وقول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، هذا يتناول الفقه في العقيدة والفقه في العمل الذي هو العبادة كله من الفقه في دين الله، فدين الله عَزَّوَجَلَّ علمٌ وعمل، العقائد التي تكون في القلوب والأعمال التي تكون في القلوب، وكذلكم الأعمال التي تباشر بالجوارح، وينطق ويتلفظ بها اللسان؛ هذه كلها داخلة في الدين.

وهذا الحديث -حديث جبريل- حديث جامع حتى إن بعض أهل العلم قديمًا قال: يصلح أن يقال عن هذا الحديث: (أم السنة)، مثل ما يقال عن الفاتحة: (أم القرآن)، الفاتحة يقال لها (أم القرآن) لماذا؟ لأن ما حوته الفاتحة إجمالًا جاء في القرآن تفصيلًا، فالفاتحة أجملت كل ما فُصل في القرآن فهي أم القرآن، وكذلكم حديث جبريل أجمل كل ما فُصل في السنة،

وجميع ما فُصل في السنة من أعمال وأحكام وعبادات وعقائد وغير ذلك راجعة إلى هذا الحديث.

ولهذا قال في تمامه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («**هَذَا جِبْرِيل أتاكُم يعلمكم دينكُمْ**»)؛ فهو حديث جامع، وهو حديث يجدر بكل مسلم أن يعتني به حفظًا لألفاظه، وفهمًا لمعانيه، وتحقيقًا لمقتضياته، وينبغي أن يُنشر وينشأ عليه الأولاد والأبناء، ويعتنى بتحفيظهم هذا الحديث، وحثهم على العمل به، وتحقيقه؛ لأنه حديث عظيم جدًا، ومن جوامع كلم النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فشيخ الإسلام هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أورد هذا الحديث شاهدًا ودليلًا أن العبادة تتناول مجموع الدين، ومجموع أمور الدين وأعماله كلها عبادة، وكلها مما يُتعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، وحديث جبريل تناول ثلاثة أمور كلها داخلة في الدين:

الأول: الإسلام؛ وفسره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالأعمال الظاهرة، وذكر فيه أمهات الأعمال الظاهرة وهي مباني الإسلام الخمسة: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام).

والأمر الثاني: الإيمان؛ وفسره بعقائد الدين الباطنة التي في القلب، قال: («**أَن تؤمن بِالله، وَمَلَائِكَته، وَكتبه، وَرُسُله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بِالْقدرِ خَيره**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وشره»)؛ فهذه الأصول ستة يقوم عليها الدين، ولا يقبل شيء من الدين إلا بها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:5]؛ لا يُقبل شيء من الدين إلا بهذه الأصول، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:19]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:97]؛ فالأمر الثاني الإيمان وفسره بالعقائد التي تكون بالقلب، وجماعها هذه الأمور أو الأصول الستة: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

تفاصيل هذه الأصول في كتب العقائد، وتفاصيل الأركان المتقدمة في كتب الأحكام، والأحكام والعقائد كلها من دين الله، وعليها قيام دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم يأتي تمام ذلك وكماله الإتقان والإحسان والإجادة بأن يعبد العبد ربه كأنه يرى الله؛ هذا أكمل ما يكون، وهي أعلى رتبة الدين، («**أَن تعبد الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِن لم تكن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يراك**»).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال شيخ الإسلام بعد أن أورد هذا الحديث: (**فَجعل هَذَا كُله من الدَّين**)؛ أي الشرائع الظاهرة والعقائد الباطنة، وأيضًا الإحسان وما فيه من إتقان وإجادة وتكميل للعمل؛ جعل هذا كله من الدين.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَالدِّين يتَضَمَّن معنى الخضوع والذل، يُقَال: دنته فدان أي ذللته فذل، وَيُقَال: يدين الله ويدين لله؛ أَي يعبد الله ويطيعه ويخضع لَهُ؛ فدين الله عِبَادَته وطاعته والخضوع لَهُ.

وَالْعِبَادَة أصل مَعْنَاهَا الذل أَيْضًا يُقَال: طَرِيق معبد إِذا كَانَ مذللًا قد وطئته الْأَقْدَام.

لَكِن الْعِبَادَة الْمَأْمُور بهَا تَتَضَمَّن معنى الذل، وَمعنى الْحبّ؛ فهي تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية الْمحبَّة لَهُ.

فَإِن آخر مَرَاتِب الْحبّ هُوَ التتيم، وأوله العلاقة لتَعلق الْقلب بالمحبوب، ثمَّ الصبابة لانصباب الْقلب إِلَيْهِ، ثمَّ الغرام وَهُوَ الْحبّ الملازم للقلب، ثمَّ الْعِشْق، وَآخِرهَا التتيم، يُقَال: تيم الله أَي عبد الله؛ فالمتيم العبد لمحبوبه.

وَمن خضع لإِنْسَان مَعَ بغضه لَهُ لَا يكون عابدًا لَهُ، وَلَو أحب شَيْئًا وَلم يخضع لَهُ لم يكن عابدًا لَهُ كَمَا قد يحب الرجل وَلَده وَصديقه، وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحدهمَا فِي عبَادَة الله تَعَالَى، بل يجب أَن يكون الله أحب إِلَى العَبْد من كل

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

شَيْء، وَأَن يكون الله أعظم عِنْده من كل شَيْء، بل لَا يسْتَحق الْمحبَّة والذل التَّام إِلَّا الله.

وكل مَا أحب لغير الله فمحبته فَاسِدَة، وَمَا عُظِّم بِغَيْر أَمر الله فتعظيمه بَاطِلًا. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:24].

فجنس الْمحبَّة يكون لله وَلِرَسُولِهِ كالطاعة فَإِن الطَّاعَة لله وَلِرَسُولِهِ والإرضاء لله وَلِرَسُولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:62]، والإيتاء لله وَلِرَسُولِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]).

هذا وجهٌ آخر أورده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في بيان أن الدين كله داخل في العبادة، والوجه الأول استدلاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك بحديث جبريل المشهور، وهنا يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ما بين لفظة الدين ولفظة العبادة من تلازم في المعنى؛ فكل من اللفظتين دالٌّ على معنى الذل والتذلل والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَالدِّين يتَضَمَّن معنى الخضوع والذل**)؛ أي في أصل مدلول هذه اللفظة لغةً يتضمن هذا المعنى. (**يُقَال: دنته فدان أي أذللته فذل**)؛ أذللته أو ذللته أي قهرته، فيقال: (**يُقَال: دنته فدان أي أذللته فذل**)؛ ويقال أيضًا: دانه أي أذله

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

واستعبده، هذا مدلول الكلمة من حيث اللغة؛ فهي لفظةٌ تدل على معنى الذل والخضوع والتعبد مثل ما قيل: دانه أي تعبده، أو استعبده، فاللفظة من حيث مدلولها اللغوي تدل على معنى الذل والخضوع.

(**وَيُقَال: ندين الله وندين لله أَي نعبد الله ونطيعه ونخضع لَهُ**)؛ يقال: ندين الله باللزوم أو ندين لله بالتعدي فهي تأتي لازمة يأتي هذا الفعل لازمًا ومتعديًا، والمعنى واحد وهو التعبد والطاعة والخضوع.

ولهذا تقول في أمور الدين: هذا ندين الله به، أو هذا ما أدين الله به، وتقول أيضًا: هذا ما ندين لله به، أو ما أدين لله به، فهي تأتي هذه اللفظة متعدية ولازمة، وهي في كلٍّ تدل على معنى الذل والخضوع.

إذا استحضرت هذا المعنى ونظرت في معنى العبادة في اللغة، ما معنى العبادة لغةً؟ قال: (**وَالْعِبَادَة أصل مَعْنَاهَا الذل أَيْضًا**)؛ ما مراد شيخ الإسلام لما قال أيضًا؟ يعني مثل ما سبق، أيضًا هي مثل ما سبق تدل على معنى الذل؛ فالدين يدل على معنى الذل والخضوع، والعبادة أيضًا تدل على معنى الذل والخضوع.

ولهذا استعمل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفظة: (**أَيْضًا**)؛ لينبه القارئ إلى المعنى المراد هنا، وهو أن يبين ما بين اللفظتين من تلازم من حيث الأصل للمدلول اللغوي.

قال: (**وَالْعِبَادَة أصل مَعْنَاهَا الذل أَيْضًا، يُقَال..**)؛ هذا شاهد لغوي على أن العبادة معناها الذل. (**يُقَال: طَرِيق معبَّد**)؛ أي: (**إِذا كَانَ مذللًا**). (**طَرِيق معبَّد إِذا كَانَ مذللًا قد وطئته الْأَقْدَام**)؛ فإذًا العبادة معناها الذل، والدين أيضًا معناه الذل؛ فذمة إشراك بين اللفظتين من حيث المدلول اللغوي.

هذا شاهدٌ آخر من حيث الأصل اللغوي للكلمتين: أن العبادة مجموع الدين كله، يدخل في معنى العبادة والتعبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَكِن الْعِبَادَة الْمَأْمُور بهَا تَتَضَمَّن معنى الذُّل، وَمعنى الْحبّ**)؛ يعني ليس فقط هذا المدلول اللغوي الذي هو الذل، فالذل وحده بدون الحب لا يكون عبادة، العبادة الشرعية التي يُتعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها، بل فيها قدرٌ زائدٌ على ذلك وهو ماذا؟ الحب، فالعبادة هي تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، معنى الذل الذي دلت عليه الكلمة في مدلولها اللغوي، ومعنى الحب، فالعبادة ذلٌّ وحب، تقوم على هذين الركنين، ومدارها على هذين الركنين.

(**فَهِي تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية الْمحبَّة لَهُ**)؛ هذا تعريف للعبادة أليس كذلك؟! قال: العبادة هي غاية الذل لله بغاية المحبة له، هذا تعريف العبادة، ومر معنا قريبًا عند شيخ الإسلام في صدر هذه الرسالة تعريف العبادة بأنها: (**الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة**

وَالظَّاهِرَة)؛ فهذا تعريف وذاك تعريف، ولكن اختلف النظرين، هناك تعريفٌ للعبادة باعتبار المتعبد به، فـ(**هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه**)؛ أما هنا تعريف للعبادة باعتبار حال المتعبد ووصف المتعبد، فالعبادة بهذا الاعتبار هي غاية الذل بغاية المحبة لله، قيامها على هذين الركنين، بمعنى: لو أنه وجد ذل لشخص بدون حب لم يكن هذا الأمر عبادة، وإذا وجد حب بدون ذل لا يكون عبادة، فالعبادة مدارها على هذين الركنين، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [النونية]:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنُ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةُ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتْ الْقُطْبَانِ

فالعبادة تدور على هذين القطبين غاية الحب مع غاية الذل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يؤكد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن الحب معنىً داخل في العبادة وهو من التعبد، فيقول: (**فَإِن آخر مَرَاتِب الْحبّ هُوَ التتيم**)؛ لأن الحب درجات، وكل درجة لها اسم عند العرب، كل درجة من درجات الحب لها اسم عند العرب فهو درجات، والمحب يتنقل في درجات آخر درجة من درجاته هو التتيم، أول هذه الدرجات: (**العلاقة لتَعلق الْقلب بالمحبوب، ثمَّ الصبابة لانصباب الْقلب إِلَيْهِ، ثمَّ الغرام وَهُوَ الْحبّ الملازم للقلب**)؛ لاحظ كل اسم من هذه الأسماء يعبر عن معنى قام في القلب تجاه المحبوب، فهي درجات، قال: (**ثمَّ الغرام**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَهُوَ الْحبّ الملازم للقلب، ثمَّ الْعِشْق، وَآخِرهَا التتيم، يُقَال: تيم الله أَي عبد الله)؛ إذًا في ارتباط بين العبادة وبين الحب، فآخر درجات الحب هو التتيم. (**يُقَال: تيم الله أَي عبد الله؛ فالمتيم المعبد لمحبوبه)**؛ فإذًا العبادة تحتاج في العابد قيام هذين الأمرين اللذين عليهما مدار العبادة، وهما قطب فلكها؛ الذل والحب، (**فالمتيم المعبد لمحبوبه)**.

إذًا في ضوء ما تقدم من تعريفٍ للعبادة باعتبار صفة العابد وحاله، ندرك أن من (**خضع لإِنْسَان مَعَ بغضه لَهُ لَا يكون عابدًا لَهُ)**؛ خضع له خوفًا من بطشه، من جبروته، من.. لكنه لا يحبه؛ فهذا الخضوع لا يكون به عابدًا له، (**وَلَو أحب شَيْئًا وَلم يخضع لَهُ لم يكن عابدًا لَهُ؛ كَمَا قد يحب وَلَده وَصديقه)**؛ وابنه وأهله مثلًا، فإذا وُجد حب ولم يكن معه خضوعٌ للمحبوب لم يكن عابدًا له.

إذًا من هو العابد؟ من أحب محبوبًا وخضع له؛ فقد تعبَّد قلبه له، أصبح قلبه عبدًا له، إذا اجتمع في القلب الحب والخضوع، يكون بذلك عبدًا بقيام هذين الوصفين به.

قال: (**وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحدهمَا فِي عبَادَة الله)**؛ عبادة الله لا بد فيها من الأمرين، ولا تقوم عبادة الله عَزَّوَجَلَّ إلا على هذين الركنين لا بد من قيامهما في العابد؛ الحب والذل، غاية الحب مع غاية الذل لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**بل يجب أَن يكون الله أحب إِلَى العَبْد من كل شَيْء، وَأَن يكون الله عِنْده أعظم من كل شَيْء**)؛ فيحب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حبًّا أعظم من حبه لكل شيء، وأن يُعظم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تعظيمًا أعظم من كل شيء، (**بل لَا يسْتَحق الْمحبَّة والذل التَّام إِلَّا الله** سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ).

(**فكل مَا أحب لغير الله فمحبته فَاسِدَة، وَمَا عُظِّم بِغَيْر أَمر الله فتعظيمه بَاطِلًا**)؛ وهذه قاعدة ثمينة مستفيدة مما سبق، الحب والتعظيم للمخلوق يجب أن يكون تبعًا لحب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ورضاه عَزَّوَجَلَّ؛ كحبنا للأنبياء، وللأولياء وللأصفياء، وللأعمال الصالحات، والطاعات الزاكيات؛ فهذا كله حبٌّ لله.

وكل حب لغير الله فهو فاسد، أيضًا تعظيمنا للشرع، تعظيمنا لشعائر الله، تعظيمنا لأنبياء الله ورسله، التعظيم اللائق بمقامهم، هذا التعظيم تبعٌ لتعظيم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فكل تعظيم لغير أمر الله كان تعظيمًا باطلًا، أما هذا التعظيم المشار إليه آنفًا فهو تعظيم بأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو جزءٌ من الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾ [سورة التوبة، من الآية:24])؛ هذه ثمانية أشياء ذكرت في الآية التي يسميها أهل العلم المحاب الثمانية، ثمانية محاب جبلت القلوب

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

على حبها، كل إنسان جُبل على محبة أهله، محبة ولده، محبة تجارته، محبة مسكنه، إلى غير ذلك، هذه القلوب جُبلت على محبتها، ولا شيء في كون الإنسان يحب هذه الأشياء، لكن الخطورة عندما تكون محبة هذه الأشياء أو محبة بعضها أعظم من محبة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ [سورة التوبة، من الآية:24]؛ وأحب أفعل تفضيل، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:24]؛ أي بعقوبته؛ لأن هذا الفعل يبوء به فاعله بسخط الله وغضبه، عندما يقدِّم في المحبة غير الله على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ولو كان هذا المحبوب له منزلته أو مكانته في قلبه لا يجوز أن تُقدم محبته على محبة الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (**فجنس الْمحبَّة يكون لله وَلِرَسُولِهِ**)؛ لأن في الآية قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ وأيضًا في الحديث قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ ؛ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»، فجنس المحبة يكون لله ورسوله كالطاعة تكون لله ورسوله، وهنا يشير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى إلى أن جنس المحبة لا المحبة التي محبة العبودية، محبة العبودية الذل خاصة الله، لكن جنس المحبة يكون لله ورسوله، كالطاعة تكون لله ورسوله والإرضاء يكون لله ورسوله، وهذه من الحقوق المشتركة، وينبغي أن يفرق بين الحق المشترك والحق الخالص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي لا يشرك فيه معه غيره.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فالمحبة لله ورسوله، الإيتاء مثل ما سيأتي، أيضًا الطاعة، الإرضاء، الإيتاء في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ هذه مشتركة، وأما العبادة بما تدل عليه وما يدخل تحتها من توكل، وذل، واستعانة، ودعاء، ورجاء، وذبح، ونذر، وغير ذلك كل المعاني تدخل فيها حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجوز أن يُشرك معه فيه غيره كائنًا من كان، بل هي حقٌّ خالصًا لله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (**كالطاعة تكون لله وَلِرَسُولِهِ، والإرضاء لله وَلِرَسُولِهِ:** ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:62]، **والإيتاء لله وَلِرَسُولِهِ:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59])؛ هذا فيما يتعلق بهذه الحقوق المشتركة. أما العبادة فهي حق خالص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ويبين ذلك فيما سيأتي.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَأما الْعِبَادَة وَمَا يُنَاسِبهَا من التَّوَكُّل وَالْخَوْف وَنَحْو ذَلِك؛ فَلَا تكون إِلَّا لله وَحده، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:64].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ فالإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ كَقَوْلِه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر، من الآية:7].

وَأما الْحسب وَهُوَ الْكَافِي فَهُوَ الله وَحده كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:64]؛ أَي حَسبك وَحسب من اتبعك من الْمُؤمنِينَ الله، وَمن ظن أَن الْمَعْنى حَسبك الله والمؤمنون مَعَه فقد غلط غَلطًا فَاحِشًا كَمَا قد بسطناه فِي غير هَذَا الْمَوْضُوع، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36]).

هنا يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن العبادة التي هي حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك، لا تكون إلا لله وحده، بخلاف ما مر معنا من الطاعة والإيتاء ونحو ذلك من الحقوق المشتركة، فلا يُخلط بين الأمرين، لا يُخلط بين الحق المشترك، وبين الحق الذي هو لله، وبين الحق أيضًا الذي هو للرسول، ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [سورة الفتح، من الآية:9]؛ هنا هذه الآية جمعت الأنواع الثلاثة: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ هذا حق مشترك، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾؛ هذا حق للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾؛ هذا حق لله ليس للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، التسبيح لله، والتهليل لله، والتكبير لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فمعرفة هذه الحقوق نافع حتى لا يُخلط بينها كما يقع عند أهل الباطل ممن يجهل شيئًا من حقوق الله الخالصة لغير الله كالرسول أو الأولياء أو نحوهم فيقعون في الشرك المحض والكفر المبين.

قال: (**وَأما الْعِبَادَة وَمَا يُنَاسِبهَا من التَّوَكُّل وَالْخَوْف وَنَحْو ذَلِك؛ فَلَا تكون إِلَّا لله وَحده كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿قُلۡ﴾؛ أي يا أيها النبي، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾. ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ﴾؛ هنا أطلقت الكلمة والمراد بها الجملة، وجاءت مفسرة في الآية، جاءت الكلمة مفسرة في الآية: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ هذا هو المراد بالكلمة، وصفها بأنها كلمة ﴿سَوَآءِۭ﴾؛ ومعنى سواء أي عدل ليست فيها إجحاف ولا ظلم لأحد الطرفين، كلمة عدل وكلمة إنصاف لا إجحاف، ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾؛ أي كلمة قائمة على العدل والإنصاف وعدم الإجحاف، ما هي الكلمة؟ ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ هذا هو الميزان الصحيح للعدل والإنصاف ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا

ٱللَّهَ﴾، ألا نصرف شيء من العبادة إلا لله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الذي تفرد بخلقنا وخلق السموات والأرض، وخلق هذه المخلوقات، فالقول العدل والإنصاف وأن نجتمع عليه كلنا: أن لا نعبد إلا الله، لا نتخذ أربابًا من دونه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ هذا هو الإنصاف وهذه الدعوة المنصفة السالمة من الظلم؛ لأن اتخاذ الشركاء هذا ظُلم بل وأظلم الظلم، وإفراد الله بالعبادة هو الإنصاف وهو العدل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان، من الآية:13]، قال: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:254]؛ أشنع الظلم وأشده أن يُجعل مع الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الشركاء والأنداء.

فدعاهم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما أمره الله كان يُكاتب بها هذه الآية الملوك دعاهم إلى ذلك، دعاهم إلى كلمة سواء؛ أي: كلمة إنصاف وعدل لا إجحاف فيها وهي: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: أعرضوا عن هذا الذي دعوتهم إليه. ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾؛ قولوا لهم: اشهدوا أنا مسلمون أي: لله، مخلصون ديننا لله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا نشرك مع الله شيئًا كائنًا من كان.

فهذا حق الله، هذا حق الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يُخلَص له، مثل قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:162-163]؛

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

حقوق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على عباده لا يُدخل فيها أحد كائنًا من كان؛ لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم هذه حقوق لله، خلق الخلق لأجلها، وأوجدهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لتحقيقها؛ فلا يُجعل مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الشركاء في شيء من ذلك.

ثم أورد قول الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]). قال: (**فالإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ كَقَوْلِه:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر، من الآية:7]. **وَأما الْحسب وَهُوَ الْكَافِي فَهُوَ الله وَحده**)؛ ليتضح المعنى.

سياق الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ سياقها في الحديث عن المنافقين، والآية التي قبلها هي من جملة الآيات التي في سورة التوبة وهي الفاضحة التي فضح الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيها المنافقين بذكر أقوالهم الشنيعة، وعقائدهم الباطلة، وأقاويلهم الزائفة؛ فتجد في سورة التوبة التي هي الفاضحة آيات كثيرة: ﴿وَمِنْهُم﴾، ﴿وَمِنْهُم﴾، ﴿وَمِنْهُم﴾، ﴿وَمِنْهُم﴾، ثم يُذكر ماذا؟ من أوصاف أولئك ومخازيهم وشنائعهم.

فالآية التي قبل هذه الآية قال الله عَزَّوَجَلَّ فاضحًا للمنافقين قال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:58]؛ ما الغرض من هذا اللمز؟ هل هو

لمزٌ متجرد؟ بحيث ينظر صاحبه إلى الإنصاف وإعطاء الحقوق لأصحابها والعدل مع الجميع هل هذا هو المقصود؟ لا، يلمز لأنه يريد فيجعل اللمز وسيلة. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾؛ إذًا ليس هم أهل عدل وبحث عن الحق، وإنما أهل مطامع، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾؛ حتى لو كان الصدقات جُعلت في مستحقين وأهلًا لها إذا لم يعطوا من تلك الصدقات تبقى حالهم هذه أنهم يسخطون، إذًا هذه من صفات المنافقين، يلمز المتطوع بالصدقات والباذل وليس له غرض لهذا اللمز إلا أنه لم يعطى منها، ولو أعطي لأسكت العطاء فمه، وأخرص لسانه فهو يلمز من أجل ذلك؛ من أجل حظ نفسه فقط، لا بحثًا في المسألة من حيث العدل والقيام به، وإعطاء كل ذي حق حقه، ليس هذا غرض المنافق، فالحديث إذًا من وصف ماذا؟ المنافقين.

فلما ذكر وصفهم جَلَّ وَعَلَا بذلك قال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾؛ قال جَلَّ وَعَلَا متبعًا ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ أي: رضوا القدر الذي أعطاهم إياه، والقدر الذي منَّ الله عليهم والقدر الذي أعطاهم إياه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ولهم إياه وقدمه لهم، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: الله كافينا، نلجأ إليه، نطمع فيما عنده، نسأله النوال والعطاء، نفزع إليه في حاجاتنا ورغباتنا ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ وهي كلمة عظيمة جدًا، كلمة عظيمة فيها عبودية الفزع إلى الله، والتوكل على الله، والالتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: قالها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حينما قال الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173]؛ فهي كلمة قالها الأنبياء، وقالها الأولياء، وقالها الأصفياء، وهي كلمة لجوء إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فلو أن هؤلاء قالوا: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ ﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ أي يمن علينا، ويجود علينا، ويتفضل وهو المان سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ والمتفضل، ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: مما يأتيه من أموال فيعطينا منها مثل غيرنا، ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾؛ لاحظ الحسب جعله لمن؟ لله وحده، الحسب جعله لله وحده، والحسب ما هو؟ الكفاية، قال الله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، من الآية:3]؛ أي كافيه،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يكفيه من كل شيء ولو كادته السموات والأرض ومن فيهن لم يجدوا إليه سبيلًا إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ هو الكافي لعبده.

فجعل الحسب لله وحده، ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾؛ أي ويؤتينا رسوله، والمراد بإيتاء الرسول ما هو؟ ما المراد بإيتاء الرسول؟ أي ما يكون وهذا في زمانه، والخطاب في الآية للمنافقين.

فقال: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾؛ أيضًا جعل الرغبة لمن؟ لله وحده، ما قال: راغبون إلى الله ورسوله؛ لأن الرغبة عبادة لا تكون إلا لله، ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [سورة الشرح، من الآية:7-8]؛ فالرغبة إلى الله وحده سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، لا تكون للرسول، وفي بعض طبعات كتاب [التوسل والوسيلة] لشيخ الإسلام ابن تيمية وقع خطأ شنيع جدًا في بعض الطبعات بسبب النساخ، ويقال: النساخ هم المساخ، قالوا في موضع من كلام شيخ الإسلام: (الرغبة إلى الله ورسوله)، والأصل في النُّسخ الخطية من كتاب شيخ الإسلام، (والرغبة إلى الله وسؤاله)، ما يمكن أن يقول ابن تيمية: (الرغبة إلى الله ورسوله)؛ لأن الرغبة عبادة لا تكون إلا لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وأصل الجملة: (الرغبة إلى الله وسؤاله)؛ سؤال الله، وهذا كله لا يُصرف إلا لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، إذًا الحسب لله، والرغبة إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والإيتاء لله

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وللرسول، والمراد بإيتاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أي: في زمانه عندما تأتيه العطايا، ولهذا ما يصلح أن تُنتزع هذه الآية من سياقها وتُجعل مثلًا وردًا أو دُعاءً يُدعى به، فيقول الداعي مثلًا في شدة أو في كرب: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾؛ جزاء من سياقها وهي في سياق المنافقين نظير عمل بعض الطرقية عندما يستدلون أيضًا بالآية الأخرى وهي السياق فيها عن المنافقين، وفيها قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:64]؛ هذا في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا هذا الخطاب الذي هنا في هذا السياق في حياته، حياة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الله يقول في شأن هؤلاء المنافقين الذين يلمزون المطوعين في الصدقات، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾؛ يعني بدل اللمز الذي كانوا يفعلونه والغمز للمطوعين في الصدقات لو أنهم بدل ذلك. ﴿رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ لكان هذا الجواب وهو معلوم خلال السياق وإن لم يُنص عليه أي: لكان خيرًا لهم، كما ذكر ذلك أئمة التفسير، أي: إذا كان ذلك خيرًا لهم، لو كانوا فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم، وأسلم لهم من النفاق ومن طرائقهم الباطلة، لو أنهم فعلوا هذا. ﴿رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾؛ لكان هذا خيرًا لهم وأسلم لهم من المسالك الباطلة التي سلكوها واللمز ونحو ذلك من الطرائق الباطلة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ كَقَوْلِه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [سورة الحشر، من الآية:7])؛ والإيتاء هنا في الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾؛ أي ما جاءكم به وأدعاكم إليه من شرائع الدين وأوامر رب العالمين، ﴿فَخُذُوهُ﴾.

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾؛ أي منعكم منه وحرمه عليكم ﴿فَٱنتَهُواْ﴾؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلِّغ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَأما الْحسب وَهُوَ الْكَافِي فَهُوَ الله وَحده)؛ ولهذا لا يقال: حسبنا الله ورسوله، والآية قال فيها: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ فالحسب هو الله وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الحسب معناه الكافي، والكافي هو الله جل شأنه لا شريك له.

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173])؛

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي كافينا، وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾؛ كلمة عظيمة جليلة مباركة تقال في الشدائد عندما يخاف الإنسان قومًا، يخاف عدوًا، يخاف ظالمًا، يخاف باغيًا، يخاف جبارًا، يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم الخليل إمام الحنفاء حين أُلقي في النار، وقالها محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه حين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾

[سورة آل عمران، من الآية:173].

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:64])؛ هنا في فهم هذه الآية يتحمص ويستبين فهم الاعتقاد؛ لأن الحسب هو الله وحده، فالعطف في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ العطف هنا: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾؛ هل هو عطف على الله؟ بحيث يكون المعنى: يا أيها النبي حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين؟ هذا قال بعض الناس في فهم الآية وهو فهم فاسد؛ لأن الحسب هو الله وحده، الكافي هو الله وحده، ولا يصح إطلاقًا أن تُفهم الآية بهذا الفهم بحيث يُقال: إن المؤمنين أيضًا يكفون النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن النبي يكفيه الله ويكفيه المؤمنون، هذا كلام غير صحيح، لكن المعنى: يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك؛ أي: كافيك الله وكافي من اتبعك، فالله كافي نبيه

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وكافي أيضًا أتباع نبيه، فكلهم في كفاية الله، وفي حفظه، وتسديده، وتوفيقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:64]؛ **أَي حَسبك وَحسب من اتبعك من الْمُؤمنِينَ الله**)؛ أي كافيك وكافي من اتبعك، (**وَمن ظن أَن الْمَعْنى حَسبك الله والمؤمنون مَعَه فقد غلط غَلطًا فَاحِشًا**)؛ لماذا قال: (**غَلطًا فَاحِشًا**)؟ لأن الجهل الأمر خاص بالله وحده وهو الكفاية جعله لغير الله، هذا معنى فاسد وخطأ فاحش كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال: (**فقد غلط غَلطًا فَاحِشًا كَمَا قد بسطناه فِي غير هَذَا الْموضع**)؛ ومن ذلكم في كتاب منهاج السنة في المجلد الرابع صفحة خمسة وخمسين ذكر بسطًا في التنبيه على هذا الخطأ الفاحش.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36])؛ أيضًا هذا في تقرير المعنى السابق: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾؛ تقرير المعنى السابق وهو أن الحسب هو الكافي، فالحسب هو الله؛ أي: الكافي هو الله، فمن توكل على الله كان الله حسبه؛ أي: كان الله كافيه. هذا معنى قوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾؛ فيها أن من حقق العبودية لله، والالتجاء إلى الله، والتوكل على الله والاستعانة بالله؛ كفاه الله عَزَّوَجَلَّ.

القارئ:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36].
وتحرير ذَلِك أَن العَبْد يُرَاد بِهِ المعبَّد الَّذِي عبّده الله فذلّله ودبّره وصرّفه).

هذا ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾؛ الأقرب أنها تتبع ما قبلها، تبدأ القراءة بـ (وتحرير ذَلِك).

القارئ:

أحسن الله إليكم.. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وتحرير ذَلِك أَن العَبْد يُرَاد بِهِ المعبّد الَّذِي عبَّده الله فذلّله ودبَّره وصرّفه.

وَبِهَذَا الِاعْتِبَار فالمخلوقون كلهم عباد الله الْأَبْرَار مِنْهُم والفجار، والمؤمنون وَالْكفَّار، وَأهل الْجنَّة وَأهل النَّار؛ إِذْ هُوَ رَبهم كلهم ومليكهم لَا يخرجُون عَن مَشِيئَته وَقدرته وكلماته التامات الَّتِي لَا يجاوزهن بر وَلَا فَاجر؛ فَمَا شَاءَ كَانَ وَإِن لم يشاءوا. وَمَا شَاءُوا إِن لم يشأه لم يكن كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:83].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ رب الْعَالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم، ومقلب قُلُوبهم، ومصرف أُمُورهم، لَا رب غَيره وَلَا مَالك لَهُم سواهُ، وَلَا خَالق لَهُم إِلَّا هُوَ، سَوَاء اعْتَرَفُوا بذلك أَو أنكروه وَسَوَاء علمُوا ذَلِك أَو جهلوه؛ لَكِن

أهل الْإِيمَان مِنْهُم عرفُوا ذَلِك واعترفوا بِهِ؛ بِخِلَاف من كَانَ جَاهِلًا بذلك؛ أَو جاحدًا لَهُ مستكبرًا على ربه ولَا يقر وَلَا يخضع لَهُ؛ مَعَ علمه بِأَن الله ربه وخالقه. فالمعرفة بِالْحَقِّ إِذا كَانَت مَعَ الاستكبار عَن قبُوله والجحد لَهُ كَانَ عذَابًا على صَاحبه كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:14]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:146]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:33]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وتحرير ذَلِك**)؛ أي ما يدل عليه هذا اللفظ -لفظ العبادة والعابد والعبد- **وتحرير ذَلِك أَن العَبْد يُرَاد بِهِ المعبَّد**)؛ هذا معنى وسيرشحه، والمعنى الآخر -ولعله سيأتي-: (**العابد**)؛ يراد به المعبد ويُراد به العابد، ولهذا فإن العبودية لله نوعان:

- عبودية عامة.
- وعبودية خاصة.

وإن شئت قل: عبودية لربوبيته، وعبودية لألوهيته، العبودية لربوبيته هي العبودية العامة، والعبودية لألوهيته هي العبودية الخاصة؛ فالعبد في المعنى

الأول: وهو العبودية لربوبيته يطلق عليه عبد بمعنى معبَّد مذلل، طوع تسخير الله وتدبيره، مشيئة الله فيه نافذة، حكمه فيه ماضٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنه الآية التي سبق أن مرت: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [سورة مريم، من الآية:93]؛ فالعبد هنا بمعنى المعبد، والمراد بالعبودية في هذا السياق أي العبودية العامة التي تشمل المؤمن والكافر، البر والفاجر، والمطيع والعاصي، كلهم يأتي يوم القيامة عبدًا؛ أي معبَّد مذلل طوع تدبير الله، وطوع تسخيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه العبودية عامة تشمل جميع المخلوقات.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وتحرير ذَلِك أَن العَبْد يُرَاد بِهِ المعبَّد الَّذِي عبَّده الله فذلَّله ودبَّره وصرَّفه**)؛ هل كائنًا من الكائنات يخرج عن هذا المعنى؟ هل أحد من المخلوقات يخرج عن هذا المعنى؟ الجواب: لا، الكافر والمسلم كلهم طوع تدبير الله، وطوع تسخيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ذلل ودبر وصرَّف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**وَبِهَذَا الِاعْتِبَار**)؛ يعني هذا الاعتبار لمعنى العبد جميع المخلوقين عباد الله من الأبرار والفجار، والمؤمنين والكفار، وأهل الجنة وأهل النار).

(**إِذْ هُوَ رَبهم كلهم ومليكهم لَا يخرجُون عَن مَشِيئَته، وَقدرته، وكلماته التامات الَّتِي لَا يجاوزها بر وَلَا فَاجر**)؛ كلهم عبيدٌ لله بهذا الاعتبار، اعتبار العبودية العامة التي هي عبودية لربوبية الله أنه هو الرب الخالق، المتصرف المدبر الذي مشيئته نافذة في الجميع؛ فكلهم بهذا الاعتبار لا يخرجون عن مشيئته وقدرته.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**وكلماته التامات الَّتِي لَا يجاوزها بر وَلَا فَاجر**)؛ وجاء في الحديث: التعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر)، والكلمات -كلمات الله، الكلمات التي تضاف إلى الله- تارةً يُراد بها الكونية القدرية، وتَارةً يُراد بها الشرعية الدينية، والكلمات هنا من أي النوعين؟ كونية أو شرعية؟ نعم.. الكلمات هنا كونية أو شرعية؟ كونية، الكلمات هنا كونية، ولهذا قال: (**لَا يجاوزهن بر وَلَا فَاجر**)؛ أما الكلمات الشرعية كلمات الله الشرعية هل التزمها الكفار والفجار أم عصوا الله؟ عصوا الله، أما كلمات الله الكونية نافذة في الجميع، ما شاء الله كان، نفذ طبقًا لما شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالكلمات هنا كلمات كونية، ولهذا قال: (**لَا يجاوزها بر وَلَا فَاجر**)؛ أما الكلمات الشرعية الفاجر لا يلتزم بها يعصي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يطيعه فيما أمر الله.

قال: (**فَمَا شَاءَ كَانَ وَإِن لم يشاءوا. وَمَا شَاءُوا إِن لم يشأه لم يكن**)؛ ما شاء الله كان أي طبقًا لما شاء في الوقت الذي يشاء، لا راد لحكمه ولا معقب لقضاءه، (**وَمَا شَاءُوا**)؛ الشيء الذي يشاءه العباد، والعبد له مشيئة؛ إن لم يشأ الله لا يكون؛ لأن مشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نافذة، ولا يكون إلا ما شاء الله. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير، من الآية:28-29].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبياتٍ تحوي هذا المعنى، وهي من أحسن ما قيل في القدر نظمًا:

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ
خَلقْتَ العِبَادَ على ما عَلِمْتَ ... وفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالْمُسِنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذلْتَ ... وهذا أعنتَ، وذا لم تعن
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

أي أن كل ذلك بمشيئة الله وبقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان، وما لم يشأ لم يكن، الناس منهم شقي، منهم سعيد، منهم قبيح، منهم حسن، منهم طويل، منهم قصير إلى غير ذلك كل ذلك بمشيئة الله، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:43-48]؛ الكل بتدبيره، وتسخيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذًا هذا المعنى لا يخرج عن أحد، الكل عباد الله بهذا الاعتبار؛ الاعتبار العام للمعنى.

ومنه: قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:83]؛ ما نوع الإسلام هنا؟ إسلامٌ لتدبيره وتسخيره وربوبيته، وكونه المهيمن المسخر المدبر ما

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يخرج أحد عن تسخير الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وتدبيره. ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾.

(فَهُوَ سُبْحَانَهُ رب الْعَالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم، ومقلب قُلُوبهم، ومصرف أُمُورهم، لَا رب لَهُم غَيره وَلَا مَالك لَهُم سواهُ، وَلَا خَالق لَهُم إِلَّا هُوَ، سَوَاء اعْتَرَفُوا بذلك أَو أنكروه)؛ هو الرب، هو الخالق هو المالك، هو الرازق، هو المدبر، اعترفوا أو أنكروا هذا هو حقيقة الأمر.

(سَوَاء اعْتَرَفُوا بذلك أَو أنكروه، وَسَوَاء علمُوا ذَلِك أَو جهلوه؛ لَكِن أهل الْإِيمَان مِنْهُم علموا ذَلِك واعترفوا بِهِ؛ بِخِلَاف من كَانَ جَاهِلًا بذلك؛ أَو جاحدًا لَهُ مستكبرًا على ربه لَا يقر وَلَا يخضع لَهُ؛ مَعَ علمه بِأَن الله ربه وخالقه)؛ لأن من فيمن ينكر ربوبية الله يُنكر ذلك لا عن يقين في القلب، وإنما عن جحود وعناد واستكبار، مثل ما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:14]، في أواخر سورة الإسراء يقول موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مخاطبًا فرعون: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾؛ موسى هكذا يقول لفرعون: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:102]؛ يعني في قرارة نفسك تعلم، لكن لما يقول: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [سورة القصص، من الآية:38]؛ لما يقول هذه الكلمة، يقولها في ظاهر الخطاب، أما في قلبه يعلم مثل ما قال له

موسى قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾؛ لكن يخاطب القوم جحودًا واستكبارًا وعلوًا قائلًا: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾؛ قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ﴾؛ لما تجمع معها قول موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾؛ ماذا ينتج لك؟ أن فرعون في حقيقة الأمر وقرارة نفسه يعلم أن رب العالمين هو الله، لكن هذا الإنكار العلني من باب الاستكبار، كما قال الله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:14].

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [سورة البقرة، من الآية:146])؛ إذًا بعض الناس يكون عنده معرفة لكن في العلن يجهل ظلمًا وعلوًا، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ إذًا مشكلة كثير من الناس ليست مشكلة عدم معرفة، تكون المعرفة والعلم موجود عندهم لكن هناك دفائن في النفوس من ظلم وعلو واستكبار ونحو ذلك من المعاني؛ لأجلها يُعلنون الجحد ويعلنون التكذيب.

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:33]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (فإن اعترف العبد أن الله ربه وخالقه، وأنه مفتقر إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله، وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه، وقد يعبده مع ذلك، وقد يعبد الشيطان والأصنام، ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار، ولا يصير بها الرجل مؤمنًا. كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:106]. فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:84-89]).

ينبه هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى أن هذا المعنى للعبادة الإقرار به لا يكفي ولا ينجي، إذا أقر المقر وعرف الإنسان أن الله ربه وخالقه ومليكه ومدبر شئونه، إذا عرف واقتصر على هذه المعرفة ولم يقم بالعبادة والذل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وصرف العبادة له وحده؛ لا يكفيه ولا ينجيه، لا يكفي ليكون بذلك موحدًا، ولا ينجي من عذاب الله يوم القيامة، فهذا النوع من المعرفة إن وُجد لا يكفي ولا يُنجي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن اعترف العبد أن الله ربه، وخالقه، وأنه مفتقرٌ إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله، وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه**)؛ في ضراءه والتجاءه وحاجاته يلجأ إلى الله، ويعرف أنه لا يُجيب المضطر إلا الله، وأنه لا يكشف السوء إلا الله، مثل ما قال الله عَزَّوَجَلَّ في خطاب المشركين: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل، من الآية:62]؛ فمن يُقر بالربوبية والمشركون كانوا يقرون بربوبية الله بأنه هو الرب الخالق الرازق ويفزعون إليه وحده في الضراء، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:65]؛ يفزعون له وحده، ويقولون: الأصنام لا تنجينا الآن، يقولون ذلك، لكن في السرَّاء وفي الرخاء يعبدون معه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غيره، فإذًا إذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه ومحتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله، هل هذه المعرفة كافية ومُنجية؟ هل هي كافية ليكون بها العبد موحدًا، هل هي منجية من عذاب الله يوم القيامة؟

الجواب: لا، حتى يأتي بلازمها وهو تحقيق العبودية المتعلقة بألوهية الله، بأن يخضع له وحده، ويصرف له العبادة وحده.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا العبد يسأل ربه، ويتضرع إليه، ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه، وقد يعبده مع ذلك، وقد يعبد الشيطان والأصنام، ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار**)؛ ما معنى لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار؟ لأنها إذا وُجدت في شخص ليست كافيةً ليكون بذلك من أهل الجنة، أو ليكون بذلك ناجيًا من النار لا تكفي، فإذًا هذه العبودية لا تُفرق بين أهل الجنة وأهل النار، ما هي العبودية التي تفرق بين أهل الجنة وأهل النار؟ العبودية لألوهية الله العبودية الخاصة التي تصرف فيها العبادة لله وحده ولا يُجعل معه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شريكًا في ذلك، (**ولا يصير بها الرجل مؤمنًا**)؛ أي: الإيمان الصحيح الذي تكون به النجاة، (**ولا يصير بها الرجل مؤمنًا. كما قال تعالى**: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:106])؛ قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾؛ وصفهم بشيء من الإيمان، ما هو هذا الإيمان الذي وصفهم به؟ هو تلك المعرفة التي هي معرفة تتعلق بربوبية الله، فيعترفون أن الله الرب المالك الرازق يعرفون ذلك، ويعتقدون أن أصنامهم لا تملك شيئًا، وأنها مملوكة لله، مثل ما كانوا يقولون في تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك)، فكانوا يقرون أن أصنامهم لا تملك، وأن المالك هو الله؛ فهذه المعرفة نوع إيمان بالله لكنه لا يكفي، ولا

ينجي، ولهذا قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾؛ ما معنى: ﴿يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾؟ أي ربًّا خالقًا، رازقًا، مالكًا، مدبرًا، متصرفًا، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ أي مشركون به غيره في العبادة، فالإيمان الذي وصفوا به هو الإيمان بالربوبية، والشرك الذي وصفوا به شرك العبادة. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾؛ أي ربًّا خالقًا، رازقًا، مالكًا، متصرفًا ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ أي مشركون معه غيره في العبادة.

قال: (**فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره**)؛ هذا هو معنى الآية، هذا هو معنى قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ معناها: أن المشركين يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره.

(**قال الله تعالى**: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ [سورة الزمر، من الآية:38])؛ هذه أدلة يسوقها عديدة تبين أن المشركين كانوا يقرون بربوبية الله. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

﴿عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:84-89]؛ أين تذهب عقولكم إذا كنتم تقرون أن الله متفرد بهذه الأشياء ومع ذلك تتخذون معه الشركاء وتجعلون معه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأنداد.

إذًا هذه الآيات التي ساق ولها نظائر كثيرة في القرآن تدل أن المشركين كانوا يقرون بربوبية الله، وهذا إيمان لا يكفي ولا ينجي، لأنهم أشركوا مع الله غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في العبادة.

خلاصة ما سبق: أن هذا النوع من المعرفة وهذا النوع من الإيمان لا يكفي، مع أنه وُجد من أُناسٍ كُثر اشتغلوا بالعلم جعلوا هذا النوع من المعرفة هو الغاية في التوحيد، وأن شهود هذا النوع من المعرفة هو الغاية في التوحيد، وشغلوا أعمارهم وأوقاتهم في تقرير ذلك، ولم يُعرجوا لا بقليل ولا بكثير على توحيد العبادة الذي هو زبدة دعوة المرسلين، وخلاصة رسالتهم، ولهذا يقول شيخ الإسلام منبهًا على ذلك.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وكثيرٌ ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، بل وإبليس معترفٌ بهذه الحقيقة، وأهل النار. قال إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:36]،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:39]، وقال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:62].

وأمثال هذا من الْخطاب الَّذِي يقر فِيهِ بِأَن الله ربه وخالقه وخالق غَيره، وَكَذَلِك أهل النَّار قَالُوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:106]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:30].

فَمن وقف عِنْد هَذِه الْحَقِيقَة وَعند شهودها، وَلم يقم بِمَا أُمر بِهِ من الْحَقِيقَة الدِّينِيَّة الَّتِي هِيَ عِبَادَته الْمُتَعَلّقَة بإلوهيته وَطَاعَة أمره وَأمر رُسُله كَانَ من جنس إِبْلِيس وَأهل النَّار.

إِن ظن مَعَ ذَلِك أَنه من خَواص أَوْلِيَاء الله وَأهل الْمعرفَة وَالتَّحْقِيق، الَّذين سقط عَنْهُم الْأَمر وَالنَّهْي الشرعيان، كَانَ من أشر أهل الْكفْر والإلحاد.

وَمن ظن أَن الخَضِرَ وَغَيره سقط عَنْهُم الْأَمر لمشاهدة الْإِرَادَة وَنَحْو ذَلِك، كَانَ قَوْله هَذَا من شَرًّا من أَقْوَال الْكَافرين بِاللَّه وَرَسُوله، حَتَّى يدْخل فِي النَّوْع الثَّانِي من معنى العَبْد، وَهُوَ العَبْد بِمَعْنى العابد، فَيكون عابدًا لله، لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، فيطيع أمره وَأمر رسله، ويوالي أولياءه الْمُؤمنِينَ ويعادي أعداءه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَهَذِه الْعِبَادَة مُتَعَلقَة بإلهيته تَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَ عنوان التَّوْحِيد: لَا إِلَه إِلَّا الله، بِخِلَاف من يقر بربوبيته وَلَا يعبده أَو يعبد مَعَه إِلَهًا آخر).

يُبين شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن بيَّن النوع الأول من معنى العبودية والعبادة الذي هو العبد بمعنى المعبَّد المذلل، والعبودية لربوبية الله بأن يقر ويعترف بأن الله ربه، وخالقه، ورازقه، ومليكه، ومدبر شئونه، وأن هذا النوع يُقر به المشركون ويعترفون لكنه لا يكفي ولا يُنجي ما لم يقر بلازمه، لما بين ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن كثيرًا ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية، لا يشهد الحقيقة الشرعية التي هي الأمر والنهي، والدعوة إلى عبادة الله، وإخلاص الدين الله؛ هذه لا يشهدها ولا يقف عندها، ويجعل قصارى الحقيقة وقصارى تحقيق الدين والعبودية لله أن يشهد هذه الحقيقة بأن يقر بأن الله هو الخالق الرازق المتصرف المدبر.

فيقول شيخ الإسلام مبينًا خطأ هؤلاء، يقول: (**وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر**)؛ إذا كان يقتصر على ذلك فهو يقتصر على حقيقة يشهدها المؤمن والكافر، والبر والفاجر حتى إبليس، وحتى المشركون في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإبليس معترفٌ بهذه الحقيقة وأهل النار**)؛ أيضًا معترفون بها. (**قال إبليس**: ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:36]، **وقال**: ﴿رَبِّ بِمَآ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:39]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة ص، من الآية:82]، وقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:62])؛ إذًا هذه آيات فيها ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

ذكرت بتمامها عندك؟

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾؛ نسختي اقتصر على: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾؛ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾؛ أي يستأصلهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ استأصلهم بالإغواء وإيقاعهم في الفساد يقال: احتنك الجراد الزرع؛ أي استأصله، أصل الكلمة من الحنك؛ لأن الجراد بحنكه يأكل زرعك كله ويستأصله.

فـ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾؛ أي استأصلهم بإغوائهم أجمعين وإفسادهم أجمعين، ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾؛ إلا عبادك منهم المخلصين، كما في الآية الأخرى.

فهذه الآيات تلاحظ فيها قول إبليس: ﴿رَبِّ﴾، ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾؛ كل هذه شهود للربوبية، وإقرار بالربوبية، لكنها لا تُنجي ولا تكفي، فهو يقر بذلك وهو شر الخليقة، أفسد الخليقة وأشرهم.

أيضًا أهل النار قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأمثال هذا من الْخطاب الَّذِي يقر فِيهِ بِأَن الله ربه وخالقه وخالق غَيره وَكَذَلِكَ أهل النَّار**)؛ لكنه لا يكفي ولا يُنجي هذا، (**وَكَذَلِكَ أهل النَّار قَالُوا:** ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:106]، **وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُم:** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:30])؛ إذًا هذا إقرار، لكن هذا إقرار لا يُنجي ولا يكفي؛ فمن اقتصر في هذا الباب على شهود هذه الحقيقة الكونية كان إيمانُه من جنس إيمان إبليس، وإيمان المشركين؛ وهو إيمانٌ لا يكفي ولا يُنجي.

يقول شيخ الإسلام: (**فَمن وقف عِنْد هَذِه الْحَقِيقَة وَعند شهودها، وَلم يقم بِمَا أُمر بِهِ من الْحَقِيقَة الدِّينِيَّة الَّتِي هِيَ عِبَادَة الله الْمُتَعَلّقَة بإلاهيته وَطَاعَة أمره وَأمر رُسُله كَانَ من جنس إِبْلِيس وَأهل النَّار**)؛ لماذا؟ لأن الحقيقة التي اقتصر عليها يُشاركه فيها إبليس ويشاركه فيها أهل النار، ولم تكن منجيةً لهم من النار ولا منجية لهم من سخط الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (فَإِن ظن مَعَ ذَلِك أَنه من خَواص أَوْلِيَاء الله)؛ يُنبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بذلك إلى أن في أهل الباطل من وقع في هذا الظن وسبح في هذا الوهم، ويظن أنه بذلك من خواص أولياء الله بما قام عنده من شهود لهذه الحقيقة، وظنه بأنه – بهذا الأمر– هو من خواص اولياء الله أيضًا لا يكفي؛ لأن الدعاوى التي تُدعى لا تُنجي صاحبها ما لم يكن عنده في عمله بينة، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء، من الآية:123]؛ ومن السهل على الإنسان أن يدعي لنفسه أنه من خواص الأولياء، أو يدعي نفسه أنه من أهل الجنة، بل بعض غلاة الطرقية يزعم لأتباعه أن دخول الجنة لا يكون إلا من طريقة ضمنها لنفسه ولأتباعه على خرافاتٍ، وضلالة، وباطله الكثير، مثل هذه الدعاوى سهلة، اليهود ماذا قالوا؟ والنصارى ماذا قالوا؟ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:111]؛ ليست العبرة بالدعاوى مجرد أن يدعي هذا لا يُنجيه، وقول القائل مع اقتصاره على هذه الحقيقة عن نفسه: أنه من خواص أولياء الله هذا ما ينجي عند الله، اليهود أيضًا قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]؛ ما ينجيهم هذا، مجرد الدعاوى ما تنجي مثل ما قال: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾؛ البرهان أن يعبد الله حقًا وأن يخلص الدين لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، أما أن يقتصر الإنسان على شهود الحقيقة

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الكونية فقط؛ هذا لا يُنجي ولا يكفي. (**فَإِن ظن مَعَ ذَلِك أَنه من خَواص أَوْلِيَاء الله وَأهل الْمعرفَة وَالتَّحْقِيق الَّذين سقط عَنْهُم الْأَمر وَالنَّهْي الشرعيان، كَانَ من أشر أهل الْكفْر والإلحاد**)؛ وهذا أيضًا قال به غلاة الطرقية يقولون بذلك، يقولون في كِبارهم وكُبرائهم الذين شهدوا هذه الحقيقة واقتصروا في الشهود عليها أنهم خواص أولياء الله وزعموا أن التكاليف سقطت عنهم؛ التكاليف أي الأمر والنهي الشرعيان، فيعتبرون الواحد منهم ليس مأمورًا بالصلاة، ولا بالصيام، ولا بالطواف، ولا منهي أيضًا عن الزنا وعن الفواحش وعن كل هذا ليس منهيًّا عنه؛ لأنه بهذه المعرفة بزعمهم سقطت عنه التكاليف، فهذا القول يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**شر من أهل الْكفْر والإلحاد**).

(**وَمن ظن أَن الخَضِرَ وَغَيره سقط عَنْهُم الْأَمر لمشاهدة الْإِرَادَة**)؛ والمراد بالإرادة هنا الكونية لا الإرادة الشرعية، (**وَنَحْو ذَلِك، كَانَ قَوْله هَذَا شَرًّا من أَقْوَال الْكَافرين بِالله وَرَسُوله، حَتَّى يدْخل فِي النَّوْع الثَّانِي**)؛ أي باقتصار الإنسان على النوع الأول لا يكفيه ذلك ولا يُنجيه من عذاب الله (**حَتَّى يدْخل فِي النَّوْع الثَّانِي من معنى العَبْد، وَهُوَ العَبْد بِمَعْنى العابد**)؛ وعرفنا فيما سبق أن العبودية لها إطلاقان، والعبد له إطلاقان؛ يطلق ويراد به المعبَّد المذلل كما مر بيانه، وهذا شروعٌ من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان النوع الثاني وهو إطلاق العبد بمعنى العابد.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(فَيكون عابدًا لله، لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، فيطيع أمره وَأمر رسله، ويوالي أولياءه الْمُؤمنِينَ الْمُتَّقِينَ ويعادي أعداءه)؛ هذا النوع الثاني الذي تكون به النجاة، ويحصل به ويتحقق به التوحيد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: **(وَهَذِه الْعِبَادَة مُتَعَلقَة بِإلاهيته)**؛ العبادة الأولى متعلقة بماذا؟ بربوبيته، والعبد معناه هناك المعبَّد، وهي متعلقة بربوبية الله وهي عامة.

وهذه العبادة عبادة متعلقة بإلوهيته وهي خاصة، ليست مثل الأولى تشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ لا تشمل هؤلاء بل هي خاصة بعباد الله الذين أطاعوه، وامتثلوا أمره، واتبعوا رسله، وأخلصوا الدين له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: **(وَهَذِه الْعِبَادَة مُتَعَلقَة بإلهيته تَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَ عنوان التَّوْحِيد: لَا إِلَه إِلَّا الله)**؛ وما معنى: لا إله إلا الله؟ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، أما أهل القسم الأول، من أشار إليهم بقوله: **(وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية)**؛ عندما يقولون: لا إله إلا الله يقولونها ولكن يفسرونها تفسيرًا مقتصرين فيه على الحقيقة الكونية.

كأن يقول قائل في تفسير لا إله إلا الله: أي لا قادر على اختراع إلا الله، أو لا مبدع لهذا الكون إلا الله، أو لا خالق إلا الله، أو نحو ذلك. حتى كلمة التوحيد أساءوا أيما إساءة في فهم مدلولها.

فالمعنى الثاني للعبودية أو للعبد أي بمعنى العابد (**فَيكون عابدًا لله، لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، فيطيع أمره وَأمر رسله، ويوالي أولياءه الْمُؤمنِينَ الْمُتَّقِين ويعادي أعداءه. وَهَذِه الْعِبَادَة مُتَعَلقَة بإلهيته تَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَ عنوان التَّوْحِيد: لَا إِلَه إِلَّا الله**)؛ أي لا معبود بحقٍّ إلا الله، (**بِخِلَاف من يقر بربوبيته وَلَا يعبده أَو يعبد مَعَه إِلَهًا آخر**)؛ أي شيء ينفع هذا الإقرار؟، من يقر بربوبية الله ولا يعبد الله أو يقر بربوبية الله ويعبد مع الله غيره، أي شيء ينفعه ذلك الإقرار؟ وهل ينجيه من عذاب الله؟ لا والله، قد مرت معنا الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية:106]؛ أي ربًّا خالقًا رازقًا ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ أي مشركون معه غيره في العبادة.

وتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ نوعان؛ علميٌّ وعمليٌّ، العلمي الأول الذي يتعلق بالربوبية والعملي الثاني وهو الذي يتعلق بالألوهية بأن يُخلَص الدين لله، والله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق للعلم والعمل، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق، من الآية:12]؛ خلق لتعلموا، في آية الذاريات قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56]؛ الله خلق الخلق للعلم والعبادة، فالتوحيد نوعان؛ علمي وعملي، ولا نجاة للعبد

ولا فوز له في دنياه وأُخراه إلا بذلك، ولا يزال الحديث عند شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى موصولًا في تقرير هذا الأمر.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يجعل ما تعلمناه حُجةً لنا لا علينا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين..

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الرابع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (فالإله هُوَ الَّذِي يألهه الْقلب بِكَمَال الْحبِّ والتعظيم والاجلال وَالْإِكْرَام، وَالْخَوْف والرجاء وَنَحْو ذَلِك، وَهَذِه الْعِبَادَة هِيَ الَّتِي يُحِبهَا الله ويرضاها، وَبهَا وصف المصطفين من عباده وَبهَا بعث رسله، وَأما العَبْد بِمَعْنى المعبّد سَوَاءٌ أقرّ بذلك أَو أنكرهُ فَهَذَا الْمَعْنى يشْتَرك فِيهِ الْمُؤمن وَالْكَافِر، وبالفرق بَين هذَيْن النَّوْعَيْنِ يُعرف الْفرق بَين الْحَقَائِق الدِّينِيَّة الدَّاخِلَة فِي عبَادَة الله وَدينه وَأمره الشَّرْعِيّ الَّتِي يُحِبهَا ويرضاها ويوالى أَهلهَا ويكرمهم بجنته، وَبَين الْحَقَائِق الكونية الَّتِي يشْتَرك فِيهَا الْمُؤمن وَالْكَافِر وَالْبر والفاجر، الَّتِي من اكْتفى بهَا وَلم يتبع الْحَقَائِق الدِّينِيَّة كَانَ من أَتبَاع إِبْلِيس اللعين، والكافرين بِرَبِّ الْعَالمين، وَمن اكْتفى فِيهَا فِي بِبَعْض الْأُمُور دون بعض أَو فِي مقَام دون مقَام أَو حَال دون حَال نقص من إيمَانه وولايته لله بِحَسب مَا نقص من الْحَقَائِق الدِّينِيَّة).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لما بيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن العبد -هذه اللفظة- لها إطلاقان؛ تارةً تُطلق ويُراد بالعبد المُعبَّد أي: المذلل، وتارةً تُطلق ويُراد بالعبد أي: العابد القائم بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن تعلق الإطلاق الأول بالربوبية، فهو عبدٌ لربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، أو تعبيدٌ لربوبية الله، والثاني لألوهيته جَلَّ وَعَلَا.

لمَّا بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ذلك شرع في الكلام على النوع الثاني من هذين الإطلاقين، وهو: إطلاق العبد بمعنى العابد، وأن المراد به أن يكون عابدًا لله مخلصًا دينه لله، لا يعبد إلا الله، يصرف ذلك وحبه وخضوعه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُطيع أمره وأمر رسله، يوالي أولياؤه المؤمنين، ويُعادي أعداؤه المتقين، لمَّا بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ذلك، وأوضح أيضًا أن هذه العبادة متعلقة بإلهيته، وهي أمرٌ يختص به أولياؤه وأصفياؤه ومن قاموا بعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما بيَّن ذلك قال: **(ولهذا كان عنوان التوحيد "لا إله إلا الله")**؛ بخلاف من يقر بربوبيته، ولا يعبده أو يعبد معه إلهًا آخر، أي: أن من أقر بربوبية الله ولم يعبد الله، أو عبد معه إلهًا آخر، لا يكون عبدًا لله عَزَّوَجَلَّ بالإطلاق الثاني، أي: بمعنى العابد لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يكون ناجيًا من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يكون أيضًا من أهل التوحيد وأهل الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ حتى يأتي بلازمه وهو توحيد الألوهية، بأن يُخلص دينه لله جَلَّ وَعَلَا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ولما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" احتاج المقام إلى أن يُبين معنى الإله؛ الذي اشتملت عليه هذه الكلمة: "لا إله إلا الله"، وأوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الإله هو المعبود، ليس الإله هو من يُقر له فقط بالربوبية، والخلق، والرزق، والإنعام؛ بل الإله هو المعبود، والتأله: التعبد، والإله هو المعبود؛ لأن الكلمة هذا مدلولها، ومعناها في اللغة.

ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالإله هُوَ الَّذِي يألهه الْقلب بِكَمَال الْحبِّ والتعظيم والاجلال وَالْإِكْرَام، وَالْخَوْف والرجاء وَنَحْو ذَلِك)**؛ هذا هو معنى الإله، ليس معنى الإله من يُقر له بأنه الخالق، الرازق، المُنعم، المدبر، الإله هو من يألهه القلب، ويخضع له، ويذل ويعبده بالحب، بالرجاء، بالخوف، بسائر أنواع العبادة؛ فالإله: **(فالإله هُوَ الَّذِي يألهه الْقلب بِكَمَال الْحبِّ والتعظيم والاجلال وَالْإِكْرَام، وَالْخَوْف والرجاء وَنَحْو ذَلِك)**.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهَذِه الْعِبَادَة هِيَ الَّتِي يُحِبهَا الله ويرضاها)**؛ هذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها، عبادة الله بالتوحيد والإخلاص، وإفراده عَزَّوَجَلَّ بالذل والحب، بالرجاء والخوف.. ونحو ذلكم من أنواع العبادة، **(وَهَذِه الْعِبَادَة هِيَ الَّتِي يُحِبهَا الله ويرضاها وَبهَا وصف المصطفين من عباده، وبها وصف المصطفين من عباده)**؛ مر معنا سابقًا آيات كثيرة ساقها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فيها وصف الأنبياء، ووصف الملائكة، ووصف الأبرار ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الإنسان، من الآية:6]، ووصف نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أشرف مقاماته بالعبادة، هذا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الوصف الذي وصفهم به هو بهذا المعنى، هذا الوصف الذي وصفهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به بهذا المعنى، أنهم خضعوا لله وذلوا وانكسروا بين يديه، رجاءً حبًا، خوفًا، طمعًا... إلى غير ذلك من أنواع العبادة، لا بالمعنى الأول الذي هو بمعنى المعبَّد المذلل الخاضع لربوبية الله وتصريفه، هذا يشمل جميع الكائنات، فوصف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المصطفين من عباده بهذه العبادة التي هي بهذا المعنى، بمعنى التعبد والتذلل، والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ.

(وَبهَا بعث رسله)؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:36]؛ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي بالحب، والخضوع، والذل، والانكسار وغير ذلك من أنواع العبادة، هذا معنى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ليس المعنى أي: أقروا بربوبية الله، وبأنه الخالق، مثلها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:25]؛ فهذه هي العبادة التي وصف الله بها أصفياؤه وبها بعث رسله.

(وَأما العَبْد بِمَعْنى المعبّد سَوَاءٌ أقرّ بذلك أَو أنكرهُ؛ فَهَذَا الْمَعْنى يشْتَرك فِيهِ الْمُؤمن وَالْكَافِر)؛ ما مراد شيخ الإسلام بقوله: **(سَوَاءٌ أقرّ بذلك أَو أنكرهُ)**؛ الآن نحن في المعنى الثاني: العبد بمعنى المعبد المذلل، هؤلاء الذين هم بهذا المعنى ممن لم يوحدوا الله بالعبادة، هل كلهم يقر بأنه عبد لله بمعنى معبد لله، أو يوجد فيهم من يُنكر الله وجود الله، ويُنكر ربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ فهؤلاء

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الذين لم يوحدوا الله بالعبادة فيهم من يقر بربوبيته، وفيهم من لا يقر بربوبيته، فيهم من ينكر وجود الله.

فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**سَوَاءٌ أقرّ بذلك أَو أنكرهُ؛ فَهَذَا الْمَعْنى يشْتَرك فِيهِ الْمُؤمن وَالْكَافِر**)؛ الذي هو العبد بمعنى المُعبد، كلهم معبدين لله، وهذا المعبد لله سواءً أقر بأنه معبد لله أو لم يقر هو في حقيقة الأمر معبد لله، الله عَزَّوَجَلَّ هو المتصرف فيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه نافذة، وحكمه فيه ماضٍ، سواءً أقر بذلك أو لم يقر هو بهذا المعنى معبد لله، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم، من الآية:93].

قال: (**وبالفرق بَين هذَيْن النَّوْعَيْنِ يُعرف الْفرق بَين الْحَقَائِق الدِّينِيَّة الدَّاخِلَة فِي عبَادَة الله عَزَّوَجَلَّ وَدينه وَأمره الشَّرْعِيّ الَّتِي يُحِبهَا ويرضاها ويوالى أَهلهَا ويكرمهم بجنته، وَبَين الْحَقَائِق الكونية الَّتِي يشْتَرك فِيهَا الْمُؤمن وَالْكَافِر وَالْبر والفاجر، الَّتِي من اكْتفى بهَا وَلم يتبع الْحَقَائِق الدِّينِيَّة كَانَ من أَتبَاع إِبْلِيس اللعين، والكافرين بِرَبّ الْعَالمين**)؛ إذًا التفريق بين النوعين: عبد بمعنى معبَّد، وعبدٌ بمعنى عابد، ومعرفة المعاني التي تلتحق بكلٍ من هذين النوعين، به يتضح للمسلم الفرق بين العبادة التي مدح الله عَزَّوَجَلَّ بها أولياءه وأصفياءه وبها بعث رسله، ومن كان من أهلها فاز بجنته وثوابه، ونجا من عقوبته وناره، وبين العبد بمعنى المعبَّد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وشيخ الإسلام يؤكد على ضبط هذا المعنى؛ لأنه وُجد في الأمة من طوائف الضلال من قصر الحقيقة التي تكون

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بها النجاة والفوز عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على الحقيقة الكونية دون الدينية، قصرها على مجرد الإقرار بأن الله الرب، الخالق، الرازق، المبدع، المتصرف، قصرها على هذا المعنى، حتى إن منهم من فسر كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" بهذا المعنى، أي: لا خالق إلا الله، أو لا ملك إلا الله، أو لا مدبر إلا الله، قصرها على هذا المعنى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**كَانَ من أَتبَاع إِبْلِيس اللعين، والكافرين بِرَبّ الْعَالمين، وَمن اكْتفى فِيهَا فِي بِبَعْض الْأُمُور دون بعض أَو فِي مقَام دون مقَام أَو حَال دون حَال نقص من إيمَانه وولايته لله بِحَسب مَا نقص من الْحَقَائِق الدِّينِيَّة**)؛ فإذا كانت حال الإنسان مع هذه الحقائق، متممًا مكملًا لها بنوعيها: الحقائق الدينية، والحقائق الشرعية؛ بلغ الكمال في العبودية والذل لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإذا نقص من ذلك نقص من إيمانه بحسب ما نقص من ذلك، سواءً الحقائق الكونية والتي المطلوب فيها العلم والإقرار، أو الحقائق الدينية التي المطلوب فيها العمل والامتثال، الحقائق الكونية المطلوب فيها العلم والإقرار والإيمان، والحقائق الشرعية المطلوب فيها الامتثال، والانقياد والاتباع؛ ولهذا أشرت في درس سابق، إلى أن التوحيد نوعًان: علمي وعملي.

العلمي: يتعلق بالحقائق الكونية.

والعملي: يتعلق بالحقائق الشرعية.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَهَذَا مقَام عَظِيم غلط فِيهِ الغالطون، وَكثر فِيهِ الِاشْتِبَاه على السالكين؛ حَتَّى زلق فِيهِ من أكَابِر الشُّيُوخ المدّعين للتحقيق والتوحيد والعرفان مَا لَا يحصيهم إِلَّا الله الَّذِي يعلم السِّرّ والإعلان، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخ عبد الْقَادِر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فِيمَا ذكر عَنهُ، فبيّن أَن كثيرًا من الرِّجَال: (إِذا وصلوا إِلَى الْقَضَاء وَالْقدر أَمْسكُوا إِلَّا أَنا فَإِنِّي انفتحت لي فِيهِ روزنة فنازعت أقدار الْحق بِالْحَقِّ للحق وَالرجل من يكون منازعًا للقدر لَا من يكون مُوَافقًا للقدر)، وَالَّذِي ذكره الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هُوَ الَّذِي أَمر الله بِهِ وَرَسُوله، وَلَكِن كثير من الرِّجَال غلطوا فِيهِ فَإِنَّهُم قد يشْهدُونَ مَا يقدّر على أحدهم من الْمعاصِي والذنُوب، أَو مَا يقدّر على النَّاس من ذَلِك؛ بل من الْكفْر وَيشْهدُونَ أَن هَذَا جَار بِمَشِيئَة الله وقضائه وَقدره دَاخل فِي حكم ربوبيته وَمُقْتَضى مَشِيئَته، فيظنون الاستسلام لذَلِك وموافقته وَالرِّضَا بِهِ وَنَحْو ذَلِك دينا وطريقًا وَعبادَة؛ فيضاهئون الْمُشْركين الَّذين قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:148]، وَقَالُوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [سورة يس، من الآية:47]، وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [سورة الزخرف، من الآية:20]، وَلَو هُدوا لعلموا أَن الْقدر أُمرنا أَن نرضى بِهِ، وَنَصْبِر على مُوجبه فِي المصائب الَّتِي تصيبنا كالفقر وَالْمَرَض وَالْخَوْف قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ

﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [سورة التغابن، من الآية:11]، قَالَ بعض السَّلف: هُوَ الرجل تصيبه الْمُصِيبَة فَيعلم أَنَّهَا من عِنْد الله فيرضى وَيسلم، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [سورة الحديد، من الآية:22-23]).

يُبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هنا زللًا خطيرًا وقع فيه بعض الغالطون، واشتبه فيه الأمر على بعض السالكين، وانحرف فيه أقوام انحرافًا عظيمًا، عندما قصروا الإيمان والإقرار على الحقيقة الكونية دون الشرعية؛ فالحقيقة الشرعية تقتضي من العبد ماذا؟ عمل، ومجاهدة، وصبر، ومصابرة، ومرابطة، وجد، واجتهاد.. إلى غير ذلك، فعندما قصروا الأمر على الحقيقة الكونية، وأهملوا الحقيقة الشرعية الدينية، ترتب على ذلك ما أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (**حَتَّى زلق فِيهِ من أكَابِر الشُّيُوخ**)؛ المنتسبين، أو بعض النسخ (**المدّعين**)؛ المنتسبين إلى (**التحقيق والتوحيد والعرفان مَا لَا يحصيه إِلَّا الله الَّذِي يعلم السِّرّ والإعلان**)؛ ألفت هنا التنبه إلى قوله: (**المنتسبين إلى التحقيق، والتوحيد والعرفان**)؛ ما كل من ينسب نفسه إلى التوحيد، أو ينسب نفسه إلى سنة النبي الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو ينسب نفسه إلى اتباع السلف الصالح، يكون حقيقًا بهذا الانتساب إلا إذا كان فعلًا حقق التوحيد، والانتساب، والاتباع للنبي الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ بمعنى: أنه ثمة دعاوى تُدعى ليست من الحقيقة

والواقع في شيء، وكلٌ يدعي وصلًا لليلى، فثمة دعاوى كثيرة، تجده يعني مغرق مثلًا في الشرك، والخرافة، والباطل، ويقول عن نفسه: أنه من أهل التوحيد، أو مثلًا مُغرق في المحدثات والبدع والخرافات ويقول عن نفسه: أنه من أهل السنة والجماعة، وتجد أيضًا كتابًا مثلًا يُكتب على غلافه: عقيدة أهل السنة والجماعة، وتجد في الداخل عقيدةً مُحدثة من عقائد المتكلمين، أو خرافة الطرقية أو نحو ذلك؛ فإذًا مجرد الادعاء لا يكفي ما لم تقم حقيقة وبرهان يدل على ذلك من واقع حال الإنسان.

يقول: (**حَتَّى زلق فِيهِ من أكَابِر الشُّيُوخ المنتسبين إلى التحقيق والتوحيد والعرفان، مَا لَا يحصيهم إِلَّا الله الَّذِي يعلم السِّرّ والإعلان**)؛ أي: أن من وقعوا في هذا المنزلق كُثُر، ولما يتحدث شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه اللهجة، وبهذا الأسلوب يتحدث عن اطلاع؛ لأنه صاحب اطلاع واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في المقالات وأصحابها والقائلين بها.

قال: (**وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخ عبد الْقَادِر**)؛ أي: الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (**فِيمَا ذُكر عَنهُ، بِأَنَّ كثيرًا من الرِّجَال إِذا وصلوا إِلَى الْقَضَاء وَالْقدر أَمْسكُوا**)؛ هذا الإمساك الذي يشير إليه عبد القادر، ليس هو الإمساك الذي أُمرنا به في الحديث، «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**»؛ لأن المراد بـ «**أمسكوا**» في الحديث، أي: الإمساك مثلًا عن الخوض فيه بالباطل، أو مثلًا الإمساك عن المخاصمة في القدر، أو الإمساك عن الاعتراض على القضاء والقدر أو نحو ذلك، فعبد القادر

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الجيلاني عندما يقول: بأن كثير من الرجال إذا وصلوا القضاء والقدر أمسكوا، أي: توقفوا عن الحقائق الشرعية، أمسكوا؛ أي: توقفوا عن الحقائق الشرعية المطلوبة.

أوضِّح لكم الأمر بالمثال: الآن شخص ابتلي بذنوب ومعاصي كثيرة، لو أنه قصر نفسه بأن أمسك في موضوع القضاء والقدر، وقال: هذا أمرٌ مقدر ومكتوب، ولا مناص لي عما كتبه الله علي ولا مفر، الشيء المقضي حاصل حاصل، وقف أمسك هنا عند هذه الحقيقة الكونية، هل أولًا مسلكه صحيح؟ هذا أولًا، وأيضًا هل حقق ما طُلب منه شرعًا في هذا المقام؟ المطلوب الشرعي في هذا المقام ألا يعتذر الإنسان على ذنبه بالقدر؛ بل يُجاهد ويجتهد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:200]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:69]؛ أُمرنا بالمجاهدة والعمل، وهذا الذي تدل عليه الحقيقة الشرعية؛ فمن وقف عند الحقيقة الكونية وأهمل الحقيقة الشرعية تجده ماذا؟ يتوقف ولا يعمل، سواءً في حق نفسه أو حق الآخرين، كيف يستقيم من مثل هؤلاء إنكار منكر؟ أو أمر بالمعروف؟ وهم يعتقدون أن هؤلاء هذا أمرهم، وهذا قدر الله عليهم، ولا يُنازع، وإنما نعم وإنما المطلوب أن يمسك الإنسان عند هذه الحقيقة، ثم يقع من بعضهم أنه يحتج على -كصنيع المشركين- يحتج على معاصيه وذنوبه بالقدر، يقول: هذا أمر مقدر، وكتبه الله علي، فيقول عبد القادر

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الجيلاني: أن كثير من الرجال إذا وصلوا للقضاء والقدر أمسكوا، (**إِلَّا أَنا فَإِنِّي انفتحت لي فِيهِ روزنة**)؛ الروزنة: الكوة، والفتحة التي تكون مثل النافذة في الجدار، يقول: (**انفتحت لي فِيهِ روزنة فنازعت أقدار الْحق بِالْحَقِّ للحق**)؛ نازعت أقدار الحق الأولى، أي: الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فالله هو الحق، والحق اسم من أسماءه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [سورة لقمان، من الآية:30]. فيقول: نازعت أقدار الحق بالحق، ما هو الحق هنا في الموضع الثاني؟ بالحق أي: بدينه وشرعه الذي أمرنا به، من حيث المجاهدة، والتوبة إلى الله، والإنابة إلى الله، والمصابرة، والمرابطة، وبذل وسع الإنسان في التخلص من الذنوب، والإقبال على الله، فيقول: أما أنا (**فنازعت أقدار الْحق بِالْحَقِّ للحق**)؛ أي: لأصل للحق والهدى الذي أراده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من عباده؛ وهذا هو المطلوب من العبد، في باب الذنوب ما يستسلم الإنسان ويقول: هذا مقدر ويقف ويُمسك، بل المطلوب منه أن يُجاهد ويصابر ويرابط ويسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يهديه، ثم الإنسان لا يعلم المقدر، يعني إذا كان الإنسان أذنب الآن مثلًا في هذه الساعة، وقع في ذنب، ثم أمسك، أمسك نظرًا إلى المقدر واكتفى بهذا القدر، ما ندري عن المقدر وماذا حاله فيما بعد ذلك، الأمور بأقدار الله، لكن ما تدري، فإذًا أنت مطلوب منك أن تجاهد، وقعت في الذنب لا تستسلم للقدر؛ وإنما تنازع القدر بالقدر، تجاهد نفسك على طاعة الله، والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ توبة من الذنب، سؤال الله التوفيق والهداية،

سؤال الله أن يجعل كل قضاءٍ قضاه لك خيرًا، هذا كله من المجاهدة، مجاهدة النفس، فيقول: (**إلا أنا انفتحت لي فيه روزنة؛ فنازعت أقدار الحق بالحق للحق**)؛ وهذه الكلمة لعبد القادر الجيلاني سُئل عنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى هذه الكلمة، فأجاب عنها إجابة نافعة ومسددة تجدونها في المجلد الثامن من مجموع فتاواه، صفحة خمسمائة وسبعة وأربعين، سُئل عن معنى قول عبد القادر الجيلاني: (**نازعت أقدار الحق بالحق للحق**)؛ فشرحها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في فتوى مستقلة. الصفحة مرة ثانية: المجلد الثامن من مجموع الفتاوى خمسمائة وسبعة وأربعين.

(**وَالرجل من يكون منازعًا للقدر لَا من يكون مُوَافقًا للقدر**)؛ ما معنى هذا؟ يعني شخص ابتلي بذنب، والذنب مقدر إذا وقع فيه الإنسان ووجد الذنب فهو مقدر؛ لأن الذي يقع لا يقع إلا ما قدره الله وكتبه الله، فإذا وقع في الذنب ما الذي يُطلب منه حال وقوعه؟ قال: (**وَالرجل من يكون منازعًا للقدر لَا من يكون مُوَافقًا للقدر**)؛ الآن رجل وقع في الذنب هو بين حالتين: بين أن يقول: هذا أمرٌ قدره الله علي، وأنا سأمضي في هذا الذي قدره الله علي، هل ينفعه عند الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ذلك؟ يقول: أمضي، هذا الآن الله قدر عليه هذه الفاحشة مثلًا، أنا سأستمر على هذا المقدر، أم أن المطلوب منه مثل ما عبر هنا، قال: الرجل من يكون منازع للقدر، منازع للقدر؛ يعني: يجاهد نفسه، ويستعين

بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يخلصه من هذا الذنب، وأن يهديه للصواب، وأن يأخذ به في سبيله المستقيم.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالَّذِي ذكره الشَّيْخ)**؛ أي: عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(هُوَ الَّذِي أَمر الله بِهِ وَرَسُوله)**؛ الذي ذكر عبد القادر هو الذي أمر الله به ورسوله، يعني: الله أمرنا إذا الإنسان وقع في ذنب أن يتوب ما يستسلم، أن يتوب وأن ينيب إلى الله، أن يستغفر، أن يندم، أن يقبل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن يستكثر من الحسنات، هذا الذي أمرنا الله به، فإذا قال قائل: استسلم للقدر، ما دام أذنبت استسلم للقدر، ما دام أذنبت استسلم للقدر وامضي على هذا الذي كُتب لك، هل يكون أمر الناس بما أمرهم الله به؟ وبما أمرهم به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ لا؛ أمرهم بضلال وبباطل؛ فالذي أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به هو هذا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الأوائل الذين غلطوا في هذا الباب، قال: **(فَإِنَّهُم قد يشْهدُونَ مَا يقدّر على أحدهم من الْمعاصِي والذنُوب، أَو مَا يقدّر على النَّاس من ذَلِك؛ بل من الْكفْر، وَيشْهدُونَ أَن هَذَا جَار بِمَشِيئَة الله وقضائه وَقدره، دَاخلٌ فِي حكم ربوبيته وَمُقْتَضى مَشِيئَته؛ فيظنون الاستسلام لذَلِك وموافقته وَالرِّضَا بِهِ وَنَحْو ذَلِك دينًا وطريقًا وَعبادَة)**؛ هذا فعلًا وقع فيه أقوام وضلوا ضلالًا مبينًا، يقول: هذا الآن مقدر، ونحن خاضعون لربوبية الله، هذا الكون كون الله، وملك الله، وأنا هكذا إن شاء الله أن أكون في هذه المعاصي وفي هذه

الذنوب، وسأستمر عليها؛ لأن هذا الشيء الذي كتبه الله عليه؛ فيحتج على معايبه بماذا؟ بالقدر، هذا احتجاج باطل، وهذا هو احتجاج المشركين، احتجاج المشركين احتجوا على ما وقعوا فيه من الشرك والكفر، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، كل هذا احتجوا فيه بالقدر، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينًا وطريقًا وعبادة، (فيضاهئون الْمُشْركين الَّذين قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:148]، وَقَالُوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [سورة يس، من الآية:47]، وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [سورة الزخرف، من الآية:20])؛ وهذه القدرية المشركية في تقسيم أهل العلم، وهو من يحتج على ذنوب ومعاصيه وضلالاته بالقدر، والقدر يُحتج به في المصائب دون المعائب، شخص أصابته مصيبة، مثلًا من فقر أو مرض، أو موت قريب، أو فقد محبوب، أو غير ذلك، واحتج على هذه المصيبة بالقدر، قال: قدر الله وما شاء فعل، هذا الاحتجاج صحيح في محله.

لكن شخص ابتلي بذنب، ابتلي بمعصية، ابتلي بتركٍ لطاعة وعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونوقش في ذلك فقال: قدر الله، هذا أمر قدره الله عليه، هذا الاحتجاج باطل؛ وهو على طريقة المشركين وجادتهم، عندما احتجوا على شركهم، وتحريمهم ما أحل الله، وتحليلهم ما حرم الله بالقدر.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَو هُدوا**)؛ أي إلى الحق والصواب، (**لعلموا أَن الْقدر أُمرنا أَن نرضى بِهِ وَنَصْبِر على مُوجبه فِي المصائب الَّتِي تصيبنا؛ كالفقر وَالْمَرَض وَالْخَوْف**)؛ يعني شخصٌ مرض، أو أصابه فقر، أو جائحة اجتاحت ماله، أو فقد محبوبًا أو غير ذلك واحتج بالقدر، هذا الاحتجاج في محله، ونحن في هذا المقام مأمورون بالرضا بالقدر، والصبر على موجبه ما قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مأمورون بذلك، مثل ما قال الله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [سورة التغابن، من الآية:11]؛ ما أصاب من مصيبة من مرضٍ، أو فقرٍ، أو فوات مرغوب، أو حصول مرغوب.. أو غير ذلك، إلا بإذن الله، أي: بقضائه وقدره، الإذن هنا المراد به: الإذن الكوني القدري، إلا بإذن الله؛ أي: إلا بقضاء الله وقدره، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ يؤمن أن الأمر بمشيئة الله، وأن مشيئة الله نافذة، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي قلبه، يطمئن قلبه بهذا الإيمان.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ بعض السَّلف**)؛ أي: في بيان معنى هذه الآية، والقائل علقمة بن قيس النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**هُوَ الرجل تصيبه الْمُصِيبَة فَيعلم أَنَّهَا من عِنْد الله فيرضى وَيسلم**)؛ هذا معنى قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [سورة التغابن، من الآية:11]؛ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: يعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم يهدي قلبه؛ أي: إلى اليقين، والطمأنينة،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والسعادة، والبعد عن الجزع، والسخط، وغير ذلك ممن يقع ممن لا يتحلى بالصبر، أو لا يؤمن بالقدر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [سورة الحديد، من الآية:22])؛ أي: من قبل أن نوجدها وأن نخلقها، والبرء هو الإيجاد والبارئ هو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهو اسم من أسمائه، ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [سورة الحديد، من الآية:22-23])؛ يعني كل ما وُجد فهو مُقدر، فإذا آمن العبد، من ثمرة إيمانه بالقدر: ألا يأسى على ما فات، ولا أيضًا يفرح؛ لأن كله بقضاء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وقدره.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «احْتج آدم ومُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْت آدم الَّذِي خلقك الله بِيَدِهِ وَنفخ فِيك من روحه، وأسجد لَك مَلَائكَته وعلمك أَسمَاء كل شَيْء، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الْجنَّة؟ فَقَالَ آدم: أَنْت مُوسَى الَّذِي اصطفاك الله بِرِسَالَاتِهِ وبكلامه فَهَل وجدت ذَلِك مَكْتُوبًا عَليّ قبل أَن أُخلق؟ قَالَ: نعم" قَالَ: "فحج آدم مُوسَى».

وآدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يحْتَج على مُوسَى بِالْقدرِ ظنًا أَن المذنب يحْتَج بِالْقدرِ فَإِن هَذَا لَا يَقُوله مُسلم وَلَا عَاقل، وَلَو كَانَ هَذَا عذرًا لَكَانَ عذرًا لإبليس وَقوم

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نوح وَقوم هود وكل كَافِر، وَلَا مُوسَى لَام آدم أَيْضًا لأجل الذَّنب؛ فَإِن آدم قد تَابَ إِلَى ربه فاجتباه وَهدى، وَلَكِن لامه لأجل الْمُصِيبَة الَّتِي لحقتهم بالخطيئة؛ وَلِهَذَا قَالَ: فلماذا أخرجتنا ونفسك من الْجنَّة؟ فَأَجَابَهُ آدم: إِن هَذَا كَانَ مَكْتُوبًا عليّ قبل أَن أُخلق.

فَكَانَ الْعَمَل والمصيبة المترتبة عَلَيْهِ مقدّرًا، وَمَا قُدّر من المصائب يجب الاستسلام لَهُ فَإِنَّهُ من تَمام الرِّضَا بِالله رَبًّا).

هذا ذكرٌ لهذا الحديث، الحديث المعروف بمحاجة آدم وموسى -عليهما السلام- فاحتج آدم وموسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماء كل شيء، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ اللوم الآن الذي من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لآدم منصبٌّ على ماذا؟ على الإخراج، لم يقل له: لماذا أذنبت؟ ولم يعاتبه على الذنب، قال: لماذا أخرجتنا؟ اللوم منصب على الإخراج من الجنة، والإخراج مصيبة، الإخراج مصيبة، مصيبة ابتلي بها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي نتيجة الذنب، لكن اللوم الآن -وانتبه لهذا!- اللوم الذي صدر من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لآدم هو لومٌ على الإخراج، لماذا أخرجتنا من الجنة؟ «**لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، فهل وجدت ذلك مكتوبًا علي قبل أن أُخلق؟ هل وجدت ذلك مكتوبًا علي قبل أن أُخلق؟**» يعني؟ هذا الإخراج مكتوب ومقدر؟ أو ليس مكتوبًا ولا مقدر؟

يعلم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن الأمور كلها ماضية بقدر الله، والإيمان بالقدر عقيدة جميع الأنبياء، وأصول الإيمان هي أصول ثابتة متقررة لدى جميع النبيين، فقال له آدم: هل وجدت ذلك مكتوبًا عليَّ قبل أن أخلق؟ قال: نعم مكتوب، هذا الأمر الذي هو الإخراج مكتوبٌ عليه، «**قبل أن أخلق، قال: فحاج آدم موسى**». إذًا اللوم الذي كان من موسى كان على الإخراج لم يكن على الذنب، الذنب تاب منه آدم، وإذا أذنب شخصٌ وتاب من ذنبه، هل يُلام؟ شخصٌ أذنب ذنبًا وتاب، تاب من ذنبه وصدق مع الله في توبته هل يُلام على الذنب؟ ما يُلام، فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يلم آدم في ذنبٍ تاب منه وتاب الله عليه، لم يلمه في ذلك.

وآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يحتج على موسى بالقدر ظنًا أن المذنب يحتج بالقدر، أيضًا آدم احتجاجه هنا ليس احتجاجًا على أنه وقع في ذنب واحتج على ذنبه بالقدر؛ لأنه لا يُحتج بالقدر على المعايب التي هي الذنوب، لا يجوز أن يقع الإنسان في الذنب ويحتج على ذنبه بالقدر؛ ولهذا العلماء يقولون: يُحتج بالقدر في المصائب دون المعايب، في المصيبة يصح الاحتجاج.

إذًا احتجاج آدم على موسى بالقدر، ما هو؟ احتجاج آدم على موسى بالقدر، احتجاجٌ عليه في المصيبة التي كُتبت عليه ووقعت، والاحتجاج على القدر بالمصيبة في المصيبة احتجاجٌ صحيح ولا إشكال فيه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (**وآدَم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **لم يحْتَج على مُوسَى بِالْقدرِ ظنًا أَن المذنب يحْتَج بِالْقدرِ**)؛ أي: على ذنبه، (**فَإِن هَذَا لَا يَقُولهُ مُسلم وَلَا عَاقل**)؛ فضلًا عن أن يقوله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، (**وَلَو كَانَ هَذَا عذرًا**)؛ أن الإنسان يحتج على ذنبه بالقدر، (**وَلَو كَانَ هَذَا عذرًا؛ لَكَانَ عذرا لإبليس**)؛ إبليس قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ [سورة الحجر، من الآية:39]؛ هكذا قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾؛ هل هذا احتجاج مقبول؟ ليس مقبولًا، وأيضًا لصح أو استقام احتجاج الأمم المشركة على أنبيائهم بأن هذا لولا أن الله شاء علينا لما كنا كذلك؛ ولهذا يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَو كَانَ هَذَا عذرًا؛ لَكَانَ عذرًا لإبليس وَقوم نوح وَقوم هود وكل كَافِر**).

أيضًا من جانب موسى، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (**وَلَا مُوسَى أيضًا لَام آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **لأجل الذَّنب**)؛ آدم لم يلم موسى لأجل الذنب، فإن آدم تاب الله عليه فاجتباه وهداه، ومن أذنب ذنبًا وتاب إلى الله منه لا يُلام، كيف يُلام من شيء تاب منه، ومن تاب من الذنب كمن لا ذنب له، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يلم آدم لأجل الذنب، (**فَإِن آدم قد تَابَ الله عليه إِلَى ربه فاجتباه وَهداه، وَلَكِن لامه لأجل الْمُصِيبَة الَّتِي لحقتهم بالخطيئة؛ وَلِهَذَا قَالَ له: فلماذا أخرجتنا ونفسك من الْجنَّة؟**)؛ أي: لم يقل له: لماذا أذنبت؟ لم يقل له: أنت أذنبت، وفعلت كذا، وفعلت كذا، لم يقل له ذلك؛ وإنما قال: أخرجتنا ونفسك من الجنة، فأجابه آدم بأن هذا كان مكتوبًا قبل أن يُخلق.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(فَكَانَ الْعَمَل والمصيبة المترتبة عَلَيْهِ مقدّرا، وَمَا قُدّر من المصائب يجب الاستسلام لَهُ فَإِنَّهُ من تَمام الرِّضَا بِالله رَبًّا).

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَأما الذُّنُوب فَلَيْسَ للْعَبد أَن يُذنب وَإِذا أذْنب فَعَلَيهِ أَن يسْتَغْفر وَيَتُوب، فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة غافر، من الآية:55]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:120]، وَقَالَ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:186]، وَقَالَ يُوسُف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:90]).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأما الذُّنُوب فَلَيْسَ للْعَبد أَن يُذنب)؛ يعني يجب على العبد أن يجاهد نفسه ألا يقع في الذنب، ويجتهد ألا يفعل الخطيئة ويتجنبها؛ ولهذا تجد نصوص كثيرة فيها: اجتنبوا، مثل: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»؛ اجتنبوا هذا مأمور به العبد، أنه يجتنب الذنوب يبتعد عنها، يبتعد عن الطرق التي توصل إليها، يبتعد عن أيضًا خلطاء السوء، ورفقاء الفساد، كل أمر يوصل إلى الذنب مطلوب منه أن يُبتعد عنه، فالعبد مطلوبٌ منه البعد عن الذنوب، والحذر من الوقوع فيها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أيضًا مطلوبٌ منه إذا وقع في الذنب وزلت قدماه ووقع في الخطيئة، مطلوبٌ منه في هذه الحال أن يبادر إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **(أَن يسْتَغْفر وَيَتُوب، فيتوب من صنوف المعايب ويصبر على المصائب)**؛ لاحظ هذا الكلام الجميل، يقول: **(يتوب من صنوف المعايب، ويصبر على المصائب)**؛ فالعبد يعني بين هذين الأمرين: ذنب ابتلي به فعليه أن يُبادر للتوبة منه والإنابة، وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ العون على الخلاص منه، والنجاة منه، ويُبتلى أيضًا بمصائب، هذا نوعان من الابتلاء: يُبتلى بمعايب، ويُبتلى بمصائب، فما المطلوب تجاه كونه قد ابتلي بشيء من المعايب، أو ابتلي بشيء من المصائب؟

الأول: مطلوب التوبة والاستغفار.

والثاني: مطلوب ماذا؟ الصبر.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربع آيات جمعت النوعين، أربعة آيات جمعت المطلوب في النوعين، ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؛ **أي**: على ما ابتليت به من مصيبة، ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾؛ فجمع بين الأمرين: الصبر على المصائب، والاستغفار من المعايب.

أيضًا قوله: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾؛ فأمر بالصبر على المصيبة، وتقوى الله عَزَّوَجَلَّ أي: بالبعد عن الذنوب، **(وقال**: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾؛ أمر بالصبر وأمر بالتقوى، أيضًا قول (يُوسُف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [سورة يوسف، من الآية:90]؛ جمع بين الأمرين؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة يونس، من الآية:666]؛ إذًا العبد مطلوبٌ منه أن يستغفر الله ويتوب من صنوف المعايب، وأن يصبر على المصائب.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَكَذَلِكَ ذنُوب الْعباد، يجب على العَبْد فِيهَا أَن يَأْمر بِالْمَعْرُوفِ وَينْهى عَن الْمُنكر بِحَسب قدرته، ويجاهد فِي سَبِيل الله الْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ، ويوالي أَوْلِيَاء الله ويعادي أَعدَاء الله، وَيُحب فِي الله وَيبغض فِي الله كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:1-4]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ

قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:22]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [سورة القلم، من الآية:35]، وَقَالَ: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [سورة ص، من الآية:28]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية، من الآية:21]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُ﴾ [سورة فاطر، من الآية:19-22]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [سورة الزمر، من الآية:29]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ

مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة النحل، من الآية:75-76]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [سورة الحشر، من الآية:20].

ونظائر ذَلِك مِمَّا يفرّق الله فِيهِ بَين أهل الْحق وَالْبَاطِل، وَأهل الطَّاعَة وَأهل الْمَعْصِيَة، وَأهل الْبر والفجور، وَأهل الْهدى والضلال، وَأهل الغي والرشاد، وَأهل الصدْق وَالْكذب).

لما بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن الواجب على العبد أن يتجنب الذنوب، وأن يحرص على أن لا يقع فيها، وأنه إن وقع في شيءٍ من الذنوب فعليه المبادرة إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، هذا فيما يتعلق بالعبد في خاصة نفسه، كما أن ذلك مطلوبٌ منه.

كذلك مطلوبٌ منه تجاه ذنوب العباد أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر بحسب قدرته، وأوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن ثمة آيات كثيرة في هذا الباب فيها الأمر بالدعوة إلى الله، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، في هذا الباب آيات كثيرة جدًا، وأيضًا مجاهدة أهل الضلال، ومجاهدة أهل الباطل، في هذا الباب آيات:

الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:1]؛ من وقف عند الحقيقة الكونية، وقال: هذه أمور مقدرة علينا جميعًا، ماذا يصنع؟ شخص عقيدته أنه وقف عند، أمسك عند الحقيقة الكونية، وقال: هذه أمور كتبها الله على هذه المخلوقات كلها، وهذا أمرٌ مقدر ومكتوب، ماذا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يصنع في مثل قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ لأن الأمر كله واحد، هذا مقدر عليه بكذا، وهذا مقدر عليه بكذا؛ إذًا لا أُعادي أحدًا؛ لأنهم كلهم جارون بمقتضى القدر، ومقتضى الأمر الكوني، فماذا يصنع مثل هؤلاء بمثل هذه الآية، ومثل الآية التي بعدها: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:4]؛ لماذا يتبرؤون منهم إذا كان، كيف يتبرأ الإنسان من أعداء دين الله إذا كان نظره فقط إلى الحقيقة الكونية دون الحقيقة الشرعية؟!

أيضًا مثلها ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:22]؛ ماذا يصنع من كان يقف عند الحقيقة الكونية فقط بمثل هذه الآية؟ وهل سيكون منه معاداة لأحد؟ حتى الملاحدة والزنادقة وأكابر المجرمين، وأكابر الضلال، لن يعادي منهم أحد؛ لأنه يقول: هذه كلها أمور جارية مجرى الأمر الكوني المقضي المقدر، الذي لا مناص عنه؛ إذًا لا يعادي أحد؛ فأصبحت هذه الآيات ليس لها عنده أي اعتبار، وليس لها أي معنى.

أيضًا هناك آيات مثل ما أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرة جدًا في القرآن تفرق بين المسلمين والكفار، الأبرار والفجار، المهتدين والضلال، آيات كثيرة جدًا، ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [سورة

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ص، من الآية:28]، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القلم، من الآية:35]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة الجاثية، من الآية:21]، والآيات التي بعدها، إلى قوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [سورة الحشر، من الآية:20]، في تمييز، ولها نظائر كثيرة في القرآن، يفرق فيها بين أهل الحق والباطل، أهل الطاعة والمعصية، أهل البر والفجور، أهل الهدى والضلال، أهل الغي والرشاد، أهل الصدق والكذب، آيات كثيرة، فإذا كان الإنسان يقف عند الحقيقة الكونية، ماذا يصنع في هذه الآيات التي تفرق بين هؤلاء؟ ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمن شهد الْحَقِيقَة الكونية)**.

القارئ:

ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمن شهد الْحَقِيقَة الكونية دون الْحَقِيقَة الدِّينِيَّة؛ سوّى بَين هَذِه الْأَصْنَاف الْمُخْتَلفَة الَّتِي فرق الله بَينهَا).

من شهد الحقيقة الكونية دون الدينية سوى بين هذه الأجناس، من اقتصر في شهوده على الحقيقة الكونية فقط، سوى بين هذه الأجناس، أصبحت هذه الأجناس كلها متساوية، لا فرق بين مسلم وكافر، وبر وفاجر، وطاغية ومحسن، لا فرق بينهم كلهم سواء، إذا كان نظره مقتصرًا على الحقيقة الكونية.

القارئ:

(فَمن شهد الْحَقِيقَة الكونية دون الْحَقِيقَة الدِّينِيَّة؛ سوّى بَين هَذِه الأجناس الْمُخْتَلفَة الَّتِي فرق الله بَينهَا غَايَة التَّفْرِيق؛ حَتَّى تئول بِهِ هَذِه التَّسْوِيَة إِلَى أَن يسوّي بَين الله وَبَين الْأَصْنَام؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:97-98]، بل قد آل الْأَمر بهؤلاء إِلَى أَن سوّوا الله بِكُل مَوْجُود وَجعلُوا مَا يسْتَحقّهُ من الْعِبَادَة وَالطَّاعَة حَقًا لكل مَوْجُود؛ إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وجودَ الْمَخْلُوقَات وَهَذَا من أعظم الْكفْر والإلحاد بِرَبّ الْعباد.

وَهَؤُلَاء يصل بهم الْكفْر إِلَى أَنهم لَا يشْهدُونَ أَنهم عباد الله، لَا بِمَعْنى أَنهم معبّدون، وَلَا بِمَعْنى انهم عَابِدُونَ؛ إِذْ يشْهدُونَ أنفسهم هِيَ الْحق؛ كَمَا صرح بذلك طواغيتهم كَابْن عَرَبِيٍّ صَاحب "الفصوص" وَأَمْثَاله من الْمُلْحِدِينَ المفترين؛ كَابْن سبعين وَأَمْثَاله وَيشْهدُونَ أَنهم هم العابدون والمعبودون، وَهَذَا لَيْسَ بِشُهُود للْحَقِيقَة لَا الكونية وَلَا الدِّينِيَّة؛ بل هُوَ ضلال وعمىً عَن شُهُود الْحَقِيقَة الكونية، حَيْثُ جعلُوا وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق وَجعلُوا كل وصف مَذْمُوم وممدوح نعتا للخالق والمخلوق؛ إِذْ وجود هَذَا هُوَ وجود هَذَا عِنْدهم).

هذا بيان لحال من شهد الحقيقة الكونية دون الدينية، سينتج من ذلك أنه سيسوي بين هذه الأجناس المختلفة، بين المسلمين والكفار، الأبرار والفجار، المهتدين والضلال... إلى غير ذلك، سيسوي بين هذه الأجناس؛

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بل أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى أن هذا الخلط والفساد، ووصل ببعض الناس في ضلاله وانحرافه إلى درجة أن سوَّى بين الله والأصنام، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:97-98].

شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبه على أن الانحراف العقدي يتدرج بصاحبه عبر خطوات في الانحلال والانحراف والإلحاد إلى أن يبلغ إلى درجة في غاية السوء من الزندقة والانحلال، ولاحظ الآن في هذا الباب -باب التسوية بين المفترقات- وُجد من سوى بسبب هذه العقيدة الباطلة بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وجعلهم كلهم سواء؛ لأنه نظر إليهم فقط باعتبار الحقيقة الكونية، هذه التسوية بين المؤمنين والكفار، لم تقف عند أهل الضلال إلى هذا الحد؛ بل صار الأمر إلى أن وُجد فيهم بسبب ترقيه وزلـله في هذا الباب -باب التفريق- إلى أن سوى بين الله والأصنام والعياذ بالله، كما في الآية: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:97-98].

يقول: (**بل قد آل الْأَمر بهؤلاء إِلَى أَن سوّوا الله بِكُل مَوْجُود**)؛ آل الأمر بهؤلاء؛ يعني هو يتكلم عن غلاة المتصوفة المنحرفين؛ مثل: ابن عربي، وابن سبعين، ونظائر هؤلاء، (**آل الْأَمر بهؤلاء إِلَى أَن سوّوا الله بِكُل مَوْجُود**)؛ ليس فقط ببعض الموجودات؛ بل سووا الله بكل موجود، (**وَجعلُوا مَا يسْتَحقّهُ من**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الْعِبَادَة وَالطَّاعَة حَقًّا لكل مَوْجُود؛ إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وجودَ الْمَخْلُوقَات)؛ وهذه عقيدة هؤلاء الغلاة أن الوجود واحد، عقيدة وحدة الوجود وأن الوجود واحد، لا فرق بين الرب وعبد، الرب عبدٌ والعبد ربٌ لا يفرقون؛ فإذًا بهذا الفهم أصبحت العبادة التي حقٌّ لله وحده، أصبحت حقٌّ لكل موجود، ليست للأصنام فقط، ليست للأصنام فقط تُصرف؛ بل هي حقٌّ لكل موجود؛ مثل ما قال قائلهم:

الــرب عبــدٌ والعبــد ربٌّ ... ألا ليتَ شعري من المكلف

إن قلــت ربٌّ فــذاك عبــدٌ ... أو قلــت عبــدٌ أنــى يُكلــف

هذا الضلال -والعياذ بالله- والانحراف في الخلط، والتسوية بالباطل؛ فيتدرج بهؤلاء الشيطان إلى أن يصل الواحد منهم مثل هذه المقولات التي هي غاية في الخبث، والكفر، الإلحاد.

قال: **(بل قد آل الْأَمر بهؤلاء إِلَى أَن سوّوا الله بِكُل مَوْجُود، وَجعلُوا مَا يسْتَحقّهُ من الْعِبَادَة وَالطَّاعَة حَقًّا لكل مَوْجُود)**؛ لماذا جعلوا ما يستحقه الله من الطاعة حق لكل موجود؟ لأنهم اعتقدوا وحدة الوجود، يعني الوجود كله شيء واحد.

(إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وجودَ الْمَخْلُوقَات وَهَذَا من أعظم الْكفْر والإلحاد وَالْكفْر بِرَبّ الْعباد، وَهَؤُلَاء يصل بهم الْكفْر إِلَى أَنهم لَا يشْهدُونَ أَنهم عباد، لَا بِمَعْنى أَنهم معبّدون، وَلَا بِمَعْنى انهم عَابِدُونَ)؛ عرفنا فيما سبق أن العبد له إطلاقان

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بمعنى مُعبَّد وبمعنى عابد، يصل الحال في هؤلاء بالزندقة إلى درجة أن يعتقد أنه ليس عبد، لا بمعنى المعبد ولا بمعنى العابد؛ لأنه يعتقد أن الكون كله شيء واحد، ليس هناك عبد ولا رب، الكون كله شيء واحد يعتقد، فإذًا يصل به الانحراف في هذ الباب إلى أن يعتقد أنه ليس عبدًا لا بمعنى مُعبَّد ولا أيضًا بمعنى عابد.

(**إِذْ يشْهدُونَ أنفسهم هِيَ الْحق**)؛ يعني: يشهد نفسه أنه هو الحق، وأن الكون كله هو الحق، حتى يُمسك أحد هؤلاء الضلال بجبته، التي يلبسها، يقول: ما في الجبة إلا الله -والعياذ بالله-، كفرٌ ليس وراؤه كفر، وإلحادٌ ليس وراؤه إلحاد، وزندقة ليس وراؤها زندقة -والعياذ بالله-، فحتى يشهد أنفسهم هي الحق، (**كَمَا صرح بذلك طواغيتهم كَابْن عَرَبِيّ صَاحب "الفصوص" وَأَمْثَاله من الْمُلْحِدِينَ المفترين؛ كَابْن سبعين وَأَمْثَاله، وَيشْهدُونَ أَنهم هم العابدون والمعبودون**)؛ لماذا؟ لأن الكون عنده شيء واحد، مثل ما كان أحدهم يتحدث عن صلاته يقول: نفسي صلت لنفسي، يعني أصلًا ما يُفرق هو أصلًا في هذا الكون بين رب وعبد، وخالق ومخلوق، ورب ومربوب، ما يُفرق، (**وَيشْهدُونَ أَنهم هم العابدون والمعبودون وَهَذَا لَيْسَ بِشُهُود للْحَقِيقَة لَا الكونية وَلَا الدِّينِيَّة**)؛ ما تحدث عنه قبل قليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شهود بعض الناس للحقيقة الكونية دون الدينية، فهؤلاء الزنادقة لم يشهدوا الحقيقتين أصلًا، لا الحقيقة الكونية ولا الحقيقة الدينية؛ الحقيقة الكونية من يشهدها يقر على

نفسه بأنه مُعبد، والحقيقة الدينية من يشهدها يكون عابدًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهؤلاء لم يشهدوا الحقيقتين لا الدينية ولا الدينية؛ ولهذا قال عنهم": (**لا يقر أحدهم لا بأنه عبد بمعنى معبد، ولا عبد بمعنى عابد**) قال: (**بل هُوَ ضلال وعمىً عَن شُهُود الْحَقِيقَة الكونية، حَيْثُ جعلُوا وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق، وَجعلُوا كل وصف مَذْمُوم وممدوح نعتًا للخالق والمخلوق؛ إِذْ وجود هَذَا هُوَ وجود هَذَا عِنْدهم**)؛ وجود هذا أي: وجود الرب، هو وجود هذا؛ أي: وجود العبد، فالرب المُنزه عندهم هو عين المخلوق، لا فرق بين خالقٍ ومخلوق، ولا ربٍ ومربوب.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَأما الْمُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُوله عوامهم وخواصهم الَّذين هم أهل الْقُرْآن كَمَا قَالَ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِن لله أهلين من النَّاس**»، قيل: من هم يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «**أهل الْقُرْآن هم أهل الله وخاصته**»؛ فَهَؤُلَاءِ يعلمُونَ أَن الله رب كل شَيْء ومليكه، وخالقه، وَأَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباين للمخلوق لَيْسَ هُوَ حالاً فِيهِ، وَلَا متّحدًا بِهِ، وَلَا وجودُه وجودَه.

وَالنَّصَارَى إِنَّمَا كفّرهم الله إِذْ قَالُوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خَاصَّة، فَكيف من جعل ذَلِك عَامًا فِي كل مَخْلُوق؟ ويعلمون مَعَ ذَلِك أَن الله أَمر بِطَاعَتِهِ وَطَاعَة رَسُوله، وَنهى عَن مَعْصِيَته ومعصية رَسُوله، وَأَنه لَا يحب الْفساد، وَلَا يرضى لِعِبَادِهِ الْكفْر وَأَن على الْخلق أَن يعبدوه فيطيعوا أمره

ويستعينوا بِهِ على ذَلِك كَمَا قَالَ فِي فَاتِحَة الْكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَأما الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُوله عوامهم وخواصهم الَّذين هم أهل الكتاب، كَمَا قَالَ النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«إِن لله أهلين من النَّاس»، قيل: من هم يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «أهل الْقُرْآن هم أهل الله وخاصته»**)؛ انتبه لكلام شيخ الإسلام فيه فائدة عظيمة من حيث بيان من هم أهل القرآن؟ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُوله عوامهم وخواصهم الَّذين هم أهل الكتاب**)؛ أهل الكتاب؛ أي: أهل القرآن، قال: عوامهم وخواصهم الذين هم أهل الكتاب أي: أهل القرآن، (**كَمَا قَالَ النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«إِن لله أهلين من النَّاس» قيل: من هم يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «أهل الْقُرْآن هم أهل الله وخاصته»**)؛ ما المراد بأهل القرآن؟ وهل يصح أن يُقصر أهل القرآن على من حفظ حروفه عن ظهر قلب، هل يصح أن يُقصر على ذلك؟ عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ما حفظوا القرآن، ولم يكملوا حفظ القرآن، وهم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، ولهذا قال: (**عوامهم وخاصتهم**)؛ إذاً الرجل العامي من عوام المسلمين الذي يحب القرآن، وإذا سمع آية من القرآن بكى وتأثر وخشع وعمل بما دلت عليه، وإذا ذُكر بحكمٍ، وقيل: قال الله تعالى تأثر وعمل بها، ويحب سماع القرآن، ويكرر ما حفظه من القرآن هو من أهل القرآن، وكذلك من أهل القرآن العالم المحقق المتقن... إلخ، وهم متفاوتون في كونهم من

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته فهي درجات، فطالما أن العبد معظم لكتاب الله، ويعمل بكتاب الله، ويجاهد نفسه على.. ويقرأ القرآن ويتتعتع به وهو عليه شاق، هو من أهل القرآن حتى وإن لم يتيسر له أن يحفظه، ولم يحفظ منه إلا شيئًا قليلًا، هو من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

ومن حفظ حروف القرآن حفظًا متقنًا لا يخطئ في حرفٍ منها، ولكنه لا يعمل بالقرآن ليس من أهل القرآن، مثل ما تحدث الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن بعض قراء زمانه، قال: يقول أحدهم: قرأت القرآن كله ولم أسقط منه حرفًا، وقد أسقطه والله كله، لا يرى عليه القرآن لا في خلقٍ ولا في عمل، يقول الحسن: وقد أسقطه والله كله لا يُرى عليه القرآن لا في خلق ولا في عمل، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كانت القراء مثل هؤلاء لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء، ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، هكذا يقول، هذا يقوله الحسن البصري في زمان التابعين، يقوله في زمان التابعين؛ فلا يكون الإنسان بمجرد إقامة حروف القرآن، وإتقان الحروف لا يكون بذلك بمجرد ذلك من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، والرجل العامي من عوام المسلمين الذي يعظم القرآن، ويعمل بالقرآن، ويأتمر بأوامر القرآن، وينتهي عن نواهي القرآن، حتى وإن لم يتيسر له الحفظ هو من أهل القرآن الذين هم من أهل الله وخاصته، على تفاوت بين أهل القرآن الذين هم أهل القرآن في الدرجات والرتب، والقرآن كما يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُنزل ليُعمل به؛ فاتخذ

الناس قراءته عملًا، أُنزل ليُعمل به؛ فهذا جانب يعني مهم جدًا مستفاد من تقرير شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

يقول: (**وَأما الْمُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُوله عوامهم وخواصهم الَّذين هم أهل الْقُرْآن كَمَا قَالَ النَّبِي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِن لله أهلين من النَّاس**»، **قيل: من هم يَا رَسُول الله؟ قَالَ:** «**أهل الْقُرْآن هم أهل الله وخاصته**»). يقول ابن تيمية: (**فَهَؤُلَاءِ يعلمُونَ أَن الله رب كل شَيْء ومليكه، وخالقه، وَأَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباينٌ للمخلوق لَيْسَ هُوَ حالاًّ فِيهِ، وَلَا متّحدًا بِهِ، وَلَا وجودُه وجودَها**)؛ أي: وجود المخلوقات؛ أي: أن من يعتقد هذه العقيدة، يعتقد الحلول أو الاتحاد، أو وحدة الوجود أو غير ذلك من العقائد الباطلة، ليس من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، بل هو في عقيدة مصادمة للقرآن الكريم؛ فلا يكون من أهل القرآن، حتى وإن كان يحفظ منه قدرًا كثيرًا، أو جزءً كبيرًا، قال: (**فَهَؤُلَاءِ يعلمُونَ أَن الله رب كل شَيْء ومليكه، وخالقه، وَأَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباينٌ للمخلوقات**)؛ مباين معناها: ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته؛ بل هو سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ مستوٍ على عرشه استواءٌ يليق بجلاله وكماله.

وترى الآن في الناس من يجيب على سؤال السائل: أين الله؟ يقول: الله في كل مكان، أين هؤلاء من عقيدة القرآن؟ وآيات القرآن، وما أكثرها في الدلالة على علو الله، حتى إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في نونيته:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يـــا قومنـــا والله إن لقولنـــا ألفًـا تـدل عليـه بـل ألفـانِ

يعني الأدلة التي في القرآن ليست ألف بل ألفان من كثرتها، وفي سنة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

إذًا من يعتقد مثل هذه العقائد، عقيدة الحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود، هذا ليس من أهل القرآن.

والنصارى كفرهم الله، بأن قالوا بالحلول والاتحاد بالمسيح خاصة فكفرهم الله بذلك، فكيف بمن يزعم أن الله حال في جميع المخلوقات؟ فكيف من جعل ذلك عامًا في كل مخلوق، (**ويعلمون مَعَ ذَلِك أَن الله**)؛ أي: أهل الإيمان وأهل القرآن (**ويعلمون مَعَ ذَلِك أَن الله أَمر بِطَاعَتِهِ وَطَاعَة رَسُوله، وَنهى عَن مَعْصِيَته ومعصية رَسُوله، وَأَنه لَا يحب الْفساد، وَلَا يرضى لِعِبَادِهِ الْكفْر وَأَن على الْخلق أَن يعبدوه فيطيعوا أمره ويستعينوا بِهِ على ذَلِك كَمَا قَالَ فِي فَاتِحَة الْكتاب**: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]).

ويواصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الحديث عن أهل الإيمان به، الذين هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته، يواصل الحديث عنهم، ولعلنا نكتفي بهذا القدر.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا أجمعين من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وأن يجعل هذا العلم الذي نتعلمه حُجةً لنا لا

علينا، اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، واجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا، اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من ذكاها، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم ولِّ على المسلمين أينما كانوا خيارهم، واصرف عنهم يا ربنا شرارهم، اللهم وانصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا، وحافظًا ومؤيدًا، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات،

الأحياء منهم والأموات، اللهم اغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلنه، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، اللهم إنا نسألك يا ربنا أن تزيننا أجمعين بزينة الإيمان، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين غير ضالين ولا مضلين، اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنةٍ مضلة، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ، وآله وصحبه.

المجلس الخامس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَمن عِبَادَته وطاعته: الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر بِحَسب الْإِمْكَان، وَالْجِهَاد فِي سَبيله لأهل الْكفْر والنفاق؛ فيجتهدون فِي إِقَامَة دينه مستعينين بِهِ، دافعين مزيلين بذلك مَا قُدر من السَّيِّئَات، دافعين بذلك مَا قد يُخَاف من ذَلِك، كَمَا يزِيل الْإِنْسَان الْجُوع الْحَاضِر بِالْأَكْلِ وَيدْفَع بِهِ الْجُوع الْمُسْتَقْبل، وَكَذَلِكَ إِذا آن أَوَان الْبرد دَفعه باللباس، وَكَذَلِكَ كل مَطْلُوبٍ يُدْفع بِهِ مَكْرُوه كَمَا قَالُوا للنَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا رَسُول الله أَرَأَيْت أدوية نتداوى بهَا، ورقى نسترقي بهَا، وتقى نتقي بهَا، هَل ترد من قدر الله شَيْئا؟" فَقَالَ: «هِيَ من قدر الله».

وَفِي الحَدِيث: «إِن الدُّعَاء وَالْبَلَاء ليلتقيان فيعتلجان بَين السَّمَاء وَالْأَرْض»، فَهَذَا حَال الْمُؤمنِينَ بِاللهِ وَرَسُوله العابدين لله وكل ذَلِك من الْعِبَادَة).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لا يزال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى موصولًا ببيان حال المؤمنين عباد الله؛ عوامهم وخواصهم، من وصفهم بقوله كما تقدم: أهل القرآن الذين هم أهل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وخاصته، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أعمالهم كما سبق أنهم يعملون بطاعة الله وطاعة رسوله، ويجتنبون ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما نهى عنه رسوله بمعنى أنهم يحققون عبادة الله، وختم كلامه السابق بالآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]؛ أي: أنهم جمعوا لأنفسهم بين العبادة والاستعانة، العبادة التي هي الغاية، والاستعانة التي هي وسيلةٌ لتحقيق تلك الغاية.

ثم أتبع ذلك بقوله: (**وَمن عِبَادَته وطاعته: الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر بِحَسب الْإِمْكَان**)؛ فهذا من عبادة الله، وداخلٌ في العبودية لله عَزَّوَجَلَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأصل الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيام أهل العبادة حقًا به فيه دلالة على فساد حال أولئك الذين لا يشهدون إلا الحقيقة الكونية؛ فإن أولئك الذين لا يشهدون إلا الحقيقة الكونية بمنئً وبعدًا عن هذه المعاني الشرعية لا في تحقيق العبادة في أنفسهم، ولا أيضًا دعوةً إلى العبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلى طريقة أولئك تتعطل الأحكام ويضيع الدين ولا تقوم له قائمة؛ لأن من يعتقد تلك العقيدة هو في نفسه لا يعمل، وفي الوقت نفسه لا يدعو الآخرين

ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؛ لأنه قصر شهوده على الحقيقة الكونية دون الحقيقة الشرعية الدينية.

فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمن عِبَادَته وطاعة أَمره: الأمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر بِحَسب الْإِمْكَان وَالْجِهَاد فِي سَبيله لأهل الْكفْر والنفاق؛ فيجتهدون**)؛ أي: المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم، (**يجتهدون فِي إِقَامَة دينه مستعينين بِهِ، دافعين مزيلين بذلك مَا قدر من السَّيِّئَات**)؛ انظر هنا إلى الفرق بين هذه الطريقة -طريقة المؤمنين عباد الله-، وطريقة أولئك، مر حديثه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن طريقة أولئك السيئات المقدرة، كيف يتعاملون معها؟ سواءً المقدر عليهم، أو المقدرة على الآخرين، كيف يتعاملون معها؟ يقولون: هذا وفق أمرٌ جرى وفق المقدر، والمقدر ماضٍ فلا يعمل على إزالة ذلك الخطأ، أو المخالفة عن نفسه، ولا يعمل أيضًا على إزالته عن الآخرين، وسيأتي معنا أن هذا المبدأ الفاسد هؤلاء لا يطردونه، يعني لا يطبقونه في كل شيء، وإنما القوم أهل أهواءٍ وباطل، فإذا وقع فيه سيئة يمضي عليها، وإذا وقع آخر في سيئة أقره عليها ولم يلمه عليها، ويقول: إن هذه أمورٌ مقدرة ولا يمكن أن نعمل على تغيير مقدرٍ أو نحو ذلك، لكن لا يُطبق هذه القاعدة في كل شيء، لا يطبقها في كل شيء.

يعني مثلًا: لو كان المقدر الذي أصيب به مرض شديد وألم شديد في بدنه، هل يطبق قاعدته الأولى، ويقول: هذا مرض ومقدر، ويمضي المقدر كما هو لا أعمل على إزالته، أم أنه يتخذ الأسباب؟

مثلًا: إذا أحس بجوع شديد، هل يمضي على هذا المقدر ويقول: هذا شيء مقدر وكتب علي سأبقى على هذا الجوع ولا يبذل الأسباب، هل يفعل ذلك؟ من أوضح البراهين على فساد المذهب أن صاحبه متناقض فيه، من أوضح ما يدل على فساد مذهبٍ من المذاهب أن صاحبه يتناقض، يعني لا يطبقه في كل شيء، لو أن أحدًا سرق شيئًا له، أو اعتدى على عرضه، أو على أهله، هل يطبق قاعدته السابقة ويقول: هذا الشيء مقدر ليأخذ هذا ما سرق، وهو سرق بقدر، وهذا أيضًا اعتدى على أهله يقول: بقدر لا أعاتبه ولا ألومه كيف ألومه على شيءٍ مقدر، هل يقول ذلك؟ لا يقول ذلك، وإنما تجده في الأشياء التي لا توافق هواه يترك عقيدته، والأشياء التي يهواها يمضي على تلك العقيدة الفاسدة الباطلة.

بخلاف أهل الإيمان فهم يجتهدون في إقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات، نعم هو يعلم أن السيئة التي وقع بها هو مثلًا هي مقدرة ولا يمكن أن يقع إلا شيءٌ مقدر، كذلك السيئة التي وقع بها الآخر أيضًا مقدرة لكنه مع علمه أنها مقدرة يُجاهد نفسه على تركها، وأيضًا يعمل على مجاهدة الآخرين على تركها أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، فيكون

بهذا الصنيع يدفع القدر بالقدر، يكون بصنيع هذا يدفع قدر الله بقدر الله، فإذا قُدِّر له الوقوع في سيئة يجتهد ويسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العفو والتوبة والهداية؛ فيدفع القدر بالقدر، يدفع قدر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بقدر الله.

انظر إلى هذه الأمثلة، يقول: (**دافعين بذلك مَا قد يُخَاف من ذَلِك**)؛ يقول: (**مزيلين بذلك مَا قدر من السَّيِّئَات دافعين بذلك مَا قد يُخَاف من ذَلِك**)؛ يعني هذان نوعان من الجهاد يقوم بهما أهل الإيمان.

الأول: في حال وقوعه في معصية أو في ذنب يجتهد في تركها والبعد عنها توبةً إلى الله وإنابةً إليه، (**مزيلين بذلك مَا قدر عليهم من السَّيِّئَات**).

أيضًا ما لم يقع فيه من الذنوب يجتهد في دفعه باتقاء الأسباب والوسائل التي تُفضي إليه إلى ذلك الذنب، مثلًا: لا يُجالس قرناء السوء، وهو مأمورٌ بعدم مجالستهم شرعًا، لماذا؟ يدفع بذلك عن نفسه الذنوب، لا يُجالس قرناء السوء، ويقول: إن كان مقدرًا علي -على عقيدة أولئك- إن كان مقدرًا علي تلك الذنوب سأقع فيها سواءً جالستهم أو لم أجالسهم، بل يدفع ما قد يخاف من ذلك فلا يجالس مثلًا قرناء السوء، لا يقرأ مثلًا كتب أهل الأهواء وأهل البدع، أما على عقيدة أولئك لا يبالي يقرأ أي شيء، وينظر في أي شيء ويجالس من شاء، ويقول: المقدر واقع سواءً جالستهم أو لم أجالس، سواءً قرأت أو لم أقرأ، المقدر سيحصل، فلا يقول ذلك، صاحب الحق لا يقول ذلك بل يدفع ما قد يخاف من ذلك.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مثل: (**كَمَا يزِيل الْإِنْسَان الْجُوع الْحَاضِر بِالْأَكْلِ**)؛ مثل الآن يعني هذا مثال يوضح الإنسان لو كان يحس بجوعٍ سيدفعه بالأكل، إذا كان الإنسان يتخوف من جوع وهو في الوقت الحالي ليس جائعًا لكن يتخوف أنه سيجوع مثلًا سيسافر في الطريق مثلًا ثمة أكل فتجده يأكل إما ليدفع جوعًا.. ليزيل جوعًا حاضرًا، أو ليدفع جوعًا ماذا؟ متوقعًا.

فإذًا: (**كَمَا يزِيل الْإِنْسَان الْجُوع الْحَاضِر بِالْأَكْلِ وَيدْفَع بِهِ الْجُوع الْمُسْتَقْبل**)؛ هذا الذي نفعله، وكلٌّ يفعله حتى أولئك يفعلونه في قضية الجوع أيضًا يُفعل في قضية ماذا؟ ها يا إخوان؟ في قضية الذنوب، إذا كان وجد الذنب مثل ما كنا ندفع الجوع بالأكل ندفع الذنوب بماذا؟ بالتوبة، ندفع الذنوب بالتوبة والإنابة إلى الله، وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا على الخلاص منها.

وإذا كان الذنب لم يقع لكن ثمة مخاوف في وسائل أمامي وبين يدي توصل إلى الذنب، فماذا أصنع؟ مثل ما كنت أنا أدفع خوفي من الجوع، كذلك أيضًا أدفع وقوعي في الذنب بإغلاق الوسائل والمنافذ والطرائق التي تفضي بالإنسان إلى الذنب.

كذلك إذا أزال البرد ودفعه باللباس؛ سواءً وقت أن يستبرد الإنسان فيأخذ اللباس ويتدفأ به، أو قبل أن يستبرد بماذا؟ بالاستعداد، ها نحن إذا أقبل الشتاء وقبل أن يستبرد الوقت يذهب الشخص ويشتري من الملابس التي يعلم أنه سيحتاجها ليتدفأ بها في الشتاء، أما على عقيدة أولئك كيف يكون الأمر؟!

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

على أنه كما قلنا سابقًا: أن أولئك لا يطردون شهود الحقيقة الكونية في جميع الأمور، وإنما في الأمور التي لها تعلق بأهوائهم، الأمور التي لها تعلق بأهوائهم ولا يطردونها في كل الأمور.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَذَلِكَ كل مَطْلُوبٍ يدْفع بِهِ مَكْرُوه**)؛ يعني بعد أن ذكر أمثلة ذكر هذا التعميم الذي يشمل الأمثلة الماضية وغيرها.

من الأدلة على ذلك قولهم للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**"أَرَأَيْت أدوية نتداوى بهَا، ورقى نسترقي بهَا، وتقى نتقي بهَا، هَل ترد من قدر الله شَيْئا؟"**)؛ ثلاثة أشياء سألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها:

الشيء الأول: أدوية، أدوية يتداوى بها الإنسان، والأدوية التي يتداوى بها الإنسان أحيانًا يتداوى بها من باب إزالة مرضٍ موجود، وأحيانًا يتداوى بها لدفع مرضٍ ماذا؟ متوقع، يُسمى الآن هذا النوع من التداوي الطب الأيش؟ الوقائي، في الحديث قال: «**من أصطبح بسبع تمراتٍ من العجوة لم يضره عين يومه ذلك**»، اصطبح يأخذ سبع تمرات عجوة في صبيحة اليوم يتقي بها هذه الأدوه هذا قبل أن يقع، وهناك أدوية أيضًا تُستعمل وقت وقوع المرض، فيسألونه تلك الأدوية التي يستعملونها أدوية نتداوى بها سواءً كان الدواء لرفع مرضٍ حاضر، أو دفع مرضٍ متوقع.

وكذلك رقية نسترقي بها، أيضًا باب الرقى والدعوات قد يسترقي الإنسان يرقي نفسه من مرضٍ ألمَّ به، أو يأتي بالتعوذات التي تُدفع بها ماذا؟ تُدفع بها

الأسقام والأمراض ونحوها، مثل ما جاء: «**فلا يضره شيء حتى يُمسي**»، فيأتي المسلم بتلك الأذكار للدفع كما أنه يأتي بها بأخرى أيضًا للرفع.

"وتقاه نتقي بها"؛ وهذا أيضًا باب واسع، الآن لما تلبس الثياب الشتوية تتقي بها البرد، أو تلبس مثلًا نعلًا تتقي به الشوك، أو مثلًا تأخذ مظلةً في يدك تتقي بها حرارة الشمس؛ هذه الأسباب التي تفعلها تقاة تتقي بها، والرقية والدواء.

قالوا يا رسول الله: (**"هَل ترد من قدر الله شَيْئا؟"**)؛ يعني لما نفعلها هل هي ترد القدر الشيء المكتوب؟ انظر الجواب العظيم، كلمة واحدة لكن هي جواب هذا الموضوع الذي لا جاوب عليه غيره، قال: («**هِيَ من قدر الله**»)؛ قوله: «**هِيَ من قدر الله**» إذًا أنت لما تسترقي وتتداوى وتتقي، ماذا فعلت؟ أجيبوا.. دفعت القدر بالقدر، فهي من قدر الله فدفعت القدر بالقدر، هي من قدر الله، يقول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**هِيَ من قدر الله**»، هذا الذي تفعله هو شيءٌ قدره الله فعلته، قدره الله وفعلته تدفع به هذه الأمور، وتتقي به هذه الأشياء قال: «**هِيَ من قدر الله**»؛ فيُستفاد من ذلك أن القدر يُدفع بالقدر، تبذل السبب وتستعين بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يوفقك للخير، وأن يصرف عنك السوء.

مثل هذا الحديث قوله في الحديث الآخر: («**إِن الدُّعَاء وَالْبَلَاء ليلتقيان فيعتلجان بَين السَّمَاء وَالْأَرْض**»)؛ يعتلجان؛ أي: يصطرعان ويتدافعان بين السماء والأرض، والحديث حسن، يلتقي الدعاء والبلاء، الدعاء الذي ارتفع من العبد إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والبلاء النازل؛ فيلتقي الدعاء والبلاء فيعتلجان

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أي: يصطرعان ويتدافعان هذا يدفع هذا، قال: «**إِن الدُّعَاء وَالْبَلَاء ليلتقيان فيعتلجان بَين السَّمَاء وَالْأَرْض**».

وجاء في حديثٍ آخر قال: «**لا يرد القدر إلا الدعاء**»، كثير يستشكل كيف يكون الدعاء يرد ماذا؟ القدر، ولا إشكال إذا علمت قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا «**هي من قدر الله**»، الدعاء نفسه من قدر الله، وأنت تدفع القدر بالقدر عندما تدعو الله.

يا أخي الكريم.. الآن مثلًا يكون شخص مثلًا في سيارة، والسيارة مندفعة وفاجئه شيء في الطريق، وقبض على الممسك، أو الذي يمسك السيارة وعاين كأنه في ماذا؟ في موت وفي انتهاء، صادف شيئًا فتجده ماذا يقول؟ ومن معه أيضًا في السيارة ماذا يقول؟ يا رب يا رب، يلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذًا هذا الحادث هو مقدر، وهذه الدعوات أيضًا مقدرة، ويعتلجان مثل ما جاء في الحديث، البلاء النازل والدعاء يعتلجان يصطرعان، وقد يكتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لإنسان نجاة من هلكةٍ محققة وهذا يحصل كثير، كم نسمع من شخص يقول: أنا أعيش في حياة ماذا؟ في عمر ثاني، رأيت الموت بعيني يقول، فدفع القدر بالقدر؛ لأن الدعاء الذي قاله هو مقدر، الدعاء الذي قاله وتلفظ به ولجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الدعاء نفسه هو من قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أيضًا تجد المريض الذي اشتد به المرض وأخذ يعاني منه ويلجأ إلى الله يا رب يا رب يا رب، هذا المصاب الذي به مقدر والدعوات الصادرة من العبد

مقدرة، ونحن مأمورون بالدعاء، ورب العالمين يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل، من الآية:62]، إذًا لما ننظر إلى قواعد الشريعة وأصولها ودلائلها وشواهدها نجد أن العبد مطلوبٌ منه أن يدفع القدر بالقدر، لا على تلك الطريقة الباطلة والعقيدة الفاسدة يستسلم ويقول: هذا مقدر، والمقدر ماضٍ ولن أفعل شيئًا، فقد تجده لا يقوم بطاعة، ولا يتوب من معصية، ولا يستغفر من ذنب إلى آخر ذلك، ويقول هذه سنة كونية وأمرٌ ماضي ولا خروج لي عن المقضي والمقدر، تلك عقيدةٌ باطلة فاسدة من أفسد ما يكون، وكما قدمت وكما أيضًا سيأتي في تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل تلك العقيدة لا يطردونها ولا يطبقونها في كل شيء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَهَذَا حَال الْمُؤمنِينَ بِالله وَرَسُوله العابدين لله)**؛ هذه حالهم، مجاهدة، ومصابرة، وبذل للأسباب، واستعانة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأمور هذه حالهم، **(وكل ذَلِك من الْعِبَادَة)**؛ وكل ذلك من العبادة المأمور بها.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَهَؤُلَاء الَّذين يشْهدُونَ الْحَقِيقَة الكونية وَهِي ربوبيته تَعَالَى لكل شَيْء، ويجعلون ذَلِك مَانِعًا من اتِّبَاع أمره الديني الشَّرْعِيّ على

مَرَاتِب فِي الضلال؛ فغلاتهم يجْعَلُونَ ذَلِك مُطلقًا عَامًا فيحتجون بِالْقدرِ فِي كل مَا يخالفون فِيهِ الشَّرِيعَة.

وَقول هَؤُلَاءِ شَرّ من قَول الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَهُوَ من جنس قَول الْمُشْركين الَّذين قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:148]، ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [سورة الزخرف، من الآية:20].

وَهَؤُلَاء من أعظم أهل الأَرْض تناقضًا، بل كل من احْتج بِالْقدرِ فَإِنَّهُ متناقض فَإِنَّهُ لَا يُمكنهُ أَن يُقَرّ كل آدَمِيّ على مَا فعل؛ فَلَا بُد إِذا ظلمه ظَالِم أَو ظلم النَّاس ظَالِمٌ وسعى فِي الأَرْض بِالْفَسَادِ، وَأخذ يسفك دِمَاء النَّاس، ويستحل الْفروج، وَيهْلك الْحَرْث والنسل وَنَحْو ذَلِك من أَنْوَاع الضَّرَر الَّتِي لَا قِوام للنَّاس بهَا أَن يدْفع هَذَا القدَر، وَأَن يُعَاقب الظَّالِم بِمَا يكف عدوانه وعدوان أَمْثَاله، فَيُقَال لَهُ: "إِن كَانَ الْقدر حجَّة فدع كل أحدٍ يفعل مَا يَشَاء بك وبغيرك، وَإِن لم يكن حجَّة بَطل أصل قَوْلك: (إِن الْقدر حجَّة)".

وَأَصْحَاب هَذَا القَوْل الَّذين يحتجون بِالْحَقِيقَةِ الكونية لَا يطردون هَذَا القَوْل وَلَا يلتزمونه وَإِنَّمَا هم يتبعُون آراءهم وأهواءهم كَمَا قَالَ فيهم بعض الْعلمَاء: "أَنْت عِنْد الطَّاعَة قدَرِي وَعند الْمعْصِيَة جَبْرِي أَيُّ مَذْهَبٍ وَافق هَوَاك تمذهبت بِهِ").

رجع الآن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً أخرى ليبين فساد ما عليه **(أولئك الَّذين يشْهدُونَ الْحَقِيقَة الكونية وَهِي ربوبية الله تَعَالَى لكل شَيْء، ويجعلون ذَلِك**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مَانِعًا من اتِّبَاع أمره الديني الشَّرْعِيّ)؛ يعني مثلًا أحدهم من أصحاب هذا المذهب الفاسد لا يصلي، لا يصوم، يقع في الفواحش في المحرمات إلى غير ذلك، ثم إذا عوتب ماذا يقول؟ يقول: هذا مقدر ومكتوب، أين أذهب من القدر؟ هذا شيء مكتوب ومقدر، ولو شاء الله ما فعلت هذا، لا تلمني على ذلك، هذا شيء كُتب وقدر فلا تلمني عليه، فبناءً على شهوده الحقيقة الكونية وربوبية العامة ومشيئة نافذة، "وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن" يجعل ذلك مانعًا عن اتباع الأمر الديني الشرعي.

يقول: (**هؤلاء على مَرَاتِب فِي الضلال؛ فغلاتهم يجْعَلُونَ ذَلِك مُطلقًا عَامًا فيحتجون بِالْقدرِ فِي كل مَا يخالفون فِيهِ الشَّرِيعَة**)؛ انظر إلى كلامه، يقول: (**فِي كل مَا يخالفون فِيهِ الشَّرِيعَة**)؛ لكن هل يطبقون في كل شيء؟ ما يمكن، ما يمكن، مذهب لا يمكن أصلًا أن يُطبق في كل شيء، صاحبه لا يستطيع أن يطبقه في كل شيء، لكنهم يطبقونه في كل ما يخالفون فيه الشريعة، مثلًا: في تركهم للعبادات، غشيانهم للفواحش والمنكرات والمحرمات إلى غير ذلك يطبقون هذا المذهب، وهؤلاء شرٌ من قول.. (**وَقَول هَؤُلَاءِ شَرّ من قَول الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَهُوَ من جنس قَول الْمُشْركين الَّذين قَالُوا:** ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:148]، ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ [سورة الزخرف، من الآية:20]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهَؤُلَاء من أعظم أهل الأَرْض تناقضًا**)؛ وكفى دليلًا على فساد مذهبٍ تناقض أصحابه، بحيث أنهم لا يطردون المذهب في كل شيء، ولا يطبقونه في جميع الأبواب، هذا من أعظم ما يكون دلالةً على فساد المذهب.

بل انظر ماذا يقول: (**كل من احْتج بِالْقدرِ فَإِنَّهُ متناقض**)؛ كل من احتج بالقدر متناقض، كل شخص يحتج على ذنبه معصيته جريمته مخالفته إلى آخر ذلك بالقدر هو شخصٌ متناقض، من أي جهة متناقض؟ من جهة أنه لا يمكن أن يُطبق مذهبه هذا في كل شيء، أرأيتم لو أن شخصًا قابله وصفعه على وجهه حتى سقط على قفاه، وقال: لا تلمني هذا شيء كتبه الله! ومقدر الله وقضاه، وأنا ماضي في المقدر، يُمضي المذهب الذي كان هو عليه قبل قليل؟ هل يمضي مذهبه؟ أبدًا، بل لو أن شخصًا جاء وسرق ماله، جمع الأموال سنوات طويلة وجاء شخص وسرق المال وعرف أن هذا هو فلان السارق، قال: لا تلمني هذا أمر الله كتب أن أنا اللي آخذ المال وقدره الله علي ولا مناص لي من هذا المقدر، يقبل؟ شخصٌ مثلًا انتهك عرضه إلى غير ذلك من الأمور، وقال: لا تلمني هذا شيء قدره الله، ما يمكن يقبل، فهم من أعظم الناس تناقضًا، ولا يُطبق مذهبه في كل شيء.

بل يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ لَا يُمكنهُ أَن يُقَرّ كل آدَمِيّ على مَا فعل**)؛ إذا كان هو في نفسه يعتذر عن أعماله بأنها مقدرة، إذا كان في نفسه يعتذر عن أعماله أخطاءه مخالفاته بأنها مقدرة لو شاء الله ما فعلنا ذلك، هل هو بناءً على عقيدته هذه

يقر كل آدمي على ما فعل؟ ما يقر، لو أحد أخذ ماله ما يقره، أحد اعتدى عليه لا يقره، ما يمكن أن يقر كل أحد على ما فعل، (**فَلَا بُد إِذا ظلمه ظَالِم أَو ظلم النَّاس ظَالِم وسعى فِي الأَرْض بِالْفَسَادِ، وَأخذ يسفك دِمَاء النَّاس، ويستحل الْفروج، وَيهْلك الْحَرْث والنسل وَنَحْو ذَلِك من أَنْوَاع الضَّرَر الَّتِي لَا قِوام للنَّاس بهَا أَن يدْفع هَذَا العدوان، وَأَن يُعَاقب الظَّالِم بِمَا يكف عدوانه وعدوان أَمْثَاله، فَيُقَال لَهُ: "إِن كَانَ الْقدر حجَّة فدع كل أحد يفعل مَا يَشَاء بك وبغيرك"**)، إذا كان القدر إذا كان مبدأك أن تقول: لو شاء الله ما فعلت هذا، لو شاء الله ما فعلت هذه المعصية، لو شاء الله لكنت من المصلين، لو شاء الله لما وقعت في هذه الفاحشة، لو كان هذا مذهبك يقال له: لو كان هذا مذهبك إذًا أقر كل آدمي في كل خطأ وفي كل ظلم يقع عليك ويقع على الآخرين، هل يمكن أن يطبق هذا الشيء؟ لا والله لا يمكن أن يطبق، فهذا دليل واضح وبرهان بين على فساد عقيدة هؤلاء.

(**فَيُقَال لَهُ: "إِن كَانَ الْقدر حجَّة فدع كل أحد يفعل مَا يَشَاء بك وبغيرك، وَإِن لم يكن حجَّة بَطل أصل قَوْلك**)؛ الآن أنت بينت فساد مذهبه بأي طريقة؟ بإثبات تناقضه، تقول: إما أنت بين أمرين:

- إما أن تطرد مذهبك في كل شيء، إما أن تطرد المذهب في كل شيء، تطبقه في كل شيء، لا تفرق بين متماثلات، هنا تطبق مذهبك وهنا تخالف مذهبك، طبقه في كل شيء.

- أو تب إلى الله من مذهبك ودعه، تب إلى الله من مذهبك ودع هذا المذهب الفاسد.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَصْحَاب هَذَا القَوْل الَّذين يحتجون بِالْحَقِيقَةِ الكونية لَا يطردون هَذَا القَوْل وَلَا يلتزمونه**)؛ لا يطردون أي: لا يطبقونه في نظائر ما يطبقونه فيه، وما يماثل ما يطبقونه فيه لا يطردون هذا المذهب ولا يلتزمونه، وإنما هم بحسب أهوائهم وآرائهم، يعني تطبيق المذهب متى؟ تطبيق المذهب وقت موافقة شيء يهواه، ما يريد يصلي مثلًا، ما يريد يصلي، أو يريد يستمر على معصيةٍ ما من المعاصي فيحتج على ذلك بالقدر.

فإذًا هم أهل أهواء فاسدة باطلة، (**كَمَا قَالَ فيهم بعض الْعلمَاء: "أَنْت عِنْد الطَّاعَة قدَري وَعند الْمعْصِيَة جَبْري، أيُّ مَذْهَبٍ وَافق هَوَاك تمذهبت بِهِ"**)؛ أو تمذهب به، عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، القدرية والجبرية مذهبان في باب القدر متضادان، القدرية والجبرية مذهبان في باب القدر متضادان:

القدرية: لقب يطلق على القدرية النفاة الذين ينفون القدر، ويقولون: لا قدر، يقولون: الإنسان هو الخالق لفعل نفسه ولم يقدره الله عليه.

والجبرية: ضد هذا المعتقد، يعتقدون أن الأمور مقدرة وأن الإنسان أصلًا لا مشيئة له ولا اختيار له، بل هو مجبور على فعل نفسه؛ كالورقة في مهب الريح، ولهذا لُقبوا بالجبرية؛ لأنهم يقولون: بأن العبد مجبور على فعل نفسه

ومسلوب المشيئة، لا مشيئة له ولا اختيار، أشبه ما يكون بالورقة التي تطير في الهواء تقلبها الرياح بلا اختيار.

فقال بعض العلماء فيهم: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، عند الطاعة عندما يقوم بشيء حسن وجيد وعظيم، ونحو ذلك، ماذا يقول؟ ينسبها لنفسه عند الطاعة، عندما يقول بعمل عظيم، وعمل جليل، وعمل جيد أو نحو ذلك ينسبه لنفسه، أنا كذا أنا كذا، ما يقول: الحمد لله الذي يسر لي هذا الأمر، أعانني عليه، وفقني له، هداني للقيام به، لا يقول ذلك، وإنما يقول: أنا الذي كذا، وأنا الذي كذا، وأنا الذي كذا، فينسبه لنفسه مجردًا عن التقدير، تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل يمن بالعمل، فهذا معنى قوله: (**أَنْت عِنْد الطَّاعَة قدَري وَعند الْمعْصِيَة جَبْري**)؛ عند المعصية إذا وقع في معصية يغير ذاك المذهب الأول، يقول أيش؟ مجبور، هذا شيء مقدر وأنا مجبور عليه، فعند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أي: أي مذهبٍ وافق هواه تمذهب به.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَمِنْهُم صنفٌ يدّعون التَّحْقِيق والمعرفة فيزعمون أَن الْأَمر وَالنَّهْي لَازمٌ لمن شهد لنَفسِهِ فعلًا وَأثبت لَهُ صنعًا، أما من شهد أَن أَفعاله مخلوقة، أَو أَنه مجبورٌ على ذَلِك، وَأَن الله هُوَ الْمُتَصَرف فِيهِ كَمَا يُحَرك سَائِر المتحركات؛ فَإِنَّهُ يرْتَفع عَنهُ الْأَمر وَالنَّهْي والوعد والوعيد.

وَقد يَقُولُونَ: من شهد الْإِرَادَة سقط عَنهُ التَّكْلِيف ويزعم أحدهم أَن الْخضر سقط عَنهُ التَّكْلِيف لشهوده الْإِرَادَة، فَهَؤُلَاءِ يفرقون بَين الْعَامَّة والخاصة الَّذين

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

شهدُوا الْحَقِيقَة الكونية؛ فَشَهِدُوا أَن الله خَالق أَفعَال الْعباد، وَأَنه يدبر جَمِيع الكائنات، وَقد يفرقون بَين من يعلم ذَلِك علمًا وَبَين من يرَاهُ شُهُودًا فَلَا يسقطون التَّكْلِيف عَمَّن يُؤمن بذلك ويعلمه فَقَط، وَلَكِن يسقطونه عَمَّن يشهده فَلَا يرى لنَفسِهِ فعلًا أصلًا، وَهَؤُلَاء يجْعَلُونَ الْجَبْر وَإِثْبَات الْقدر مَانِعًا من التَّكْلِيف على هَذَا الْوَجْه، وَقد وَقع فِي هَذَا طوائفٌ من المنتسبين إِلَى التَّحْقِيق والمعرفة والتوحيد.

وَسبب ذَلِك أَنه ضَاقَ نطاقهم عَن كَون العَبْد يُؤمر بِمَا يقدّر عَلَيْهِ خِلَافه كَمَا ضَاقَ نطاق الْمُعْتَزلَة وَنَحْوهم من الْقَدَرِيَّة عَن ذَلِك، ثمَّ الْمُعْتَزلَة أَثْبَتَت الْأَمر وَالنَّهْي الشرعيين دون الْقَضَاء وَالْقدر الَّذِي هو إِرَادَة الله الْعَامَّة وخلقه لأفعال الْعباد، وَهَؤُلَاء أثبتوا الْقَضَاء وَالْقدر وَنَفَوْا الْأَمر وَالنَّهْي فِي حق من شهد الْقدر إِذْ لم يُمكنهُم نفي ذَلِك مُطلقًا.

وَقَول هَؤُلَاءِ شَرٌّ من قَول الْمُعْتَزلَة، وَلِهَذَا لم يكن فِي السّلف من هَؤُلَاءِ أحد، وَهَؤُلَاء يجْعَلُونَ الْأَمر وَالنَّهْي للمحجوبين الَّذين لم يشْهدُوا هَذِه الْحَقِيقَة الكونية، وَلِهَذَا يجْعَلُونَ من وصل إِلَى شُهُود هَذِه الْحَقِيقَة يسْقط عَنهُ الْأَمر وَالنَّهْي، وَيَقُولُونَ: إِنَّه صَار من الْخَاصَّة، وَرُبمَا تأولوا على ذَلِك قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:99]، فاليقين عِنْدهم هُوَ معرفَة هَذِه الْحَقِيقَة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَقول هَؤُلَاءِ كفرٌ صَرِيح وَإِن وَقع فِيهِ طوائفٌ لم يعلمُوا أَنه كفر؛ فَإِنَّهُ قد عُلم بالاضطرار من دين الْإِسْلَام أَن الْأَمر وَالنَّهْي لازمان لكل عبدٍ مَا دَامَ عقله حَاضرًا إِلَى أَن يَمُوت لَا يسقطان عَنهُ لَا بشهوده الْقدر وَلَا بِغَيْر ذَلِك، فَمن لم يعرف ذَلِك عُرِّفه وبيِّن لَهُ فَإِن أصر على اعْتِقَاد سُقُوط الْأَمر وَالنَّهْي فَإِنَّهُ يُقتل. وَقد كثرت مثل هَذِه المقالات فِي الْمُسْتَأْخِرين، وَأما المتقدمون من هَذِه الْأمة فَلم تكن هَذِه المقالات مَعْرُوفَةً فيهم، وَهَذِه المقالات هِيَ محادةٌ لله وَرَسُوله، ومعاداةٌ لَهُ، وَصدٌ عَن سَبيله، ومشاقةٌ لَهُ، وَتَكْذيبٌ لرسله، ومضادةٌ لَهُ فِي حكمه، وَإِن كَانَ من يَقُول هَذِه المقالات قد يجهل ذَلِك ويعتقد أَن هَذَا الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ طَرِيق الرَّسُول وَطَرِيق أَوْلِيَاء الله الْمُحَقِّقين، فَهُوَ فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة من يعْتَقد أَن الصَّلَاة لَا تجب عَلَيْهِ لاستغنائه عَنْهَا بِمَا حصل لَهُ من الْأَحْوَال القلبية، أَو أَن الْخمر حَلَالٌ لَهُ لكَونه من الْخَواص الَّذين لَا يضرهم شرب الْخمر، أَو أَن الْفَاحِشَة حَلَالٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ صَار كالبحر لَا تكدره الذُّنُوب وَنَحْو ذَلِك).

هنا يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (صنفٌ)؛ من هؤلاء المبتدعة الضلال (يدّعون)؛ لأنفسهم أنهم أهل: (التَّحْقِيق والمعرفة؛ فيزعمون أَن الْأَمر وَالنَّهْي لَازمٌ لمن شهد لنَفسِهِ فعلًا وَأثبت لَهُ صنعًا، أما من شهد أَن أَفعاله مخلوقة، أَو أَنه مجبورٌ على ذَلِك وَأَن الله هُوَ الْمُتَصَرف فِيهِ كَمَا يُحَرك سَائِر المتحركات؛ فَإِنَّهُ يرْتَفع عَنهُ الْأَمر وَالنَّهْي والوعيد، ويَقُولُونَ: من شهد الْإِرَادَة سقط عَنهُ التَّكْلِيف)؛

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

هذا أيضًا اعتقاد آخر غير الأول يقسمون الناس إلى قسمين: (عامة، وخاصة):

العامة: يلزمهم الأمر والنهي، وهم من لم يشهدوا هذه الحقيقة التي شهدوها، الذي هو شهود الحقيقة أو الإرادة الكونية، ويعتبرون ذلك درجة ليصل إليها الخواص، ومن وصل إليها أصبح من الخاصة فتسقط عنه الأوامر والنواهي، أما من قبل ذلك من العامة لا تسقط عنهم، لا تسقط عنهم الأوامر والنواهي، فهم مأمورون ومكلفون، لكن من وصل إلى درجة شهود الإرادة الكونية وبلوغ هذه الدرجة سقطت عنه التكاليف.

(**يزعم أحدهم أَن الْخضر سقط عَنهُ التَّكْلِيف لشهوده الْإِرَادَة**)؛ المراد بالإرادة هنا، أي: الإرادة الكونية القدرية.

قال: (**فَهَؤُلَاءِ يفرقون بَين الْعَامَّة وبين الخاصة**)؛ من هم العامة؟ العامة أهل العمل بالطاعة والعبادة، والاتباع للكتاب والسنة، هؤلاء هم العامة.

والخاصة: (**الَّذين شهدُوا الْحَقِيقَة الكونية؛ فَشَهِدُوا أَن الله خَالق أَفعَال الْعباد، وَأَنه مريدٌ لجَمِيع الكائنات، وَقد يفرقون بَين من يعلم ذَلِك علمًا وَبَين من يرَاهُ شُهُودًا**)؛ أي: من يعلمه علمًا لا يكفي لبلوغ تلك الدرجة حتى يشهد هذه الحقيقة الكونية، (**فَلَا يسقطون التَّكْلِيف عَمَّن يُؤمن بذلك ويعلمه فَقَط، وَلَكِن يسقطونه عَمَّن يشهده فَلَا يرى لنَفسِهِ فعلًا أصلًا**)؛ إذا وصل إلى هذه الرتبة أصبح من الخواص الذين تسقط عنهم التكاليف.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَهَؤُلَاء يجْعَلُونَ الْجَبْر وَإِثْبَات الْقدر مَانِعًا من التَّكْلِيف على هَذَا الْوَجْه)؛ أي وجهٍ؟ **(مَانِعًا من التَّكْلِيف على هَذَا الْوَجْه)**؛ أي: على هذا الوجه الذي هو درجة يبلغها خواص من الناس يشهدون الحقيقة الكونية فتسقط عنهم التكاليف بهذا الاعتبار، هم لا يقولون التكاليف ساقطة عن كل الناس، وإنما يقولون: التكاليف تسقط عمن يبلغ هذه الدرجة؛ درجة شهود الحقيقة الكونية؛ فيجعلون الجبر وإثبات القدر مانعًا من التكليف على هذا الوجه، يعني: على هذا الوجه، أي أنه يعتبرون الدرجة إذا شهدها العبد سقطت عنه التكاليف، لا يقولون التكاليف ساقطة عن كل الناس وإنما يجعلونها تسقط عمن يبلغ هذه الدرجة.

قال: **(وَقد وَقع فِي هَذَا طوائفٌ من المنتسبين إِلَى التَّحْقِيق والمعرفة والتوحيد، وَسبب ذَلِك أَنه ضَاقَ نطاقهم عَن كَون العَبْد يُؤمر بِمَا يُقدّر عَلَيْهِ خِلَافه)**؛ يؤمر بترك الذنوب وعدم الدخول فيها ويُقدر عليه الذنب، فضاق نطاقهم كيف يقدر؟ ما أمر بخلافه، وغفل هؤلاء عن أن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان ومجاهدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:69].

قال: **(ثمَّ الْمُعْتَزلَة)**؛ الآن لما ذكر عقيدة هؤلاء يعقد مقارنة بينه وبين عقيدة المعتزلة، يقول: **(ثمَّ الْمُعْتَزلَة أَثْبَتَت الْأَمر وَالنَّهْي الشرعيين وردت الْقَضَاء وَالْقدر)**؛ المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين، أثبتت أن العبد مأمور

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بالطاعات ومنهي عن المعاصي، وفي الوقت نفسه ردت القضاء والقدر لا يؤمنون بأن الأمور بقضاء وقدر، ويعتقدون أن العبد هو الخالق لفعل نفسه.

(وردت الْقَضَاء وَالْقدر الَّذي هو إِرَادَة الله الْعَامَّة وخلقه لأفعال الْعباد، وَهَؤُلَاء)؛ الصنف الذي تحدث عنه قريبًا، **(هَؤُلَاء أثبتوا الْقَضَاء وَالْقدر وَنَفَوْا الْأَمر وَالنَّهْي فِي حق من شهد الْقدر؛ إِذْ لم يُمكنهُم نفي ذَلِك مُطلقًا)**؛ أي: عن جميع الناس، بل جعلوا ذلك خاصًا بمن شهد الحقيقة الكونية، أو شهد الإرادة فبزعمهم يسقط عنه الأمر والنهي.

قال: **(وَهَؤُلَاء يجْعَلُونَ الْأَمر وَالنَّهْي للمحجوبين الَّذين لم يشْهدُوا هَذِه الْحَقِيقَة الكونية)**؛ **(وَهَؤُلَاء يجْعَلُونَ الْأَمر وَالنَّهْي للمحجوبين)**؛ وهذا اصطلاح يكثر عند هؤلاء، عندما يمتدحون كبارهم بسقوط التكاليف عنهم، يقول: لا تعرفون ذلك؛ لأنكم محجوبون؛ لأنكم محجوبون، لكن هذا الذي بلغ هذه الحقيقة، وشهد هذه الحقيقة الكونية، وأصبح من أهل شهود هذه الحقيقة سقطت عنه التكاليف، أما هذا الأمر لا تدركونه؛ لأنكم في حجابٍ عنه، أنتم محجوبون عن ذلك، وأعينكم عليها غشاوة لا يمكن تعرفون ذلك، وذاك الذي بزعمهم سقطت عنه التكاليف يمارس الفواحش، والمحرمات، والموبقات، ويترك الطاعات، وهو عند أتباعه شخصٌ وصل أعلى الرتب والمقامات، لكن لكونه بزعم أولئك شهد الحقيقة الكونية سقطت عنه التكاليف.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والحقيقة أن الرجل لم يشهد حقيقة كونية، وإنما دخلت عقلة لوثة شيطانية، هذا الحقيقة، الحقيقة أن دخلت عقله لوثة شيطانية؛ فترك عبادة الله، وترك طريق الأنبياء والمرسلين، وإن كان أتباعه وهو أيضًا في نفسه يزعمون له أنه شهد حقيقة كونية، هو لم يشهد حقيقة، ومن أبعد الناس عن الحقائق، ولكنه أصيب بلوثه شيطانية فأصبح يمارس الفواحش، والمحرمات، والموبقات، ويترك الطاعة والعبادة، ويزعم أتباعه وهو أيضًا يزعم أنه واصل، وأن التكاليف سقطت عنه.

(وَلِهَذَا يجْعَلُونَ من وصل إِلَى هَذِه الْحَقِيقَة سْقط عَنهُ الْأَمر وَالنَّهْي، وصَار من الْخَاصَّة)؛ لأنه مثل ما عرفنا سابقًا يفرقون بين الناس إلى قسمين العامة والخاصة، وهذا التفريق اصطلاح كثر عند الطرقية المتصوفة، كثر عندهم جدًا، يجعلون الأشياء الأباطيل التي عندهم هذه درجة من الخواص، مثل ما قالوا في الذكر، قسموه إلى ثلاث أقسام، قالوا: (ذكرٌ للعامة، وذكر للخاصة، وذكر لخاصة الخاصة):

ذكر العامة: قالوا: لا إله إلا الله، هذا للعوام عامة الناس.

الخاصة: لفظ الجلالة (الله) يرددونه بدون نفي ولا إثبات، مع أن ترداد لفظ الجلالة لو ردده الإنسان ألف مرة، الله، الله، لو ردده ألف مرة، أو آلاف المرات لا يثبت به إيمان؛ لأن الإيمان والتعظيم والتنزيه وغير ذلك من المعاني الشرعية لا تثبت إلا بجملة مفيدة، مثل أن يقول: الله أكبر، أو يقول: لا

إله إلا الله، أو يقول: سبحان الله، أو يقول: الحمد لله، أو توكلت على الله، أو لا حول ولا قوة إلا بالله، أما يردد: الله الله، لو ردها عشرات وآلاف المرات لا يثبت بها شيء ما لم تكن في جملة مفيدة؛ لأن هذا يقول: الله أكبر، وذاك يقول: الله غير موجود، فهي لا تكون إلا عندما تكون في جملة مفيدة، فيجعلون هذا الذكر بلفظ الجلالة (الله) هذا للخاصة.

ويجعلون الذكر بالضمير (هو) لخاصة الخاصة، وخاصة الخاصة لا يذكرون الله بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله ولا تجري على ألسنتهم، وإنما يرددون الضمير (هو هو)، حتى قال لي شخص كان على هذه الطريقة وتاب، قال: كنا نجتمع في بستان من البساتين، ونذكر الله بالضمير (هو) جماعةً بصوت واحد، جماعة بصوت واحد هو يقول لي بنفسه، يقول: والله لو كنت وراء الجدار وسمعتنا لما ظننت أن الذي وراء الجدار من بني آدم، يقول: لو كنت وراء الجدار يشير إلى نوع من.. فيقول: والله ما كنت تظن أن اللي وراء الجدار من بني آدم أبدًا، وهم بزعمهم أنهم خاصة الخاصة، وأنهم صفوة عباد الله، وأنهم أحسن عباد الله ذكرًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويظنون أنهم بلغوا الحقيقةً لم يبلغها غيرهم! وهذا كله من عبث الشيطان، وتضييعه للإنسان وصاحب ذلك يعتقد أنه بلغ مبلغًا لم يبلغه غيره، وإذا أنكر عليه منكر مثل هذا العمل في نفسه يقول هذا محجوب ما وصل هذا للذي وصلنا إليه ولا يعرف، يُنكر لأنه لا يعرف هذا الأمر الذي بلغناه، ولا يُدرك هذا الأمر الذي وصلنا إليه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَرُبمَا تأولوا على ذَلِك قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:99])؛ يعني: يجعلون عملهم، ماذا؟ تأويل للآية، معنى تأويل للآية، أي: تطبيق للآية، فيعتبرون أنهم بهذا الصنيع يطبقون هذه الآية ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، وعرفنا فيما سبق أن بإجماع المفسرين أن اليقين هنا الموت، وهم يقولون: اليقين شهود هذه الحقيقة وبلوغ هذه المرتبة فإذا بلغها لا يعبد الله؛ لأن فهم الآية عندهم ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾؛ أي: اعبد ربك حتى تبلغ الدرجة التي تشهد فيها الإرادة الكونية؛ حينئذٍ لا تعبد الله سقطت عنك التكاليف هذا فهم الآية عندهم، والآية خطاب لصفوة خلق الله محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعبادة الله إلى أن يموت، ومضى على عبادة الله إلى أنفاسه الأخيرة ولحظاته الأخيرة -صلوات الله وسلامه عليه-، وهو صفوة عبادة الله، وخير عباد الله -صلوات الله وسلامة عليه-.

قال: وجعلوا اليقين (**هُوَ معرفَة هَذِه الْحَقِيقَة، وَقَول هَؤُلَاءِ كفرٌ صَرِيح، وَإِن وَقع فِيهِ طوائف لم يعلمُوا أَنه كفر**)؛ وليس من شرط الكفر أن يعلم صاحبه أنه كفر، وقع فيه خلائق أو أناس وإن كان بعضهم لا يعلم أنه كفر، مثل ما قد ترى أُناس يشرك بالله، ويستغيث بغير الله، ويطلب المدد من غير الله، ويرفع يديه داعيًا غير الله: مدد يا فلان مدد يا فلان، ولا يعلم أنه في أعماله هذه

يمارس الشرك الناقل من الملة، وتجده مثلًا يصلي ويصوم ويتصدق ويحج، ويقول: لا إله إلا الله، لكن يمارس الشرك بسؤال غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ودعاء غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**وَإِن وَقع فِيهِ طوائف لم يعلمُوا أَنه كفر فَإِنَّهُ قد عُلم بالاضطرار من دين الْإِسْلَام أَن الْأَمر وَالنَّهْي لازمٌ لكل عبدٍ**)؛ أما تلك التخرصات، وتلك الأقاويل الباطلات لا ترفع عن أحدٍ أمرًا ولا نهيًا، وإنما هي مجرد مزاعم يزعمه أولئك المبتدعة، (**فعُلم من دين الْإِسْلَام بالضرورة أَن الْأَمر وَالنَّهْي لازمٌ لكل عبدٍ مَا دَامَ عقله حَاضرًا إِلَى أَن يَمُوت لَا يسقط عَنهُ الأمر والنهي لَا بشهوده الْقدر وَلَا بِغَيْر ذَلِك**)؛ لا يسقط عنه الأمر والنهي سواءً قال: إنني شهدت القدر، أو شهدت الإرادة الكونية، وسواءٌ قال: إني بلغت الحقيقة الفلانية أو غير ذلك لا يسقط، عُلم من دين الإسلام بالضرورة أن الأمر والنهي لا يسقط عن أي أحد حتى يموت، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾؛ أي: حتى يأتيك الموت، ومثلها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:102].

(**فَمن لم يعرف ذَلِك عُرِّفه وبيِّن لَهُ**)؛ هذا الواجب أن يعرف هذا الأمر ويبين له، ويقال له: هذا كفر، وهذا ضلال، وهذا ليس من دين الله، وهذا مناقض ومصادم لدين الأنبياء والمرسلين، يُعرف ويُبين له ذلك بالأدلة (**فَإِن أصر**

على اعْتِقَاد سُقُوط الْأَمر وَالنَّهْي فَإِنَّهُ يُقتل)؛ والمراد بقوله: (**يُقتل**)؛ أي أن مثل هذه الأحكام ليست لآحاد الناس، وإنما على ولي الأمر ومن بيده الزمام - زمام الأمر- أن يقوم بذلك، فأهل العلم يبينون، وإذا لم يفعل ذلك يُرفع لولي الأمر لينفذ فيه حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا أن المراد مثل هذه الأعمال يباشرها كل أحد.

(**وَقد كثرت مثل هَذِه المقالات فِي الْمُتَأْخِرِينَ**)؛ لأن الباطل يتوالد ويتزايد، وتتفرع له فروع، فكثرت هذه المقالات في المتأخرين.

(**أما المتقدمون من هَذِه الْأمة فَلم تكن هَذِه المقالات مَعْرُوفَة فيهم**)؛ لا وجود لها، وإنما وجدت في المتأخرين، أما السلف فكانوا قد عافاهم الله عَزَّوَجَلَّ وواقاهم وسلمهم من ذلك.

(**وَهَذِه المقالات هِيَ محادةٌ لله وَرَسُوله، ومعاداة لَهُ، وَصدٌ عَن سَبيله، ومشاقة لَهُ، وَتَكْذيبٌ لرسله، ومضادةٌ لَهُ فِي حكمه**)؛ وهذه كلها دلائل وشواهد على عظم فساد هذه العقيدة، وأنها عقيدة فيها محادة لله ورسوله، ومعاداة له، وصدٌ عن سبيله، ومشاقةٌ له، وتكذيبٌ لرسله، ومضادةٌ له في حكمه.

(**وَإِن كَانَ من يَقُول هَذِه المقالات قد يجهل ذَلِك**)؛ من يقول هذه المقالات قد يجهل أن مقالته هذه مصادمة لدين المرسلين، ومحادة لله ولرسوله، قد يجهل ذلك، (**ويعتقد أَن هَذَا الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ طَرِيق الرَّسُول وَطَرِيق أَوْلِيَاء الله الْمُحَقِّقين، فَهُوَ فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة من يعْتَقد أَن الصَّلَاة لَا تجب عَلَيْهِ لاستغنائه**

عَنْهَا بِمَا يحصل لَهُ من الْأَحْوَال القلبية)؛ لو أن إنسانًا اعتقد ذلك أن الصلاة لا تجب عليه، يقول: يكفي لأفوز برضا ربي ما قام في قلبي من إيمان، وهذا يقوله حتى بعض العوام، يقول: الإيمان في القلب، الكلام على القلب، وتجده مثلًا يترك الطاعة والعبادة مستغنيًا بما يزعمه في قلبه من أحوال قلبية، ونسي أو غفل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»، تجد بعضهم لا يبالي مثلًا بفعل المحرمات، وارتكاب المنهيات، وإذا نُهي عنها قال الكلام عن القلب، الكلام عن القلب، يقول: أنا الحمد لله قلبي أبيض! بعضهم يقول: قلبي طاهر! الكلام على القلب، هذه الأشياء الظاهرة والأمور هذه كلها العبرة بالقلب يقول لك، فهل يكفيه هذا الاعتقاد وهذا الظن في تركه لما أمره الله به، وفعله لما حرمه عليه اكتفاءً بما يزعمه لنفسه من أحوال قلبيه؟ هل هذا الاعتقاد كافي؟ لا والله.

أو آخر مثلًا يزعم: **(أَن الْخمر حَلَال لَهُ لكَونه من الْخَواص الَّذين لَا يضرهم شرب الْخمر)**؛ لو أن إنسان اعتقد ذلك أنه من الخواص، والخمر إنما حُرمت على المحجوبين وأمثالهم، أما الخواص الذين لا تضرهم الخمر ليس عليهم شيء في شربها، لو اعتقد ذلك هل هذا ينجيه من إثم وعقوبة شربها؟ لا والله.

كذلكم لو أن أحدًا فعل الفاحشة واعتقد: **(أَن الْفَاحِشَة حَلَالٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ صَار كالبحر لَا تكدره الذُّنُوب)**؛ يقول: البحر مثلًا لو سقطت فيه ميتة ما كدرته ولا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ضرته، فيعد نفسه مثل البحر، لو ارتكب فاحشة ما تضره ولا تؤثر فيه؛ فكل هذه الاعتقادات والظنون لا تنجي صاحبها من سخط الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا تنجيه من عقابه.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَلَا ريب أَن الْمُشْركين الَّذين كذبُوا الرَّسُول يَتَرَدَّدُون بَين الْبِدْعَة الْمُخَالفَة لشرع الله وَبَين الِاحْتِجَاج بِالْقدرِ على مُخَالفَة أَمر الله، فهؤلاء الْأَصْنَاف فِيهِم شبه من الْمُشْركين؛ لأَنهم إِمَّا أَن يبتدعوا وَإِمَّا أَن يحتجوا بِالْقدرِ، وَإِمَّا أَن يجمعوا بَين الْأَمريْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَن الْمُشْركين: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:28]، وكما قَالَ تَعَالَى عَنْهُم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:148].

وَقد ذُكر عَن الْمُشْركين مَا ابتدعوه من الدَّين الَّذِي فِيهِ تَحْلِيل الْحَرَام وَالعبادَة التي لم يشرعها الله، بمثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:138]، إِلَى آخر السُّورَة، وَكَذَلِك فِي سُورَة الْأَعْرَاف فِي قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ

﴿أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾[سورة الأعراف، من الآية:27]، إِلَى قَوْله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[سورة الأعراف، من الآية:28-29]، إِلَى قَوْله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[سورة الأعراف، من الآية:31-32]، إِلَى قَوْله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة الأعراف، من الآية:33].

وَهَؤُلَاء قد يسمّون مَا أحدثوه من الْبدع حَقِيقَة كَمَا يسمّون مَا يشْهدُونَ من الْقدر حَقِيقَة، وَطَرِيق الْحَقِيقَة عِنْدهم هُوَ السلوك الَّذِي لَا يتَقَيَّد صَاحبه بِأَمْر الشَّارِع وَنَهْيه، وَلَكِن بِمَا يرَاهُ ويذوقه ويجده فِي قلبه مَعَ مَا فِيهِ من غَفلَةٍ عَن الله جَلَّ وَعَلَا وَنَحْو ذَلِك.

وَهَؤُلَاء لَا يحتجون بِالْقدرِ مُطلقًا بل عمدتهم اتِّبَاع آرائهم وأهوائهم وجعلُهم لمَا يرونه ويهوونه حَقِيقَة، وأمرهم باتباعها دون اتِّبَاع أَمر الله وَرَسُوله نَظِير بدع أهل الْكَلَام من الْجَهْمِية وَغَيرهم الَّذين يجْعَلُونَ مَا ابتدعوه من الْأَقْوَال الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون مَا دلّت عليه السمعيات.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوا القَوْل فيهمَا عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يُعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يتدبرونه وَلَا يعقلونه، بل يَقُولُونَ: "نفوض مَعْنَاهُ إِلَى الله" مَعَ اعْتِقَادهم نقيض مَدْلُوله، وَإِذا حُقّق على هَؤُلَاءِ مَا يزعمونه من العقليات الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة وُجدت جهلياتٌ..).

ثم الكتاب والسنة..

القارئ:

(ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوا القَوْل فيهمَا عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يُعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ..).

ثمة فروقات بين النسخ مثلًا في نسختي: (**ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوه عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يُعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ**)؛ وما كان مر أيضًا لهذا نظائر كثيرة، ما كان من هذه الفروقات ليس له تأثير على ذات المعنى لن أقف عنده؛ لأن ليس بيدي نسخة يعني محققة مثلًا على نسخ خطية، ويمكن يجزم الإنسان بما فيها، فالذي ليس له صلة أو تأثير على المعنى في الغالب لن أقف عند ما كان من هذا النوع، أما الشيء الذي له تأثير على السياق، أو على المعنى فهذا لا بد من الوقوف عنده بما يسر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، (**ثمَّ الْكتاب وَالسّنة..**).

القارئ:

(ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوا القَوْل فيهمَا عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يُعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ..).

المعنى واحد، (**ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوه عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يُعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ**)؛ لكن مر علينا نظائر ما أقف عندها من هذا القبيل؛ لأن المعنى متطابق اختلاف في العبارة، أيضًا قبل قليل يعني مر زيادة في النسخة التي معك: (**وَلَكِن بِمَا يرَاهُ ويذوقه ويجده وَنَحْو ذَلِك**)؛ فما أستطيع أن أجزم بشيء؛ لأن ليس بيدي نسخة يمكن.. نعم.. والمعنى مستقيم هكذا وهكذا مستقيم في الزيادة أو بحذفها المعنى مستقيم، عندك: (**وَلَكِن بِمَا يرَاهُ ويذوقه ويجده..**).

القارئ:

(فِي قلبه).

في؟

القارئ:

(قلبه).

نعم، (**ويجده فِي قلبه**).

القارئ:

(مَعَ مَا فِيهِ من غَفلَة عَن الله جَلَّوَعَلَا..).

(**مَعَ مَا فِيهِ من غَفلَة عَن الله وَنَحْو ذَلِك**)؛ هذه ليست عندنا.. لكن المعنى يعني بإثباتها أو بحذفها لا إشكال فيه.

القارئ:

أحسن الله إليك.. (ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوا القَوْل فيهمَا عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يتدبرونه وَلَا يعقلونه، بل يَقُولُونَ: "نفوض مَعْنَاهُ إِلَى الله" مَعَ اعْتِقَادهم نقيض مَدْلُوله، وَإِذا حُقّق على هَؤُلَاءِ مَا يزعمونه من العقليات الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة وُجدت جهلياتٌ واعتقاداتٌ فَاسِدَة، وَكَذَلِك أُولَئِكَ إِذا حُقق عَلَيْهِم مَا يزعمونه من حقائق أَوْلِيَاء الله الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة وجدت من الْأَهْوَاء الَّتِي يتبعهَا أَعدَاء الله لَا أولياؤه).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن بيَّن في فساد ما عليه أولئك، قال: **(وَلَا ريب أَن الْمُشْركين الَّذين كذبُوا الرَّسُول يَتَرَدَّدُونَ بَين الْبِدْعَة الْمُخَالفَة لشرعه وَبَين الِاحْتِجَاج بِالْقدرِ)**؛ وعرفنا أن أولئك الذين تحدث عنهم قبل قليل هم كذلك يترددون بين البدعة وبين الاحتجاج بالقدر، وفي هذا مصداق قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لتتبعن سنن ما كان قبلكم شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا**»، فهذا من اتباع سنن أهل الجاهلية.

قال: **(وَلَا ريب أَن الْمُشْركين الَّذين كذبُوا الرَّسُول يَتَرَدَّدُونَ بَين الْبِدْعَة الْمُخَالفَة لشرع الله وَبَين الِاحْتِجَاج بِالْقدرِ على مُخَالفَة أَمر الله، فهؤلاء الْأَصْنَاف فِيهِم شبهٌ من الْمُشْركين، إِمَّا أَن يبتدعوا، وَإِمَّا أَن يحتجوا بِالْقدرِ، وَإِمَّا أَن يجمعوا بَين الْأَمريْنِ)**؛ والمشركون وقعوا في ابتداع أمور كثيرة، ووقعوا أيضًا في الاحتجاج على باطلهم بالقدر.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

من الأمثلة على وقوع المشركين في ذلك وأن هذا هو حالهم، قول الله تعالى: (﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:28]، وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:148])؛ فهذه الآية والآية التي قبلها فيها احتجاج المشركين على باطلهم بالقدر.

وأما الأدلة على كونهم ابتدعوا أشياء في الدين مخالفة لشرع الله فكثيرة جدًا يذكرها شيخ الإسلام بقوله: (وَقد ذَكَرَ عَن الْمُشْركين مَا ابتدعوه من الدَّين الَّذِي فِيه؛ تَحْلِيل الْحَرَام وَالعبادَة التي لم يشرعها الله، بمثل قَوْله: ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:138]، إِلَى آخر السُّورَة، وَكَذَلِكَ الآيات فِي سُورَة الْأَعْرَاف)؛ وساقها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مثل الفحشاء، وتحريم الزينة التي أحلها الله لعباده وغير ذلك، فهذه الآيات فيها دليل على أنهم ابتدعوا من الدين ما لم يشرعه الله في تحليل الحرام والعبادة بما لم يشرع الله، والآيات الأول فيها احتجاج المشركين على باطلهم بالقدر، وقد عرفنا فيما سبق أن أولئك المبتدعة وقعوا في هذين

النوعين من الباطل ابتدعوا أشياء في الدين ما أنزل الله بها من سلطان، وأيضًا احتجوا على أعمالهم بالقدر نظير احتجاج المشركين الأول.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهَؤُلَاء قد يسمُّون)**؛ يعني هؤلاء المبتدعة الضلال، **(قد يسمُّون مَا أحدثوه من الْبدع حَقِيقَة كَمَا يسمُّون مَا يشْهدُونَ من الْقدر حَقِيقَة)**؛ يعني نوعي الباطل الذي وقعوا فيه الابتداع يسمونه حقيقة، وشهود القدر الذي يعطلون بها الأمر والنهي أيضًا يسمونه حقيقة.

(وَطَرِيق الْحَقِيقَة عِنْدهم: هُوَ السلوك الَّذِي لَا يتَقَيَّد صَاحبه بِأَمْر الشَّارِع وَنَهْيه، وَلَكِن بِمَا يرَاهُ ويذوقه ويجده وَنَحْو ذَلِك، وَهَؤُلَاء لَا يحتجون بِالْقدرِ مُطلقًا بل عمدتهم اتِّبَاع آرائهم وأهوائهم وجعلُهم لمَا يرونه ويهوَونه حَقِيقَة)؛ كما سبق بيان ذلك في كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

(وأمرهم باتباعها دون اتِّبَاع أَمر الله وَرَسُوله نَظِير بدع أهل الْكَلَام من الْجَهْمِية)؛ الآن يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقارن بين حال الطرقية من المتصوفة وبين الجهمية أرباب الكلام، أولئك يجعلون سلوكهم الباطل الذي يمارسونه يعدونه حقيقة، وهؤلاء أيضًا الجهمية يعدون العقليات التي يزعمونها يعدونها أيضًا حقيقة ويعتبرونها حقائق.

يقول: **(هذا نَظِير بدع أهل الْكَلَام من الْجَهْمِية وَغَيرهم الَّذين يجْعَلُونَ مَا ابتدعوه من الْأَقْوَال الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسُّنة حقائق عقلية)**؛ بدع الجهمية يسميها الجهمية حقائق عقلية، وبدع أولئك الطرقية يسمونها حقائق سلوكية،

فكلٌ يدعي أنما هو عليه حقيقة؛ فالجهمية يعتبرون بدعهم (**الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسُّنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون مَا دلّت علية السمعيات**)؛ يعني: دون ما دل عليه الكتاب والسنة.

ثم ماذا يصنع الجهمية في آيات القرآن، وأحاديث الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المخالفة لما توصلوا إليه بعقلياتهم، ماذا يفعلون بها؟ قال: (**إِمَّا أَن يحرفوه عَن موَاضعه، وَإِمَّا أَن يعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يتدبرونه**)؛ إما أن يحرفوا الآيات، أو على طريقة الآخرين يفوضون معانيها بالإعراض عنها بالكلية (**فَلَا يتدبرونه وَلَا يعقلونه، بل يَقُولُونَ: "نفوض مَعْنَاهُ إِلَى الله"**)؛ وكل نصٍ أوهم التشبيه أوله أو فوضه (01:13:46) إحدى الطريقتين.

(**بل يَقُولُونَ: "نفوض مَعْنَاهُ إِلَى الله" مَعَ اعْتِقَادهم لنقيض مَدْلُوله**)؛ وهذا يدل على أن المفوض معطل؛ لأنه يعتقد نقيض مدلول النص، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:5]، المفوض ماذا يقول فيها؟ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، المفوض ماذا يقول في هذه الآية؟ يقول: الله أعلم بمعناها، نفوض معناها إلى الله، لا ندري ما معناها، لكن في الوقت نفسه يعتقد أن المعنى الذي تدل عليه الآية الذي هو استواء الله على العرش استواء يليق بجلالة هذا غير صحيح، مثله مثل المؤول، يعتقد أن هذا المعنى غير حق لكن يفوض المعنى، لها معنى غير هذا المعنى الله أعلم به، لكن هذا المعنى الظاهر الذي يُثبت أهل السنة ولا يؤمن به.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

هذا معنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل يَقُولُونَ: "نفوض مَعْنَاهُ إِلَى الله" مَعَ اعْتِقَادهم نقيض مَدْلُوله، وَإِذا حُقّق على هَؤُلَاءِ مَا يزعمونه من العقليات)**؛ يقصد "بهؤلاء" أي: الجهمية ومن على طريقتهم من المتكلمين، **(إِذا حُقّق على هَؤُلَاءِ مَا يزعمونه من العقليات الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسُّنة وُجدت جهلياتٌ واعتقاداتٌ فَاسِدَة، وَكَذَلِكَ أُولَئِكَ إِذا حُقق عَلَيْهِم)**؛ أولئك يعني: أصحاب تلك المزاعم التي هي شهود الحقيقة الكونية وشهود الإرادة، **(إِذا حُقق عَلَيْهِم مَا يزعمونه من حقائق أَوْلِيَاء الله الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسُّنة وجدت من الْأَهْوَاء الَّتِي يتبعهَا أَعدَاء الله لَا أولياؤه)**؛ وقلت لكم قبل قليل: يزعمون أنها حقيقة كونية، يزعمون أن ما توصلوا إليه حقائق كونية شهدوها، والواقع أنها لوثة شيطانية أفسدت عليهم عبادتهم وصلتهم بربهم، وأوقعتهم في الهلاك والردى.

ثم أخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يتحدث عن أصل ضلال هؤلاء، وما سبب هذا الضلال؟ وأيضًا لا يزال الحديث عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ماضيًا في تقرير هذا الأمر.

نكتفي بهذا القدر، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، نسأله جَلَّوَعَلَا أن يوفقنا جميعًا لكل خير، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا..

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجلة وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجلة وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليه من قولٍ أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل، وأن تجعل كل قضاءٍ قضيته لنا خيرًا، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم إنا نسألك رضوانك والجنة، ونعوذ بك من سخطك ومن النار.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم يا ربنا انصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا وحافظًا ومؤيدًا ومعينًا،

اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وأنصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

المجلس السادس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وأصل ضلال من ضل هُوَ بِتَقْدِيم قِيَاسه على النَّص الْمنزَّل من عِنْد الله، وَتَقْدِيم اتِّبَاع الْهوى على اتِّبَاع أَمر الله، فَإِن الذَّوْق والوجد وَنَحْو ذَلِك هُوَ بِحَسب مَا يُحِبهُ العَبْد فَكل محبٍ لَهُ ذوقٌ وَوجدٌ بِحَسب محبته).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من يسمون ما أحدثوه من بدع حقيقة، وأنهم شهدوا الحقيقة الكونية، وأنها بزعمهم تقتضي عدم فعل المأمور وترك المحظور، وذكر أن هؤلاء في فسادهم نظيرهم في الانحراف أرباب بدعة الكلام؛ فهؤلاء بدعتهم عملية، وأولئك بدعتهم علمية، فهؤلاء فسادهم من جهة النظر، وأولئك فسادهم من جهة الذوق.

لما ذكر هؤلاء وأولئك، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأصل ضلال من ضل هُوَ تَقْدِيم قِيَاسه على النَّص الْمنزل من عِنْد الله، واختياره الْهوى على اتِّبَاع أَمر الله)**؛ هذا أصل

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ضلال من ضل؛ إما أن يضل من جهة الأقيسة الفاسدة، الأقيسة العقلية الفاسدة التي يقدمها على النص، أو يضل من جهة الذوق والوجد، إما هذا أو هذا، فضلال من ضل لا يخرج عن هذين الأصلين في الفساد؛ إما الظنون، إما الأقيسة الفاسدة المقدمة على النص، وحقيقة هذه الأقيسة أنها ظنونٌ وتخرصاتٌ وأوهام يعارضون بها كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأرباب تلك الأقيسة متبعون للظن، والظن لا يُغني من الحق شيئًا.

والقسم الآخر الذين يتبعون الذوق والوجد هم في الحقيقة يتبعون أهوائهم ومشتهيات نفوسهم، وما تميل إليه رغباتهم؛ فهذا أصل ضلال من ضل، وقد جُمع بين هذين النوعين اللذين هما أصل الضلال جُمع بينهما في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم، من الآية:23]، فكل فساد لا يخرج عن هذا، إما إتباع للظن، أو ابتاع لما تهواه الأنفس.

إتباع الظن يعني: فساد العلم، وإتباع ما تهواه الأنفس يعني: فساد العمل، والضلال إما هذا أو هذا، أو من مجموع الأمرين معًا، إتباع الظن فسادٌ في العلم، وإتباع ما تهواه الأنفس فسادٌ في العمل، وكل انحرافٍ راجعٌ إلى هذا أو هذا، أو راجعٌ إليهما معًا.

وأرباب الكلام فسادهم من جهة إتباع الظن، وأرباب التصوف والطرقية فسادهم من جهة إتباع ما تهواه الأنفس، وكلٌّ من الفئتين معرضًا عن كتاب ربه، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:23]، جاءهم الهدى لكن ذاك

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اتبع الظن وهذا اتبع ما تهواه نفسه معرضين عن كلام الله وكلام رسوله - صلوات الله وسلامه عليه-؛ هذا معنى قوله: (**وأصل ضلال من ضل هُوَ تَقْدِيم قِيَاسه على النَّص الْمنزل من عِنْد الله، واختياره الْهوى على اتِّبَاع أَمر الله**)؛ تقديم قياسه هذا نوع، واختياره الهوى هذا نوعٌ آخر، فيحسن أن ترقم حتى تتنبه لها، أصل ضلال من ضل هو:

1. تقديم قياسه على النص المنزَّل من عند الله.

2. واختياره الهوى على اتباع أمر الله.

تقديم القياس هذا فساد في العلم واتباع للظن، واختيار الهوى على اتباع أمر الله هذا فساد في العمل، وكل فسادٍ يقع وانحرافٍ يوجد مرجعه إلى هذين الأمرين، وقد جُمع بينهما كما قدمت في قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم، من الآية: 23].

قال: (**فَإِن الذَّوْق والوجد وَنَحْو ذَلِك هُوَ بِحَسب مَا يُحِبهُ العَبْد، فَكل محبٍ لَهُ ذوقٌ وَوجدٌ بِحَسب محبته**)؛ إذًا الذوق وحده والوجد وحده مجردًا لا يعتبر مقياسًا تُقاس به الأمور بحيث يُعرف أن هذا حق وباطل؛ ليُتنبه لذلك! يعني أرباب السلوكيات الباطلة في مثلًا ما يمارسونه من أذكار مبتدعة، أو توسلات محدثة، أو رسوم أيضًا باطلة أو نحو ذلك يسوغونها لأنفسهم بماذا؟ بأنهم يحسون لها وجدًا وذوقًا وحلاوةً وطعمًا بهذا يبررون لها لأنفسهم ولأتباعهم، يقولون: نحن نجد لها ذوق، نجد لها حلاوة، نجد لها طعمًا، فمجرد الذوق

والوجد والحلاوة المزعومة ليست مقياسًا؛ لأن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يُحب العبد.

فمثلًا: إذا كان يحب بدعة من البدع ومارسها، مارس تلك البدعة نفسه تحس بتفاعل معها، تأثر، تذوق لها، تذوق الإنسان لشيء ليس دليلًا على صحة ذلك الشيء، لا سيما إذا كان فم المتذوق مريضًا، فإذا كان القلب فاسدًا بالأهواء لا شك أنه سيجد للأهواء ذوقًا، سيجد للأهواء طعمًا، فهل كونه وجد لها ذوقًا أو طعمًا هل هذا دليل على صحتها؟ إذًا بطل قولهم في الاحتجاج على صحة مسالكهم بأنهم يجدون لها ذوقًا، أو طعمًا، أو حلاوةً، أو نحو ذلك، (**فَإِن الذَّوْق والوجد وَنَحْو ذَلِك هُوَ بِحَسب مَا يُحِبهُ العَبْد، فَكل محبٍ لَهُ ذوقٌ وَوجدٌ بِحَسب محبته**)؛ أي: بغض النظر عن كون ما يحبه حق أو باطل، هدى أو ضلال، فإذًا الذوق والوجد مجردًا لا يعد مقياسًا.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (فَأهل الْإِيمَان لَهُم من الذَّوْق والوجد مثل مَا بيّنه النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**ثَلَاثٌ من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد أن أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار**»، وَقَالَ فِي الحديث الصحيح: «**ذاق طعم الْإِيمَان من رَضِي بِالله رَبًّا، وَبِالْإِسْلَام دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبيًا**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَأما أهل الْكفْر والبدع والشهوات فَكلٌ بِحَسبِهِ، قيل لِسُفْيَان بن عُيَيْنَة: مَا بَال أهل الْأَهْوَاء لَهُم محبَّةٌ شَدِيدَةٌ لأهوائهم؟ فَقَالَ: أنسيت قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة، من الآية:93]، أَو نَحْو هَذَا من الْكَلَام، فعبّاد الْأَصْنَام يحبونَ آلِهَتهم كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165]، وَقَالَ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة القصص، من الآية:50] ، وَقَالَ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:23]، وَلِهَذَا يمِيل هَؤُلَاءِ إلى سَمَاع الشّعْر والأصوات الَّتِي تهيج الْمحبَّة الْمُطلقَة الَّتِي لَا تخْتَص بِأَهْل الْإِيمَان بل يشْتَرك فِيهَا محب الرَّحْمَن، ومحب الْأَوْثَان، ومحب الصلبان، ومحب الأوطان، ومحب الإخوان، ومحب المردان، ومحب النسوان، وَهَؤُلَاء الَّذين يتبعُون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعْتِبَارٍ لذَلِك بِالْكتاب وَالسّنة وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سلف الْأمة).

لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن كل محب له ذوق ووجد بحسب ذوقه نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الفرقان العظيم، والبون الشاسع بين حب أهل الإيمان وحب غيرهم، أهل الإيمان في قلوبهم حب لله ولما يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا الحب حب ذلٍ وعبوديةٍ وخضوعٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو يثمر لصاحبه كل خيرٍ في الدنيا

والآخرة، ففرقٌ بين هذا الحب وما يثمره من لذةٍ وحلاوةٍ وهناءةٍ وسعادة في الدنيا والآخرة، وبين حب أولئك الذي يملأ قلوبهم لكنه لا يثمر إلا شرًا وفسادًا وضلالًا وانحرافًا، فكل محبٍ له ذوق ووجدٌ بحسب محبته.

(**فَأهل الْإِيمَان**)؛ هذا من باب التوضيح، يقول: (**فَأهل الْإِيمَان لَهُم من الذَّوْق والوجد مثل مَا بيَّنه النَّبِي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بقوله فِي الحَدِيث**: «**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد**»)؛ هذا موضع الشاهد («**وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَمن يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذ أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يُلقى فِي النَّار**»)؛ وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «**ذاق**»؛ وهذا أيضًا موضع شاهد الذوق، («**ذاق طعم الْإِيمَان من رَضِي بِالله رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَبيًا**»)؛ فإذًا صاحب الإيمان يجد ذوقًا ويجد وجدًا، ذوقًا لطعم الإيمان، ويجد وجدًا يجد حلاوة الإيمان، فصاحب الإيمان يجد ذلك ويحس قلبه بذلك، ويهنأ قلبه بذلك بحسب ما يمكن الله عَزَّ وَجَلَّ للإيمان في قلبه، فكل ما قامت هذه المعاني معاني الإيمان في قلبه وجد من حلاوة الإيمان بحسب ذلك، فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذين الحديثين، حديث: «**وجد حلاوة الإيمان**»، وحديث: «**ذاق طعم الإيمان**»، هذا بالنسبة لأهل الإيمان.

قال: (**وَأما أهل الْكفْر والبدع والشهوات**)؛ انظر ثلاثة، أهل كفر، وأهل البدع، وأهل الشهوات، فكلٌ من هؤلاء يجد وجدًا ويجد حلاوة حتى صاحب الكفر يجد حلاوةً أو وجدًا تتعلق بكفره، وقلبه يمتلئ حبًا لمعبوده، أو لوثنه، أو لصنمه أو غير ذلك، وكذلك صاحب البدعة يجد ذوقًا في نفسه الممرضة بالأهواء والبدع بالبدعة التي يمارسها، وتجد أنه سبحان الله! تجد أنه إذا بلغته السنة يشمئز منها، ونفسه تنفر منها، وإذا سمع بالبدعة التي هواها قلبه فرح قلبه بها واستبشر وأقبل عليها.

وصاحب الكفر إذا ذُكر الله وحده اشمئز قلبه ونفرت نفسه، وإذا ذُكرت المعبودات من دون الله؛ عجل، أو صنم، أو وثن، أو غير ذلك يبتهج قلبه، وإذا ذكر الله وحده اشمئز قلبه ونفرت نفسه.

وأصحاب الشهوات أيضًا، أصحاب الشهوات قُل فيهم مثل ذلك، إذا ذكر لصاحب الشهوة من يعشقه في الباطن والحرام والضلال يبتهج قلبه، إذا ذُكر عنده أهل الفضل وأهل الخير يشمئز وينفر، وإذا رآهم تنقبض نفسه منهم، وإذا رأى من يعشقه في الباطل فاستبشر قلبه وأحس بابتهاج وأنس بذلك، فأهل الكفر والبدع والشهوات. (**كلٌّ بِحَسبِهِ**)؛ كلٌّ عنده محبة وتذوق ونحو ذلك لما هو عليه من باطل.

اسمع كلمة سفيان عجيبة جدًا، سفيان بن عيينة، (**قيل له: مَا بَال أهل الْأَهْوَاء لَهُم محبَّةٌ شَدِيدَةٌ لأهوائهم؟**)؛ هذا سائل يتعجب من أهل الأهواء؛ يعني أنهم

أصحاب بدع وضلالات، لكن قلوبهم تحب تلك البدع حبًا شديدًا، ما السبب؟ ما سبب ذلك؟ ما بالهم يحبون أهوائهم وبدعهم حبًّا شديدًا؟ قال له سفيان: (أنسيت قَوْل الله تَعَالَى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة، من الآية:93])؛ أي: بني إسرائيل، بنو إسرائيل أشربوا في قلوبهم العجل أي: تشربت قلوبهم حب العجل، بمعنى أن قلوبهم امتلأت حبًا للعجل ذاك اللي اتخذوه معبودًا لهم، وفي فترة وجيزة امتلأت قلوبهم حبًا له حتى وصفوا كما جاء في الآية ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾؛ أي: أشربوا حبًا للعجل، تشربت قلوبهم وامتلأت بحب العجل، والعجل اتخذوه معبودًا لهم من دون الله، حتى قال لهم السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [سورة طه، من الآية:88]، هذا الذي اتخذوه معبود، وقلوبهم أُشربت حبه عندما ينظر الإنسان ويتأمل وإذا هو عجل، عجل! تعرفون معنى عجل ولا لا؟! عجل، وقلوبهم أشربت حبًا له وذلًا وعبوديةً وخضوعًا له، هذا الكون العظيم، والآيات الباهرات، والسماوات، والأرض، والكون، والشواهد على رب الأرض والسماوات؛ كل هذا غفلوا عنه وقلوبهم أُشربت حب العجل، نظير ذلك ما قال إلياس لقومه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:125-126].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فصاحب الباطل يُشرب قلبه بالهوى وحب الباطل حتى يبلغ مثل هذا المبلغ، هذا عجل وقلوبهم أُشربت حبه، سبحان الله! فإذا كان وُجد في الناس من تاه في باب الحب هذا التيه وضل فيه هذا الضلال، إذًا لا غرابة أن يكون صاحب الهوى، أو صاحب الكفر، أو صاحب أيضًا الشهوة يحب باطلة، أو شهوته، أو كفره حبًا شديدًا ليس بمستغرب، بل أزيد من ذلك يعني يدافع بعضهم عن باطله إلى أن يموت شهيدًا في سبيل، أي: قتيلًا في سبيل باطله! يضحي بنفسه بروحه بحياته في سبيل باطله، ويكون عنده جلد في باطله وضلاله.

(**فعبَّاد الأَصْنَام**)؛ يقول شيخ الإسلام: (**يحبونَ آلِهَتهم كَمَا قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165])؛ أي: يسوونهم بالله في المحبة، يحبونهم كما يحبون الله، وهذا تسوية في المحبة التي هي روح العبودية والذل بين الأصنام ورب العالمين.

ولهذا يوم القيامة إذا دخل هؤلاء النار يندمون على هذه التسوية ندامة لا تفيدهم يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:97-98]، سووا بينهم وبين الله في المحبة، أي: أن ما قام في قلبهم من حبٍ لله وحبٍ لأصنام متساوي، لا إله إلا الله، حجر وصنم ووثن من الأوثان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا موتًا ولا نشورًا ويقوم في قلوب هؤلاء حبًا شديدًا له مساويًا لحبهم الله، كحب الله يسوون بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في المحبة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165]، أي: من حب المشركين لله؛ لأن الذين آمنوا حبهم لله خالص وحب المشركين لله في تسوية بين الله وغيره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قبل أن ننتقل الآية التي مرت: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [سورة البقرة، من الآية:93]، أي: بسبب كفرهم ماذا بعدها؟ تأمل فيما بعدها عجب، الآن هؤلاء استحضر معي صفتهم، الله وصفهم بأنهم ماذا؟ ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:93] يعني: قلوبهم امتلأت حبًا للعجل، وتقديسًا له، وتعظيمًا، وذلًا، وكفرًا به، وتسويةً له بالله! عبدوه من دون الله، ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:93]، مع ذلك يدعون أنهم مؤمنين، ولهذا ترى هذه حال عامة أهل الباطل، تجده مشرب قلبه نوعًا من الباطل ربما يكون ناقل من الملة مخرج من حظيرة الدين، ويرى نفسه أحسن الناس إيمانًا، وأقومهم طريقةً، وأهداهم سبيلًا، وهذه مصيبة المصائب أن يكون الإنسان في أشد ما يكون من الضلال والباطل ويرى نفسه أحسن الناس طريقة وأهداهم سبيلًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ تعالى**: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ [سورة القصص، من الآية:50])؛ أي فيما تدعوهم إليه من التوحيد والإيمان والإخلاص لله والبراءة من عبادة

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الأوثان، (﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [سورة القصص، من الآية:50])؛ أي: لا يتبعون حجة وليس عندهم وحي منزل، وليس عندهم على عملهم برهان، إنما يتبعون أهوائهم، (﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة القصص، من الآية:50]، **وَقَالَ تعالى**: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:23])؛ في هذه الآية جُمع بين أصلي الفساد والانحراف، إما اتباع للظن وهذا فساد في العلم، أو إتباع لما تهواه الأنفس وهذا فساد في العمل والسلوك.

(**وَلِهَذَا يمِيل هَؤُلَاءِ**)؛ أرباب هذه المحبة الفاسدة سواءً أهل الكفر، أو أهل البدع، أو أهل الشهوات، (**يمِيل هَؤُلَاءِ إلى سَمَاع الشّعْر والأصوات الَّتِي تهيج الْمحبَّة الْمُطلقَة**)؛ يحب أن يسمع أصواتًا جميلة، أو أشعارًا جميلة تهيج فيه هذه المحبة المطلقة. (**الَّتِي لَا تخْتَص بِأَهْل الْإِيمَان بل يشْتَرك فِيهَا محب الرَّحْمَن، ومحبة الْأَوْثَان، ومحبة الصلبان، ومحبة الأوطان، ومحبة الإخوان، ومحبة المردان، ومحبة النسوان، وَهَؤُلَاء الَّذين يتبعُون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعْتِبَارٍ لذَلِك بِالْكتاب وَالسّنة وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سلف الْأمة**)؛ أي: أن هذه حال هؤلاء.

أما الذي يعتبر الأمر بالكتاب والسنة لو مالت نفسه إلى أمرٍ أحبته، أو مالت إليه، أو اشتهته ما يقف عند هذا الحب، أو هذا الميل، أو هذه الشهوة مجردًا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ماذا يصنع؟ يزنه أولًا بالكتاب والسنة، إذا وجد أن الكتاب والسنة يؤيد هذا النوع أو هذا العمل عمله، وإذا كان لا يؤيده، أو أن العمل يعارض الكتاب والسنة أعرض عنه حتى وإن كانت نفسه فيها مثلًا ميلٌ إليه أو رغبةٌ فيه، بينما أولئك طريقتهم أن الشيء الذي تهواه النفس وتميل إليه هو الحق الذي ليس حقٌ سواه.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (فالمخالف لما بعث الله بِهِ رَسُوله من عِبَادَته وَحده وطاعته وَطَاعَة رَسُوله لَا يكون مُتبعًا لدينٍ شَرعه الله أبدًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الجاثية، من الآية:18-19]، بل يكون مُتبعًا لهواه بِغَيْر هدى من الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:21]، وهم فِي ذَلِك تَارَة يكونُونَ على بِدعَة يسمونها حَقِيقَة يقدمونها على مَا شَرعه الله، وَتارَةً يحتجون بِالْقدرِ الكوني على الشَّرِيعَة كَمَا أخبر الله بِهِ عَن الْمُشْركين كَمَا تقدم).

هنا ينبه شيخ الإسلام ويُبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بيانًا في مقام التحذير من مسالك أولئك، يعني كأنه يقول: دعك من هؤلاء واحذر سبيلهم، (**فكل مخالف لما بعث الله بِهِ رَسُوله من عِبَادَته وَحده وطاعته وَطَاعَة رَسُوله لَا يكون مُتبعًا**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

للدينِ الذي شَرعه الله)؛ وإن سماه وجدًا، أو ذوقًا، أو حقيقةً، أو غير ذلك من الأسماء التي يلمعون بها باطلهم، ويزينون بها ضلالهم كل هذا لا يشفع لهم في صحة ما يدعون إليه، أو يميلون إليه.

(فكل مخالف لما بعث الله بِهِ رَسُوله من عِبَادَته وَحده وطاعته وَطَاعَة رَسُوله لَا يكون مُتبعًا للدينِ الذي شَرعه الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الجاثية، من الآية:18-19]، **بل يكون مُتبعًا لهواه بِغَيْر هدى من الله)**؛ أي: أن كل مخالف لما بعث الله به الرسل من التوحيد، وطاعته سبحانه، وطاعة رسله -عليهم صلوات الله وسلامة- كل مخالف لهؤلاء هو في الحقيقة متبع لهواه، مثل ما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة القصص، من الآية:50]، فكل مخالف هو في الحقيقة متبع لهواه.

قال: (﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:21])؛ قال: **(وهم فِي ذَلِك)**؛ أي: في ذلك الضلال الذي هم فيه، **(تَارَةً يكونُونَ على بِدعَة يسمونها حَقِيقَة يقدمونها على مَا شَرعه الله، وَتارَةً يحتجون بِالْقدرِ الكوني على شَّرِيعَة الله)**؛ يعني في فساد هؤلاء:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

- إما أن يبتدع بدعة يسميها حقيقة يقدمها على الشريعة، ويفضلها على الشريعة، ويعمل بها ما لا يعمل بالشريعة، هذا مسلك.
- مسلك آخر أنه يحتج بالقدر في أعماله الباطلة، في أفعاله السيئة إلى غير ذلك إذا نوقش فيها يقول: هذا أمر مكتوب ومقدر، لو شاء الله ما فعلت هذا.

فإما أن يبتدع بدعة يسميها حقيقة ويقدمها على شرع الله، أو أنه يحتج على الباطل الذي هو فيه، والمخالفة التي هو فيها بالقدر، ويقول: هذه أمور مقدرة وأمور كونية ولا مناص من شيءٍ قُدر وكتب علي.

(وَتارَةً يحتجون بِالْقدرِ الكوني على شَّرِيعَة الله كَمَا أخبر بِهِ تعالى عَن الْمُشْركين كَمَا تقدم)؛ ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [سورة الزخرف، من الآية:20]، ونظائرها من آياتٍ تقدم ذكرها عند شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمن هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هم أعلاهم عِنْدهم قدرًا، وَهُم مستمسكون بِمَا اخْتَارُوا بهواهم من الدَّين..).

(عِنْدهم)؛ كأنها زائدة، ليست عندي..

القارئ:

(وَمن هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هم أعلاهم عِنْدهم قدرًا، وَهُم مستمسكون بِمَا اخْتَارُوا بهواهم من الدَّين فِي أَدَاء الْفَرَائِض الْمَشْهُورَة وَاجْتنَاب الْمُحرمَات

الْمَشْهُورَة، لَكِن يضلون بترك مَا أمروا بِهِ من الْأَسْبَاب الَّتِي هِيَ عبَادَة ظانين أَن الْعَارِف إِذا شهد الْقدر أعرض عَن ذَلِك، مثل من يَجْعَل التَّوَكُّل مِنْهُم أَو الدُّعَاء وَنَحْو ذَلِك من مقامات الْعَامَّة دون الْخَاصَّة بِنَاءً على أَن من شهد الْقدر علم أَن مَا قُدر سَيكون فَلَا حَاجَة إِلَى ذَلِك، وَهَذَا ضلالٌ مُبين وغلطٌ عظيم).

نعم.. أكمل..

القارئ:

(فَإِن الله قدر الْأَشْيَاء بأسبابها كَمَا قدر السَّعَادَة والشقاوة بأسبابها، كَمَا قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِن الله خلق للجنة أَهلًا خلقهَا لَهُم وهم فِي أصلاب آبَائِهِم وبعمل أهل الْجنَّة يعْملُونَ، وَخلق للنار أَهلًا خلقهَا لَهُم وهم فِي أصلاب آبَائِهِم وبعمل أهل النَّار يعْملُونَ**»، وكما قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أخبرهُم بِأَن الله كتب الْمَقَادِير فَقَالُوا: يَا رَسُول الله أَفلا نَدع الْعَمَل ونتكل على الْكتاب؟ فَقَالَ: «**لَا اعْمَلُوا فكلٌ ميسر لما خلق لَهُ، أما من كَانَ من أهل السَّعَادَة فسييسر لعمل أهل السَّعَادَة، وَأما من كَانَ من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة**»، فَكل مَا أَمر الله بِهِ عباده من الْأَسْبَاب فَهُوَ عبَادَة، والتوكل مقرونٌ بِالْعبَادَة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾[سورة هود، من الآية:123]، وَفِي قَوْله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾[سورة هود، من الآية:123]، وَقَول شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[سورة هود، من الآية:88]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمن هَؤُلَاءِ**)؛ ذهبت عن نظري، وفي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمن هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هم أعلاهم قدرًا**)؛ يظهر لي أن في النسخة الأخرى عندهم زائدة؛ لأن ليس المراد هنا أن هؤلاء عند أولئك الضلال أعلاهم قدرًا، وإنما يقصد شيخ الإسلام أن هؤلاء الذي سيتحدث عنهم أعلى هؤلاء قدرًا، قوله: (**أعلاهم قدرًا**)؛ مثل قول أهل العلم لما يتكلمون عن بعض الأحاديث يقولون: أصح ما في الباب، أصح ما في الباب، هل يلزم أن يكون ما قيل فيه أصح ما في الباب أنه صحيح؟ أو أحسن ما قيل في هذا هل يلزم منه أنه حسن؟ يعني أن أقوال اجتمعت مثلًا في الخطأ وأحاديث يعني اجتمعت في الضعف لكن أجودها وهو ضعيف، أو أحسنها وهو ضعيف هذا الحديث مثلًا، هذا مصطلح معروف عند أهل العلم، فلما يقول هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَمن هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هم أعلاهم قدرًا**)؛ لا يعني عندما قال: (**هم أعلاهم قدرًا**)؛ علو قدرهم، لا يعني ذلك، ولهذا بعد قليل سيأتي التنبيه على بطلان ما عليه هؤلاء، لكن فساد هؤلاء منوع، وأعلى هؤلاء قدرًا من عندهم تمسك بفرائض وواجبات تجنب لمحرمات لكن عندهم فساد في هذا الباب من جهةٍ أخرى نبه عليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**وَمن هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هم أعلاهم قدرًا وَهُم مستمسكون بالدين فِي أَدَاء الْفَرَائِض الْمَشْهُورَة، وَاجْتنَاب الْمُحرمَات الْمَشْهُورَة، لَكِن يغلطون فِي ترك مَا أمروا بِهِ من الْأَسْبَاب الَّتِي هِيَ عبَادَة**)؛ يتركون ما أُمروا به من الأسباب التي هي العبادة، تجدهم أهل ديانة محافظة على الواجبات، ومحافظة على

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الفرائض، تجنب للمحرمات، تجده على ديانة عظيمة جدًا، لكن تجده في باب الأسباب عنده خلل، وهذا معروف حتى في زماننا هذا تجد أناس فيهم تعبد، فيهم ديانة، فيهم تجنب للمحرمات، بعد عن الآثام إلى آخر ذلك، لكن عنده خلل في هذا الباب، تجده معطل لما أمره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما أمره الله به من فعل الأسباب ومباشرةٍ لها.

(لَكِن يغلطون فِي ترك مَا أُمروا بِهِ من الْأَسْبَاب الَّتِي هِيَ عبَادَة ظانين أَن الْعَارِف إِذا شهد الْقدر أعرض عَن ذَلِك)؛ يعني: تجده يصلي، يصوم، لا يقع في الفواحش والمحرمات، لكن مثلًا لا يعمل، ولا يبذل الأسباب التي طُلب منه شرعًا أن يبذلها وهو مأجور على بذلها مثل كسب الرزق، والعمل في تحصيله، والمشي في مناكبها، والبحث عن مثلًا عن قوته وقوت أولاده إلى غير ذلك هذا كله تجده يعطله، ويقول: الأمر المقدر ماضي، والمكتوب حاصل، ويعطل الأسباب التي أُمر شرعًا ببذلها، نبينا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إمام المتوكلين وكان يبذل الأسباب، وحياته كلها بذل للأسباب -صلوات الله وسلامه عليه-.

فهؤلاء **(يغلطون فِي ترك مَا أمروا بِهِ من الْأَسْبَاب الَّتِي هِيَ عبَادَة ظانين أَن الْعَارِف إِذا شهد الْقدر أعرض عَن ذَلِك)**؛ يعتبرون هذا من تمام الإمام بالقدر أن يعطلوا الأسباب.

(مثل من يَجْعَل التَّوَكُّل مِنْهُم، أَو الدُّعَاء أَوَ نَحْو ذَلِك من مقامات الْعَامَّة)؛ التوكل والدعاء يعتبره من مقامات العامة، يقسم الناس إلى عامة وخاصة، العامة هو الذي يحتاج إلى توكل أو دعاء، لكن من يشهد الحقيقة الكونية ويشهد القدر، يقول: لا يحتاج إلى أن يشغل نفسه بطلب العون، أو طلب التوفيق، أو طلب التسديد والهداية ما يحتاج؛ لأنه شهد الحقيقة الكونية فما يحتاج إلى ذلك، لا يحتاج إلى ذلك، والاشتغال بذلك هو من صنيع العامة، أما الخواص الذين شهدوا الحقيقة الكونية، العارفين الذين شهدوا الحقيقة الكونية لا يحتاجون إلى ذلك.

يقول: **(ونَحْو ذَلِك من مقامات الْعَامَّة دون الْخَاصَّة بِنَاءً على أَن من شهد الْقدر علم أَن مَا قُدر سَيكون لَا حَاجَة إِلَى ذَلِك)**؛ مثل قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ يحبك: «**لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»، عند هؤلاء لا حاجة إليه، وإنما يحتاجها العامة، أما من شهد القدر لا يحتاج أصلًا أن يدعو بمثل هذا الدعاء، اللهم أعني، اللهم وفقني، اللهم سددني، اللهم أعذني، كل هذا لا يحتاج إليه.

قال: **(وَهَذَا غلطٌ عظيم، فَإِن الله قدر الْأَشْيَاء بأسبابها كَمَا قدر السَّعَادَة والشقاوة بأسبابها، كَمَا قَالَ النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِن الله خلق للجنة أَهلًا خلقهَا لَهُم وهم فِي أصلاب آبَائِهِم وبعمل أهل الْجنَّة يعْملُونَ»)**؛ هذا موضع الشاهد، (**«وبعمل أهل الْجنَّة يعْملُونَ»**)؛ خُلقوا للجنة وبعمل أهل الجنة

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يعملون، الله عَزَّوَجَلَّ ييسر لهم العمل وهم بتوفيقٍ من الله يبذلون الأسباب التي ينالون بها الجنة وثواب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: («**وَخلق للنار أَهلًا خلقهَا لَهُم وهم فِي أصلاب آبَائِهِم وبعمل أهل النَّار يعْملُونَ**»، وكما **قَالَ النَّبِي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لما أخْبرهُم بِأَن الله كتب الْمَقَادِير، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله أَفلا نَدع الْعَمَل ونتكل على الْكتاب؟**)؛ انتبه الآن لهذا السؤال الذي طرحه الصحابة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مما يُبين لك أن الإنسان إذا قوم الأمور بفهمه المجرد دون أن يعتمد على الشرع الحكيم يزل في هذا الباب، الصحابة قالوا: (**يَا رَسُول الله أَفلا نَدع الْعَمَل ونتكل على الْكتاب؟**)؛ ما دام إنه مكتوب ومقدر وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة كتبه الله، قالوا: ألا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ يعني: نتكل على ما كتب علينا سابقًا؟ فماذا أجابهم؟ قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: («**لَا**»)؛ يعني: لا تدعوا العمل، بل اعملوا.

(«**لَا اعْمَلُوا فَكلٌ ميسر لما خلق لَهُ، أما من كَانَ من أهل السَّعَادَة فسييسر لعمل أهل السَّعَادَة، وَأما من كَانَ من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة**»)؛ انظر إلى يعني ما قد يقع في هؤلاء الذين يزعمون أنهم شهدوا الحقيقة الكونية، ويقول: أنا ماضي على الشيء المقدر، ماذا يدريك عن المقدر تلاحق أيامك ومستقبل حياتك، المقدر نعم مكتوب لكن أنت ما تدري عنه، إذًا المقدر مكتوب الذي هو مجهول بالنسبة إليك ولا تدري ما هو، ما

المطلوب نحوك؟ ما المطلوب منك نحوه؟ وهو أمر مجهول لا تدري ما هو، لا تدري ماذا يختم لك، وما تدري ما يؤول إليه أمرك، ما تدري ما هي الفتن التي تشاهدها وتعاينها أو تسلم منها، أنت ما تدري ماذا، إذًا ما المطلوب منك؟ (**«اعْمَلُوا فَكلٌ ميسر لما خلق لَهُ»**)؛ هذا هو المطلوب، المطلوب أن يعمل، أن يجاهد نفسه على الأعمال الصالحة المقربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي الوقت نفسه يستعين بالله فإن كلًا ميسر لما خُلق له، إذًا المطلوب في هذا المقام أمران أصلان بهما النجاة:

الأول: بذل الأسباب.

والثاني: التوكل على الله، وجمع بينهما في الحديث، (**«اعْمَلُوا فَكلٌ ميسر لما خلق لَهُ»**)؛ نظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [سورة هود، من الآية:123]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، وقوله في الحديث: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»، وقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الآخر: «**أعقلها وتوكل**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

قال: (**فمَا أَمر الله بِهِ عباده من الْأَسْبَاب هُوَ عبَادَة، والتوكل مقرونٌ بِالْعبَادَة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى**: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [سورة هود، من الآية:123]، ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [سورة هود، من الآية:123]، **وقال**: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أُنِيبُ ﴾[سورة هود، من الآية:88]**)**؛ فالتوكل عبادة وقُرن في العبادة في مواضع تبيينًا لأهميته وبيانًا لعظم مكانته.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْهُم طَائِفَة يغترون بِمَا يحصل لَهُم من خرق عَادَة - مثل مكاشفةٍ..

قبل ذلك.. **(وَمِنْهُم طَائِفَةٌ قد تتْرك المستحبات من الْأَعْمَال دون الْوَاجِبَات)**؛ ما عندكم؟

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْهُم طَائِفَةٌ قد تتْرك المستحبات من الْأَعْمَال دون الْوَاجِبَات فتنقص بِقدر ذَلِك).

من هؤلاء **(طَائِفَةٌ قد تتْرك المستحبات من الْأَعْمَال دون الْوَاجِبَات فتنقص بِقدر ذَلِك)**؛ يعني: تنقص من دينها وإيمانها بقدر ذلك، فيكون الترك ليس لواجبًا وإنما لأمور مستحبة، والمستند عند هؤلاء في الترك هو شهود القدر على طريقة السابقين، لكنهم قصروا هذا الأمر على ترك المستحبات، يترك المستحب ويقول: لو كان قُدر لي فعل هذا المستحب لفعلته، الواجب ما يتركه، الواجب لا يتركه يعني يجاهد نفسه على فعله، لكنه يترك المستحبات ثم يبرر لنفسه بأنه لو كان مقدر أو مكتوب لفعلته.

القارئ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْهُم طَائِفَةٌ يغترون بِمَا يحصل لَهُم من خرق عَادَة؛ مثل مكاشفةٍ أَو استجابة دَعْوَة مُخَالفَةٍ للْعَادَة العامة وَنَحْو ذَلِك؛ فيشتغل أحدهم بِهَذِهِ الْأُمُور عَمَّا أَمر بِهِ من الْعِبَادَة وَالشُّكْر وَنَحْو ذَلِك، فَهَذِهِ الْأُمُور وَنَحْوهَا كثيرًا مَا تعرض لأهل السلوك والتوجه، وَإِنَّمَا ينجو العَبْد مِنْهَا بملازمة أَمر الله الَّذِي بعث بِهِ رَسُوله فِي كل وَقت، كَمَا قَالَ الزُّهْرِيّ: كَانَ من مضى من سلفنا يَقُولُونَ: "الِاعْتِصَام بِالسنةِ نجاة"، وَذَلِكَ أَن السّنة كَمَا قَالَ مَالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مثل سفينة نوح من ركبهَا نجا وَمن تخلف عَنْهَا غرق").

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **(وَمِنْهُم طَائِفَة يغترون بِمَا يحصل لَهُم من خرق عَادَة)**؛ أي: قد يحصل لبعض هؤلاء خوارق للعادات، قد تحصل خوارق للعادات إما من باب: **(مكاشفةٍ أَو استجابة دَعْوَة)**؛ يكون مثلًا بشدة أو غيره مثلًا بشدة فيدعو ويجد أن دعوته مستجابة في نفسه وفي غيره وفي آخرين فيغتر، ولهذا الكرامة عندما تحصل للمؤمن الصادق تسره ولا تغره، يُسر بها، يفرح، يأنس، يطمئن، يحمد الله على هذه النعمة، لكن لا تغره، لا يغتر، لا تفتح له باب غرور وعجب بنفسه، وأنا كذا وأنا كذا وأنا كذا إلى آخر لا يغتر، فبعض هؤلاء قد يحصل له الشيء خارق للعادة إما من باب المكاشفة، أو من باب استجابة دعوة، **(مُخَالفَةٍ للْعَادَة العامة وَنَحْو ذَلِك؛ فيشتغل أحدهم بِهَذِهِ الْأُمُور عَمَّا أَمر بِهِ من الْعِبَادَة وَالشُّكْر وَنَحْو ذَلِك)**؛ يعني: يغتر بما حصل من

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أمرٍ خارق للعادة فيغتر بذلك، بل كم من إنسانٍ بسبب بعض هذه الأمور الخارقة للعادة انحرف، انحرف انحرافًا عظيمًا وضل عن سواء السبيل.

وأحيانًا لا تكون خوارق، أحيانًا بعض الناس من الأحوال الشيطانية، بعض الناس أحوال شيطانية تحرفه عن سواء السبيل، أذكر مرةً اتصل بي شخص يعني حتى نتحدث في بعض الأمور من خلال وقائع، اتصل بي شخص، وقال لي: أنا تأتيني مهاتفات بأدعية أو أذكار يأتيني في المهاتفة يقول: حتى لو تريد أي جبل تقلعه من مكانة ينقلع لك! وأي شيء تريده يحصل لك، وكان في أمور يقول لي مثلًا مستعصية وصعبة وجئت بهذا مثلًا الدعاء ومشت، ولم يقف في وجهي مثلًا أمر أو أشياء من هذا القبيل، ومن ضمن الكلام الذي جاءني في المهاتفات آية الكرسي ومعها أشياء أخرى، فكان يسأل عن ذلك.

قلت: الذي يهاتفك شيطان، قال: والشيطان يقرأ آية الكرسي؟ قلت: ما نسيت حديث أبي هريرة؟ صدقك وهو كذوب، أحيانًا الشيطان يأتي بالآية من باب ماذا؟ من باب أنه مثلًا يستدرج الشخص لأمرٍ ما، أو ليصل به إلى أمرٍ ما، أو ليأتي بآية الكرسي ليمزج معها ضلال وباطل امتهانًا للقرآن، وانتقاصًا له فيأتيك بآية الكرسي ويأتي معها بأشياء باطلة، قلت: اقرأ معي اقرأ لهذا الذي جاءك في هذا الهاتف، قرأه علي، قلت: هذا الآن شرك بالله أعطاك آية الكرسي وأعطاك معها الشرك بالله، وهذه طلاسم وكيف ترضى أن تقبل هذا الباطل وتمزجه مع آية الكرسي؟! هذا كله جاءك من الشيطان، فلا تغتر حتى

لو حصل لك بعض الأمور التي من الأحوال الشيطانية لا تغتر بذلك، فبعض الناس ينحرف في هذا الباب ليس من باب خرق العادة الذي يتحدث عنه شيخ الإسلام، وإنما من باب أحوال شيطانية يستدرجها الشيطان من خلالها حتى ينحرف، ليس فقط ينحرف، بل يُصبح رأسًا من رؤوس الضلال، ورأسًا من رؤوس الباطل، وهذا الباب باب الخوارق، باب أو من أكبر الأبواب التي حُرف بها كثير من الناس عن سواء السبيل.

أذكر لكم يعني قصة ما وقعت في إحدى الدول وهي فيها نوع من الطرفة، أحد الأشخاص، جاء بعض الكفار ويعرفون تأثير هذه، ولهم نشاط في ترويج الطرقية والخرافات المتصوفة لهم نشاط ويدعمونها بالأموال، فجاءوا إلى شخص في قرية من القرى وركبوا له -وهم لا يعرفون وسائل التبريد-، ركبوا له مكيف يبرد الغرفة، غرفة كبيرة بنوها وفيها مكيف يبرد الغرفة، وركبوا له باب يشتغل بالكهرباء مجرد ما يضغط هذا ينفتح الباب، وبدأوا يسوقون في ذاك المجتمع أن فلان من أولياء الله، وعنده كرامات، وعنده أمور خارقة للعادة مكانة مع الجو الحار الشديد تدخل تجده بارد، ومجرد ما يصل إلى بابه بدون ما حراس ولا أحد يفتح الباب ينفتح له الباب، ولي من أولياء الله! المكان بارد، والأبواب مجرد ما يصل الباب ينفتح، وبدأ الناس يأتون ويشاهدون الباب ينفتح بدون ما أحد يفتحه ويدخلون، وإذا الجو بارد مع الحرارة التي في الخارج الجو بارد، قالوا: هذا ولي أختصه الله بهذه الكرامة،

ثم بدأوا يروجون كيف يتعلقون به ويتمسحون به إلى آخره، فأحدهم جاء إلى في عمل أو كذا إلى إحدى الدول العربية ووجد أكثرهم أولياء، كل الأبواب بالريموت والمكيفات في كل البيوت، فإذا.. وأدرك أن هذه نوع من الاحتيال عليهم، فأحيانًا أصلًا الأمر ليس خارق، وإنما أشياء يُستدرج بها الجهال والعوام، والقصد تمرير الباطل والترويج للضلال، والعوام مساكين يعني بسهولة يحتال عليهم، وقد قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**».

ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، يقول شيخ الإسلام: (**فَهَذِهِ الْأُمُور وَنَحْوهَا كثيرًا مَا تعرض لأهل السلوك والتوجه، وَإِنَّمَا ينجو العَبْد مِنْهَا بملازمة أَمر الله**)؛ إذا حرص على أن لا يغتر بمثل هذه الأمور، أو مثلًا بزعمهم ليشهد الحقيقة الكونية أو غير ذلك فلا ينجو إلا من لازم أمر الله (**الَّذِي بعث بِهِ رَسُوله** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي كل وَقت، كَمَا قَالَ الزُّهْرِيّ: كَانَ من مضى من سلفنا يَقُولُونَ: "الِاعْتِصَام بِالسنةِ نجاة"**)؛ رزقنا الله جميعًا الاعتصام بالسنة، ولزومها والتمسك بها، وأن نكون من أهلها بمنه وفضله إنه سميعٌ مجيد.

قال: (**وَذَلِكَ أَن السّنة كَمَا قَالَ مَالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)؛ أي: مالك بن أنس إمام دار الهجرة (**"مثل السنة مثل سفينة نوح من ركبهَا نجا وَمن تخلف عَنْهَا غرق"**)؛ فلا نجاة إلا بالتمسك بسنة النبي الكريم ولزوم نهجه القويم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا أجمعين لإتباع السنة ولزوم هدي نبينا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يعيذنا من الأهواء، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدينا وهب لنا من لدنك رحمه إنك أنت الوهاب، اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون.

اللهم إنا نعوذ بك أن نَضل أو نُضل، أو نَذل أو نُذل، أو نَظلم أو نُظلم، أو نَجهل أو يُجهل علينا، اللهم اهدنا وسددنا، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا في كل شر.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوفٌ رحيم، اللهم أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وأمكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وأنصرنا على من بغى علينا، اللهم اجعلنا لك

ذاكرين، لك شاكرين، إليك أواهين منيبين، لك مخبتين، لك مطيعين، اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهدي قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخيمة صدورنا.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، اللهم إنا نسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله القوي العزيز المتين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أن تنصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا وحافظًا ومؤيدًا، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وأولات أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم ولي على المسلمين أينما كانوا خيارهم، وأصرف عنهم شرارهم يا رب العالمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم

متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وأنصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس السابع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب العبودية: (وَالْعِبَادَة وَالطَّاعَة والاستقامة وَلُزُوم الصِّرَاط الْمُسْتَقيم وَنَحْو ذَلِك من الْأَسْمَاء مقصودها وَاحِد وَلها أصلان:

أَحدهمَا: أَن لَا يُعبد إِلَّا الله.

الثَّانِي: أَن يُعبد بِمَا أَمر وَشرع لَا يعبده بِغَيْر ذَلِك من الْأَهْوَاء والظنون والبدع، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء، من الآية:125]، فَالْعَمَل الصَّالح هُوَ الْإِحْسَان وَهُوَ فعل الْحَسَنَات، والحسنات هِيَ مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ مَا أَمر بِهِ أَمر إِيجَابٍ أَو اسْتِحباب.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فَمَا كَانَ من الْبدع فِي الدّين الَّتِي لَيست فِي الْكتاب وَلَا فِي صَحِيح السّنة، فَإِنَّهَا -وَإِن قَالَهَا من قَالَهَا، وَعمل بهَا من عمل- لَيست مَشْرُوعَة؛ فَإِن الله لَا يُحِبهَا وَلَا رَسُوله، فَلَا تكون من الْحَسَنَات وَلَا من الْعَمَل الصَّالح، كَمَا أَن من يعْمل مَا لَا يجوز كالفواحش وَالظُّلم لَيْسَ من الْحَسَنَات وَلَا من الْعَمَل الصَّالح،

وَأما قَوْله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]، وَقَوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112]؛ فَهُوَ إخلاص الدّين لله وَحده.

وَكَانَ عمر بن الْخطاب رضي الله تعالى عنه يَقُول: "اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا واجعله لوجهك خَالِصًا، وَلَا تجْعَل لأحدٍ فِيهِ شَيْئًا"، وَقَالَ الفضيل بن عِيَاض فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، من الآية:2]، قَالَ: أخلصه وأصوبه، قَالُوا: يَا أَبَا عَليّ مَا أخلصه وأصوبه؟ قَالَ: إِن الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصًا وَلم يكن صَوَابًا لم يُقبل، وَإِذا كَانَ صَوَابًا وَلم يكن خَالِصًا لم يُقبل حَتَّى يكون خَالِصًا صَوَابًا، والخالص أَن يكون لله وَالصَّوَاب أَن يكون على السّنة).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (**وَالْعِبَادَة وَالطَّاعَة والاستقامة وَلُزُوم الصِّرَاط الْمُسْتَقيم وَنَحْو ذَلِك من الْأَسْمَاء مقصودها**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَاحِد)؛ أي أن هذه الألفاظ ترد كثيرًا في الكتاب والسنة، والمقصد بهذه الألفاظ واحد أن يذل العبد لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يخضع له، وأن يقوم بطاعته، وأن يمتثل أمره، وأن يتجنب ما نهاه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عنه، وأن يلزم صراط الله المستقيم، وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن هذه الألفاظ مقصودها واحد. **(وَلها أصلان)**؛ أي: على الدين قيامهما ولا يقوم الدين إلا عليهما؛ وهما الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الأول: هو مقتضى لا إله إلا الله.

والثاني: هو مقتضى محمدٌ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فدين الله عَزَّوَجَلَّ قائم على الإخلاص والمتابعة، دين الله جَلَّوَعَلَا قائمٌ على الإخلاص والمتابعة، الإخلاص التي دلت عليه كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، والمتابعة التي دلت عليه: شهادة أن محمدًا رسول الله.

وعن هذين الأصلين العظيمين يُسأل الناس يوم القيامة، ماذا كنتم تعبدون؟ هذا سؤالٌ عن الإخلاص، ماذا أجبتم المرسلين؟ هذا سؤالٌ عن المتابعة، فعن هذين الأصلين يُسأل الأولون والآخرون يوم القيامة، يُسئلون عن الإخلاص يقال لهم: ماذا كنتم تعبدون؟ ويُسألون عن المتابعة: ماذا أجبتم المرسلين؟ وإذا علم العبد أنه سيقف بين يدي الله، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سيسأله؛ فليعد للمسألة جوابًا وليكن الجواب صوابًا، فهو سيُسأل عن الإخلاص وعن المتابعة الذين عليهما قيام دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والإخلاص أن

يكون العمل كله لله لا يُراد به غيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يتقرب بشيء منه لأحدٍ سواه جَلَّوَعَلَا، والمتابعة أن تكون الأعمال كلها موافقة لهدي النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-، فإذا كان العمل ليس لله خالصًا، أو ليس للسنة موافقًا لم يقبله الله حتى يكون خالصًا صوابًا، حتى يكون خالصًا لله صوابًا موافقًا لسنة رسول الله -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلها أصلان: أَحدهمَا: أَن لَا يُعبد إِلَّا الله**)؛ أحد الأصلين ألا يعبد إلا الله، أي أن يُخلص الدين كله لله، وأن يُفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة وألا يُجعل معه الشركاء والأنداد.

والأصل الثاني: (**أَن يُعبده بِمَا أَمر وَشرع لَا بِغَيْر ذَلِك من الْأَهْوَاء والبدع**)؛ الأصل الثاني هو المتابعة للرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن تكون العبادات المتقرب بها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ موافقة لأمر الله، ولهدي رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا أن تكون بالأهواء والبدع والمحدثات، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان موافقًا لهدي رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولهذا صح في الحديث عن رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، أي: مردودٌ على صاحبه غير مقبولٍ منه حتى وإن كان مخلصًا فيه لله إن لم يكن موافقًا للسنة يرد على صاحبه ولا يتقبله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منه.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ثلاث آيات من القرآن جمعت هذين الأصلين، ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث آيات من القرآن جمعت هذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة.

الأولى: قول الله جَلَّوَعَلَا في آخر آيةٍ من سورة الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]؛ فقوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، هذا فيه المتابعة؛ لأن العمل لا يكون صالحًا إلا بالاتباع والاهتداء بهدي الرسول الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا كان العمل موافقًا للسنة فهو صالح، وإذا كان العمل مخالفًا للسنة فهو بدعة وضلالة وليس صالحًا، بل مردودٌ على صاحبه غير مقبولٌ منه، وفي قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾، هذا فيه الإخلاص للمعبود، فجُمع في هذه الآية الكريمة بين الأصلين: الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

الآية الثانية: قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112]؛ قوله: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾، هذا فيه الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في العمل، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، فيه الاتباع؛ لأن العمل لا يوصف بالإحسان إلا إذا كان وفق هدي النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

الآية الثالثة: قول الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [سورة النساء، من الآية:125]؛ أسلم وجهه لله هذا فيه الإخلاص، ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، هذا فيه الاتباع للرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نظير الآية التي قبلها،

فهذه الآيات الثلاث جُمع فيها بين هذين الأصلين العظيمين الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

يوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ما دلت عليه هذه الآيات بقوله: (**فَالْعَمَل الصَّالح هُوَ الْإِحْسَان**)؛ فالعمل الصالح، أي: الذي ورد في الآية الأولى (**هُوَ الْإِحْسَان**)؛ أي: الذي ورد في الآيتين الأخيرتين.

(**فَالْعَمَل الصَّالح هُوَ الْإِحْسَان، وَهُوَ فعل الْحَسَنَات، والحسنات هِيَ مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ مَا أَمر بِهِ أَمر إِيجَابٍ أَو اسْتِحباب**)؛ فإذًا في قوله في الآية الأولى: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، وقوله في الآيتين الأخيرتين: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، هذا فيه الاتباع، وأن يكون فعل الإنسان وفق شرع الله، وهدي رسوله الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا أن يعبد الله بالأهواء والبدع والضلالات التي ما أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها من سلطان.

قال: (**فَمَا كَانَ من الْبدع التي فِي الدَّين لَيست مَشْرُوعَة؛ فَإِن الله لَا يُحِبهَا**)؛ وفي بعض النسخ زيادة فيها مزيد وتوضيح، (**فَمَا كَانَ من الْبدع التي فِي الدَّين لَيست مَشْرُوعَة؛ فَإِن الله لَا يُحِبهَا وَلَا رَسُوله**)؛ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ما كان من البدع في الدين، يعني إذا أُحدث بدعًا في دين الله جَلَّ وَعَلَا فهي ليست مشروعة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ إنما تعبدنا بما شرع وبما جاء عن رسوله، وأُنزل على رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فما كان من البدع ليست من دين الله، وهذا معنى قول النبي

الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث المتقدم: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي رواية: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

قال: (**فَإِن الله لَا يُحِبهَا وَلَا رَسُوله**)؛ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد تكون في ظن صاحبها -بل هذا هو الغالب-، قد تكون في ظن صاحبها محبوبة لله ومرضيةً عنده، وهذا حال أهل، أو أغلب أهل البدع في بدعهم، وقد قال الله في القرآن، قد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في القرآن: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [سورة الكهف، من الآية:103-104]، يظن أنه على أحسن ما يكون، وعلى أحسن العمل، وعلى أحسن الهدي، ولهذا جاء في الحديث أن التوبة احتجزت عن صاحب البدعة حتى يدع بدعته، لماذا؟ لأنه يرى أنه على حق لا يرى أنه على ضلالة، صاحب المعصية إذا أُنكرت عليه معصيته ماذا يقول؟ تجده يقول: أنا مخطئ، وأنا مقصر أدعو الله أن يهديني، أنا أحاول أن أتوب هذا حال كثير من المقصرين عندما يُنكر عليه تقصيره وخطأه، أما صاحب البدعة إذا أُنكرت عليه بدعته لا يُقر من أنكر عليه إنكاره، ولا يرضى إنكاره؛ لأنه يرى أنه على الحق، وأنه على الهدى، وأن هذا العمل الذي يقوم به يحبه الله ويرضاه، ولهذا يُدافع وينافح عن بدعته.

فالشاهد: أن البدع والأعمال التي لم يشرعها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يحبها، لا يحبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكونه لا يحبها معنى ذلك أنه لا يقبلها، وكونه لا يقبلها لا يثيب عليها حتى لو أمضى حياته في تلك الأعمال، وأجتهد فيها،

ونصب وتعب، كل تعبه ذلك لا يفيده ولا ينفعه؛ لأن الله لا يحب عمله، الله جَلَّ وَعَلَا لا يحب عمله؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا إنما يحب ما شرع، وما أمر به، لا أن يتخذ كل إنسان له طريقةً، أو خطةً، أو مسلكًا، ويتفرق الناس شذر مذر كلٌ على هواه، وكلٌ على طريقته، ليس هذا مما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:159]، هذا الشيء لا يحبه الله ولا يرضاه، فليس الدين الذي يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا الذي شرعه، وأنزل به وحيه المبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**فَمَا كَانَ من الْبدع التي فِي الدَّين لَيست مَشْرُوعَة؛ فَإِن الله لَا يُحِبهَا وَلَا رَسُوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **فَلَا تكون من الْحَسَنَات وَلَا من الأعمال الصَّالحات**)؛ انظر هذا الكلام الجميل لا تكون من الحسنات ولا تكون من الأعمال الصالحات، وإن كانت في عين صاحبها وفاعلها وممارسها أنها من أحسن الحسنات وأفضل القربات، لكن طالما أن العمل ليس بمشروع إذًا لا يحبه الله، وليس من الأعمال الصالحة ولا من الحسنات، فإذًا خرج ما كان من هذا القبيل من قوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، خرج من هذا، نعم عمل أعمال يراها حسنة يراها أعمالًا صالحة، لكن لكونها ليست مشروعة فالله لا يحبها ولا تدخل في العمل الصالح، ولا تدخل في باب

الإحسان، بل هي داخلةٌ في باب الأهواء والضلالات التي لا يقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**فَمَا كَانَ من الْبدع التي فِي الدَّين لَيست مَشْرُوعَة؛ فَإِن الله لَا يُحِبهَا وَلَا رَسُوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **، فَلَا تكون من الْحَسَنَات وَلَا من الأعمال الصَّالحات، كَمَا أَن مع يُعْلم أنه فجورٌ كالفواحش وَالظُّلم لَيْسَ من الْحَسَنَات وَلَا من الْعَمَل الصَّالح**)؛ البدع مثل ما أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أمرٌ لا يحبه الله فلا تدخل في باب العمل الصالح؛ لأن الله لم يأمر بها، مثل ما نعلم جميعًا ويعلم أيضًا صاحب البدعة أن الفجور لا يحبه الله ولا يرضاه؛ لأن الله لم يأمر به بل نهى عنه وحذر عباده منه.

ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما أَن مع يُعْلم أنه فجورٌ كالفواحش وَالظُّلم لَيْسَ من الْحَسَنَات وَلَا من الْأَعَمَال الصَّالحات**)؛ أيضًا البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان يُقال فيها مثل ذلك: ليست من الحسنات ولا من الأعمال الصالحات، بل العلماء قالوا: إن البدعة أخطر على صاحبها من المعصية على ما سبق بيانه؛ لأن المعصية صاحبها يُدرك أنه على خطأ، أما البدعة فصاحبها يرى أنه على حقٍ وأنه على صراطٍ مستقيم.

هذا الذي سبق عند شيخ الإسلام هو بيانٌ لقوله في الآية الأولى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، وقوله في الآيتين الأخيرتين: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أما ما يتعلق بقوله: (﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]، وَقَوله: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112])؛ الذي هو الإخلاص فيُبينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (وأما قوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]، وقوله: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112]، **فَهُوَ إخلاص الدِّين لله وَحده**)؛ فبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الشرح أن الثلاث آيات جمعت بين هذين الأصليين العظيمين اللذين عليهما قيام دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثرًا عن عمر بن الخطاب، وأثرًا آخر عن الفضيل بن عياض جُمع فيهما بين هذين الأصلين، أما أثر عمر وقد خرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه [الزهد]، قال: (**كَانَ عمر بن الْخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ **يَقُول فِي دعاءه: "اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا، واجعله لوجهك خَالِصًا، وَلَا تجْعَل لأحدٍ فِيهِ شَيْئًا"**)؛ وهذه دعوة عظيمة جدًا، ونافعة للغاية، جمع فيها هذا الصحابي الجليل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضاه بين هذين الأصلين الذين لا قبول للعمل إلا بهما: الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول.

وتأمل -يا رعاك الله- قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في هذه الدعوة مرتين: (**"اجْعَل"**)؛ (**"اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا واجعله لوجهك خَالِصًا"**)؛ تأمل هذا جيدًا لتستيقن أنك لا يمكن أن تكون من المخلصين لله، ولا من المتبعين لرسول

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا إذا جعلك الله كذلك، فالأمر بيده، والأمر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قبل ومن بعد.

نظير ذلك قول إمام الحنفاء خليل الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دعاءه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:40]، وفي دعاء عباد الرحمن: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:74]، ولهذا نظائر كثيرة، وهذا يفيد أنه لا يمكن أن يكون الإنسان على الحق، والهدى، والعمل الصالح، والإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا إذا جعله الله كذلك، حتى وإن رأى الإنسان الحق واضحًا وبينًا لا يمكن أن يكون من أهله إلا إذا وفقه الله، وأعانه وشرح صدره وهداه إلى صراطٍ مستقيم.

ولهذا يقول المطرف بن عبد الله بن الشخير كما روى ذلك الإمام أحمد في [الزهد] وغيره، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لو جيء بالحسنات والخيرات ووضعت في يميني، وأُخرج قلبي ووضع في شمالي لم أستطع أن أجعل شيئًا من تلك الحسنات في قلبي إلا أن يكون الله هو الذي يضعه"، الحسنات في يمينه وقلبه في يساره، يقول: لا يمكن أضع شيء منها في قلبي إلا أن يكون الله هو الذي يضعه، فقلبك لا يمكن أن يكون مخلصًا إلا إذا جعل الله فيه الإخلاص، وقلبك لا يكون قلبًا حريصًا على الاتباع لهدي النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا إذا جعل الله قلبك كذلك، فالأمر لله من قبل ومن بعد، والهادي هو الله

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

رب العالمين، وهو الذي بيده الهداية، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[سورة الكهف، من الآية:17]، فالأمر بيد الله.

فهذه دعوة عظيمة، عظيمة جدًا دعا بها، كان يدعو بها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: (**"اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا"**)؛ أي: وفقني في أعمالي كلها لأن أكون متبعًا للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لازمًا نهجه، مقتفيًا أثره، متمسكًا بهديه، بعيدًا عن الأهواء والبدع.

وقوله: (**"واجعله لوجهك خَالِصًا"**)؛ أي: أجعل عملي كله خالصًا لوجهك الكريم ليس فيه رياء، وليس فيه سمعه، وليس فيه إرادة للدنيا، ولا غير ذلك من الأغراض، وإنما خالص لله، (**"واجعله لوجهك خَالِصًا"**)؛ ومعنى خالصًا، أي: صافيًا، وفقني أن يكون عملي كله صافيًا نقيًا لا يُراد به إلا وجهك، ولا يبتغى به إلا رضاك، (**"واجعله لوجهك خَالِصًا"**).

ثم أيضًا أكد في دعوته على مقام الإخلاص، فقال: (**"وَلَا تجْعَل لأحدٍ فِيهِ شَيْئًا"**)؛ قوله: (**"وَلَا تجْعَل لأحدٍ فِيهِ شَيْئًا"**)؛ داخل في: (**"واجعله لوجهك خَالِصًا"**)؛ لكن هذا اهتمام بمقام الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن تكون الأعمال كلها لله خالصة لوجهه ولا يكون لأحد فيها شيء، أي: تكون النية صافية تمامًا، خالصة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يراد بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه دعوة عظيمة كان يدعو بها عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويحسن بالمسلم أن يحفظها،

وأن يدعو بها، **"اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا واجعله لوجهك خَالِصًا، وَلَا تجْعَل لأحدٍ فِيهِ شَيْئًا".**

ثم أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أثر الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الفضيل بن عياض من علماء التابعين ومن أجلة علماء التابعين، وتُنقل عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتب الحديث، وكتب التفسير وغيرها من كتب أهل العلم نقولات عظيمة جدًا تدل على متانة علمه، ودقيق فهمه، وحسن نصحه وبيانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، مع أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما ذُكر في ترجمته إلى أن جاوز الأربعين من عمره، أو بلغ الأربعين من عمره، وكان في مسالك غير لائقة في قطع طريق، وسرقة، وأشياء من هذه القبيل، لكن شرح الله صدره وهداه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأصبح إمام من أئمة المسلمين، لا ترى كتابًا في الحديث، أو في التفسير، أو في شروحات الحديث أو غيره إلا ويكون قال الإمام الفضيل بن عياض، أصبح إمام من الأئمة مع أنه بلغ الأربعين، وكان شاطرًا في قاطع طريق معروف بقوته، وهداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان سبب هدايته أن سمع تاليًا يتلو قول الله جَلَّ وَعَلَا من سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد، من الآية:16]، سمع هذه الآية وأكرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن وقرت في صدره، فقال: بلى، ثم خطى خطوات عظيمة في سلوك طريق الهداية، وقرر الهجرة إلى مكة بلد الله الحرام وبقي فيها إلى أن توفاه الله، يعبد

الله، ويأخذ عن أهل العلم، ويتلقى عنهم حتى أصبح إمامًا من أكابر أئمة المسلمين.

هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ له هذه الكلمة التي جمع فيها بين الإخلاص والمتابعة في تفسيره وبيانه لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، من الآية:2]، لم يقل جَلَّ وَعَلَا أكثر؛ لأن العبرة ليست بالكثرة، وإنما العبرة في العمل بحسنه، ولهذا لما علَّم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معاذ تلك الدعوة العظيمة التي فيها طلب العون من الله قال تقول: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن..**»، ما قال: كثرة، قال: «**حسن عبادتك**»؛ لأن العبرة بحسن العبادة، قال: «**حسن عبادتك**»، والعبادة لا تكون متصلة بالحسن إلا إذا أُخلصت لله وكانت وفق هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يُبين ذلكم الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

قال: (**في قوله تعالى:** ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، من الآية:2]، **قَالَ: أخلصه وأصوبه**)؛ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال: أخلصه وأصوبه، هذا معنى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، إخلاص وإصابة.

لكن هذا كلام مجمل يحتاج إلى تفسير وبيان، ولهذا (**قَالُوا: يَا أَبَا عَليّ**)؛ وهذه كنيته، (**يَا أَبَا عَليّ مَا أخلصه وأصوبه؟**)؛ يعني بيِّن لنا ما أجملته في بيان معنى الآية، (**مَا أخلصه وأصوبه؟ قَالَ: الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصًا وَلم يكن صَوَابًا**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لم يُقبل، وَإِذا كَانَ صَوَابًا وَلم يكن خَالِصًا لم يُقبل حَتَّى يكون خَالِصًا صَوَابًا، والخالص أَن يكون لله، وَالصَّوَاب أَن يكون على السّنة)؛ كلمة عظيمة جدًا قالها هذا الإمام، وقد رواها عنه أبو نعيم في ترجمته للفضيل في [حلية الأولياء]، ورواها ابن أبي الدنيا في كتابه: [النية والإخلاص]، وهو كتاب مطبوع جمع فيه نقولات عظيمة جدًا في باب النية والإخلاص.

قبل أن ننتقل إلى كلام شيخ الإسلام الذي بعد هذا وأحب أن أسمع كلمة الفضيل ممن يحفظ هذه الكلمة، مَن مِنَ الأخوة يحفظ كلمة الفضيل بن عياض؟ ماذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[سورة الملك، من الآية:2]؟ نعم.. تفضلوا..

الطالب: .... (31:16)

ارفع الصوت..

الطالب: .... (31:24)

أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي.. طيب بارك الله فيك، الأخ الذي في الأخير نعم..

الطالب: .... (31:39)

أحسنت.. قريب من المعنى، كلمة الفضيل بن عياض تفضل يا أخي.. ماذا قال؟ الخالص ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة، هذا آخر كلمة

الفضيل بن عياض، إذًا تكونون بهذا أعطيتوني كلمة الفضيل مقسطة، كل واحد أعطانا منها جزءً، فأريد شخصًا يعطينا كلمة الفضيل كاملة.. تفضل..

الطالب: .... (32:09)

ما أسمعك حتى الآن لا أسمعك..

الطالب: .... (32:12)

بقي في الكلمة بقية.. تفضل..

الطالب: .... (32:16)

أحسنت.. وبارك الله فيك.. أنت جئت بها كاملة، أثابك الله.

أعيدها كلمة الفضيل بن عياض (**في قوله تعالى:** ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [سورة الملك، من الآية:2]، **قَالَ: أخلصه وأصوبه، قيل: يَا أَبَا عَليّ ومَا أخلصه وأصوبه؟ قَالَ: إن الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصًا وَلم يكن صَوَابًا لم يُقبل، وَإِذا كَانَ صَوَابًا وَلم يكن خَالِصًا لم يُقبل حَتَّى يكون خَالِصًا صَوَابًا، والخالص ما كان لله، وَالصَّوَاب ما كان على السّنة**)؛ هذه الكلمة جديرة بأن تُحفظ، كلمة الفضيل بن عياض جدير أن تحفظ هذه الكلمة.

وأيضًا الدعوة التي دعا بها عمر بن الخطاب، وكان يدعو بها عمر بن الخطاب أيضًا جدير أن تُحفظ، ومن يحفظ كلمة، أو دعوة عمر بن الخطاب؟ دعوة عمر بن الخطاب التي مرت معنا قبل قليل من يحفظها؟ نعم.. نبي مشاركة من هذه الجهة.. أنت متردد ونأخذك .

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الطالب: .... (33:30)

باقي فيه..

الطالب: .... (33:35)

أحسنت، أثابك الله، جزاك الله خيرًا، طيب تفضل..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِن قيل: فَإِذا كَانَ جَمِيع مَا يُحِبهُ الله دَاخِلًا فِي اسْم الْعِبَادَة، فلماذا عطف عَلَيْهَا غيرهَا كَقَوْلِه فِي فَاتِحَة الْكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، وَقَوله لنَبيه: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [سورة هود، من الآية:123]، وَقَول نوح: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [سورة نوح، من الآية:3]، وَكَذَلِكَ قَول غَيره من الرُّسُل.

قيل: هَذَا لَهُ نَظَائِر كَمَا فِي قَوْله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45]، والفحشاء من الْمُنكر، وَكَذَلِكَ قَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾ [سورة النحل، من الآية:90]، وإيتاء ذِي الْقُرْبَى هُوَ من الْعدْل وَالْإِحْسَان كَمَا أَن الْفَحْشَاء وَالْبَغي من الْمُنكر، وَكَذَلِكَ قَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]، وَإِقَامَة الصَّلَاة من أعظم التَّمَسُّك بِالْكتاب، وَكَذَلِكَ قَوْله عَن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:90]، ودعاؤهم رغبًا ورهبًا من الْخيرَات، وأمثال ذَلِك فِي الْقُرْآن كثير).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

هنا يورد شيخ الإسلام استشكالًا قد يورده أحد، أو يرد على ذهن بعض الناس، فيقول: (**إِن قيل: إِذا كَانَ جَمِيع مَا يُحِبهُ الله دَاخِلًا فِي اسْم الْعِبَادَة**)؛ الصلاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والصدق، والوفاء إلى غير ذلك إذا كان جميع ما يحبه الله داخل في العبادة، لماذا نرى في القرآن آيات تعطف فيها أعمال يحبها الله على العبادة؟ مثل عطف التوكل على العبادة، والتوكل عمل صالح يحبه الله، عمل من أعمال القلوب التي يحبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ففي القرآن آيات مثلًا عطف فيها التوكل، أو الاستعانة على العبادة، مثل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، وَقَوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود، من الآية:123]، وَقَوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [سورة نوح، من الآية:3]، وتقوى الله وطاعته داخلة في العبادة، فما وجه ذلك إذا كان الدين أو كل ما يحبه الله ويرضاه داخل في العبادة لماذا في القرآن آيات يُعطى فيها على العبادة أعمال صالحات يحبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ويرضاها.

قال في جواب ذلك: (**قيل: هَذَا لَهُ نَظَائِر**)؛ نظائر أن يُعطف فيها على الشيء ما هو منه، وما هو داخلٌ فيه، أي: أن هذا ليس بمشكل، هناك نظائر يعطف على الشيء ما هو منه، وما هو داخلٌ فيه تخصيصًا لهذا الخاص الذي ذُكر ونص عليه مع دخوله في ذلك اللفظ العام.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يقول: (هَذَا لَهُ نَظَائِر مثل قَوْله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45])؛ عطف المنكر على الفحشاء ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

(وَكَذَلِكَ قَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النحل، من الآية:90])؛ عطف الإحسان وإتاء ذي القربى على العدل وهو من العدل، قال: (**وإيتاء ذِي الْقُرْبَى هُوَ من الْعدْل وَالْإِحْسَان، كَمَا أَن الْفَحْشَاء وَالْبَغي من الْمُنكر**)؛ وقد عُطف عليهما، (**وَكَذَلِكَ قَوْله:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170])؛ ما معنى: ﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]؟ أي: يعملون به، ويقيمون أوامره، والصلاة من جملة الأوامر التي في الكتاب التي أمرنا أن نتمسك بها وأن نحافظ عليها، ومع ذلك عطفت الصلاة على التمسك بالكتاب، قال: (**وَإِقَامَة الصَّلَاة من أعظم التَّمَسُّك بِالْكتاب**)؛ الشخص المصلي هو بهذه الصلاة التي يحافظ عليها هو من المتمسكين بالكتاب، صلاته هو تمسكٌ بكتاب الله، فما وجه عطف إقام الصلاة على التمسك بالكتاب مع أنها من التمسك بالكتاب؟ إلا أن هذا التخصيص فيه اهتمام بهذا المخصص، وبيان لعظم شأنه وجلالة مكانته وقدره.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:90]، **ودعاؤهم** سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ **رغبًا ورهبًا من الْخيرَات)**؛ من المسارعة في الخيرات، **(وأمثال ذَلِك فِي الْقُرْآن كثير)**.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا الْبَاب يكون تَارَةً مَعَ كَون أَحدهمَا بعض الآخر فيُعطف عَلَيْهِ تَخْصِيصًا لَهُ بالذكر لكَونه مَطْلُوبًا بِالْمَعْنَى الْعَام وَالْمعْنَى الْخَاص، وَتارَةً دلَالَة الِاسْم تتنوع بِحَال الِانْفِرَاد والاقتران، فَإِذا أُفرد عَم، وَإِذا قُرن بِغَيْرِه خُص، كاسم الْفَقِير والمسكين لما أفرد أَحدهمَا فِي مثل قَوْله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:273]، وَقَوله: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:89]، دخل فِيهِ الآخر، وَلما قُرن بَينهمَا فِي قَوْله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:60]، صَارا نَوْعَيْنِ).

هنا يُبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يكون في العطف، وأن العطف تارةً يُعطف الخاص على العام، تارةً يكون العطف من باب عطف الخاص على العام، وتارةً يكون العطف من باب عطف بعض الألفاظ التي يختلف معناها حال الافتراق وحال الاقتران، بمعنى أنها حال الانفراد ذكرها مفردة تشمل جميع المعنى، وحال ذكرها مقترنة تشمل بعض المعنى، وهذا له نظائر.

والقاعدة في ذلك مثل ما قال أهل العلم، إن من الأسماء ما يكون شاملًا لمسمياتٍ متعددةٍ عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره صار دالًا

على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌ على باقيها، مثل عطف الإيمان على الإسلام في آيات، الإيمان إذا ذكر وحده يشمل معنى الإسلام ومعنى الإيمان، والإسلام أيضًا إذا ذكر وحده يشمل المعنيين، وإذا ذكر معًا في نصٍ واحد كان الإسلام في العمل الظاهر، والإيمان في العمل الباطن الذي هو العقيدة التي تكون في القلب كما جاء ذلك موضحًا في حديث جبريل حينما سأل النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عن الإيمان والإسلام.

قال: (**وَهَذَا الْبَاب يكون تَارَةً مَعَ كَون أَحدهمَا بعض الآخر فيُعطف عَلَيْهِ تَخْصِيصًا لَهُ بِالذكر لكَونه مَطْلُوبًا بِالْمَعْنَى الْعَام وَالْمعْنَى الْخَاص**)؛ هذا نوع، ومن أمثلته: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]، كما تقدم.

(**وَتارَةً تتنوع دلَالَة الِاسْم تتنوع بِحَال الِافِرَاد والاقتران، إِذا أفرد عَم، وَإِذا قرن بِغَيْرِهِ خص**)؛ مثل لفظ الإيمان والإسلام، ومثل أيضًا لفظ الفقير والمسكين، (**لما أفرد أَحدهمَا فِي قَوْله:** ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:273])؛ وأفرد المسكين في قوله: (﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:89]، **دخل فِي الآخر، وَلما قُرن بَينهمَا فِي قَوْله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:60]، **صَارا نَوْعَيْنِ**)؛ وليس نوعًا واحدًا، ليس العطف هنا في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [سورة

التوبة، من الآية:60]، من باب عطف الخاص على العام، وإنما العطف هنا هذا نوع وهذا نوعٌ آخر؛ لأن هذه الألفاظ من شأنها أنها إذا ذكرت مجتمعة في نصٍ واحد انفردت كل واحدة بمعنى، وإذا ذكر كل واحدٍ منهما مفردًا عن الآخر شمل معناه ومعنى اللفظ الآخر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقد قيل: إِن الْخَاص الْمَعْطُوف على الْعَام لَا يدْخل فِي الْعَام حَال الاقتران بل يكون من هَذَا الْبَاب، وَالتَّحْقِيق أَن هَذَا لَيْسَ لَازِمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:98]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:7]، وَذكر الْخَاص مَعَ الْعَام يكون لأسبابٍ متنوعة).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقد قيل: إِن الْخَاص الْمَعْطُوف على الْعَام لَا يدْخل فِي الْعَام حَال الاقتران)**؛ الآن نأخذ مثال على ذلك ليتضح الاستشكال الذي أورد، والجواب الذي سيأتي شيخ الإسلام عليه، يقول: **(قد قيل: إِن الْخَاص الْمَعْطُوف على الْعَام لَا يدْخل فِي الْعَام حَال الاقتران)**؛ نأخذ مثال قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]، إقام الصلاة عرفنا أنه من باب عطف الخاص على العام؛ لأن إقام الصلاة هو من جملة التمسك بالكتاب، التمسك بالكتاب لفظ عام يتناول إقام الصلاة، إتاء الزكاة،

جميع الأوامر التي في الكتاب أن نفعلها، جميع النواهي التي في الكتاب أن ننتهي عنها، هذا كله يعد تمسكًا بالكتاب، فإذًا عطف الصلاة، إقام الصلاة على التمسك بالكتاب هو من باب عطف الخاص على العام.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قيل: إِن الْخَاص الْمَعْطُوف على الْعَام لَا يدْخل فِي الْعَام حَال الاقتران بل يكون من هَذَا الْبَاب**)؛ يقصد من أي الأبواب؟ من باب الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، مثل: الإيمان والإسلام، ومثل: الفقير والمسكين، ومثل: البر والتقوى، وألفاظ كثيرة إذا اجتمعت افترقت يعني إذا اجتمعت في الذكر افترقت في المعنى، فهل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]، الذي هو من باب عطف العام على الخاص هو من هذا القبيل؟ الجواب: لا، ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قيل: إِن الْخَاص الْمَعْطُوف على الْعَام لَا يدْخل فِي الْعَام حَال الاقتران بل يكون من هَذَا الْبَاب**)؛ قال: (**وَالتَّحْقِيق أَن هَذَا لَيْسَ بلَازِم**)؛ ليس بلازم أن يكون من هذا الباب باب الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت.

وذكر أمثلة واضحة في بيان أن هذا القول غير صواب، قال: (**قَالَ تَعَالَى**: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:98])؛ عطف جبريل وميكال على الملائكة، فهل يُقال إن هذا العطف عطف جبريل على الملائكة هو من قبيل إذا اجتمعت افترقت؟ جبريل من الملائكة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أيضًا قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:7])؛ هنا خمسة عُطفوا على النبيين وهم من النبيين، بل هم أفضل النبيين وتخصيصهم لبيان مزيد فضلهم ومزيد مكانتهم، فإذًا هذه الآية والآية التي قبلها توضح أن ذلك القول ليس بصواب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَذكر الْخَاص مَعَ الْعَام يكون لأسبابٍ متنوعة: تَارَةً لكَونه لَهُ خاصية لَيست لسَائِر أَفْرَاد الْعَام كَمَا فِي نوحٍ وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى، وَتارَةً لكَون الْعَام فِيهِ إِطْلَاقٌ قد لَا يُفهم مِنْهُ الْعُمُوم كَمَا فِي قَوْله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:2-4]، فَقَوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:3]، يتَنَاوَل الْغَيْب الَّذِي يجب الْإِيمَان بِهِ، لَكِن فِيهِ إِجْمَال فَلَيْسَ فِيهِ دلَالَةٌ على أَن من الْغَيْب: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:4]، وَقد يكون الْمَقْصُود أَنهم يُؤمنُونَ بالمخبر بِهِ وَهُوَ الْغَيْب وبالإخبار بِالْغَيْبِ وَهُوَ: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:4]، وَمن هَذَا الْبَاب قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45]، وَقَوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وتلاوة الْكتاب هِيَ اتِّبَاعه وَالْعَمَل بِهِ كَمَا قَالَ ابْن مَسْعُود رضي الله تعالى عنه فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة، من الآية:121]، قَالَ: يحلّون حَلَاله ويحرمون حرَامه، ويؤمنون بمتشابهة، ويعملون بمحكمه. فاتباع الْكتاب يتَنَاوَل الصَّلَاة وَغَيرهَا لَكِن خصها بِالذكر لمزيتها، وَكَذَلِكَ قَوْله لمُوسَى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه، من الآية:14]، وَإِقَامَة الصَّلَاة لذكره من أجلّ عِبَادَته، وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:70]، وَقَوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:35]، وَقَوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:119]، فَإِن هَذِه الْأُمُور هِيَ أَيْضًا من تَمام تقوى الله، وَكَذَلِكَ قَوْله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [سورة هود، من الآية:123]، فَإِن التَّوَكُّل والِاسْتِعَانَة هِيَ من عبَادَة الله، لَكِن خُصت بِالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها، فَإِنَّهَا هِيَ العون على سَائِر أَنْوَاع الْعِبَادَة إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعبد إِلَّا بمعونته).

نعم.. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في مزيد لتوضيح ما سبق يقول: **(وَذكر الْخَاص مَعَ الْعَام يكون لأسباب متنوعة: تَارَةً لكَونه لَهُ خاصية لَيست لسَائِر أَفْرَاد الْعَام)**؛ مثل الآية المتقدمة، ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:7]، عُطف الخاص على العام في هذه

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الآيات لخاصيةٍ في هذا الخاص ومزيد مكانة وفضل ولهذا خص، مثله أيضًا عطف جبريل وميكال على الملائكة هذا نوع.

(**وَتارَةً لكَون الْعَام فِيهِ إِطْلَاقٌ قد لَا يُفهم مِنْهُ الْعُمُوم**)؛ فيُخص هذا تنصيصًا له ولدخوله في هذا اللفظ العام، (**كَمَا فِي قَوْله**: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:2-4])؛ عطف هنا قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:2-4]، على الإيمان بالغيب، (**والإيمان بالغيب يتَنَاوَل الْغَيْب الَّذِي يجب الْإِيمَان بِهِ**)؛ فهو يتناول الإيمان بالمنزل والوحي المنزل، يتناول ذلك، (**لَكِن فِيهِ إِجْمَال**)؛ لفظة ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:3]، فيها إجمال.

(**لَكِن فِيهِ إِجْمَال ولَيْسَ فِيهِ دلَالَةٌ على أَن من الْغَيْب**: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:4])؛ فلهذا خُص وعطف على الإيمان بالغيب مع دخوله في إزالةً أو بيانًا لهذا الإجمال.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومن هَذَا الْبَاب قَوْله تَعَالَى**: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45])؛ عطف إقامة الصلاة على ماذا؟ على تلاوة الكتاب، وما هي تلاوة الكتاب؟ اسأل كثير من الناس عن تلاوة الكتاب ما هي، انحصر الفهم في كثير من الناس ولا سيما في زماننا هذا أن تلاوة الكتاب

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أن يفتح المصحف ويقرأ منه، هذا معنى التلاوة، وهذا المراد بالتلاوة مع أن تلاوة الكتاب تتناول أمورًا ثلاثة:

- القراءة.
- والفهم.
- والعمل.

القراءة للقرآن، والفهم لمعانيه، والعمل به، والعمل بالقرآن يُسمى تلاوةً للقرآن، أنت عندما تصلي، عندما تبر والديك، عندما تساعد الفقراء، عندما تخرج الزكاة، عندما تصدق في الحديث إلى غير ذلك من ما جاء في القرآن تعد بهذه الأعمال تاليًا للقرآن، وتعد أعمالك هذه تلاوة للقرآن؛ لأن التلاوة ليست مجرد القراءة، التلاوة تتناول أيضًا العمل بالقرآن، والعمل نفسه يسمى تلاوةً.

ما معنى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [سورة الشمس، من الآية:2]؟ أي تبعه، ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [سورة الشمس، من الآية:2] إذا تبعها، فالتلاوة هي الاتباع، فتلاوة القرآن اتباع القرآن، وهنا قال: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45]، إقام الصلاة من تلاوة القرآن فما وجه عطف إقامة الصلاة على تلاوة القرآن مع أنها من تلاوة القرآن، قال: هو من هذا

القبيل، يعني ما كل أحد يدرك دخوله فتذكر وتخص بالذكر تنبيهًا على ذلك وبيانًا لمكانة هذه العبادة.

أيضًا قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]، هذا من عطف الخاص على العام، (**وتلاوة الْكتاب هِيَ اتِّبَاعه كَمَا قَالَ ابْن مَسْعُود فِي قَوْله:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة، من الآية:121])؛ يعني: بعض الناس يظن أن تلاوة القرآن حق تلاوته أن يحفظه، وأن يتقن مثلًا قراءته وألا يخطئ في حفظه بحرف ويقف عند هذا الحد، هذا غير صحيح، تلاوة القرآن تجمع القراءة، وتجمع الفهم، وتجمع العمل بالقرآن الكريم.

ولو أن شخصًا حفظ القرآن عن ظهر قلب ولم يعمل به لم يكن من أهل القرآن ولم يكن من تالي القرآن، ولم يكن محققًا تلاوة القرآن، ولو أن شخصًا عمل بالقرآن ولم يتيسر له حفظه عن ظهر قلب يعد تاليًا للقرآن ويعد من تالي كتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويعد من أهل هذه الآية، فتلاوة القرآن العمل به.

(**قال ابن مسعودٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **في قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة، من الآية:121]، **يحلّون حَلَاله ويحرمون حرَامه، ويؤمنون بمتشابهة، ويعملون بمحكمه، فاتباع الْكتاب يتَنَاوَل الصَّلَاة وَغَيرهَا، لَكِن خصها بِالذكر**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لمزيتها)؛ خصها بالذكر، أي: مع دخولها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:170]، وقوله: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45]، لمزيتها ومكانتها.

مثل هذا أيضًا قوله الله لموسى: (﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه، من الآية:14])؛ إقام الصلاة لذكر الله هو من عبادة الله داخل في قوله أعبدي، لكن خص الصلاة بالذكر لمزيد.. لمكانتها وعظم شأنها.

(﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه، من الآية:14]، قال: **(وَإِقَامَة الصَّلَاة لذكره من أجلِّ عِبَادَته، وَكَذَلِك قَوْله:** ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:70]، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:35]، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:119]، **هَذِه الْأُمُور)**؛ أي: القول السديد، وابتغاء الوسيلة إليه وأن يكون العبد من الصادقين من تمام التقوى، لكن عُطفت على التقوى تخصيصًا لها وبيانًا لعظم مكانتها.

لما ذكر الأمثلة عاد إلى المقصود وأساس إيراد الإشكال، قال: **(فكَذَلِك قَوْله:** ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [سورة هود، من الآية:123])؛ التوكل من جملة العبادة وعطف على العبادة، لماذا؟ لأن التوكل والاستعانة تخصيصه هنا لبيان خصوصيتها وعظم مكانتها، وأن العبادة لا تتحقق إلا بها، بالاستعانة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**فَإِن التَّوَكُّل والِاسْتِعَانَة هِي من عبَادَة الله، لَكِن خُصت بِالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصيتها، بأن هِيَ العون على سَائِر أَنْوَاع الْعِبَادَة إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعبد إِلَّا بمعونته**)؛ فالعبادة غاية، والاستعانة هي عبادة، عبادة وفي الوقت نفسه وسيلة للقيام بالعبادة؛ لأنه لا يمكن للعبد أن يعبد الله إلا بمعونة الله، قد مر معنا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «**لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذا تبين هَذَا فكمال الْمَخْلُوق فِي تَحْقِيق عبوديته لله وَكلما ازْدَادَ العَبْد تَحْقِيقًا للعبودية ازْدَادَ كَمَاله وعلت دَرَجَته، وَمن توهم أَن الْمَخْلُوق يخرج عن الْعُبُودِيَّة بِوَجْهٍ من الْوُجُوه، أَو أَن الْخُرُوج عَنْهَا أكمل فَهُوَ من أَجْهَل الْخلق بل من أضلهم، قَالَ تعالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:26-28] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [سورة مريم، من الآية:88-

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

95]، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْمَسِيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:59]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:19-20]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [سورة النساء، من الآية:172-173]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [سورة فصلت، من الآية:37-38]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

﴿وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾[سورة الأعراف، من الآية:205-206].

وَهَذَا وَنَحْوه مِمَّا فِيهِ وصف أكَابِر الْخلق بِالْعبَادَة وذم من خرج عَن ذَلِك مُتَعَدد فِي الْقُرْآن، وَقد أخبر أَنه أرسل جَمِيع الرُّسُل بذلك، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:25]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل، من الآية:36]، وَقَالَ تَعَالَى لبنى إِسْرَائِيل: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾[سورة العنكبوت، من الآية:56]، وَقَالَ: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:41]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21]، وَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [سورة الزمر، من الآية:11-15].

وكل رَسُولٍ من الرُّسُل افْتتح دَعوته بِالدُّعَاءِ إِلَى عبَادَة الله؛ كَقَوْل نوحٍ وَمن بعده عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:59]، وَفِي الْمسند عَن ابْن عمر رضي الله تعالى عنهما عَن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنه قَالَ:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

«بعثت بِالسَّيْفِ بَين يدى السَّاعَة حَتَّى يُعبد الله وَحده لَا شريك لَهُ، وَجُعل رِزْقِي تَحت ظلّ رُمْحِي، وَجُعلت الذلة وَالصغار على من خَالف أمرى»، وَقد بَيَّن أَن عباده المخلصين هم الَّذين ينجون من السَّيِّئَات، قال الشيطان..

ينجون من الشيطان..

قَالَ الشَّيْطَان: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[سورة الحجر، من الآية:39-40]، قَالَ تعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[سورة الحجر، من الآية:42]، وَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[سورة ص، من الآية:82-83]، وَقَالَ فِي حق يُوسُف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[سورة يوسف، من الآية:24]، وَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[سورة الصافات، من الآية:159-160]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[سورة النحل، من الآية:99-100]، وبالعبودية نعت كل من اصْطفى من خلقه فِي قَوْله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[سورة ص، من الآية:45-47]، وَقَوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[سورة ص، من

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الآية:17]، وَقَالَ عَنْ سُلَيْمَان: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص، من الآية:30]، وَعَنْ أَيُّوب: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [سورة ص، من الآية:44]، وَقَالَ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [سورة ص، من الآية:41]، وَقَالَ عَنْ نوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:3]، وَقَالَ عَنْ خَاتم رسله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:1]، وَهُوَ أولى الْقبْلَتَيْنِ، وَقد خصّه الله بِأَن جعل الْعِبَادَة فِيهِ بخمسمائة ضعف.. والمقصود بمضاعفة الحسنات والمسجد الذي ..).

الزيادة هذه ليست عندنا وفيها نظر..

وقال: (﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [سورة الجن، من الآية:19]، وَقَالَ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [سورة البقرة، من الآية:23]، وَقَالَ: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:10]، وَقَالَ: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الإنسان، من الآية:6]، وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:63]، وَمثل هَذَا كثيرٌ مُتَعَدد فِي الْقُرْآن).

الآن نسختك فيها أحيانًا زيادات ما هي موجودة عندنا؟

الطالب: هذه زيادة في بعض النسخ.

زيادة من بعض النسخ الخطية، وهذه معتمد فيها على نسخ خطية؟

الطالب: لا.

لأن قوله: (**أن التضعيف بخمسمئة صلاة في المسجد الأقصى**) هذا ليس بصحيح، وإنما الصحيح: (التضعيف في المسجد الأقصى كما في المستدرك للحاكم وغيره بمئتين وخمسين صلاة)، يعني المسجد النبوي يفضله بأربعة، بأربع مرات.

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذا الموضع الذي ختم به هذا الفصل أن ما سبق بيانه كله مما يؤكد على أهمية تحقيق العبودية لله، وأن كمال المخلوق في تحقيق العبودية، وكلما ازداد المخلوق عبودية وخضوعًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان ذلك زيادةً في كمال المخلوق؛ فكمال المخلوق راجع للعبودية أو راجعٌ إلى حظة ونصيبه من العبودية التي خلق لأجلها وأوجد لتحقيقها.

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما سبق أن بينه في مواضع (**أن من توهم أَن الْمَخْلُوق يخرج من الْعُبُودِيَّة بِوَجْهٍ من الْوُجُوه، أَو أَن الْخُرُوج عَنْهَا أكمل فَهُوَ من أَجْهَل الْخلق**)؛ العبودية حقٌّ لله خلق العبادة لخلقها وأوجدهم لتحقيقها ولا يمكن أن يصل عبدٌ من العباد إلى مرحلةٍ تكون العبودية ليست مطلوبة منه هذا مناقض لمقصود الخلق، ومناقض للغاية التي أوجد الإنسان لأجلها، فمن يقول ذلك هو من أجهل الخلق وأضلهم عن سواء السبيل.

ثم أخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسوق آيات، أورد وأشار فيما سبق إلى شيءٍ منها في بيان أن العبادة هي وصف صفوة الخلق، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى آيات عديدة وصف الله

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيها الملائكة بالعبودية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم ذكر أيضًا آيات فيها عدم استكبارهم عن العبادة في حق الملائكة وفي حق الأنبياء.

قال: (﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:19]، وقال عن المسيح : ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء، من الآية:172]،)؛ فكل عباد الله، وصفوة خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نعتهم الله بالعبودية وعدم الاستكبار عنها.

أيضًا أورد آيات فيها أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة، وأن ذلك مقصود الخلق وفيها التحذير من الاستكبار عن عبادة الله، وعقوبة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للمستكبرين عن عبادته.

وأورد آيات أيضًا عديدة أخبر فيها الله جَلَّوَعَلَا أنه أرسل جميع الرسل بذلك، وأن العبادة هي المقصود من بعثة الرسل كما أن المقصود من خلق الناس وإيجاد الثقلين، فالمقصود هو عبادة الله، وساق آيات رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى عديدة في بيان أن المقصود من بعثة الأنبياء والمرسلين الدعوة إلى عبادة الله، وأن كل رسولٍ من الرسل أفتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:59]، وهكذا الشأن في نبينا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بُعث بهذه الغاية، «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له**»، هذا الغاية التي بُعث منها عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كما أنها الغاية التي بُعث من أجلها الأنبياء

من قبله، وبيَّن أن أهل العبادة المتصفين بها، المحافظين عليها هم الذين ينجون من الشيطان فلا ينجو من الشيطان وكيده وحبائله ومصائده إلا من وفقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لإخلاص العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وساق في ذلك عدة آيات.

ثم ختم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعت بالعبادة كل ما اصطفى من خلقه، نعت بالعبادة كل من اصطفاه من خلقه، فذكر نعت الله لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وداوود، وأيوب، ونوح، ثم ختم بنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نعتهم بالعبادة، وذكر آيات فيها تمثيل لبيان هذا المقصود.

فإذًا العبادة هي نعت صفوة الخلق، وهي الغاية التي أرسل لأجلها الرسل، وخُلقت لأجلها المخلوقات، وأوجدت الجنة والنار وهي المقصود من الخلق، فمن زعم أن من الناس، أو توهم أن من الناس من يبلغ به الأمر أن تسقط عنه التكاليف، أو أنه لا يكون مأمورًا بعبادة الله، فهذا قولٌ من أبطل الأقوال وأفسدها وأشدها مناقضةً لمقصود الخلق، ومقصود بعثة الأنبياء والمرسلين.

وبهذا ينتهي هذا الفصل، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهيدنا إليه صراطًا مستقيمًا، وأن يوفقنا لسديد الأقوال وصالح الأعمال.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحدٍ فيها شيئًا، اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربنا إلى حبك.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله الحي القيوم القوي المتين العزيز الذي بيده أزمة الأمور، نسألك يا حي يا قيوم بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا أن تنصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا، وحافظًا ومؤيدًا، اللهم إنا بهم من اللأواء والشدة والضنك ما لا يعلمه إلا أنت، ولا يقدر أحدٍ على رفعه سواك، اللهم كن لنا ولهم ولجميع المسلمين حافظًا ومعينًا، ومؤيدًا ونصيرًا، اللهم أعنا وإياهم وجميع

المسلمين ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وأمكر لنا ولا تمكر علينا، وأهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، اللهم اجعلنا لك ذاكرين لك شاكرين، إليك أواهين منيبين، لك مخبتين لك مطيعين، اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهدي قلوبنا، وسدد ألستننا، واسلل سخيمة صدورنا.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وأولات أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور.

اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم ولي على المسلمين أينما كانوا خيارهم، وأصرف عنهم شرارهم يا رب العالمين، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وأنصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الثامن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: إِذا تبين ذَلِك فمعلوم أَن النَّاس يتفاضلون فِي هَذَا الْبَاب تفاضلًا عَظِيمًا، وَهُوَ تفاضلهم فِي حَقِيقَة الْإِيمَان، وهم ينقسمون فِيهِ إِلَى عَام وخاص، وَلِهَذَا كَانَت ربوبية الرب لَهُم فِيهَا عُمُوم وخصوص.

وَلِهَذَا كَانَ الشّرك فِي هَذِه الْأمة «**أخْفى من دَبِيب النَّمْل**»، وَفِي "الصَّحِيح" عَن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**تعس عبد الدِّرْهَم تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وَإِذا شيك فَلَا انتقش، إِن أعطي رَضِي، وَإِن منع سخط**»؛ فَسَماهُ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عبد الدِّرْهَم، وَعبد الدِّينَار، وَعبد القطيفة، وَعبد الخميصة، وَذكر مَا فِيهِ دُعَاء وخبرًا وَهُوَ قَوْله: «**تعس وانتكس وَإِذا شيك فَلَا انتقش**». والنقش إِخْرَاج الشَّوْكَة من الرجل، والمنقاش مَا يخرج بِهِ الشَّوْكَة.

وَهَذِه حَال من إِذا أَصَابَهُ شَرّ لم يخرج مِنْهُ، وَلم يفلح لكَونه تعس وانتكس فَلَا نَالَ الْمَطْلُوب، وَلَا خلص من الْمَكْرُوه، وَهَذِه حَال من عبد المَال، وَقد

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وصف ذَلِك بِأَنَّهُ إِذا أُعطي رَضِي، وَإِذا مُنع سخط كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:58]؛ فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله.

وَهَكَذَا حَال من كَانَ مُتَعَلقًا برئاسةٍ أَو بِصُورَةٍ -وَنَحْو ذَلِك من أهواء نَفسه- إِن حصل لَهُ رَضِي، وَإِن لم يحصل لَهُ سخط؛ فَهَذَا عبد مَا يهواه من ذَلِك وَهُوَ رَقِيق لَهُ؛ إِذْ الرّقّ والعبودية فِي الْحَقِيقَة هُوَ رق الْقلب وعبوديته، فَمَا اسْترق الْقلب واستعبده فَهُوَ عَبده

وَلِهَذَا يُقَال:

العَبْـــدُ حُـــرٌّ مَـــا قنـــع ... وَالْحـــر عبـــد مَـــا طمـــع

وَقَالَ القائل:

أطعتُ مَطَامِعِي فاستعبدتني ... وَلَو أَنِّي قنعت لَكُنْت حرًّا

وَيُقَال: الطمع غُل فِي الْعُنُق قيد فِي الرجل؛ فَإِذا زَالَ الغُل من الْعُنُق زَالَ الْقَيْد من الرجل.

ويُروى عَن عمر بن الْخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنه قَالَ: الطمع فقر، واليأس غِنى، وَإِن أحدكُم إِذا يئس من شيءٍ اسْتغنى عَنهُ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَهَذَا أَمر يجده الْإِنْسَان من نَفسه؛ فَإِن الْأَمر الَّذِي ييأس مِنْهُ لَا يَطْلُبهُ، وَلَا يطْمع بِهِ، وَلَا يبْقى قلبه فَقِيرًا إِلَيْهِ، وَلَا إِلَى من يَفْعَله، وَأما إِذا طمع فِي أَمرٍ من الْأُمُور ورجاه؛ فَإِن قلبه يتَعَلَّق بِهِ فَيصير فَقِيرًا إِلَى حُصُوله، وَإِلَى من يظنّ أَنه سَبَبٌ فِي حُصُوله، وَهَذَا فِي المَال والجاه والصور وَغير ذَلِك.

قَالَ الْخَلِيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ...).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لمَّا أنهى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الكلام على بيان حقيقة العبودية، وأيضًا الكلام على مكانة العبودية، وعِظم شأنها، وأيضًا ما بينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن العبودية نوعان: عبوديةٌ عامة، وعبوديةٌ خاصة. العامة عبودية لربوبية الله، والخاصة عبودية لألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما أنهى ذلك عقد هذا الفصل ليُبين فيه تفاضل الناس في هذا الباب تفاضلًا عظيمًا، وأنهم متفاوتون فيه تفاوتًا كبيرًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِذا تبين لك ذَلِك فمعلوم أَن النَّاس يتفاضلون فِي هَذَا الْبَاب تفاضلًا عَظِيمًا**)؛ وتفاضلهم راجعٌ إلى ما قام في قلوبهم من معرفةٍ وإيمانٍ وعبودية لله، فكلما كان العبد أعظم معرفةً بالله وعملًا بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

كان ذلكم أكمل فيه، وأعلى في مقامه ومنزلته، وأعظم في أجره ومثوبته يوم يلقى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإذا نقص من ذلك نقص حظه من الخيرية والكمال بحسب ما انتقص من ذلك.

قال: (**وَهُوَ تفاضلهم فِي حَقِيقَة الْإِيمَان**)؛ أي التفاضل الذي في العبودية هو تفاضلٌ في حقيقة الإيمان، أي: ما قام فيهم من إيمان، ومعلوم أن أهل الإيمان في الإيمان متفاضلون ليسوا في إيمانهم على درجةٍ واحدة، وقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [سورة فاطر، من الآية:32]؛ أي: أنهم ليسوا على درجة واحدة ولا على رُتبة واحدة، بل هم متفاضلون، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ تفاضلهم فِي حَقِيقَة الْإِيمَان وهم ينقسمون فِيهِ إِلَى عَام وخاص**)؛ إيمانٍ عام وإيمانٍ خاص، الإيمان العام أي بربوبية الله الذي يشترك فيه الجميع، يقرون بالربوبية حتى من ينكر منهم الربوبية إنما ينكرها جحودًا وعنادًا واستكبارًا كما مر معنا: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل، من الآية:14]؛ فهذا إيمان عام، لكنه لا يكفي ولا يُنجي، لا يكفي ليكون به العبد مؤمنًا موحدًا، ولا يُنجي من عذاب الله يوم القيامة، وقد مر معنا قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:106]؛ ما المراد بالإيمان هنا؟ أي العام، يؤمن بربوبية الله أنه الخالق، الرازق، المنعم،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المتصرف، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾؛ أي مشركون معه غيره في العبادة، فهذا الإيمان العام بالربوبية والخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة لا يُنجي العبد ولا يكفيه ليكون بذلك من أهل التوحيد أو من أهل الإيمان.

وأما الإيمان الخاص فهو العبودية لله، وتحقيق العبودية له خضوعًا وذلًا وانكسارًا وتقربًا إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بما يرضيه.

قال: **(وَلِهَذَا كَانَت ربوبية الرب سبحانه لَهُم فِيهَا عُمُوم وخصوص وضروب)**؛ أي هناك ربوبية عامة وربوبية خاصة، الربوبية العامة تتناول الخلق، والرزق، والإنعام، والصحة وغير ذلك مما يشترك فيه الجميع، المسلم والكافر، والبر والفاجر، فهذه تُسمى الربوبية العامة؛ أي: التي تتناول جميع المخلوقات.

وأما الربوبية الخاصة فهي ما اختص به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أصفياءه وأولياءه وأنبياءه من تربية على الإيمان؛ فهذا من الربوبية -من التدبير- أن الله عَزَّوَجَلَّ هداهم، وفقهم، سددهم، أعانهم، أصلحهم؛ هذا من التربية الخاصة، فإذًا ربوبية الله لخلقه نوعان:

- ربوبية عامة؛ والربوبية العامة يشترك فيها الجميع المسلم والكافر، والبر والفاجر، والمهتدي والضال، كلهم يشتركون فيها من حيث أن

الله خالقهم، ورازقهم، والمنعم عليهم، والمتصرف فيهم هذا ربوبية عامة.

- أما الربوبية الخاصة التي هي التربية على الإيمان والتوحيد والطاعة لله فهذه ليست عامة للجميع؛ وإنما هي خاصة، خص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بها أولياءه واصفياءه وأنبياءه، وتسمى التربية الخاصة.

ولأجلها تجد أكثر أدعية الأنبياء فيها سؤال الله بربوبيته، (ربِّ، ربنا)، هذا كثير في أدعية الأنبياء، يدعون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى متوسلين إليه بهذا الاسم (ربنا، ربِّ)، وهذا فيه استشعار ما مَنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عليهم به من تربيةٍ خاصة، حيث رباهم على الإيمان وهداهم ووفقهم وأعانهم؛ فيتوسلون إلى الله بهذا الاسم العظيم مستشعرين ذلك (ربنا، ربِّ) يكثر هذا في دعاء أو دعوات النبيين -عليهم صلوات الله وسلامه-.

قال: (**وَلِهَذَا كَانَ الشّرك فِي هَذِه الْأمة «أخْفى من دَبِيب النَّمْل»**)؛ لأن الشرك له متعلقات كثيرة، إذا وقع الإنسان في شيء منها أشرك، فيتعلق بعبوديات القلب، يتعلق بالأعمال الظاهرة، يتعلق بأقوال اللسان، يتعلق بجوانب كثيرة، فإذا وقع في شيءٍ منها أشرك، أيضًا منه ظاهر ومنه خفي، منه علن ومنه سر، قد يُشرك الإنسان ويرى الناس شركه، وقد يشرك ولا يرون شركه، قد يشرك بقوله، قد يشرك بقلبه، وقد يشرك أيضًا بعمله. فالشرك كما أخبر النبي

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أخفى من دبيب النمل**»، منه جلي ليس كل الشرك بهذه الصفة، منه جلي ظاهر، ومنه شركٌ خفي، وصفه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في شدة خفاءه بأنه: «**أخفى من دبيب النمل**»، كما صح في الحديث عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل**»، سبحان الله! ما هو دبيب النمل الذي الشرك أخفى منه؟ الآن وأنت جالس في هذا المجلس لو مرت من جوارك نملة تدب على الأرض تشعر بها؟ قال: «**الشرك أخفى من دبيب النمل**»، يقول: «**والذي نفسي بيده للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل**».

إذًا هذا يقتضي أن يخاف الإنسان على نفسه من الشرك، عندما تُخبر بشيء خطير جدًا، وأيضًا يقال لك فيه خفاء شديد قد يتسرب إليك، ويتسلل إلى نفسك يشتد خوفك منه، على سبيل المثال: لو قيل لك عن مرض من الأمراض أنه مرض خطير جدًا، ثم قيل لك: هذا المرض يعني يأتي بصورة ما تشعر بها، يخاف الإنسان، ويشتد خوفه، فالشرك الذي هو أعظم الآفات وأخطرها منه ما هو خفي، وهو في شدة خفاءه أشد خفاءً من دبيب النمل.

إذًا هذا من الأمور التي تقتضي الخوف من الشرك، والخوف من الشرك فريضة وواجب بل هو من أعظم الواجبات أن يكون خوفك من الشرك أشد من خوفك من أي أمرٍ آخر؛ لأن الشرك أعظم ذنب عُصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، أعظم ذنب، هو الذنب الذي من مات عليه بقي في جهنم يوم القيامة أبد الآباد؛ لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها، هو الذنب الذي قال

الله عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:48]. من مات مشركًا لا مطمع له في رحمة، ولا مطمع في مغفرة، ولا مطمع له في نجاة؛ فإذًا الخوف من الشرك يجب أن يكون شديدًا.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد في كتابه [التوحيد] بابًا عظيمًا سماه [باب الخوف من الشرك]؛ لأن هذا من الأمور المطلوبة من العبد أن يخاف من الشرك، وإذا خُفت من الشرك بدأت تعمل على الحذر منه مجانبته والبعد عنه، انظر حال من يخاف من أشياء معينة في هذه الحياة.

مثلًا: من يخاف على نفسه مثلًا من السُّمنة، أو يخاف على نفسه من الأمراض التي تترتب على الأغذية والأخلاط من الأكل، ماذا يفعل؟ تجد الخوف الذي عنده من السُّمنة أو الخوف الذي عنده من الأطعمة تجده يمشي على برنامج حُمية من أطعمة وأشياء يحبها ويشتهيها ونفسه ترغب فيها ويحتمي منها، يحتمي من الأطعمة المباحة خوفًا من المرض، ولا يحتمي من الذنوب خوفًا من النار، تجده يحتمي فعلًا حمية دقيقة جدًا وبرنامج دقيق كله من أجل حمية أو محافظة على بدنه أن لا يُصاب بمرض أو بسمنة أو غير ذلك، ثم يُمارس ذنوبًا ومعاصي تُسخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وموجبة لعقوبة في النار ولا يحتمي منها، فعجبًا لحال من يحتمي من الأطعمة خوفًا من مضرتها! كيف لا يحتمي من الذنوب خوف معرتها؟!

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والإنسان العاقل فعلًا هو الذي يحتمي، ويتحرز ويخاف ولاسيما من أشد الأدواء، وأعظم الذنوب وأخطرها وليس هناك أخطر من الشرك، ليس هناك من الآفات والأضرار أخطر من الشرك، أعظم ذنبٍ عُصي الله به، والله يقول عن الكفار يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر، من الآية:36-37]؛ فعاقبة المشرك هي أشنع عاقبة وأسوأ عاقبة، فمن الأمور التي يجب على العبد أن يشتد خوفه منها في هذه الحياة ويسأل الله أن يعافيه منها وأن ينجيه منها الشرك بالله.

وإذا كان إمام الحنفاء خليل الرحمن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي حطَّم الأصنام بيده، وكسرها صنمًا صنمًا، قال في دعاءه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:35]؛ يقول في دعاءه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾. ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾؛ أي اجعلني في جانب بعيد عن الأصنام وعن عبادتها، وهو إمام الحنفاء، قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم إذا كان إمام الحنفاء يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾؛

فمن يأمن البلاء؟! ثم ماذا قال بعد أن دعا هذه الدعوة: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:35-36]؛ الأصنام أضلت كثير من الناس، والناس يُفتنون بالأصنام والأوثان، وعبادة غير الله يفتنون بوسائل ووسائل كثيرة جدًا، وتدخل عليهم، ولا سيما عندما يكون الإنسان في ضائقة من مرض أو مُصاب أو فقر، أو غير ذلك تدخل عليه الشركيات والتعلقات الباطلة دخولًا شنيعًا.

فالشرك آفة هي أعظم الآفات وأخطرها، ويجب على الإنسان أن يحذر منها، ونبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما أخبر بهذا الحديث لما قال: «**للشرك أخفى فيكم من دبيب النمل**»، لماذا قال هذا الكلام؟ ما الغرض من هذا الكلام؟ لما قال: «**للشرك أخفى فيكم من دبيب النمل**»؛ ما الغرض من هذا الكلام؟ مجرد معلومة يعرفها الإنسان؟ أم أنه حتى يحذر الإنسان، ويكون على حذر شديد ومجاهدة لنفسه أن لا تتفلت منه إلى أي شيء من الشرك لا صغير ولا كبير، فالمقام مقام مجاهدة، قال: «**للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل**».

ثم إنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث نفسه وهو في [الأدب المفرد] للبخاري وغيره وهو حديث ثابت، قال -وهو الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه، وجزاه عن أمتي أمة الإسلام خير ما جزا نبيًا عن أمته صلوات الله وسلامه عليه- قال: «**ألا أخبركم بشيء إذا قلتموه أذهب الله عنكم قليل**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الشرك وكثيره؟» قال لهم ذلك؛ لأنه حرك في نفوسهم خوفًا من الشرك لما قال: «**للشرك أخفى فيكم من دبيب النمل**»؛ حرك في نفوسهم خوفًا من الشرك، ثم في هذا المقام علمهم دعوة عظيمة مباركة نافعة في هذا الباب يجدر بكل مسلم أن يحفظها وأن يحافظ عليها قال: «**ألا أخبركم بشيء إذا قلتموه أذهب الله عنكم قليل الشرك وكثيره؟**» قالوا: بلى، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تقولون: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»، هذا تعود أي التجاء إلى الله واعتصام به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحميك من الشرك، أن تشرك بالله وأنت تعلم، أو أن تشرك من حيث لا تعلم، وهذا فيه تنبيه: أن وقوع الإنسان في الشرك قد يكون وقوعًا فيه عن علم، وقد يكون عن غير علم، كما واضح في هذه الدعوة.

فهي دعوة عظيمة يجدر بنا أن نحفظها وأن نحافظ عليها: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**».

قال شيخ الإسلام: (**وَلِهَذَا كَانَ الشّرك فِي هَذِه الْأمة «أخْفى من دَبِيب النَّمْل»، وَفِي "الصَّحِيح" عَن النَّبِي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وَإِذا شيك فَلَا انتقش، إِن أعطي رَضِي، وَإِن مُنع سخط»**)؛ هذا حديث يُبين لنا صورة من صور هذه التعلقات الباطلة التي تُبتلى بها قلوب كثيرٍ من الناس، وبدأ الحديث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: (**تعس**) أي: هلك، من كان بهذه الصفة،

(تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار)؛ الدرهم والدينار هما النقدان من الذهب والفضة، الدرهم من الذهب والدينار من الفضة، أي: قلبه وهمه الدرهم والدينار، ونصبه وتعبه كله للدرهم والدينار، فمن كان بهذه الصفة فهو عبدٌ للدرهم وعبدٌ للدينار، **(تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة)**؛ القطيفة والخميصة نوعان من الأقمشة والألبسة بحيث يكون الإنسان همه اللباس، وهمه الزينة الظاهرة، وما علم أن لباس التقوى خير وأنفع وأعظم؛ فيهتم بلباسه وزينته الظاهرة وهيئته الظاهرة لكن الباطن خراب تباب، فهمه زينته الظاهرة، أما زينة الإيمان لا يعتني بها ولا يُلقي لها بالًا، وفي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «**اللهم زينًّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**».

قال: **(تعس وانتكس)**؛ وهذا دعاءٌ عليه من كان بهذه الصفة، التعاسة الهلاك والانتكاس معروف أن ينقلب رأسًا على عقب، قال: **(تعس وانتكس، وَإِذا شِيك فَلَا انتقش)**؛ فهذا بيان لسوء حاله أن من كان بهذه الصفة عبد للدرهم، عبد للدينار، عبد للخميصة، عبد للقطيفة، **(وَإِذا شِيك فَلَا انتقش)**؛ وشيك أي أصابته شوكة، **(فَلَا انتقش)**؛ أي لا يجد من يُعينه على الخلاص منها والفكاك منها، **(تعس وانتكس، وَإِذا شِيك فَلَا انتقش، إِن أعطي رَضِي، وَإِن منع سخط)**؛ أي: أن قلبه كله متعلق بالدرهم والدينار، إن كان حصَّل الدرهم والدينار حصل الرضا إن لم يحصله حصل السخط وعدم الرضا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(فَسَماهُ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عبد الدِّرْهَم، وَعبد الدِّينَار، وَعبد القطيفة، وَعبد الخميصة، وَذكر مَا فِيهِ)؛ يعني في حال من كان كذلك (مَا فِيهِ دُعَاء وخبرًا)؛ دعاء أي عليه، وخبر عن سوء حاله، مثل قوله: (وَإِذا شِيك فَلَا انتقش)؛ هذا خبر، (تعس وانتكس)؛ هذا دعاء عليه، (وَذكر مَا فِيهِ دُعَاء وخبرًا وَهُوَ قَوْله: «تعس وانتكس وَإِذا شيك فَلَا انتقش»).

(والنقش إِخْرَاج الشَّوْكَة من الرجل والمنقاش مَا يخرج بِهِ الشَّوْكَة. وَهَذِه حَال من إِذا أَصَابَهُ شَرّ لم يخرج مِنْهُ وَلم يفلح لكَونه تعس وانتكس)؛ يعني من يكون مفتونًا بهذه الأشياء لا يتخلص منها إلا أن يتغمده الله برحمةً منه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال: (فَلَا نَالَ الْمَطْلُوب، وَلَا خلص من الْمَكْرُوه، وَهَذِه حَال من عبد المَال، وَقد وصف ذَلِك بِأَنَّهُ إِذا أُعطِي رَضِي، وَإِذا منع سخط كَمَا قَالَ تَعَالَى)؛ أي عن المنافقين. (﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:58])؛ أي رضاهم وسخطهم ليس راجعًا للدين وإنما للمال، إن أعطوا من المال حصل الرضا، وإن لم يعطوا حصل السخط، (فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله)؛ بخلاف المؤمن الذي أكرمه الله بأن عُمر قلبه بالإيمان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه كله

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لله، وفي الحديث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من أحب لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**».

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا ليس خاصًا بمن تعلق قلبه بمال، وإنما أيضًا يشمل من تعلق برئاسة أو بصورة أو غير ذلك، قال: (**وَهَكَذَا حَال من كَانَ مُتَعَلقًا برئاسة أَو بِصُورَة -وَنَحْو ذَلِك من أهواء نَفسه-**)؛ الذي يكون تعلق برئاسة قلبه متعلقة بها وهي همه يُضحي بكل شيء من أجلها، حتى الدين الذي يعرف أن نجاته يوم القيامة ورضا الله عنه لا يكون إلا به يتخلى عنه من أجل رئاسته، ويتنازل عن أمور دينه واحدًا أمرًا تلو الآخر من أجل رئاسته، يُفرط في دينه ولا يفرط في رئاسته إذا كان قلبه متعلقًا بها، وأيضًا مثله من كان متعلقًا بصورة، العشق الحرام، الناشئ عن النظر للصور المحرمة أو النظر إلى الحرام من النساء أو المردان أو نحو ذلك، إذا حصل في قلبه تعلق وأصبح متيمًا بذلك أهلكه ذلك أشد الهلاك وأصبح عبدًا له، قال: (**-وَنَحْو ذَلِك من أهواء نَفسه- إِن حصل لَهُ رَضِي، وَإِن لم يحصل لَهُ سخط؛ فَهَذَا عبد مَا يهواه**)؛ وقد قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [سورة الفرقان، من الآية:43]. (**فَهَذَا عبد مَا يهواه من ذَلِك وَهُوَ رَقِيق لَهُ؛ إِذْ الرّقّ والعبودية فِي الْحَقِيقَة هُوَ رق الْقلب وعبوديته**)؛ الآن رق القلب وعبوديته الذي حصل لصاحب المال من تعلقٍ شديدٍ في قلبه للمال، أو تعلقٍ شديدٍ في قلبه للصورة أو للرئاسة أو غير ذلك كيف أثر فيه ذلك الرق بحيث أنه يتخلى عن كل شيء من أجله؟! يتخلى عن

كل شيء ينفعه في دينه ودنياه من أجل هذا الأمر الذي استرق قلبه، وأصبح عبدًا له، قال: (**إِذْ الرّقّ والعبودية فِي الْحَقِيقَة هُوَ رق الْقلب وعبوديته، فَمَا اسْترق الْقلب واستعبده فَهُوَ عَبده. وَلِهَذَا يُقَال:**

العَبْــــد حُــــرٌّ مَــــا قَنِــــع وَالْحُــــر عبــد مَــا طَمِــع

(**العَبْد**)؛ أي الرقيق، الرجل الرقيق المملوك، (**حُرٌّ مَا قَنِع**)؛ إذا كانت نفسه متحلية بالقناعة فهو حر، (**وَالْحُر عبدٌ مَا طَمِع**)؛ الرجل الحر إذا قام في قلبه الطمع أصبح رقيقًا، ولهذا يكون هذا الحر بسبب طمعه يحصل له من الذل والخضوع والانكسار أمام أصحاب رئاسة أو أصحاب مال وتذلل بسبب الطمع الذي قام في قلبه، بينما لو أنه يأس نفسه مما عندهم وقنطها مما عندهم لأصبح نظيرًا لهم بما آتاه الله من قناعة وعدم تعلقٍ، بينما إذا تعلق القلب حصل له من الرق والعبودية والذل بحسب ذلك.

(**وَقَالَ الشَّاعِر**:

أطعتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي وَلَو أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْتَ حرًّا).

(**أطعتُ مَطَامِعِي**)؛ يعني أصبحت كل ما طمعت نفسي في شيء أخذت ألهث وراءه وأسعى فيه بكل طريق حسنٍ أو قبيح، (**فَاسْتَعْبَدَتْنِي**)؛ أي صرت عبدًا لمطامعي، يقول: (**وَلَو أَنِّي قَنِعْتُ**)؛ لو أنني تحليت بالقناعة، (**لَكُنْتَ حرًّا**)؛

لسلمت من ذلك، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيُقَال: الطمع غُل فِي الْعُنُق)؛ بضم الغين، وأما بكسرها فهو الحقد، الغِل بكسر الغين ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ [سورة الحشر، من الآية:10]؛ أي: حقدًا وحسدًا وضغينة، وأما بالضم فهو ما يوضع في العنق، فالغُل في العنق والغِل في الصدر، وهو الحقد. (**الطمع غُل فِي الْعُنُق قيد فِي الرجل**)؛ يعني إذا صار أصيب القلب بالطمع صار يلهث وراء أطماع نفسه أصبح في عُنقه غُل وفي رجله قيد، يعني مطامعه جعلته بهذه الصفة، (**فَإِذا زَالَ الغُل من الْعُنُق زَالَ الْقَيْد من الرجل، ويروى عَن عمر بن الْخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **أَنه قَالَ: الطمع فقر**)؛ أي: أن المصاب بطمع ونفسه مليئة بالطمع هو إنسان فقير مهما أوتي ومهما حصل يبقى فقيرًا. (**واليأس غنى**)؛ عندما يعود الإنسان نفسه على اليأس مما في أيدي الناس أصبح غنيًا بما آتاه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من قناعة، (**وَإِن أحدكُم إِذا يئس من شيءٍ اسْتغنى عَنهُ**)؛ وهذه كلمة والله عظيمة جدًا، (**وَإِن أحدكُم إِذا يئس من شيءٍ اسْتغنى عَنهُ**)؛ يعني لم يحتج إليه، لكن إذا طمع فيه لم ييأس وإنما طمع أصبح قلبه دائمًا طامعًا فيه، فهو محتاج إليه دائمًا حتى وإن لم يحصل له إلى أن يموت تبقى نفسه طامعة.

أما الآخر الذي يأس نفسه من ذلك الشيء وأشعرها بأنها غير محتاج إليه يُصبح مرتاح النفس، مطمئن البال بمثابة الغني، قال: (**إِذا يئس من شيءٍ اسْتغنى عَنهُ، وَهَذَا أَمرٌ يجده الْإِنْسَان من نَفسه**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يقول ابن تيمية: (**وَهَذَا أَمرٌ يجده الْإِنْسَان من نَفسه**)؛ يعني: لو امتحن نفسه بهذا الضابط لوجد ذلك في نفسه، إذا طمع في شيء افتقر إليه وإذا يأس منه استغنى عنه، ولم يصبح في قلبه تعلق به.

(**فَإِن الْأَمر الَّذِي ييأس مِنْهُ ولَا يَطْلُبهُ، وَلَا يطْمع به، وَلَا يبْقى قلبه فَقِيرًا إِلَيْهِ، وَلَا إِلَى من يَفْعَله**)؛ هذه حال الإنسان. (**وَأما إِذا طمع فِي أَمر من الْأُمُور رجاءً وتَعَلَّق قلبه بِهِ فصار فَقِيرًا إِلَى حُصُوله، وَإِلَى من يظنّ أَنه سَبَب فِي حُصُوله، وَهَذَا فِي المَال والجاه والصور وَغير ذَلِك**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ الْخَلِيل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:17]؛ فَالْعَبْد لَا بُد لَهُ من رزق وَهُوَ مُحْتَاج إِلَى ذَلِك؛ فَإِذا طلب رزقه من الله صَار عبدًا لله فَقِيرًا إِلَيْهِ، وَإِذا طلبه من مَخْلُوق صَار عبدًا لذَلِك الْمَخْلُوق فَقِيرًا إِلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَت مَسْأَلَة الْمَخْلُوق مُحرمَة فِي الأَصْل، وَإِنَّمَا أبيحت للضَّرُورَة. وَفِي النهى عَنْهَا أَحَادِيث كَثِيرَة فِي "الصِّحَاح" و"السُّنَن" و"المسانيد" كَقَوْلِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تزَال الْمَسْأَلَة بأحدكم حَتَّى يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة وَلَيْسَ فِي وَجهه مزعة لحم**»، وَقَالَ: «**من سَأَلَ النَّاس وَله مَا يُغْنِيه جَاءَت مَسْأَلته يَوْم الْقِيَامَة خدوشًا أَو خموشًا أَو كدوشًا فِي وَجهه**»، وَقَوله: «**لَا تحل الْمَسْأَلَة إِلَّا لذِي غرم مفظع، أَو دم موجع، أَو فقر مدقع**»، وَهَذَا الْمَعْنى فِي "الصَّحِيح"، وَفِيه أَيْضًا: «**لِأَن**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يَأْخُذ أحدكُم حبله فَيذْهب فيحتطب خير لَهُ من أَن يسْأَل النَّاس أَعْطوهُ أَو منعُوهُ»، وَقَالَ: «مَا أَتَاك من هَذَا المَال وَأَنت غير سَائل وَلَا مستشرف فَخذه، وَمَا لَا فَلَا تتبعه نَفسك»؛ فكره أَخذه مَعَ سُؤال اللِّسَان واستشراف الْقلب، وَقَالَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «من يسْتَغْن يغنه الله، وَمن يستعف يعفه الله، وَمن يتصبر يصبره الله، وَمَا أعطي أحد عَطاءً خيرًا وأوسع من الصَّبْر».

وَأوصى خَواص أَصْحَابه أَلا يسْأَلُوا النَّاس شَيْئًا، وَفِي "الْمسند": (أَن أَبَا بكرٍ كَانَ يسْقط سَوْطه من يَده فَلَا يَقُول لأحدٍ: ناولني إِيَّاه، وَيَقُول: إِن خليلي أَمرنِي أَلا أسأَل النَّاس شَيْئًا)، وَفِي "صَحِيح مُسلم" وَغَيره عَن عَوْف بن مَالك أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَايعه فِي طَائِفَة وَأسر إِلَيْهِم كلمة خُفْيَة: «أَن لَا تسْأَلُوا النَّاس شَيْئًا»، فَكَانَ بعض أُولَئِكَ النَّفر يسْقط السَّوْط من يَد أحدهم وَلَا يَقُول لأحد: ناولني إِيَّاه).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (**فَالْعَبْد لَا بُد لَهُ من رزق وَهُوَ مُحْتَاج إِلَى ذَلِك**)؛ أي أن هذا أمر معلوم ومتقرر أن العبد لا بد له من رزق، وبحاجة إلى الرزق، فكيف يصنع في تحصيل الرزق واكتسابه؟ مرت معنا الآية في قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:17]؛ أي: لا عند غيره، الجئوا إليه لا إلى غيره، ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:17]؛ فابتغاء الرزق يكون عند الله بدعائه وسؤاله وببذل الأسباب

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

التي أباحها لعباده، أما ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبده عنه فليحذر أن يجعله سبيلًا لتحصيل الرزق، فابتغاء الرزق يكون بسؤال الله، وكان نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كل يومٍ إذا أصبح بعد أن يُسلم من صلاة الفجر يقول: «**اللهم إني اسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا**»، وهو حديثٌ صحيح، ودعوة ينبغي على كل مسلم أن يدعو بها كل يوم بعد صلاة الصبح، «**اللهم إني اسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا**»؛ كل يوم يسأل الله -صلوات الله وسلامه عليه- الرزق إذا أصبح، فإذًا الرزق يكون بابتغائه عند الله بسؤاله ودعاءه والاستعانة به والالتجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم ببذل الأسباب النافعة التي أباحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده لتحصيل الرزق.

(**فَإِذا طلب رزقه من الله صَار عبدًا لله فَقِيرًا إِلَيْهِ**)؛ إذا طلب رزقه من الله: يا رب، يا رب ارزقني، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في دعاءه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص، من الآية:24]؛ هذا دعاء، سؤال الله الرزق، فيسأل الله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:114]؛ هذا عبودية؛ عبودية لله وذل وافتقار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله سبحانه يحب من عبده أن يسأله، بل إنه جَلَّ وَعَلَا يغضب إذا ترك العبد سؤاله، جاء في الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»، يحب الله من عبده أن يسأله، فسؤال الله الرزق هذا من العبودية لله والذل بين يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والطمع في نواله.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (وَإِذا طلبه من مَخْلُوق صَار عبدًا لذَلِك الْمَخْلُوق فَقِيرًا إِلَيْهِ)؛ إذا علق قلبه في رزقه وحاجته بمخلوق أصبح عبدًا لذلك المخلوق فقيرًا إليه، (وَلِهَذَا كَانَت مَسْأَلَة الْمَخْلُوق مُحرمَة فِي الأَصْل)؛ الأصل في سؤال المخلوق أنه محرم -هذا الأصل-، لا يستثنى من ذلك إلا أشياء تكون في حدود الضرورة ونحو ذلك، وإلا الأصل أنها محرمة. (وَإِنَّمَا أبيحت للضَّرُورَة. وَفِي النهى عَنْهَا أَحَادِيث كَثِيرَة فِي "الصِّحَاح" و"السُّنَن" و"المسانيد" كَقَوْلِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تزَال الْمَسْأَلَة بأحدكم...»)؛ المسألة أي مسألة الناس يمد يده إليهم يسألهم أعطوه أو منعوه. («لَا تزَال الْمَسْأَلَة بأحدكم حَتَّى يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة وَلَيْسَ فِي وَجهه مزعة لحم»)؛ أي من ذل هذه المسألة التي تعلق قلبه فيها بالناس توجهًا إليهم وطلبًا منهم.

وقوله: («من سَأَلَ النَّاس وَله مَا يُغْنِيه...»)؛ يعني لم يكن سؤاله عن ضرورة اضطرته للسؤال، («من سَأَلَ النَّاس وَله مَا يُغْنِيه جَاءَت مَسْأَلته يَوْم الْقِيَامَة خدوشًا، أَو خموشًا، أَو كدوشًا فِي وَجهه»)؛ أي يأتي يوم القيامة بهذه الصفة تظهر مسألته على وجهه: خدوش أو خموش أو نحو ذلك.

(وَقَوله: «لَا تحل الْمَسْأَلَة إِلَّا لذِي غُرم مفظع، أَو دم موجع، أَو فقر مدقع»)؛ أي أن هؤلاء هم من تحل لهم المسألة، (وَهَذَا الْمَعْنى فِي "الصَّحِيح"، وَفِيه أَيْضًا: «لِأَن يَأْخُذ أحدكُم حبله فَيذْهب فيحتطب خير لَهُ من أَن يسْأَل النَّاس أَعْطوهُ أَو منعُوهُ »، وَقَالَ: «مَا أَتَاك من هَذَا المَال وَأَنت غير سَائل وَلَا

مستشرف فَخذه، وَمَا لَا فَلَا تتبعه نَفسك»)؛ أي: لا تعلق قلبك به، وتسأل الناس وتطلب منهم أعطوك أو منعوك.

قال: (**فَكَرِهَ أَخذه مَعَ سُؤال اللِّسَان واستشراف الْقلب**)؛ أما إذا كان من غير سؤال ولا استشراف قلبٍ فللإنسان أن يأخذ قال: (**فَخذه**).

(**وَقَالَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «من يسْتَغْن يغنه الله، وَمن يستعف يعفه الله، وَمن يتصبر يصبره الله، وَمَا أعطي أحد عَطاءً خيرًا وأوسع من الصَّبْر»**)؛ وهذا فيه أن العبد إذا أكرمه الله بالاستغناء أي عما في أيدي الناس أغناه الله عنهم، ومن أيضًا كتب له العفاف أعفه الله، من أكرمه الله بالتعفف أعفه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن تصبر يصبره الله، وهذا فيه التنبيه في هذا المقام إلى بذل الأسباب، يستعف، يتصبر، يستغني؛ هذا بذل للأسباب وإذا بذل الأسباب مستعينًا بالله أعفه الله وأغناه وصبره. (**وَمَا أعطي أحد عَطاءً خيرًا وأوسع من الصَّبْر»**).

قال: (**وَأوصى خَواص أَصْحَابه أَلا يسْأَلُوا النَّاس شَيْئًا**)؛ وشيئًا نكرة في مقام النهي فتعم، أي لا يسألهم أي شيء، (**أَلا يسْأَلُوا النَّاس شَيْئًا**).

قال: (**وَفِي "الْمسند": (أَن أَبَا بكرٍ كَانَ يسْقط من يَده الشيء فَلَا يَقُول لأحدٍ: ناولني إِيَّاه**)؛ عملًا بنهي النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهم أن لا يسألوا الناس شيئًا، (**وَيَقُول: إِن خليلي أمرنِي أَلا أسأَل النَّاس شَيْئًا. وَفِي "صَحِيح مُسلم" وَغَيره عَن عَوْف بن مَالك أَن النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَايعه فِي طَائِفَة وَأسر إِلَيْهِم كلمة**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

خُفْيَة: «أَن لَا تسْأَلُوا النَّاس شَيْئًا»، فَكَانَ بعض أُولَئِكَ النَّفر يسْقط السَّوْط من يَد أحدهم وَلَا يَقُول لأحد: ناولني إِيَّاه).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقد دلّت النُّصُوص على الْأَمر بِمَسْأَلَة الْخَالِق وَالنَّهْي عَن مَسْأَلَة الْمَخْلُوق فِي غير موضِع كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [سورة الشرح، من الآية:7-8]، وَقَول النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاس: «**إِذا سَأَلت فأسال الله واذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، وَمِنْه قَول الْخَلِيل: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:17]، وَلم يقل: فابتغوا الرزق عِنْد الله؛ لِأَن تَقْدِيم الظّرْف يشْعر بالاختصاص والحصر كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تبْتَغُوا الرزق إِلَّا عِنْد الله وَقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [سورة النساء، من الآية:32].

وَالْإِنْسَان لَا بد لَهُ من حُصُول مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الرزق وَنَحْوه وَدفع مَا يضرّهُ، وكلا الْأَمريْنِ شُرع لَهُ أَن يكون دعاؤه لله؛ فَلَا يسْأَل رزقه إِلَّا من الله، وَلَا يشتكي إِلَّا إِلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ يَعْقُوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية:86]).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **(وَقد دلّت النُّصُوص)**؛ أي نصوص الكتاب والسنة **(على الْأَمر بِمَسْأَلَة الْخَالِق وَالنَّهْي عَن مَسْأَلَة الْمَخْلُوق فِي غير موضِع)**؛ وقد تقدَّم أيضًا شيءٌ من ذلك، قال: **(كَقَوْلِه تَعَالَى:** ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿فَٱرۡغَب﴾ [سورة الشرح، من الآية:7-8])؛ أي: إليه وحده، وتقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾؛ أي: ارغب إليه وحده دون سواه، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ أي: إليه وحده دون سواه. فالرغبة لا تكون إلا لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(**وَقَول النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **لِابْنِ عَبَّاس: «إِذا سَأَلت فأسال الله، واذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِالله»**)؛ أوصاه بذلك وأخبره في سياق هذا الحديث: "أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لا ينفعوه إلا بشيء كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لن يضروه إلا بشيء كتبه الله عليه"، قال: (**وَمِنْه قَول الْخَلِيل** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:17])؛ والأسلوب هنا أسلوب حصر. ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾؛ أي وحده دون سواه، فالأسلوب أسلوب حصرٍ، ولهذا يقول: (**وَلم يقل: فابتغوا الرزق عِنْد الله؛ لِأَن تَقْدِيم الظّرْف يشْعر بالاختصاص والحصر كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَبْتَغُوا الرزق إِلَّا عِنْد الله، وَقد قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [سورة النساء، من الآية:32])؛ أي أن ذلك لا يلتجا فيه إلا إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وحده.

قال شيخ الإسلام: (**وَالْإِنْسَان لَا بد لَهُ من حُصُول مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الرزق وَنَحْوه ومن دفع مَا يضرّهُ**)؛ محتاج إلى هذا وهذا، محتاج إلى منافع يستجلبها ومضار أيضًا يستدفعها، محتاج إلى جلب المنافع ودفع المضار، محتاج إلى

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

هذا وهذا، وكله بيد الله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [سورة فاطر، من الآية:2]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]؛ الأمر بيد الله، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:56]؛ فالعبد محتاج إلى هذا وهذا، (**وكلا الْأَمريْنِ شُرع لَهُ أَن يكون دعاؤه لله**)؛ فلا يسأل إلا الله، ولا يشتكي إلا إليه، له يسأله وإليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يشتكي، له يسأل أي حاجته التي يريد من المنافع، والخيرات، والبركات، والأرزاق، والإنعام، يسأل الله وحده، وأيضًا في مقام الدفع دفع الشيء الذي يضره ويؤذيه لا يلجأ إلا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيكون السؤال له وتكون الشكوى إليه، (**كَمَا قَالَ يَعْقُوب** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية:86]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالله تَعَالَى ذكر فِي الْقُرْآن الهجر الْجَمِيل، والصفح الْجَمِيل، وَالصَّبْر الْجَمِيل، وَقد قيل: إن الهجر الْجَمِيل هُوَ هجر بِلَا أَذَى، والصفح الْجَمِيل صفح بِلَا معاتبة، وَالصَّبْر الْجَمِيل صَبر بِغَيْر شكوى إِلَى الْمَخْلُوق، وَلِهَذَا قرئَ على أَحْمد بن حَنْبَل فِي مَرضه: إِن طاووسًا كَانَ يكره أَنِين الْمَرِيض وَيَقُول: إِنَّه شكوى فَمَا أَنَّ أَحْمد حَتَّى مَاتَ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَأما الشكوى إِلَى الْخَالِق فَلَا تنَافِي الصَّبْر الْجَمِيل؛ فَإِن يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف، من الآية:83]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية:86].

وَكَانَ عمر بن الْخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقْرَأ فِي الْفجْر بِسُورَة يُونُس، ويوسف، والنحل؛ فَمر بِهَذِهِ الْآيَة فِي قِرَاءَته فَبكى حَتَّى سُمع نَشِيجه من آخر الصُّفُوف).

أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أن القرآن جاء فيه ذكر الهجر الجميل، والصبر الجميل، والصفح الجميل، وبين معنى كلٍّ، قال: (**الهجر الْجَمِيل هُوَ هجر بِلَا أَذَى**)؛ إذا هجر هجرًا جميلًا، أي هجره بدون أن يؤذيه أو يناله منه أذى، (**والصفح الْجَمِيل صفح بِلَا معاتبة**)؛ يصفح ولا يُعاتب، فإذا كان صفحٌ بلا معاتبة فهو صفحٌ جميل، (**وَالصَّبْر الْجَمِيل صَبر بلا شكوى إِلَى الْمَخْلُوق**)؛ ومر معنا قريبًا أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية:86]، مع أنه قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف، من الآية:83]؛ أي أنه متحلي بالصبر الجميل عَلَيْهِ السَّلَامُ، متحلٍ بالصبر الجميل ومع ذلك قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾؛ إذًا يُستفاد من ذلك أن شكوى العبد إلى الله

لا يتنافى مع صبره الجميل، يكون عنده الصبر الجميل ويشكو إلى الله وشكواه إلى الله لا تتنافى مع صبره الجميل.

(**وَلِهَذَا قُرِئَ على أَحْمد بن حَنْبَل فِي مَرَضه: إِن طاووسًا كَانَ يكره أَنِين الْمَرِيض وَيَقُول: إِنَّه شكوى**)؛ ما معنى شكوى؟ أي: إلى المخلوق، يسمعه أنينه حتى يُعلمه ويُوضح له أو يشكو إليه مرضه؛ فيأن، وشكواه نوع أو أنينه نوع من الشكوى للمخلوق، قال: كان **طاووس كَانَ يكره أَنِين الْمَرِيض وَيَقُول: إِنَّه شكوى فَمَا أَنَّ أَحْمد حَتَّى مَاتَ**)؛ أي لم يُسمع له أنين حتى مات.

(**وَأما الشكوى إِلَى الْخَالِق سبحانه فَلَا تنَافِي الصَّبْر الْجَمِيل**)؛ الشكوى إلى المخلوق تنافي الصبر الجميل، أما الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لماذا؟ لأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ [سورة يوسف، من الآية:83]، وفي الوقت نفسه قَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية:86].

ثم بمناسبة ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الآية والشيء بالشيء يذكر، أورد أثر عمر بن الخطاب أنه كان (**يقْرَأ فِي الْفجْر بِسُورَة يُونُس، ويوسف، والنحل**)؛ في الفجر، يعني: يقرأ سورة يوسف كاملة في صلاة الفجر، ما رأيكم لو أن إمامًا قرأها في صلاة الفجر؟ لو قرأها في صلاة الفجر! فكان يقرأ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يقرأ بيونس ويوسف والنحل حتى صلاة الفجر التي طعن فيها كان يقرأ فيما أذكر في

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

سورة يوسف في الصلاة التي طُعن فيها، وأحد التابعين -لا أذكر اسمه الآن- يقول: إنما حفظت سورة يوسف من قراءة عمر أو قال عثمان لها في صلاة الفجر، حفظ سورة يوسف من قراءة عمر أو عثمان -نسيت الآن- في صلاة الفجر، حتى عثمان أيضًا كان يقرأها في صلاة الفجر كاملة.

قال: (**فَمر بِهَذِهِ الْآيَة**)؛ أي: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ فمر بهذه الآية عمر. (**فَبكى حَتَّى سمع نَشِيجه من آخر الصُّفُوف**)؛ حتى سُمع نشيجه بسبب البكاء من آخر الصفوف.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن دُعَاء مُوسَى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: "اللَّهُمَّ لَك الْحَمد، وَإِلَيْك الْمُشْتَكى، وَأَنت الْمُسْتَعَان، وَبِك المستغاث، وَعَلَيْك التكلان، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك". وَفِي الدُّعَاء الَّذِي دَعَا بِهِ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما فعل بِهِ أهل الطَّائِف مَا فعلوا: «**اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضعف قوتي، وَقلة حيلتي، وهواني على النَّاس، يَا أرْحم الرَّاحِمِينَ، أَنْت رب الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنت رَبِّي اللَّهُمَّ إِلَى من تَكِلنِي؟ إِلَى بعيد يتجهمني، أم إِلَى عَدوٍّ ملكته أَمْرِي؟ إِن لم يكن بك غضب عَليّ فَلَا أُبَالِي، غير أَن عافيتك أوسع لي، أعوذ بِنور وَجهك الَّذِي أشرقت بِهِ الظُّلُمَات، وَصلح عَلَيْهِ أَمر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة أَن ينزل بِي سخطك، أَو يحل عَليّ غضبك، لَك العتبى حَتَّى ترْضى، فَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله**»، وَفِي بعض الرِّوَايَات: «**وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَكلما قوي طمع العَبْد فِي فضل الله وَرَحمته ورجائه لقَضَاء حَاجته، وَدفع ضَرُورَته؛ قويت عبوديته لَهُ، وحريته مِمَّا سواهُ).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمن دُعَاء مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **"اللَّهُمَّ لَك الْحَمد، وَإِلَيْك المشتكى، وَأَنت الْمُسْتَعَان، وَبِك المستغاث، وَعَلَيْك التكلان، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك"**)؛ لهذا مما يُنقل في الروايات والأخبار في دعاء موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أما إذا -والله أعلم بثبوت ذلك عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لكن من حيث المعنى فالمعاني التي اشتمل عليها هذا الدعاء كلها معاني عظيمة وتفويض إلى الله والتجاء إليه، واعتصام به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي كلمات عظيمة جدًا، كلمات استغاثة واستعانة وتوكل والتجاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالشاهد منها: قوله: (**وَإِلَيْك المشتكى**)؛ أي: وحدك دون غيرك، وهذا نظير ما جاء عن يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ فالمشتكى إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دون ما سواه إليه المشتكى.

ومما يُنبه عليه في هذا المقام، أن إخبار المريض للطبيب مثلًا أو المعالج بنوع المرض الذي معه ومكان المرض، ومدى قوة المرض شدةً وضعفًا أو نحو ذلك هذا ليس من الشكوى، ليس من الشكوى للمخلوق المنهي عنه، وإنما هذا من باب الإخبار ويشمل قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تداووا عباد الله ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه..**»، والتداوي لا بد فيه من إخبار

لمن عنده علم بالأدوية وأنواع الأمراض وخصائص العلاجات ونحو ذلك إخبارًا بنوع المرض، بأن يقول: أنا يؤلمني كذا أو نحو ذلك؛ فهذا باب إخبار وليس باب شكوى.

أما التشكي للمخلوقين؛ فهذا لا يجوز الشكوى إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَفِي الدُّعَاء الَّذِي دَعَا بِهِ النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما فعل بِهِ أهل الطَّائِف مَا فعلوا**)؛ أي لما رموه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالحجارة، وخرج عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقد اشتد أذى أهل الطائف به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بهذه الدعوة: («**اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضعف قوتي وَقلة حيلتي..**»)؛ وهذه فيها الشكوى إلى الله. رفع الشكوى إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما آذوه وأدموا عقبيه ورموه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالحجارة إلى غير ذلك مما حصل منهم خرج عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ودعا أو رفع هذه الدعوى إلى الله يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: («**اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضعف قوتي وَقلة حيلتي وهواني على النَّاس، أَنْت رب الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنت رَبِّي**)؛ هذا توسل إلى الله بربوبيته للمستضعفين وربوبيته له. (**اللَّهُمَّ إِلَى من تَكِلنِي؟ إِلَى بعيد يتجهمني، أم إِلَى عَدوٍّ ملكته أَمْرِي؟ إِن لم يكن بك غضب عَليّ فَلَا أُبَالِي، غير أَن عافيتك أوسع لي، أعوذ بِنور وَجهك الَّذِي أشرقت بِهِ الظُّلُمَات، وَصلح عَلَيْهِ أَمر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة أَن ينزل بِي سخطك، أَو**

يحل عَليّ غضبك، لَك العتبى حَتَّى ترْضى، فَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله»)؛ فهذا كله التجاء إلى الله، وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واستعانة به، وتذلل بين يديه جَلَّ وَعَلَا، وفيه أيضًا -وهو موضع الشاهد-: أن الشكوى إلى الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذه الدعوة: ((«**اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضعف قوتي وَقلة حيلتي**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكلما قوي طمع العَبْد فِي فضل الله وَرَحمته ورجائه لقَضَاء حَاجته وَدفع ضَرُورَته قويت عبوديته لَهُ وحريته مِمَّا سواهُ.

فَكَمَا أَن طمعه فِي الْمَخْلُوق يُوجب عبوديته لَهُ فيأسه مِنْهُ يُوجب غنى قلبه عنه، كما قيل استغن عما شئت تكن نظيره، وَأفضل على من شِئْت تكن أميره، وَاحْتج إِلَى من شِئْت تكن أسيره. فَكَذَلِك طمع العَبْد فِي ربه ورجاؤه لَهُ يُوجب عبوديته لَهُ، وإعراض قلبه عَن الطّلب من الله والرجاء لَهُ يُوجب انصراف قلبه عَن الْعُبُودِيَّة لله لَا سِيمَا من كَانَ يَرْجُو الْمَخْلُوق ولا يرجو الْخَالِق بِحَيْثُ يكون قلبه مُعْتَمدًا إِمَّا على رئاسته وَجُنُوده وَأَتْبَاعه ومماليكه، وَإِمَّا على أَهله وأصدقائه، وَإِمَّا على أَموَاله وذخائره، وَإِمَّا على ساداته وكبرائه كمالكه وَملكه وَشَيْخه ومخدومه وَغَيرهم مِمَّن هُوَ قد مَاتَ أَو يَمُوت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:58].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أَن ينصروه أَو يرزقوه أَو أَن يهدوه خضع قلبه لَهُم وَصَارَ فِيهِ من الْعُبُودِيَّة لَهُم بِقدر ذَلِك، وَإِن كَانَ فِي الظَّاهِر أَمِيرًا لَهُم، مُدبرًا لهم، متصرفًا بهم؛ فالعاقل ينظر إِلَى الْحَقَائِق لَا إِلَى الظَّوَاهِر، فالرجل إِذا تعلق قلبه بِامْرَأَةٍ وَلَو كَانَت مُبَاحَة لَهُ يبْقى قلبه أَسِيرًا لَهَا تتحكم فِيهِ وتتصرف بِمَا تُرِيدُ وَهُوَ فِي الظَّاهِر سَيِّدهَا؛ لِأَنَّهُ زَوجهَا، أَو مَالِكهَا، وَلكنه فِي الْحَقِيقَة هُوَ أَسِيرهَا ومملوكها، وَلَا سِيمَا إِذا علمت بفقرة إِلَيْهَا وعشقه لَهَا، وَأَنه لَا يعتاض عَنْهَا بغَيْرهَا؛ فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تتحكم فِيهِ تحكم السَّيِّد القاهر الظَّالِم فِي عَبده المقهور الَّذِي لَا يَسْتَطِيع الْخَلَاص مِنْهُ بل أعظم؛ فَإِن أسر الْقلب أعظم من أسر الْبدن، واستعباد الْقلب أعظم من استعباد الْبدن؛ فَإِن من استعبد بدنه واسترق وَأسر لَا يُبَالِي إِذا كَانَ قلبه مستريحًا من ذَلِك مطمئنًا، بل يُمكنهُ الاحتيال فِي الْخَلَاص.

وَأما إِذا كَانَ الْقلب الَّذِي هُوَ ملك الْجِسْم رَقِيقًا مستعبدًا متيمًا لغير الله؛ فَهَذَا هُوَ الذل والأسر الْمَحْض والعبودية الذليلة لما استعبد الْقلب.

وعبودية الْقلب وأسره هِيَ الَّتِي يَتَرَتَّب عَلَيْهَا الثَّوَاب وَالْعِقَاب؛ فَإِن الْمُسلم لَو أسره كَافِر أَو استرقه فَاجر بِغَيْر حق لم يضرّهُ ذَلِك إِذا كَانَ قَائِمًا بِمَا يقدر عَلَيْهِ من الْوَاجِبَات، وَمن استعبد بِحَق إِذا "أدّى حق الله وَحقّ موَالِيه فَلهُ أَجْرَانِ"، وَلَو أكره على التَّكَلُّم بالْكفْر فَتكلم بِهِ وَقَلبه مطمئن بِالْإِيمَان لم يضرّهُ ذَلِك،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَأما من استُعبد قلبه فَصَارَ عبدًا لغير الله؛ فَهَذَا يضرّهُ ذَلِك وَلَو كَانَ فِي الظَّاهِر ملك النَّاس.

فالحرية حريَّة الْقلب والعبودية عبودية الْقلب كَمَا أَن الْغنى غنى النَّفس، قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْغنى عَن كَثْرَة الْعرض وَإِنَّمَا الْغنى غنى النَّفس**».

وَهَذَا لعَمْرو الله إِذا كَانَ قد استبعد قلبه صُورَة مُبَاحَة. فَأَما من استعبد قلبه صُورَة مُحرمَة امْرَأَة أَو صبي؛ فَهَذَا هُوَ الْعَذَاب الَّذِي لَا يدانيه عَذَاب.

وَهَؤُلَاء من أعظم النَّاس عذَابا وَأَقلهمْ ثَوابًا؛ فَإِن العاشق لصورة إِذا بَقِي قلبه مُتَعَلقًا بهَا مستعبدًا لَهَا اجْتمع لَهُ من أَنْوَاع الشَّرّ وَالْفساد مَا لَا يُحْصِيه إِلَّا رب الْعباد، وَلَو سلم من فعل الْفَاحِشَة الْكُبْرَى فدوام تعلق الْقلب بهَا بِلَا فعل الْفَاحِشَة أَشد ضَرَرًا عَلَيْهِ مِمَّن يفعل ذَنبًا ثمَّ يَتُوب مِنْهُ وَيَزُول أَثَره من قلبه).

على كلٍّ الكلام هذا البيان الذي ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يكون في لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم ربنا ورب المستضعفين نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

تلطف بإخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا وحافظًا ومؤيدًا يا رب العالمين، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارها وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

المجلس التاسع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَكلما قوي طمع العَبْد فِي فضل الله وَرَحمته ورجائه لقَضَاء حَاجته وَدفع ضَرُورَته؛ قويت عبوديته لَهُ، وحريته مِمَّا سواهُ، فَكَمَا أَن طمعه فِي الْمَخْلُوق يُوجب عبوديته لَهُ، فيأسه مِنْهُ يُوجب غنى قلبه عنه؛ كما قِيل: استغنِ عمن شئت تكن نَظِيره، وَأفضل على من شِئْت تكن أميره، وَاحْتج إِلَى من شِئْت تكن أسيره؛ فَكَذَلِك طمعُ العَبْد فِي ربه ورجاؤه لَهُ يُوجب عبوديته لَهُ، وإعراض قلبه عَن الطّلب من الله والرجاء لَهُ يُوجب انصراف قلبه عَن الْعُبُودِيَّة لله، لَا سِيمَا من كَانَ يَرْجُو الْمَخْلُوق ولا يرجو الْخَالِق؛ بِحَيْثُ يكون قلبه مُعْتَمدًا إِمَّا على رئاسته وَجُنُوده، وَأَتْبَاعه ومماليكه، وَإِمَّا على أَهله وأصدقائه، وَإِمَّا على أَمْوَاله وذخائره، وَإِمَّا على ساداته وكبرائه كمالكه وَملكه، وَشَيْخه ومخدومه وَغيرهم مِمَّن هُوَ قد مَاتَ أَو يَمُوت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:58]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

يُبيِّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا: أنَّ من مقامات العبودية العظيمة أن يكون طمعُ القلب فيما عند الله، وتعلُّق القلب بالله وحده، وأن يُحقق العبد عبودية الافتقار لله عَزَّوَجَلَّ بحيث لا يقوم في قلبه طمعٌ إلا فيما عندَ الله الذي بيده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العطاء والمنع، والخفض والرفع، والقبض والبسط، والعزُّ والذل، والحياة والموت، وغير ذلك، الأمور كلها بيده عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا من أعظم ما ينبغي أن يتحلى به قلب العبد المؤمن: استشعار الافتقار إلى الله، والطمع فيما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر، من الآية:15]؛ فالعبد فقره إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقرٌ ذاتي من كل وجه، لا غنى لهُ عن ربهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طرفة عين، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن المخلوقات، وغناه ذاتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، غنيٌّ عنهم من كل وجه، لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معصيتهم وهو الغني الحميد جَلَّ وَعَلَا.

كلما قوي في قلب العبد المؤمن الطمع فيما عند الله، واستشعار الافتقار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قويت العبودية منه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ذلًا وسؤالًا، وطلبًا واستعانةً، وإذا ضعف هذا الطمع وهذا التعلق بالله؛ ضعفت العبودية تبعًا لذلك.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكلما قوي طمع العَبْد فِي فضل الله وَرَحمته ورجائهِ لقَضَاء حَاجتهِ وَدفع ضَرُورَته؛ قويت عبوديته لَهُ**)؛ أي: أن هذا القلب كلما كان تعلقهُ بالله رجاءً، وطمعًا، ورغبةً، واستعانةً، وتوكلًا؛ كلما كان ذلك أكمل في تحقيقه للعبودية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، (**قويت عبوديته لَهُ وحريته مِمَّا سواهُ**)؛ يسلم من أن يكون في قلبهِ رق لغير الله، بحيثُ يكون التجاؤه إليه، وطمعه أيضًا فيما عنده، فيسلم العبد من الرق لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويكونُ عبدًا لله.

وبهذا يُعلم أن العبودية الحقة هي التي تحقق للعبد الحرية، العبودية الحقة هي التي تحقق للعبد الحرية، والسلامة من الرق للمخلوقين، فعبد الله حقًا هو الذي سلم من الرق، الرق للمخلوقين والافتقار إليهم، والتذلل إليهم، والانكسار بين يديهم... إلى غير ذلك، فالعبودية الحقة بالإخلاص لله والصدق مع الله، وكمال التوجه إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتحقق بها حرية العبد مما سواه، ويتحرر أيضًا من الرق لما سواه؛ فيكون عبدًا لله لا لغيره.

قال: (**فَكَمَا أَن طمعه فِي الْمَخْلُوق يُوجب عبوديته لَهُ، ويأسه مِنْهُ يُوجب غنى قلبه عنه؛ كما قِيل: استغنِ عَمَنْ شئت تكن نَظِيره، وَأفضل على من شِئْت تكن أميره، وَاحْتج إِلَى من شِئْت تكن أسيره؛ فَكَذَلِك طمعُ العَبْد فِي ربه ورجاؤه لَهُ يُوجب عبوديته لَهُ، وإِعراضُ قلبه عَن الطّلب من الله والرجاء لَهُ يُوجب انصراف قلبه عَن الْعُبُودِيَّة لله**)؛ وهذا أمرٌ واضح، العبد عندما يقوى طمعه فيما عند المخلوقين، يزداد تذللًا لهم وخضوعًا وانكسارًا بين يديهم، وافتقارًا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

إليهم؛ فتظهر فيه معاني عبودية للمخلوقين بسبب طمعه فيما عندهم، طمعه فيما عند المخلوقين، وإذا أشعر نفسه باستغنائه عما في أيديهم، ويأس نفسه مما في أيديهم؛ سلم من هذه العبودية، وسلم من هذا الذل، وسلم من هذا الرق، يسلم من ذلك، هذا معنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**فَكَمَا أَن طمعه فِي الْمَخْلُوق يُوجب عبوديته لَهُ، ويأسه مِنْهُ يُوجب غنى قلبه عنه**).

ثم ذكر كلمةً مأثورة صدَّرها بقوله: (**كما قِيل**)؛ وهي تُنسب في بعض المصادر لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (**استغنِ عَمَنْ شِئْت تكن نَظِيره**)؛ استغنِ عمن شئت تتناول أن تستغنِ عن رئيسًا، عن ثريًا.. إلى غير ذلك، استغنِ عمن شئت تكن نظيره، طالما أنك مستغنٍ عما عنده أنت نظير له، مثل أنه ليس محتاجًا إلى شيءٍ عندك، أنت أيضًا لست محتاج إلى شيءٍ عنده، صرت نظيرًا له في استغناء كلِ واحدٍ منكم عن الآخر، وعدم احتياجه الآخر، فتكونُ نظيرًا له، لا يلزم أن تكون نظيرًا له، أي: من كل وجه؛ وإنما نظيرًا له من هذا الوجه أنك مثل ما أنه مستغنٍ عنك لثرائه مثلًا، أنت مستغنٍ عنه لقناعتك وغنى نفسك، فأنت نظير له في أن كلًا منكما مستغنٍ عن الآخر، فاستغنِ عمن شئت تكن نظيره.

ولا شك أن هذه رتبة جميلة وجليلة يحبها الإنسان لنفسه، وتتحقق له بالاستغناء عما في أيدي الآخرين، (**استغنِ عَمَنْ شِئْت تكن نَظِيره، وَأفضل على من شِئْت تكن أميره**)؛ أفضل؛ أي: أحسن إلى من شئت، أحسن إليه

بمال، بمعاملة، بمساعدة، بمعاونة... إلى غير ذلك تكن أميره، فالإحسان له أثره البالغ على القلوب وعلى النفوس، والنفس تحب من يُحسن إليها، ومن يعمل على معاونتها، فيقول: (**وَأفضل على من شِئْت تكن أميره**)؛ أي: بهذا الإحسان الذي قدمته له، وصدر منك إليه.

(**وَاحْتج إِلَى من شِئْت تكن أسيره**)؛ إذا كنت تحتاج إلى شخص، وتشعر أنك مفتقر إلى شيءٍ عند ذلك الشخص، وتطمع في ذلك الذي عنده تكن أسيرًا له، بسبب ما وُجد في قلبك من طمعٍ واحتياجٍ إلى ما عنده تكن أسيره، وهي كلمة عظيمة نافعة ساقها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى شاهدًا لكلامه المتقدم.

قال: (**فَكَذَلِك طمعُ العَبْد فِي ربه ورجاؤه لَهُ يُوجب عبوديته لَهُ**)؛ إذا أخلص العبد الطمع لله، وقوي الرجاء عند العبد فيما عند الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ قويت عبودية العبد لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، أيضًا بالمقابل إعراض القلب عن الطلب من الله، والرجاء له، يوجب انصراف قلبه عن العبودية له، إذا انصرف القلب عن الطلب من الله، والطمع فيما عند الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، انصرفت العبودية التي في القلب إلى غير الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

يقول: (**لَا سِيمَا من كَانَ يَرْجُو الْمَخْلُوق ولا يرجو الْخَالِق**)؛ كما هي حال من يشرك بالله، يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق، يطمع فيما عند المخلوق ولا يطمع فيما عند الخالق، فيترتب على ما قام في قلوب هؤلاء من طمعٍ فيما عند

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المخلـوق، يترتـب علـى ذلـك عبوديـةً وذلًا مـنهم لمخلـوقٍ مـثلهم، ولفقيـرٍ مثلهم.

قال: (**بِحَيْثُ يكون قلبه مُعْتَمِدًا؛ إِمَّا على رئاسته وَجُنُوده، وَأَتْبَاعه ومماليكه، وَإِمَّا على أَهله وأصدقائه، وَإِمَّا على أَمْوَاله وذخائره، وَإِمَّا على ساداته وكبرائه كمالكه وَملكه، وَشَيْخه ومخدومه وَغَيرهم مِمَّن هُوَ قد مَاتَ أَو يَمُوت**)؛ هـذه أنواع يذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى توجب لدى بعض الناس اعتمادًا على المخلـوق وذلًا لـه؛ فمـن النـاس مـن يعتمـد علـى مخلـوقٍ لرئاسـته، وسـلطانه، وزعامته ونحو ذلك، ومنهم من يعتمد علـى مخلـوق لمالـه، وجاهـه، ومكانتـه، ومـنهم من يعتمد على مخلـوق لكونـهِ مالكًـا أو شـيخًا، والمـراد بالشـيخ هنـا؛ أي: مـا عند الطرقية، ليس المراد بالشيخ العالم الناصح الذي يستفيد من علمه؛ وإنما المراد بالشيخ: الذي عند الطرقية، مـن يعظمونـه ويـذلون بـين يديـه، وكمـا أنـه يسمى عندهم شيخًا، يُسمى أيضًا مخدومًا، بمعنى أنه مطلوب مـن الجميـع أن يعمل على خدمتـه، ومطلـوبٌ مـن الجميـع أن يكـون خادمًـا لـه، فهـو مخـدوم وأتباعه خدم له، فيلقبونه بالمخدوم، يلقبونه بالمخدوم، ويلقب الواحد مـنهم نفسـه بالخـادم، وأيضًـا يلقبونـه بالمخـدوم لاعتبـارٍ آخـر وهـو اعتقـادهم في شيوخهم أن الجـن تخـدمهم؛ فهـو مخـدوم باعتبـار اعتقـادهم أن الجـن تخـدم ذلك الشيخ، وأيضًا باعتبار أنه لا بُدَّ على كل واحدٍ من أتباعه أن يكـون خادمًـا له، بل يكون مطيعًا له طاعةً عمياء، ويكون مع شيخه كالميت مع المغسِّل كما

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يصفونه بذلك، يتقلب معه كيف شاء، ويأمره بما شاء ولا يعترض عليه، ولهذا من القواعد عندهم في هذا الباب: لا تعترض فتنتقض، أو لا تنتقض فتنطرد، يكون مستسلمًا لشيخه ومخدومه استسلامًا تامًا، فهذا أيضًا عبودية، عبودية يوجبها هذا التعلق الباطل بأشياخ الضلال، وأئمة الباطل؛ فهذه كلها صور يشير إليها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مما تجلب لقلوب ضعاف النفوس عبوديةً لغير الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إما تعلقًا برئاسة، أو مكانةٍ، أو جاهٍ، أو مالٍ، أو شيخ ضلالٍ أو غير ذلك، فكلها توجب لقلوب، أو تستجلب لقلوب ضعاف الإيمان عبوديةً لغير الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ثم ختم كلامه بقوله: (**وَغَيرهم مِمَّن هُوَ قد مَاتَ أَو يَمُوت**)؛ وهذا تنبيه لطيف جدًا في هذا المقام، وكأنه يقول: هؤلاء الذين يتعلق بهم هؤلاء يكفيهم قاطعًا عن التعلق بهم أن يعلموا أنهم بين شخصين: إما شخصٌ مات أو شخصٌ سيموت، والذي مات أو يموت كيف تتعلق به؟ والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان، من الآية:58]؛ التوكل والاعتماد يكون على الحي الذي لا يموت.

الآن مثلًا لما قال شيخ الإسلام: منهم من قد مات أو سيموت، مثلًا شخص علَّق قلبه تعلقًا تامًا بتاجر، أو برئيس، أو بذا مكانة، وأشعر نفسه أن حاجته إنما تكون بيد ذلك الشخص، فطمع طمعًا قويًا، وذل له، ثم في مساء ذلك اليوم مات ذلك الشخص الذي تعلق قلبه به ذلك التعلق، فالحي الذي يموت

والحي الذي قد مات، كل هؤلاء لا يستحق واحدٌ منهم أن يتوكل عليه، ويُلتجأ إليه، ويُعتمد عليه، وإنما يكون التوكل على الحي الذي لا يموت، ولهذا قال الله تعالى في أعظم آيةٍ في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:255]؛ أي: هذا الذي له العبودية والذل والخضوع وهو الموصوف بالحي الذي لا يموت، أما الحي الذي يموت، والحي الذي قد مات، والجماد الذي لا حياة له، كل واحدٍ من هؤلاء لا يستحق من العبودية والخضوع والذل والانكسار أي شيء، العبودية للحي الذي لا يموت، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، وهذا برهان من براهين التوحيد، مثل ما قال صدِّيق الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في وفاة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال: "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت"؛ فالعبادة للحي الذي لا يموت، العبادة بكل معانيها من: ذلٍ، ورجاءٍ، وخوفٍ، ورغبةٍ ورهبةٍ.. وغير ذلك، هذا كله للحي الذي لا يموت، أما الحي الذي يموت، والحي الذي قد مات، والجماد الذي لا حياة له؛ كل هؤلاء لا يستحقوا أيٌ منهم من العبادة أي شيء؛ ولهذا ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقول الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:58]؛ الحي الذي لا يموت هذا هو الله وحده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، أما من سوى الله فهم أصناف ثلاثة: إما حيٌّ يموت، أو حيٌّ قد

مات، أو جمادٌ لا حياة له، والتوكل لا يكون إلا على الحي الذي لا يموت سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (وكلُّ من عَلَّق قلبه بالمخلوقين أَن ينصروه أَو يرزقوه أَو يهدوه؛ خضع قلبه لَهُم وَصَارَ فِيهِ من الْعُبُودِيَّة لَهُم بِقدر ذَلِك، وَإِن كَانَ فِي الظَّاهِر أَمِيرًا لَهُم مُدبرًا لهم متصرفًا بهم؛ فالعاقل ينظر إِلَى الْحَقَائِق لَا إِلَى الظَّوَاهِر؛ فالرجل إِذا تعلق قلبه بِامْرَأَة وَلَو كَانَت مُبَاحَةً لَهُ، يبْقى قلبه أَسِيرًا لَهَا تتحكم فِيهِ، وتتصرف بِمَا تُرِيدُ، وَهُوَ فِي الظَّاهِر سَيِّدهَا؛ لِأَنَّهُ زَوجهَا أَو مَالِكهَا وَلكنه فِي الْحَقِيقَة هُوَ أَسِيرهَا ومملوكها؛ وَلَا سِيمَا إِذا درت بفقرِهِ إِلَيْهَا وعشقه لَهَا، وَأَنه لَا يعتاض عَنْهَا بغَيْرهَا؛ فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تتحكم فِيهِ تحكم السَّيِّد القاهر الظَّالِم فِي عَبده المقهور الَّذِي لَا يَسْتَطِيع الْخَلَاص مِنْهُ بل أَعظم، فَإِن أسر الْقلب أعظم من أسر الْبدن، واستعباد الْقلب أعظم من استعباد الْبدن، فَإِن من استعبد بدنه واسترق وَأُسر لَا يُبَالِي إِذا كَانَ قلبه مستريحًا من ذَلِك مطمئنًا؛ بل يُمكنهُ الاحتيال فِي الْخَلَاص.

وَأما إِذا كَانَ الْقلب الَّذِي هُوَ ملك الْجِسْم رَقِيقًا مستعبدًا متيمًا لغير الله؛ فَهَذَا هُوَ الذل والأسر الْمَحْض والعبودية الذليلة لما استعبد الْقلب، وعبودية الْقلب وأسره هِيَ الَّتِي يَتَرَتَّب عَلَيْهَا الثَّوَاب وَالْعِقَاب؛ فَإِن الْمُسلم لَو أسره كَافِر أَو استرقه فَاجر بِغَيْر حق، لم يضرّهُ ذَلِك إِذا كَانَ قَائِمًا بِمَا يقدر عَلَيْهِ من الْوَاجِبَات، وَمن استعبد بِحَق إِذا أدّى حق الله وَحقّ مَوَالِيه فَلهُ أَجْرَانِ، وَلَو

أكره على التَّكَلُّم بالْكفْر فَتكلم بِهِ وَقَلبه مطمئن بِالْإِيمَان لم يضرّهُ ذَلِك، وَأما من استُعبد قلبه فَصَارَ عبدًا لغير الله؛ فَهَذَا يضرّهُ ذَلِك وَلَو كَانَ فِي الظَّاهِر ملك النَّاس.

فالحرية حريَّة الْقلب، والعبودية عبودية الْقلب، كَمَا أَن الْغنى غنى النَّفس، قَالَ النَّبِي ﷺ: «**لَيْسَ الْغنى عَن كَثْرَة الْعرض، وَإِنَّمَا الْغنى غنى النَّفس**»، وَهَذَا لعَمْرو الله إِذا كَانَ قد استعبد قلبه صُورَةٌ مُبَاحَة، فَأَما من استعبد قلبه صُورَةٌ مُحرمَة امْرَأَة أَو صبي فَهَذَا هُوَ الْعَذَاب الَّذِي لَا يدانيه عَذَاب، وَهَؤُلَاء من أعظم النَّاس عذَابًا وأقلهمْ ثَوابًا، فَإِن العاشق لصورة إِذا بَقِي قلبه مُتَعَلقًا بهَا مستعبدًا لَهَا؛ اجْتمع لَهُ من أَنْوَاع الشَّرّ وَالْفساد مَا لَا يُحْصِيه إِلَّا رب الْعباد، وَلَو سلم من فعل الْفَاحِشَة الْكُبْرَى، فداوم تعلق الْقلب بهَا بِلَا فعل الْفَاحِشَة أَشد ضَرَرًا عَلَيْهِ مِمَّن يفعل ذَنبًا ثمَّ يَتُوب مِنْهُ وَيَزُول أَثَره من قلبه، وَهَؤُلَاء يُشبّهون بالسكارى والمجانين كَمَا قيل:

سُكران سُكر هوى وسُكر مدامة ... وَمَتى إفاقة من بِهِ سُكران؟

وَقيل:

قَالُوا جُننتَ بِمن تهوى فَقلت لَهُم ... الْعِشْق أعظم مِمَّا بالمجانين

الْعِشْق لَا يستفيق الدهرَ صاحبُه ... وَإِنَّمَا يُصرع الْمَجْنُون فِي الحِين

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَمِن أعظم أَسبَاب هَذَا الْبلَاء: إِعْرَاض الْقلب عَن الله فَإِن الْقلب إِذا ذاق طعم عبَادَة الله وَالْإِخْلَاص لَهُ، لم يكن عِنْده شَيْء قطّ أحلى من ذَلِك وَلَا ألذ وَلَا أطيب).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكلُّ من عَلَّق قلبه بالمخلوقين أَن ينصروه أَو يرزقوه أَو يهدوه؛ خضع قلبه لَهُم، وَصَارَ فِيهِ من الْعُبُودِيَّة بِقدر ذَلِك**)؛ وأيضًا يُنبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن لا يُغتر في هذا المقام بالظاهر؛ لأن الظاهر قد يكون مثلًا رئيسًا، لكنهُ محتاج لمن تحته لتثبت رئاسته مثلًا، أو تبقى رئاسته، فيقوم في قلبه من الذل لمن تحته والافتقار إليهم بحسب ذلك، أيضًا لو كان تعلُّق قلبه بالعشق، حتى لو كانت امرأةً مباحةً له، فهو في الظاهر زوجًا وسيدًا، ولكن في الباطن لتعلق قلبه الشديد بها؛ أصبح فيه من الذل بحسب ذلك، فإذًا العبد كلما علَّق قلبه بالمخلوقين، العبد كلَّما علَّق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه أو غير ذلك من المعاني خضع قلبه لهم، وهذه الصورة ينبغي أن يُعلم -وأعيد المعنى السابق- ليست خاصةً مثلًا بفقير يذل لشخصٍ غني؛ بل مثلًا الرئيس عندما يعلم أن رئاسته تحتاج إلى من تحته، فتجده يقع فيهِ من الذل في هذا الباب والطواعية بما يكونُ سببًا لثبات رئاسته وبقائها، وهذا أمرٌ معلوم، كل من علَّق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه؛ خضع قلبهُ لهم وصار فيه من العبودية بقدر ذلك، بقدر تعلق قلبه بهؤلاء المخلوقين، (**وَإِن كَانَ فِي الظَّاهِر أَمِيرًا لَهُم، مُديرًا لهم متصرفًا بهم**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالعاقل ينظر إِلَى الْحَقَائِق لَا إِلَى الظَّوَاهِر**)؛ ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، الظواهر قد يكون رئيس، لكنه فيه ذل لمن تحته لاستبقاء رئاسته مثلًا، فيكون في الظاهر مثلًا رئيسًا، وفي الباطن فيه من الذل لهؤلاء بحسب ما قام في قلبه من تعلقٍ بالمخلوقين.

مثَّل لذلك بمثال: الرجل مع زوجته، التي هي مباحة له، إذا قام في قلبه تعلق بها، (**فالرجل إِذا تعلق قلبه بِامْرَأَة وَلَو كَانَت لَه مُبَاحَةً، يبْقى قلبه أَسِيرًا لَهَا تتحكم فِيهِ، وتتصرف بِمَا تُرِيدُ، وَهُوَ فِي الظَّاهِر سَيِّدهَا؛ لِأَنَّهُ زَوجهَا وفِي الْحَقِيقَة هُوَ أَسِيرهَا ومملوكها؛ لَا سِيمَا إِذا درت**)؛ أي: علمت المرأة أو علمت الزوجة (**بفقرِهِ إِلَيْهَا وعشقه لَهَا، وَأَنه لَا يعتاض عَنْهَا بغَيْرهَا**)؛ فهنا يشتد التحكم منها به، والتصرف فيه بما تريد، (**فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تتحكم فِيهِ تحكم السَّيِّد القاهر الظَّالِم فِي عَبده المقهور، الَّذِي لَا يَسْتَطِيع الْخَلَاص مِنْهُ بل أَعظم**)؛ من ذلك، وعندما يُنظر إلى حاله، في الظاهر هو الزوج والآمر الناهي، لكن في الباطن لما قام في قلبه من تعلق، هو المأمور المملوك.. إلخ.

قال: (**فَإِن أسر الْقلب أعظم من أسر الْبدن**)؛ وهذا كلام عظيم جدًا، أسر القلب أعظم من أسر البدن، والأسير حقًا من أُسر قلبه، أما الشخص الذي أُسر بدنه وقلبه سالمٌ من الأسر لا يضره.

مؤلف هذا الكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما أُدخل السجن ظلمًا، وأُسر وأُدخل السجن، هذا أسرٌ لبدنه، أسرٌ لبدنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ ولهذا قال لمَّا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

دخل السجن، قال: ماذا يصنع أعدائي بي؟ جنتي في صدري، جنتي في صدري ماذا يصنع أعدائي بي؟ جنته في صدره؛ أي: إيمانه بالله، وثقته بالله، وتوكله على الله، وما أكرمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به من العلم والإيمان والثقة بالله، قال: جنتي في صدري، سجني خلوة، عندما أودع يودع بدني في سجن، هذا السجن خلوة، خلوة بالله انفراد، يناجي الله، ويذكر الله، ويسبح الله، ويحمد الله، وقتلي شهادة، ونفيي سياحة، يعني ما يستطيع..، فإذًا السجن أو الأسر أسر القلب، الأسر حقيقةً هو أسر القلب، من كان قلبه أسيرًا لغيره.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد الْقلب أعظم من استعباد الْبدن**).

ثم يُعطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أمثلة توضح ذلك، يقول: (**فَإِن من استعبد بدنه واسترق وَأُسر لَا يُبَالِي إِذا كَانَ قلبه مستريحًا من ذَلِك مطمئنًا**)؛ مثل ما وضحت لكم بالمثال من حياة أو حال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ يعني من أُسر بدنه، من أُسر بدنه ظلمًا وبغيًا لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا، (**بل يُمكنهُ الاحتيال فِي الْخَلَاص**)؛ من ذلك.

(**أما إِذا كَانَ الْقلب الَّذِي هُوَ ملك الْجِسْم رَقِيقًا مستعبدًا**)؛ هذا هو الرق الحقيقي، مثل ما قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل قليل، أن أسر القلب أعظم من أسر البدن.

(**وَأما إِذا كَانَ الْقلب الَّذِي هُوَ ملك البدن رَقِيقًا مستعبدًا متيمًا لغير الله؛ فَهَذَا هُوَ الذل والأسر الْمَحْض والعبودية لما استعبد الْقلب، وعبودية الْقلب وأسره**

هِـيَ الَّتِـي يَتَرَتَّـب عَلَيْهَـا الثَّـوَاب وَالْعِقَـاب)؛ لأن القلـب ملـك البـدن وملـك الأعضاء، وفي الحديث: «**أَلاَ إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْـغَةً إِذَا صَـلَحَتْ صَـلَحَ الجَسَـدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**»؛ فالقلب هو الـذي يترتـب عليه الثواب والعقاب.

مـثلًا: لـو أن شخصًـا قـال كلمـة الكفـر، ولكـن قلبـه مطمـئن بالإيمـان، قالهـا بلسانه؛ لأنه أُكره على أن يقولها، فتلفظ لسانه بها إكراهًـا، ولكـن قلبـهُ مطمـئن بالإيمان، هل قوله لكلمة الكفر يترتب عليها عقـاب؟ لا يترتـب، كمـا قـال الله تعـالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [سـورة النحـل، مـن الآيـة:106]؛ فـلا يترتـب عليهـا عقـاب، هـذا ممـا يُوضـح مـا قـرره شـيخ الإسـلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالى بقولـه: (**وعبودية الْقلب وأسره هِيَ الَّتِي يَتَرَتَّـب عَلَيْهَـا الثَّـوَاب وَالْعِقَـاب، فَـإِن الْمُسلم لَو أسره كَافِر أَو استرقه فَاجر بِغَيْر حق، لـم يضـرّهُ ذَلِـك إِذا كَـانَ قَائِمًـا بِمَا يقدر عَلَيْهِ مـن الْوَاجِبَـات، وَمـن اسـتُعبد بِحَـق)**؛ مـن اسـتعبد بحـق؛ يعنـي: أصبح مملوكًا لغيره رقيقًا، (**إِذا أدّى حق الله وَحقّ موَالِيه لهُ أَجْـرَانِ)**؛ كمـا جـاء ذلكم في الحـديث عـن نبينـا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لـه أجـر لقيامـه بحـق الله والعبوديـة، وله أجرٌ على قيامه بحق مواليه الذي هو مملوكٌ لهم ومنافعه لهـم. (**وَلَـو أكـره على التَّكَلُّم بالْكفْر، فَتكلم بِهِ وَقَلبه مطمئنٌ بِالْإِيمَان لـم يضـرّهُ ذَلِـك)**؛ قـال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَأما من استُعبد قلبه فَصَارَ عبدًا لغير الله، فَهَذَا يضرّهُ ذَلِك وَلَو كَانَ فِي الظَّاهِر ملك النَّاس، فالحرية حريَّة الْقلب، والعبودية عبودية الْقلب، كَمَا أَن الْغنى غنى القلب، قَالَ النَّبِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْغنى عَن كَثْرَة الْعرض** - يعني كثرة الأموال، والتجارات والأملاك- **وَإِنَّمَا الْغنى غنى النَّفس**»).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَهَذَا لعَمْري إِذا كَانَ قد استبعد قلبه صُورَةٌ مُبَاحَة، فَأَما من استعبد قلبه صُورَةٌ مُحرمَة امْرَأَة أَو صبي فَهَذَا هُوَ الْعَذَاب الَّذِي لَا ثواب فيه**)؛ عندما يكون في قلب إنسان عشق محرم باطل لامرأة، أو لصبي أو نحو ذلك، ثم يهيم عشقًا وحبًا وولهًا فيه، ويترتب على ذلك من ذلٍ وعبوديةٍ ورق قلبٍ لما عشقه وأحبه، فهذا كما يقول رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (**هو العذاب الذي لا ثواب فيه، وَهَؤُلَاء من أقل النَّاس ثوابًا وأَعظمهم عذابًا**)؛ يعني من يكون في قلبه عشق لصورة محرمة، أو امرأة محرمة، أو أمراً أو غير ذلك، (**فَإِن العاشق لصورة إِذا بَقِي مُتَعَلقًا بهَا متعبدًا لَهَا؛ اجْتمع لَهُ من الشَّرّ وَالْفساد مَا لَا يُحْصِيه إِلَّا رب الْعباد**)؛ ومن أراد أمثلةً كثيرة على ذلك توضح ذلك توضيحًا جليًا؛ فليقرأ كتاب [الجواب الكافي] لابن القيم، وأيضًا يُسمى [الداء والدواء] كتاب عظيم جدًا ونافع للغاية، ويحتاجه حاجة ماسة من ابتلي بشيءٍ ولو قليل من هذه الأشياء، التعلقات المحرمة والعشق المحرم، وتعلق القلب مثلًا بشيءٍ من الفاحشة المحرمة، أو الصور المحرمة، ولاسيما أنها قد انفتحت على الناس في زماننا هذا انفتاحًا لم يوجد في زمانٍ قبله، وابتلي بهذا النظر

وهـذا التعلـق خلـقٌ كثيـر، فالحاجـة حقيقـة ماسـة جـدًا لقـراءة هـذا الكتـاب، ولنعمل ولنتعاون على الدعاية لهـذا الكتـاب بين النـاس، وبين طلبـة العلـم؛ حتى ينتفع النـاس بالفوائـد العظيمـة التي ضـمنها إياه في مـداواة هـذه الأدواء، وتكلَّم بكلامٍ طويلٍ لا تكاد تجده في مكانٍ آخر عن أضرار الـذنوب، وعواقبها الوخيمة على أهلها في الـدنيا والآخرة؛ بحيث أن من يقرأ كلامه في أضرار الذنوب قراءة متأنية متأملة تزهد نفسه فيها وتعرض عنها، وتحرص على البعد عنها، ثمرة عظيمة جدًا، وأيضًا الخطباء والـدعاة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جدير بهم أن يلخصوا في خطبهم للناس كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولي تجربة في ذلك، ألقيت مرةً خطبةً عن أضرار الذنوب، كلها من كلام ابن القيم في [الجواب الكافي] لأنه تحدث طويلًا عن هذا الباب، من أضرارها كذا، من أضرارها كذا، من أضرارها كذا، فصل تفصيلًا عظيمًا، ورأيت أثرها، لها تأثير عظيم جدًا؛ فكلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الكافي كلام عظيم، وكلام متين جدًا ونافع للغاية.

وأيضًا بمناسبة وجود الحجاج والزوار وكل واحد منهم حريص على أن يحمل هدية لأقربائه وأهله، من أحسن ما تحمل لهم هديةً كتب العلم، اشتري لهم كتب نافعة تبقى لهم ذخرًا وفائدة حتى بعد موتك، ينتفعون ويتعلمون العلم النافع، ويتعلمون الخير، ويُكتب لك أجر ذلك، فاحرص أخي الحاج الزائر احرص على هذا النوع من الهدايا، اشتري كتاب [الجواب

الكافي] لابن القيم، كتاب [الكبائر] للذهبي، كتاب [فتح المجيد] للشيخ عبد الرحمن بن حسن، أمثال هذه الكتب النافعة التي تُحيي القلوب بالتوحيد والإيمان والإخلاص والعبادة لله، والبعد عن المحرمات، وتكون بهديتك هذه لأقربائك، ولأهلك نفعتهم بذلك نفعًا عظيمًا، خاصةً إذا حفزتهم على قراءة هذه الكتب.

وأيضًا تكون موفقًا عندما تُهدي كتبًا نافعة لخطيب الحي وإمام الجامع؛ لأن هذه الهدية ستفيده، وسيفيد بها الآخرين، ويُكتب لك أجر ذلك كله، فلا تحرم نفسك من ذلك، ودعك من نوع من الهدايا ابتلي به بعض الناس، يبحث عن أشياء ربما بعضها لا أصل له، ولا أساس وينشغل بها وبشرائها، وبإهدائها لآخرين، ويحرم نفسه من إهدائهم هذه الهدايا الثمينة، وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ يلقى أحدهم أخاه، فيقول: ألا أُهدي لك هدية؟ فيقول: بلى، فيهديه حديث سمعه عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هذه أثمن هدية، أثمن هدية أن تهدي لأهلك وقرابتك كلام الله وكلام رسوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، أما أن تهديهم أشياء غير مفيدة لا في الدين ولا في الدنيا هذه مشكلة، أما إن أهديتهم شيءٌ مفيد لهم في الدنيا فهذا أمرٌ مباح وطيب، كأن تهديه ثوبًا، أو تهديه مثلًا حذاءً، أو تهديه لباسًا، أو غير ذلك هذا جيد، لكن أجود منه، مثل ما قال الله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:26]؛ كونك تهديه علمًا يزين به ويُزينه -اللهم زينا بزينة الإيمان- لا شك أنه أنفع، وأفود له، ونجمع أيضًا بين

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الخيرين، ممكن تهديه هدية فيها هذا وهذا، تهديه هدية فيها مثلًا لباس أو شيء من هذا القبيل، ومعها أيضًا كتاب ينفعه في دينه ويقربه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أؤكد على ذلك؛ لأن كثير وكثير من الزوار يغفل عن ذلك، يغفل عن ذلك، جرنا لذلك كتاب ابن القيم العظيم [الجواب الكافي].

أحيانًا بعض الناس ابتلي بحياته، أن أمضى عمر طويل في الفساد والضياع، والتعلقات المحرمة والفواحش، ثم أقبل فيريد الدواء، يريد أن يقتلع من قبله تلك التعلقات التي مضت مع سنوات عشرين ثلاثين.. إلى غير ذلك من السنوات ماذا يصنع؟ في كتاب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [الجواب الكافي] فصل نافع جدًا، وحلول مثمرة ومفيدة لمثل هذه الأدواء، ونافعة جدًا، يُنصح أن يقرأه كل من كان مبتلى، حتى بعض المستقيمين الذي من الله عليه بالهداية بسبب حياة سابقة يجد أمور ومنازعات في قلبه؛ فهو بحاجة ماسة فعلًا إلى أن يقرأ هذا الكتاب العظيم كتاب [الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي] للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهو أيضًا معروف باسم [الداء والدواء] الداء: الذنوب، والدواء: الاستغفار، وفي القرآن ذكرٌ للداء والدواء، داء الناس الذنوب، ودواءها الاستغفار، لكن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسط هذا بسطًا نافعًا ومفيدًا للغاية.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول شيخ الإسلام: (**فَإِن العشق لصوره إِذا بَقِي قلبه مُتَعَلقًا بهَا**)؛ أي بتلك الصورة، (**متعبدًا لَهَا؛ اجْتمع لَهُ من أنواع الشَّرّ وَالْفساد مَا لَا**

يُحْصِيه إِلَّا رب الْعباد، وَلَو سلم من الْفَاحِشَة الْكُبْرَى)؛ حتى لو لم يفعل فاحشة، ما دام أن قلبه متعلق بتلك الصورة، أو بذلك الشخص، حتى لو لم يفعل الفاحشة الكبرى فهو في خطرٍ عظيم، مثل ما يقول: **(وَلَو سلم من الْفَاحِشَة الْكُبْرَى فداوم تعلق الْقلب بهَا بِلَا فعل الْفَاحِشَة أَشد ضَرَرًا عَلَيْهِ مِمَّن يفعل ذَنبًا ثمَّ يَتُوب مِنْهُ وَيَزُول أَثَره من قلبه)**؛ ولهذا بعض من يتعلقون بالصور قام فيهم من العبودية لها -بالصور والأشخاص-، قام في قلبهم من العبودية لهم ما هو كامن في قلوبهم، وما أيضًا صرَّح به كثيرًا منهم بألسنتهم، وابن القيم كما أشرت ذكر أمثلة كثيرة لذلك، صرح فيها عدد من هؤلاء بعبوديته له، وأنه لو أمرهم بالسجود له لسجدوا.. إلى غير ذلك من الكفر المبين والضلال العظيم.

قال: **(وَهَؤُلَاء يُشبّهون بالسكارى والمجانين)**؛ لأنه يعيش في سكر الشهوة، يعيش في سكر شهوته، فهؤلاء يُشبهون بالسكارى والمجانين، أي: ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:72]؛ سكرة الشهوات والتعلقات الباطلة، **(كَمَا قيل: سُكران)**؛ يعني نوعان من السكر، **(سُكر هوى وسُكر مدامة)** يعني: الخمر، فالسكر نوعان: سكر الهوى، يعني سكر العشق والتعلقات الباطلة، هذه تجعل الإنسان مثل السكران وشبيهًا به، وسكر المدامة الذي هو الخمر، **(وَمَتَى إِفَاقةُ من بِهِ سُكران؟)**؛ يعني إذا كان إنسان به سكر الهوى وسكر الخمر، متى تحصل إفاقة لمن كانت هذه حاله؟

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(قَالُوا جُننتَ)؛ يعني: بسبب ما قام في قلبه من هوى وعشق، **(فَقلت لَهُم الْعِشْق أعظم مِمَّا بالمجانين)**؛ يعني حال العاشق -يعترف- أن حال العاشق أشد من ما بالمجانين؛ بمعنى: أنه يُقر أن العشق جنون، أشد من جنون المجانين؛ ولهذا يتصرف العاشق تصرفات سيئة، أشبه بتصرفات المجانين بل أشد بسبب ما قام في قلبه من عشقٍ وتعلقٍ باطل، قال: **(الْعِشْق أعظم مِمَّا بالمجانين)**؛ لماذا؟ قال:

الْعِشْق لَا يستفيق الدهرَ صاحبُه ... وَإِنَّمَا يُصرع الْمَجْنُون فِي الحِين

المجنون يُصاب بالصرع في أوقات معينة، أما من به عشق فهو مجنون جنونًا لا يستفيق الدهر صاحبه، يكون ملازمًا له في كل وقت، إلا إذا ساق الله إلى قلبه هدايةً ونجاةً من ذلك العشق الباطل والتعلق المحرم.

قال: **(وَمن أعظم هَذَا الْبلَاء: إِعْرَاضُ الْقلب عَن الله؛ فَإِن الْقلب إِذا ذاق طعم عبَادَة الله)**. قال: **(وَمن أعظم هَذَا الْبلَاء)**؛ وفي بعض النسخ: **(ومن أعظم أسباب هذا البلاء، إِعْرَاضُ الْقلب عَن الله)**؛ يعني هذه التعلقات الباطلة تتسلل إلى القلوب بسبب ما قام في القلب من إعراضٍ عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لكن لو كان القلب مخلصًا لله مقبلًا على الله لم تجد هذه التعلقات في القلب مكانًا.

إذًا متى تجد هذه التعلقات في القلب مكانًا؟ إذا كان القلب معرضًا، مثل ما قيل: صادف قلبًا خاليًا فتمكن، أما إذا كان القلب معمور بالتعلق بالله، والصلة بالله، والتوكل على الله، لا تجد هذه التعلقات مكانًا فيه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**فَإِن الْقلب إِذا ذاق طعم عبادة الله وَالْإِخْلَاص لَهُ، لم يكن شَيْء قطّ عِنْده أحلى من ذَلِك وَلَا أطيب وَلَا ألذ**)؛ إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكن شيء قط عنده أحلى من ذلك ولا أطيب ولا ألذ، هذا يُفيد من جهتين:

- يفيد من جهة أن المخلص لله قلبه بإذن الله فيه سلامة من أن تصل إليه تلك التعلقات ما دام مخلصًا لله، ما دام قلبه متعلقًا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- وتفيد هذه أيضًا من جهةٍ أخرى، أنَّ من به شيء من التعلقات المحرمة لا يمكن أن يسلم منها إلا بالإخلاص لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فدواؤه تعلقه الباطل أن يخلص لله، وعليه أن يعالج نفسه بالتوحيد، والإخلاص لله، وعمارة قلبه بذلك، فإذا وُفق لذلك؛ خرج من قلبه تلك التعلقات الباطلة التي ما أنزل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها من سلطان.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَالْإِنْسَان لَا يتْرك محبوبًا إِلَّا بمحبوب آخر يكون أحب إِلَيْهِ مِنْهُ، أَو خوفًا من مَكْرُوه؛ فالحب الْفَاسِد إِنَّمَا ينْصَرف الْقلب عَنهُ بالحب الصَّالح، أَو بالخوف من الضَّرَر).

انظر هذا الكلام الجميل، يعني حتى يتضح لك كيف أن العلاج والدواء لمن ابتلي بتلك الابتلاءات إنما يكون بهذا، بأن يجتهد في ملء قلبه، وعمارة قلبه بالإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن يطمئن قلبه بالإيمان، واللجوء إلى الله والثقة بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوبٍ آخر يكون أحب إليه منه، فإذا اجتهد في عمارة قلبه بحب الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

سواهما، ويجتهد في تحقيق ذلك، فإنه بتحقق ذلك لقلبه ينطرد عن قلبه كل التعلقات الباطلة.

قال: (**فالحب الْفَاسِد إِنَّمَا ينْصَرف الْقلب عَنهُ بالحب الصَّالح، أَو بالخوف من الضَّرَر**).

قال: (**وَالْإِنْسَان لَا يتْرك محبوبًا إِلَّا بمحبوب آخر يكون أحب إِلَيْهِ مِنْهُ، أَو خوفًا من مَكْرُوه**)؛ بوجود هذين الأمرين يسلم. (**فالحب الْفَاسِد إِنَّمَا ينْصَرف الْقلب عَنهُ بالحب الصَّالح، أَو بالخوف من الضَّرَر**).

(قَالَ تَعَالَى فِي حق يُوسُف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:24]؛ فَالله يصرف عَن عَبده مَا يسوؤه من الْميل إِلَى الصُّور والتعلق بهَا، وَيصرف عَنهُ الْفَحْشَاء بإخلاصه لله؛ وَلِهَذَا يكون قبل أَن يَذُوق حلاوة الْعُبُودِيَّة لله وَالْإِخْلَاص).

لما ذكر ما سبق مثَّل بالآية، قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:24]؛ فالمخلص إخلاصه لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقيه وينجيه، مثل ما ذكر الله عن نبينا يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قال: (**فَالله يصرف عَن عَبده مَا يسوؤه من الْميل إِلَى الصُّور والتعلق بهَا، وَيصرف عَنهُ الْفَحْشَاء بإخلاصه لله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)؛ فإذًا الدواء لهذا الداء أن يخلص العبد لله، وأن يحرص على عمارة قلبه بالعبودية لله، والإخلاص لله، وتحقيق الإيمان به جَلَّ وَعَلَا؛ لينجو من تلك الآفات والشرور.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِهَذَا يكون قبل أَن يَذُوق حلاوة الْعُبُودِيَّة لله وَالْإِخْلَاص لَهُ؛ بِحَيْثُ تغلبه نَفسه على اتِّبَاع هَواهَا، فَإِذا ذاق طعم الْإِخْلَاص وَقَوي فِي قلبه انقهر لَهُ هَوَاهُ بِلَا علاج. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:45]؛ فَإِن الصَّلَاة فِيهَا دفعًا للمَكْرُوه وَهُوَ الْفَحْشَاء وَالْمُنكر، وفيهَا تَحْصِيل مَحْبُوب وَهُوَ ذكر الله، وَحُصُول هَذَا المحبوب أكبر من دفع ذَلِك الْمَكْرُوه؛ فَإِن ذكر الله عبَادَة لله، وَعبادَة الْقلب لله مَقْصُودَة لذاتها).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَلِهَذَا يكون قبل أَن يَذُوق حلاوة الْعُبُودِيَّة لله وَالْإِخْلَاص لَهُ؛ تغلبه نَفسه على اتِّبَاع هَواهَا**)؛ لماذا تغلبه نفسه على اتباع هواها قبل أن يذوق طعم الإخلاص، وقبل أن يذوق قلبه حلاوة الإخلاص؟ لماذا تغلبه نفسه على اتباع هواها؟ لأن القلب خاوي ليس فيه إلا هذا الهوى؛ فتغلبه نفسه على اتباع هواها، لكن إذا اجتهد في أن يملأ هذا القلب بالحب لله، والعبودية لله، والإخلاص لله، وتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذاق طعم الإيمان، وذاق حلاوة الإيمان لم يبقى كما تقدم لتلك التعلقات في قلبه أي مجال، (**فَإِذا ذاق طعم الْإِخْلَاص وَقَوي فِي قلبه انقهر لَهُ هَوَاهُ بِلَا علاج**)؛ كلام عظيم جدًا، إذا ذاق قلبه طعم الإخلاص وحلاوة الإيمان انقهر له هواه بلا علاج؛ يُصبح الهوى مقهورًا بدل أن كان قاهرًا، يُصبح الهوى مقهورًا، كل ما أراد الهوى أن ينهض في نفسه كبحه بماذا؟ بما فيه من إخلاص، أما سابقًا كل ما

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نهض الهوى، ليس في القلب شيء يكبحه، وليس فيه شيء يمنعه، لكن المخلص إذا نهض الهوى أو بدت أسبابه جاء الإخلاص والإيمان الذي في قلبه فدفع عنه ذلك وطرد عنه ذلك.

ولهذا الإيمان مفزع للإنسان، مفزع في السراء والضراء، ومفزع أيضًا في النعم والمصائب، ومفزع في الطاعات وفي الذنوب، الإيمان مفزع في الطاعات والذنوب، المؤمن إذا دعته نفسهُ إلى ذنب، ورغبته في ذنب، ومالت إلى ذنب، أو وُجدت مغريات للذنب والدوافع إليه، تجد شيء يوجد في قلبه، أكرمه الله به وهو الإيمان يعمل على صد ذلك ومنعه، يعمل على صد ذلك ومنعه، فتجده حدثته نفسه بالذنب، وبدأت تتحرك لذلك الذنب، فيأتي إلى قلبه خوف الله، يأتي إلى قلبه استشعار رؤية الله، يأتي إلى قلبه خوف عقوبة الله، يأتي إلى قلبه أشياء كثيرة من هذا القبيل، فتجدها تدفع عنه فعل ذلك الذنب، وتطرد عنه فعل ذلك الذنب، لكن إذا كان القلب ليس فيه الإيمان المحبة لله، التعظيم لله، الخوف من الله، المراقبة لله.. إلى غير ذلك من معاني الإيمان، إذا نهض في القلب الشيء المحرم لا يجد أشياء تقاومه، ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام العظيم.

(وَلِهَذَا يكون قبل أَن يَذُوق حلاوة الْعُبُودِيَّة لله وَالْإِخْلَاص لَهُ؛ تغلبه نَفسه على اتِّبَاع هَواهَا، فَإِذا ذاق طعم الْإِخْلَاص وَقَوي فِي قلبه انقهر لَهُ هَوَاهُ بِلَا علاج)؛ لا يحتاج إلى معالجة للهوى، وربما يكون الهوى الذي في قلبه له مدة طويلة،

يعني أحد الأشخاص يحدثني عن نفسه قريبًا أنه أمضى في مثل هذه التعلقات أكثر من ثلاثين سنة، ويقول: ما تركت شيء منها إلا فعلته، ثم أكرمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بمصيبة كانت سبب هدايته، وانشراح قلبه للإيمان، والتعلق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيتحدث من نعمة الله عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما جعل الله فيه، وأكرمه الله به من إيمان من انقماع هذه الأشياء وذهابها عنه، وعدم التفاته إليها، وأنه لا يجد في نفسه ميل إليها أصلًا، مع أنه مدة طويلة عاشها متعلقًا قلبه بهذه الأشياء، لكنه لما وُجد في قلبه من الإيمان يتحدث عن عدم التفاته لهذه الأشياء شيءٌ عجب.

فالعبد فعلًا إذا قام في قلبه الإيمان، وحلاوة الإيمان، والتعلق بالله، ومخافة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهذه الأشياء تنقمع، ويقهرها الإيمان، ولا يبقى لها في القلب مجال بسبب امتلاء القلب وعمارة القلب بالإيمان والمخافة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾؛ وهذا أيضًا فيه التنبيه على مقام الصلاة في هذا الباب، ومكانتها العظيمة؛ فإن في الصلاة دفعًا للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولاسيما إذا أكرم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عبده بتحقيق الصلاة كما ينبغي، محافظةً على أركانها على شروطها، على واجباتها، على آدابها، على أوقاتها؛ فلها أثر عظيم جدًا في نهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر.

قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾؛ أي أن الصلاة فيها فائدتان عظيمتان ذُكرتا هنا في هذه الآية: نهيها عن الفحشاء والمنكر، وأيضًا فيها إقامة لذكر الله، وما في الصلاة من إقامةٍ لذكر الله أعظم مما فيها من النهي عن الفحشاء والمنكر، هذا معنى قوله: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية: 45].

قال: (**فَإِن الصَّلَاة فِيهَا دفع مَكْرُوه وَهُوَ الْفَحْشَاء وَالْمُنكر، وفيهَا تَحْصِيل مَحْبُوب وَهُوَ ذكر الله، وَحُصُول هَذَا المحبوب أكبر من دفع ذَلِك الْمَكْرُوه؛ فَإِن ذكر الله وعبادة القلب لله مَقْصُودَة لذاتها**)؛ إذًا قوله: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾؛ أي ما كان في الصلاة من إقامة لذكر الله أعظم مما كان فيها من دفعٍ أو نهيٍ عن الفحشاء والمنكر، كل منهما عظيم: نهيها عن الفحشاء عظيم، واستجلابها للقلب لإقامة ذكر الله عظيم، لكنه أعظم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾؛ لأن ذكر الله عبادة القلب وهي مقصودةٌ لذاتها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَالْقلب خلق يحب الْحق ويريده ويطلبه فَلَمَّا عرضت لَهُ إرادة الشر طلب دفع ذلك).

(**فإن ذكر الله وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها، فأما اندفاع الشَّرّ عَنهُ فَهُوَ مَقْصُود لغيره على سَبِيل التبع**)؛ هذا كله توضيح لمعنى الآية.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْقلب خُلق يُحب الْحق ويريده ويطلبه؛ فَلَمَّا عرضت لَهُ إِرَادَة الشَّرّ طلب دفع ذَلِك فَإِنَّهَا تفْسد الْقلب؛ كَمَا يفْسد الزَّرْع بِمَا ينْبت فِيهِ من الدغل).

أعد... (وَالقلب..).

(وَالْقلب خُلق يُحب الْحق ويريده ويطلبه؛ فَلَمَّا عرضت لَهُ إِرَادَة الشَّرّ طلب دفع ذَلِك فَإِنَّهَا تفْسد الْقلب؛ كَمَا يفْسد الزَّرْع بِمَا ينْبت فِيهِ من الدغل).

في اختلاف في النسخ؟ اقرأ ما في هذه النسخة.

القارئ: فإنه بدل فإنها فإنه يفسد القلب.

طيب.. اقرأ حسب ما في هذه والقلب..

(وَالْقلب خُلق يُحب الْحق ويريده ويطلبه؛ فَلَمَّا عرضت لَهُ إِرَادَة الشَّرّ طلب دفع ذَلِك فَإِنَّهُ يفْسد الْقلب؛ كَمَا يفْسد الزَّرْع بِمَا ينْبت فِيهِ من الدغل).

وعندك ماذا؟

القارئ: فإنها، فإنها فقط.

فإنها!

القارئ: إيه نعم؛ فإنها يفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل.

نعم والقلب... اقرأ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْقلب خُلق يُحب الْحق ويريده ويطلبه؛ فَلَمَّا عرضت لَهُ إِرَادَة الشَّرّ طلب دفع ذَلِك فَإِنَّهَا تُفْسد الْقلب؛ كَمَا يفْسد الزَّرْع بِمَا ينْبت فِيهِ من الدغل).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْقلب خُلق يُحب الْحق ويريده ويطلبه**)؛ إنما خُلق القلب لذلك، إنما خُلق القلب لذلك، القلب خُلق ليكون محبًا لله، معظمًا لله، عبدًا لله، خُلق القلب لأجل ذلك، ولطلب ذلك، والعمل على تحقيق ذلك، وأيضًا حياة القلب الحقيقية إنما تكونُ بذلك؛ لأن القلب إذا خرج عن الغاية التي خُلق لأجلها أصبحت الحياة حياة بهيمية، لا تصبح حياةً حقيقية؛ فحياة القلب حقيقةً بأن يُعمر بحب الله، وتعظيم الله، والعبودية لله، والذل بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أي لا يُمكن أن يحيى القلب إلا بذلك، وبدون ذلك يكون القلب ميتًا، قد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:24]، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:122]؛ وسمى الوحي روحًا؛ لأن حياة القلوب لا تكون إلا به، فالقلب خُلق لذلك، خُلق لحب الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لحب الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعبودية له، والذل له، وليطلب ذلك وليعمل على تحقيق ذلك، (**فَلَمَّا عرضت لَهُ إِرَادَة الشَّرّ**)؛ لما عرضت للقلب إرادة الشر، وإرادة الشر هي أمرٌ عارض، الأصل أن الإنسان فُطر على السلامة، وهذه الأشياء تعرض للقلب فتفسده، مثل ما جاء في الحديث القدسي: «**خلقت عبادي حنفاء،**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فأتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». (**فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذَلِـك**)؛ يعني يصبح القلب فيه المنازعة بين الإرادتين، إحداهما تدفع الأخرى، وهو لما غلب منهم.

(**فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك؛ فَإِنَّهُ يفْسد الْقلب؛ كَمَا يفْسد الزَّرْع بِمَا ينْبت فِيهِ من الدغل**)؛ القلب خُلق لأن يكون عبد لله، ليكون محبًا لله، فإذا جاءت هذه الشرور والتعلقات الباطلة، والعشق المحرم، والأهواء الباطلة، ودخلت على القلب، ماذا سيحصل؟ ماذا سيحصل للقلب؟ يمثل شيخ الإسلام على ذلك بمثال حسي نراه ونشاهده:

الآن لما يكون عند الإنسان مزرعة وفيها نخلة، نخلة جميلة ومثمرة، ثم بدأت تنبت نباتات مؤذية ومضرة بالنخلة في حوض النخلة، وبدأت جذور وعروق هذه النباتات تتعمق في.. مزاحمةً لعروق النخلة وأصولها، ما الذي سيحدث للنخلة؟ هل ستبقى على نضارتها؟ على جمالها؟ على ثمارها؟ أبدًا؛ ولهذا الفلاح يدرك ذلك، الفلاح وصاحب النخل دائمًا يحرص على أنه ينظف حوض النخلة الذي يضع فيه الماء لها، مغذيًا لها، يحرص على إزالة الدغل، النوابت المؤذية للنخلة فينتفها ويقلعها ويرميها جانبًا؛ لأنه يعلم لو بقيت هذه النباتات آذت هذه النخلة:

أولًا: تزاحمها في شرب الماء الذي هو غذاؤها.

وثانيًا: تؤذي عروق النخلة وأصولها.

فتضعف النخلة وتمرض وتذبل، وتذهب عنها نضرتها، تقل ثمرتها إن لم أيضًا تُصبت بانعدام الثمرة، يُفاجأ الفلاح بأن النخلة لا تثمر، أو أنها ضعفت بسبب هذه الأشياء، إذًا حتى تسلم له نخلته ماذا يحتاج؟ يحتاج إلى أن يزيل هذا الدغل، ولا يغب عن بالكم وشيخ الإسلام يضرب هذا المثال، قول الله تعالى في القرآن في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:24]؛ هذا مثال يوضح لنا حال الإيمان، وحال القلب مع الإيمان بالنخلة التي هي أطيب الشجر وأحسنه، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين في الصحيحين وغيرهما أن المراد بالشجرة الطيبة في الآية النخلة، كما في حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما.

وثمة أوجه شبه عديدة بين النخلة وبين المؤمن؛ ذُكر في الآية هذه أربعة وجوه شبه بين المؤمن وبين النخلة، من أوجه الشبه ما تعرض له شيخ الإسلام هنا، وهو أن كما أن قلب المؤمن يحتاج إلى أن تزال عنه الأهواء، والدواخل الغريبة، والأمور المحرمة، يحتاج أن دائمًا يبعدها عن قلبه؛ حتى يصفو قلبه للإيمان فيثمر الثمرات العظيمة النافعة، مثله سواء مثل النخلة التي تحتاج من الفلاح أن يكون دائمًا يتعاهد حوضها وما حولها حتى يُبعد عنها النباتات الغريبة المضرة بالنخلة المؤذية لها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قــال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِهَــذَا قَــالَ تَعَــالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، من الآية:9-10]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى، من الآية:14-15]، وَقَالَ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ﴾ [سورة النور، من الآية:30]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور، من الآية:21]؛ فَجعل سُبْحَانَهُ غض الْبَصَر وَحفظ الْفرج هُوَ أزكى للنَّفس، وَبَين أَن ترك الْفَوَاحِش من زَكَاة النُّفُوس، وَزَكَاة النُّفُوس تَتَضَمَّن زَوَال جَمِيع الشرور من الْفَوَاحِش وَالظُّلم والشرك وَالْكذب وَغير ذَلِك).

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تحدث عن المعنى السابق الذي هو في آخر حديثه، وهو إزالة ما حول الشجرة من الدغل (النباتات المؤذية المضرة بالنخلة وبالشجرة)، أيضًا القلب يحتاج إلى أن يُزال عنه الأشياء التي تُضعف فيه الإيمان والمحبة لله والتعظيم لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ يحتاج إلى أن يُزال عنه ذلك، وهو ما يُسمى بالتزكية -تزكية القلب-، والتزكية للقلب تتناول جانبين: تخلية القلب من الرذائل، وتحليته بالفضائل، وهذه حقيقة التزكية، حقيقة التزكية: تخليةٌ وتحلية، تخليةٌ للقلب عن الرذائل، وتحلية له بالفضائل، فيجتهد الإنسان أن يُبعد عن قلبه الأمور التي هي رذائل، مناقضة للإيمان، مناقضة للحب لله، مناقضة للتعظيم لله، مناقضة للعبودية لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، مناقضة

للاتباع لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ليجتهد في تخلية القلب وتنقيته منها، وأيضًا يجتهد في تحليتها بالفضائل والكمالات.

وأورد في ذلك آيات نؤجل الحديث عنها إلى لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اللهم انفعنا جميعًا بما علمتنا، واجعل ما تعلمناه حُجةً لنا لا علينا، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم اغفر لنا ذنبنا كله، دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلنه، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرقة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم انصر من نصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم يا ربنا يا قوي يا عزيز انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا وحافظًا ومؤيدًا ومعينًا، اللهم احقن دماؤهم، واحفظ أعراضهم، واحفظ أموالهم يا حي يا قيوم يا ذا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الجلال والإكرام، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ، وآله وصحبه أجمعين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس العاشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، من الآية:9-10]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى، من الآية:14-15]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ﴾ [سورة النور، من الآية:30]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [سورة النور، من الآية:21]؛ فَجعل سُبْحَانَهُ غضَّ الْبَصَر وَحفظ الْفرج هُوَ أَزْكَى للنَّفس، وَبَيَّن أَن ترك الْفَوَاحِش من زَكَاة النُّفُوس، وَزَكَاة النُّفُوس تَتَضَمَّن زَوَال جَمِيع الشرور من الْفَوَاحِش وَالظُّلم والشرك وَالْكذب وَغير ذَلِك.

وَكَذَلِكَ طَالب الرِّئَاسَة والعلو فِي الأَرْض قلبه رَقِيق لمن يُعينهُ عَلَيْهَا، وَلَو كَانَ فِي الظَّاهِر مقدمهم والمطاع فيهم؛ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لَهُم الأَمْوَال والولايات، ويعفوا عَمَّا يجترحونه ليطيعوه ويعينوه، فَهُوَ فِي الظَّاهِر رَئِيس مُطَاع، وَفِي الْحَقِيقَة عبدٌ مُطِيع لَهُم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَالتَّحْقِيق أَن كِلَاهُمَا فِيهِ عبودية للْآخر، وَكِلَاهُمَا تَارِك لحقيقة عبَادَة الله، وَإِذا كَانَ تعاونهما على الْعُلُوّ فِي الأَرْض بِغَيْر الْحق كَانَا بِمَنْزِلَة المتعاونين على الْفَاحِشَة أَو قطع الطَّرِيق؛ فَكل وَاحِد من الشخصين لهواه الَّذِي استعبده واسترقه مستعبدٌ للْآخر).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

هذا بيانٌ من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى للتزكية -تزكية النفس- وهو تطهيرها وتنقيتها من الرذائل والحقارات ودنئ الأقوال والأفعال، وفي الوقت نفسه تعليتها وتحليتها بالفضائل والكمالات، والتزكية عندما يُنظر في أصل مدلولها فهي فيها معنى الزكاة الذي هو الطهارة والنقاء، وفيها أيضًا معنى الزكاة الذي هو النماء والزيادة، وكلٌّ من المعنيين مراد في تزكية النفس، فتزكية النفس تتناول هذا وهذا، تتناول تنقية النفس وتطهيرها من الرذائل والحقارات، أو الأمور الحقيرة والدنيئة، وفي الوقت نفسه تنميتها بزيادة الفضائل والكمالات.

فالتزكية تخلية وتحلية؛ تخلية للنفس من الرذائل، وتحلية لها بالفضائل، وقد أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، من الآية:9-10]. ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي زكى نفسه؛ لأنه قال في الآية التي قبلها: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، من الآية:7-9]. ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي من زكى نفسه، والمراد بتزكية النفس: أن يعمل صاحبها على تنقيتها وتخليتها من الرذائل، وفي الوقت نفسه يعمل على تحليتها بالفضائل والكمالات.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ دساها أي حقرها وصغرها وغمسها في الحقارات والرذائل، فمن كانت هذه حاله فهو بأعماله هذا إلى الخيبة والخسران، ﴿خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

أما من عمل على تزكية نفسه فقد فاز بالفلاح، والفلاح هو حيازة الخير، بل إن الفلاح -هذه الكلمة- أجمع كلمةٍ تعني حيازة الخير في الدنيا والآخر، فمعنى قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي من زكى نفسه أي أنه حاز خير الدنيا والآخرة، من زكى نفسه فقد حاز خير الدنيا والآخرة.

كذلك الآية التي تليها قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى، من الآية:14-15]؛ أي: تحقق فلاح من تزكى، ثم ذكر من التزكي ذكر الله والصلاة، فذكر الله زكاة، والصلاة زكاة، فأفلح من زكى نفسه وأقام الذكر -ذكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-، وحافظ على الصلاة، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ

﴿فَصَلَّىٰ﴾؛ هذه الآية تدل على أن التزكية تتناول فعل الفضائل؛ كالذكر والصلاة وغير ذلك.

والآية التي تليها تُبين أن التزكية تتناول أيضًا اجتناب الرذائل، قال الله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة النور، من الآية:30]. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي الغض للأبصار والحفظ للفروج. ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، فإذًا التزكية تتناول المعنيين معًا، تتناول تزكية النفس بتحليتها بالفضائل، وتتناول أيضًا تزكية النفس بتخليتها عن الرذائل.

ثم أورد قول الله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور، من الآية:21]؛ وهذه فيها أن زكاة النفس مِنَّةٌ إلهية وهبةٌ ربانية، فالمزكي هو رب العالمين، والموفق للزكاة هو رب العالمين يزكي من يشاء، ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:49]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ وهذا يُستفاد من أن من أراد لنفسه الزكاة أن تزكو نفسه فليطلبها من الله مستعينًا به بفعل ما شرع من أسبابٍ تُنال بها زكاة النفس؛ فزكاة النفس تُنال بأمرين:

الأمر الأول: استعانة بالله جَلَّ وَعَلَا؛ فهو الذي يزكي من يشاء جَلَّ وَعَلَا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والأمر الثاني: ببذل الأسباب، ومجاهدة النفس، ومحاسبتها، وأخذها بمأخذ العزم والحزم لتتحلى بالفضائل وتتجنب الرذائل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَجعل سُبْحَانَهُ غضَّ الْبَصَر وَحفظ الْفرج هُوَ أَزْكَى للنَّفس**)؛ أي أن مما تزكو به نفس الإنسان أن يغض بصره، وأن يحفظ فرجه، ومعنى ذلك إذا أطلق الإنسان لبصره ينظر إلى المحرمات؛ فإن ذلك كله من نقص زكاء نفسه، وموجبٌ لنقص وضعف زكاة نفسه، فإذا غض بصره زكت نفسه، وإن لم يغض بصره نقص من زكاة نفسه بحسب ذلك. ثم هذا البصر بريد القلب، ومثله السمع كذلك، فالقلب ترد عليه الواردات بما تراه العين وتسمعه الأذن.

ولهذا من أجل أن يزكو القلب احتاج الأمر إلى أن تُغلق المنافذ، فلا يدخل إلى القلب من منفذ السمع أو من منفذ البصر ما يُفسد القلب ويضر به، كم من نظرة آثمة أعطبت قلبًا، وكم من سماعٍ آثم أفسد قلبًا وجره إلى هلاك، وإلى بوار وإلى نهايات أسيفة. ولهذا كان المؤمن مُطالبًا من أجل أن يزكو وتزكوا نفسه أن يغض بصره، وأن يحفظ سمعه، يمنع سمعه من الحرام ويمنع بصره من الحرام، وهذا المنع أزكى له كما أخبر الله، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ﴾؛ أي الغض والحفظ. ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (فَجعل سُبْحَانَهُ غضَّ الْبَصَر وَحفظ الْفرج هُوَ أَزْكَى للنَّفس، وَبَيَّن أَن ترك الْفَوَاحِش من زَكَاة النُّفُوس)؛ لأن قوله في الآية الكريمة: ﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾؛ حفظ الفروج بتجنيبها وإبعادها عن الفواحش والمحرمات هذا من زكاء النفوس، من موجبات زكاة النفوس وطهارتها، بينما إذا دخل الإنسان -والعياذ بالله- في الفواحش ماذا يكون صنع لنفسه؟ يكون دس نفسه، ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ حقرها وصغرها، وجعلها نفسًا مهينة بدل أن كانت نفسًا شريفة، جعلها نفسًا حقيرة بدلًا أن كانت نفسًا كريمة، أهان نفسه بذلك، وحقَّر نفسه بذلك.

ولهذا جاءت الآية الكريمة بقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ لأن من يدخل في هذه الفواحش والرذائل في الحقيقة دس نفسه أي حقرها وصغرها وجعلها نفسًا مهينةً حقيرةً نفسًا آثمة، وبدل أن تكون نفسًا فازت بشريف الألقاب تحولت إلى سيئ الألقاب؛ الفسوق والفجور والعذر وغير ذلك من التي قبل أن أصبحت لقبًا لها بسبب غشيان تلك الفواحش وفعل تلك المحرمات -عياذًا بالله-.

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:11]؛ فإذًا من زكى نفسه أخذها بمأخذ العزم وأبعدها عن تلك الحقارات والرذائل فهو المفلح، أما -

والعياذ بالله- من يوقع نفسه في الرذائل فإنه بإيقاعه لنفسه في الرذائل قد دس نفسه أي حقرها وصغرها وأهانها.

قال: (**وَزَكَاة النُّفُوس تَتَضَمَّن زَوَال جَمِيع الشرور من الْفَوَاحِش وَالظُّلم والشرك وَالْكذب وَغير ذَلِك**)؛ هذا كله من زكاة النفوس، فالنفس تزكو بتجنب الشرك بالله، بتجنب البدع، بتجنب المعاصي والكبائر والآثام، كل ذلك مما تزكى به النفس وتطهر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَذَلِكَ طَالب الرِّئَاسَة والعلو فِي الأَرْض قلبه رَقِيق لمن يُعينهُ عَلَيْهَا**)؛ إذا كان قلبه معلقًا بطلب الرئاسة وطلب العلو في الأرض وحالته هذه لن يكون إنسانًا باحثًا عن زكاة نفسه، ولا يُبالي بالأمور التي تُدنسها وتحقرها في سبيل حفظ رئاسته، وحفظ علوه في الأرض، ولهذا لا يبالي، وتُصبح نفسه نفسًا دنيئة، نفسًا حقيرة، نفسًا آثمة.

قال: (**وَكَذَلِكَ طَالب الرِّئَاسَة والعلو فِي الأَرْض قلبه رَقِيق لمن يُعينهُ عَلَيْهَا**)؛ لأن علوه في الأرض هو أكبر غايةً عنده، فمن أعانه على هذه الغاية وساعده على تحقيقها يكون قلبه رقيقًا له، (**وَلَو كَانَ فِي الظَّاهِر مقدمهم والمطاع فيهم في الحقيقة**)؛ فالظاهر هو الرئيس، لكن في قلبه من الرق والعبودية والذل لهؤلاء الأتباع والحاشية الذين حوله والذين يحتاجهم في بقاء علوه ورئاسته

في قلبه من الرق لهم شيء كثير، وفي الظاهر هو مقدمهم ورئيسهم والمسموع المُطاع فيهم.

قال: (**يرجوهم ويخافهم، فيبذل لَهُم الْأَمْوَال والولايات، ويعفوا عنهم ليطيعوه ويعينوه**)؛ انظر هذه المعاني، حاشية الذين يحتاج إليهم في بقاء علوه ورئاسته يعطيهم ولايات، يعطيهم أموال، يعفو عنهم في إساءاتهم، ويغض الطرف عن تجاوزاتهم وتعدياتهم، لماذا؟ لأنهم أعوان له في هدفه وغايته وهو بقاءه في رئاسته وعلوه، قال: (**فَهُوَ فِي الظَّاهِر رَئِيس مُطَاع، وَفِي الْحَقِيقَة عبدٌ مُطِيع لَهُم**).

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العبودية مشتركة منه إليهم ومنهم إليه، قال: (**وَالتَّحْقِيق أَن كِلَاهُمَا فِيهِ عبودية للْآخر، وَكِلَاهُمَا تَارِك لحقيقة عبَادَة الله، وَإِذا كَانَ تعاونهما على الْعُلُوّ فِي الأَرْض بِغَيْر الْحق كَانَا بِمَنْزِلَة المتعاونين على الْفَاحِشَة أَو قطع الطَّرِيق**)؛ لأن كل هؤلاء مشتركين في التعاون على الإثم والعدوان.

(**فَكل وَاحِدٍ من الشخصين هواه الَّذِي استعبده واسترقه للْآخر**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَكَذَا أَيْضًا طَالب المَال؛ فَإِن ذَلِك يستعبده ويسترقه.

وَهَذِه الْأُمُور نَوْعَانِ:

مِنْهَا مَا يحْتَاج العَبْد إِلَيْهِ كَمَا يحْتَاج إِلَيْهِ من طَعَامه وَشَرَابه ومسكنه ومنكحه وَنَحْو ذَلِك؛ فَهَذَا يَطْلُبهُ من الله ويرغب إِلَيْهِ فِيهِ؛ فَيكون المَال عِنْده يَسْتَعْمِلهُ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فِي حَاجته بِمَنْزِلَة حِمَاره الَّذِي يركبه، وبساطه الَّذِي يجلس عَلَيْهِ، بل بِمَنْزِلَة الكنيف الَّذِي يقْضى فِيهِ حَاجته من غير أَن يستعبده فَيكون: ﴿هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [سورة المعارج، من الآية:19-21].

وَمِنْهَا مَا لَا يحْتَاج العَبْد إِلَيْهِ فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَن يعلق قلبه بِهِ؛ أن يعلق قلبه بها صَار مستعبَدًا لَهُ، وَرُبمَا صَار مُعْتَمدًا على غير الله؛ فَلَا يبْقى مَعَه حَقِيقَة الْعِبَادَة لله، وَلَا حَقِيقَة التَّوَكُّل عَلَيْهِ، بل فِيهِ شُعْبَة من الْعِبَادَة لغير الله، وَشعْبَة من التَّوَكُّل على غير الله، وَهَذَا من أَحَق النَّاس بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة**»، وَهَذَا هُوَ عبد هَذِه الْأُمُور فلَو طلبهَا من الله فَإِن الله إِذا أعطَاهُ إِيَّاه رَضِي، وَإِن مَنعه إِيَّاه سخط).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَهَكَذَا أَيْضًا طَالب المَال**)؛ طالب المال هو أيضًا مثل طالب الرئاسة، وقد تقدم حديث شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عن طالب الرئاسة، فطالب المال أيضًا نظيره إذا كان المال هو أكبر همه وغاية مقصده، ومنتهى مناه، إذا كان بهذه الصفة سيكون رقيقًا للمال الذي سيطر على قلبه فكان غاية مناه وأكبر مقصوده ومنتهى علمه، وفي الدعاء المأثور: «**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا**».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهَكَذَا أَيْضًا طَالب المَال؛ فَإِن ذَلِك يستعبده ويسترقه**)؛ إذا كان همه المال استعبده المال، أليس طالب المال من أجل تعلق قلبه بالمال، طالب المال الذي أصبح المال غاية مقصوده، أليس ترك لأجل المال فرائض الله، أليس ترك لأجل المال واجبات الدين، أليس لأجل المال ارتكب محرمات وآثام يعلم يقينًا أن الله حرمها عليه، لا يُبالي بذلك؛ لأن غاية مقصوده هو المال، ومنتهى مراده هو المال فلا يُبالي، فإذا كان حاله كذلك استعبده المال واسترقه؛ أي أصبح عبدًا للمال، مثل في الحديث الذي مر وسيعيده شيخ الإسلام: «**تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة**».

قال: (**وَهَذِه الْأُمُور نَوْعَانِ: مِنْهَا مَا يحْتَاج إِلَيْهِ العَبْد كَمَا يحْتَاج إِلَيْهِ من طَعَامه وَشَرَابه ومسكنه ومنكحه وَنَحْو ذَلِك**)؛ هذه أمور يحتاج إليها العبد، ولا يقال: إن المال لا يحتاج إليه، كل إنسان يحتاج إلى المال، فيحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه، وإلى شرابه، وإلى مسكنه، وإلى منكحه ونحو ذلك، فما الطريقة في هذا النوع من الحاجة للمال؟ ما الطريقة في هذا النوع من الحاجة للمال؟ قال: (**فَهَذَا يَطْلُبُهُ من الله ويرغب إِلَيْهِ فِيهِ**)؛ أي يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يمن عليه به، وأن يرزقه، وأن ييسره له، ويبذل أيضًا في الوقت نفسه الأسباب التي أباحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له في تحصيله، ثم إذا حصل هذا المال لا يكون المال غاية عنده، تملأ قلبه، وتعمر فؤاده، بل يكون بأي صفة؟ يقول: (**فَيكون**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المَال عِنْده يَسْتَعْمِلهُ فِي حَاجاته بِمَنْزِلَة حِمَاره الَّذِي يركبه)؛ الحمار وسيلة للنقل، يمتطيه صاحبه ليصل به إلى أغراض وحاجات يحتاج إليها، المال أيضًا وسيلة لأشياء معينة لا يكون غاية، كم هُم من أناس جعلوا المال غايةً ثم فارقهم المال أو فارقوا هم المال، وهما مصيران لا بد من أحدهما، هذا الذي جعل المال أكبر همه، وغاية مقصوده هو آيل إلى أحد أمرين:

- إما أن يفارق هو المال بموت.
- أو يفارقه المال بجائحة أو نحو ذلك.

قال: (**فَيكون المَال عِنْده يَسْتَعْمِلهُ فِي حَاجاته بِمَنْزِلَة حِمَاره الَّذِي يركبه، وبساطه الَّذِي يجلس عَلَيْهِ، بل بِمَنْزِلَة الكنيف الَّذِي يقْضى فِيهِ حَاجته من غير أَن يستعبده، فَيكون:** ﴿هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [سورة المارج، من الآية:19-21])؛ فالشخص الذي يتعامل مع المال بهذه الصفة التي ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية يسلم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من أن يكون قلبه متعلق بالمال وأصبح هو المقصود وهو الغاية.

قال: (**وَمِنْهَا مَا لَا يحْتَاج إليها العَبْد فَهَذَا لَا يَنْبَغِي أَن يعلق قلبه بِهَا**)؛ ليس له بها أي حاجة، فلا ينبغي له أن يعلق قلبه بها، (**فَإِذا تعلق قلبه لها صَار مستعبَدًا لَهُ، وَرُبمَا صَار مُعْتَمدًا على غير الله**)؛ وهذا يقع لمن تعقل قلوبهم بالمال، يقع منهم أن يدخل بعضهم مداخل محرمة، بعضها يؤدي إلى الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ في

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مقابل أن يحصل المال، مثل إتيان السحرة، وإتيان الكهنة، وإتيان العرافين، ومثل التعلقات الباطلة بالجن ذبحًا أو غير ذلك، كل ذلك يُفعل ونظائر له في سبيل المال وتحصيل المال، في سبيل المال وتحصيله.

والشياطين في هذا الباب لها دور في إغواء بني آدم، حدثني شخصٌ أذكر حديثه لما فيه من فائدة، أن في إحدى الدول أن جارًا له يقول: أعلم من حاله أنه لم يكن تاجرًا ولم يكن أيضًا ورث عن أباءًا له مالًا، ولكن كل ما جئت عنه أجد عنده أموال، وأحيانًا إذا احتجت أطلب منه مساعدة يعطيني، فقلت له مرةً: يا فلان أنا جارك، وتعرف ما بيني وبينك، وأنت لم ترث مالًا ولم تكن تاجرًا وعندك هذه الأموال، فأريد أن تدلني على طريقة أكون مثلك، قال: أنا أدلك على طريقة ولكن كل ما أطلبه منك تفعله بدون أي تردد ولا تمنع، تعاهدني على ذلك؟ قال: أعاهدك، هو يحدثني بذلك، يقول: فرغبةً مني في المال قلت له: أفعل كل ما تريد، قال لي: تذهب عند شاطئ النهر وقت غروب الشمس، والشمس تغرب بين قرني شيطان، وقت غروبها وتقف وأعطاني اسمًا قال: تناديه، وسيأتيك من وسط النهر دابة تُخاطبك، ما تُخاطبك به نفذه بدون تردد، يقول: فذهبت وأنا حريص جدًا على المال، ووقفت على شاطي النهر في الوقت الذي حدد لي فناديت بذلك الاسم، يقول: وإذا بدابة تشق النهر وتأتي مقبلة علي، ثم تُناديني باسمي: فلان؟ قلت: نعم، انظر تعاون بين هؤلاء الشياطين شياطين الإنس وشياطين الجن، ﴿يُوحِى

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:112]؛ فقال لي: تريد أن تقول مثل فلان؟ قلت: نعم، قال: الذي أطلب منك تفعله؟ قلت: نعم، يقول: أول شيء طلبه مني وهذا يقول من توفيق الله لي سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنني نشأت منذ الصغر أصلي وأحافظ على الصلاة ولا أساوم في الصلاة، محافظ عليها، نشأت منذ صغري وأنا أصلي، مر معنا أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، يقول: الصلاة هذه لا أُساوم بها أبدًا، يقول: من توفيق الله لي سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أول طلب طلبه مني قال: تترك الصلاة، أول طلب، يقول: وإذا بشيء ما يمكن أفكر أصلًا أن أتركها، قلت: لا، الصلاة ما أتركها، الصلاة ما أتركها أبدًا، يقول: فصدر هكذا منه صوت ذهب واختفى ورجعت، وقابلت بعد فترة جاري فأخذ يشتمني شتمًا شديدًا، وقال: لم تعاهدني أنك تفعل كل ما أقول لك؟ قال: قال لي: لا تصلي؟ قلت: الصلاة ما يمكن أتركها، فأخبره أنهم جاءوا إليه وآذوه، كيف يُرسل لهم من لا يستجيب؟!

فشاهد القول من هذه القصة: أن بعض الناس إذا كان هدفه المال يُضحي بكل شيء حتى دينه، وعبادته لله وتوحيده لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ويقع في المحرمات وما نهاه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كل شيء يضحي به، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**بل رُبمَا صَار مُعْتَمدًا على غير الله فيها**)؛ يعني في هذه الأموال وتحصيلها كالاعتماد على الشياطين والسحرة أو المشعوذين أو المنجمين أو الرمالين أو غير ذلك، ولهم أشكال وصور كثيرة موجودين في

كل زمان، (فَلَا يبْقى مَعَه حَقِيقَة الْعِبَادَة لله، وَلَا حَقِيقَة التَّوَكُّل عَلَيْهِ، بل فِيهِ شُعْبَة من الْعِبَادَة لغير الله، وَشعْبَة من التَّوَكُّل على غير الله)؛ أي: لم يتحقق فيه قول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]؛ ففيه شعبة من العبادة لغير الله وفيه شعبة من التوكل على غير الله.

(وَهَذَا من أَحَق النَّاس بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة»، وَهَذَا هُوَ عبد لهَذِه الْأُمُور؛ فَإِنَّهُ لَو طلبَهَا من الله فَإِن الله إِذا أعطَاهُ إِيَّاه رَضِي، وَإِن مَنعه إِيَّاه سخط)؛ لأن حبه ورضاه في هذا المال، فإن أُعطي رضي وإن لم يعطى سخط، قد مرت معنا الآية ذكر ذلك في صفات المنافقين: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:58].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذَا هُوَ عبد هَذِه الْأُمُور، فَإِنَّهُ لَو طلبَهَا من الله فَإِن الله إِذا أعطَاهُ إِيَّاه رَضِي، وَإِذا مَنعه إِيَّاه سخط.

وَإِنَّمَا عبد الله من يرضيه مَا يُرْضِي الله ويسخطه مَا يسْخط الله، وَيُحب مَا أحبه الله وَرَسُوله، وَيبغض مَا أبغضه الله وَرَسُوله، ويوالي أَوْلِيَاء الله، ويعادي أَعدَاء الله تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الَّذِي اسْتكْمل الْإِيمَان كَمَا فِي الحَدِيث: «من أحب لله، وَأبْغض لله، وَأعْطى لله، وَمنع لله فقد اسْتكْمل الْإِيمَان»، وَقَالَ: «أوثق عرى الْإِيمَان الْحبّ فِي الله والبغض فِي الله».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَفِي "الصَّحِيح" عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذا أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار».

فَهَذَا وَافق ربه فِيمَا يُحِبهُ وَمَا يكرههُ؛ فَكَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَأحب الْمَخْلُوق لله لَا لعَرَض آخر، فَكَانَ هَذَا من تَمام حبه لله، فَإِن محبَّة مَحْبُوب المحبوب من تَمام محبَّة المحبوب، فَإِذا أحب أَنْبيَاء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الْحق لَا لشَيْء آخر فقد أحبهم لله لَا لغيره، وَقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:54].

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:31]؛ فَإِن الرَّسُول يَأْمر بِمَا يحب الله، وَينْهَى عَمَّا يبغضه الله، وَيفْعل مَا يُحِبهُ الله، وَ يخبر بِمَا يحب الله التَّصْدِيق بِهِ.

فَمن كَانَ محبًا لله لزم أَن يتبع الرَّسُول فيصدقه فِيمَا أخبر، ويطيعه فِيمَا أَمر، ويتأسى بِهِ فِيمَا فعل، وَمن فعل هَذَا فقد فعل مَا يُحِبهُ الله فَيُحِبهُ الله.

وَجعل الله لأهل محبته علامتين: اتِّبَاع الرَّسُول، وَالْجهَاد فِي سَبيله؛ وَذَلِكَ لِأَن الْجِهَاد حَقِيقَة الِاجْتِهَاد فِي حُصُول مَا يُحِبهُ الله من الْإِيمَان وَالْعَمَل

الصَّالح، وَمن دفع مَا يبغضه الله من الْكفْر والفسوق والعصيان، وَقد قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [سورة التوبة، من الآية:24]؛ فتوعد من كَانَ أَهله وَمَاله أحب إِلَيْهِ من الله وَرَسُوله وَالْجهَاد فِي سَبيله بِهَذَا الْوَعيد، بل قد ثَبت عَنهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي "الصَّحِيح" أَنه قَالَ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يُؤمن أحدكُم حَتَّى أكون أحب إِلَيْهِ من وَلَده ووالده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ**»، وَفِي "الصَّحِيح" أَن عمر بن الْخطاب قَالَ لَه: يَا رَسُول الله: والله لأَنْت أحب إِلَيّ من كل شَيْء إِلَّا من نفسى، فَقَالَ: «**لَا يَا عمر حَتَّى أكون أحب إِلَيْك من نَفسك**»، فَقَالَ: فوَالله لأَنْت أحب إِلَيّ من نَفسِي فَقَالَ: «**الْآن يَا عمر**».

فحقيقة الْمحبَّة لَا تتمّ إِلَّا بموالاة المحبوب وَهُوَ مُوَافَقَته فِي حب مَا يحب وبغض مَا يبغض، وَالله يحب الْإِيمَان وَالتَّقوى، وَيبغض الْكفْر والفسوق والعصيان.

وَمَعْلُوم أَن الْحبّ يُحَرك إِرَادَة الْقلب، فَكلما قويت الْمحبَّة فِي الْقلب طلب الْقلب فعل المحبوبات، فَإِذا كَانَت الْمحبَّة تَامَّة استلزمت إِرَادَة جازمة فِي حُصُول المحبوبات، فَإِذا كَانَ العَبْد قَادِرًا عَلَيْهَا حصلها وَإِن كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فَفعل مَا يقدر عَلَيْهِ من ذَلِك كَانَ لَهُ كَأَجر الْفَاعِل، كَمَا قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من دَعَا إِلَى هدى كَانَ لَهُ من الْأجر مثل أجور من اتبعهُ من غير أَن ينقص من أُجُورهم شَيْء، وَمن دَعَا إِلَى ضَلَالَة كَانَ عَلَيْهِ من الْوزر مثل أوزار من اتبعهُ من غير أَن ينقص من أوزارهم شَيْء»**، وَقَالَ: **«إِن بِالْمَدِينَةِ لرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مسيرًا وَلَا قطعْتُمْ وَاديًا إِلَّا كَانُوا مَعكُمْ»** قَالُوا: وهم بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: **«وهم بِالْمَدِينَةِ حَبسهم الْعذر»**.

وَالْجهَاد: هُوَ بذل الوسع -وَهُوَ كل مَا يُمْلَكُ من الْقُدْرَة- فِي حُصُول مَحْبُوب الْحق، وَدفع مَا يكرههُ الْحق. فَإِذا ترك العَبْد مَا يقدر عَلَيْهِ من الْجِهَاد كَانَ دَلِيلًا على ضعف محبَّة الله وَرَسُوله فِي قلبه.

وَمَعْلُوم أَن المحبوبات لَا تنَال غَالِبا إِلَّا بِاحْتِمَال الْمَكْرُوهَات سَوَاء كَانَت محبَّة صَالِحَة أَو فَاسِدَة، فالمحبون لِلْمَالِ والرئاسة والصور لَا ينالون مطالبهم إِلَّا بِضَرَر يلحقهم فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يصيبهم من الضَّرَر فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، فالمحب لله وَرَسُوله إِذا لم يحْتَمل مَا يرى ذُو الرَّأْي من المحبين لغير الله مِمَّا يحْتَملُونَ فِي سَبِيل حُصُول محبوبهم؛ دلّ ذَلِك على ضعف محبتهم لله إِذا كَانَ مَا يسلكه أُولَئِكَ فِي نظرهم هُوَ الطَّرِيق الَّذِي يُسير بِهِ الْعَاقِل.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَمن الْمَعْلُوم أَن الْمُؤمن أَشدُّ حبًا لله كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165].

نعم قد يسْلك الْمُحب لضعف عقله وَفَسَاد تصَوره طَرِيقًا لَا يحصل بهَا الْمَطْلُوب؛ فَمثل هَذِه الطَّرِيق لَا تُحمد إِذا كَانَت الْمحبَّة صَالِحَةً محمودة، فَكيف إِذا كَانَت الْمحبَّة فَاسِدَة وَالطَّرِيق غير موصل؟!).

يعني يقصد هنا طريق أهل البدع عند المحبة وتكون صادقة لكن الطريق فاسدًا، قال: (**فَمثل هَذِه الطَّرِيق لَا تُحمد إِذا كَانَت الْمحبَّة صَالِحَة محمودة، فَكيف إِذا كَانَت الْمحبَّة فَاسِدَة وَالطَّرِيق غير موصل؟!**).

القارئ:

(كَمَا يَفْعَله المتهورون فِي طلب المَال الرِّئَاسَة والصور من حب أُمُور توجب لَهُم ضَرَرًا وَلَا تحصل لَهُم مَطْلُوبًا، وَإِنَّمَا الْمَقْصُود الطّرق الَّتِي يسلكها الْعقل السَّلِيم لحُصُول مَطْلُوبه، وإِذا تبين هَذَا فَكلما ازْدَادَ الْقلب حبًا لله ازْدَادَ لَهُ عبودية ازْدَادَ لَهُ عبودية، وَكلما ازْدَادَ لَهُ عبودية ازْدَادَ لَهُ حبًا وفضله عَمَّا سواهُ).

الجملة الأخيرة عندي: (**إِذا تبين هَذَا فَكلما ازْدَادَ قلبه حبًا لله ازْدَادَ لَهُ عبودية وحريةً عما سواه، وَكلما ازْدَادَ لَهُ عبوديةً ازْدَادَ لَهُ حبًا وحريةً عَمَّا سواهُ**)؛ يقول

شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو يُبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذا الموضع أن عبد الله حقًّا والمحقق للعبودية لله من يُحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ويُعطي لله ويمنع لله؛ فهذا هو المحقق للعبودية لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، يحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويعطي لله ويمنع لله، ويوالي لله ويعادي في الله، وساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك أحاديث كقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من أحب لله، وَأعْطى لله، وَمنع لله فقد اسْتكْمل الْإِيمَان**»، وحديث: «**أوثق عرى الْإِيمَان الْحبّ فِي الله والبغض فِي الله**»، وحديث: «**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد بهن حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَمن كَانَ يكره أَن يرجع إِلَى الْكفْر بعد إِذا أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار**»؛ فالعبودية الحقة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إنما تكون بذلك، أن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه، إذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه كان الله أحب إليه مما سواه، لكن إذا نقصت الموافقة فهذا من دلائل نقص المحبة، إذا نقصت الموافقة ونقص الاتباع كان ذلكم من دلائل نقص المحبة وضعفها.

يقول مبينًا هذه الحقيقة: (**فَإِن محبَّة مَحْبُوب المحبوب من تَمام محبَّة المحبوب**)؛ فالله عَزَّوَجَلَّ أحب أنبياءه وأولياءه وأحب الطاعات التي أمر عباده بها، فلا يمكن أن يكون محبًا صادقًا لله وهو يبغض شرع الله، أو يبغض دين الله، أو يبغض فرائض الله التي أمره الله بها، لا يمكن، أو يكون مبغضًا لأولياء

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الله وأصفياءه وعباده المتقين ما يمكن. **(فَإِن محبَّة مَحْبُوب المحبوب من تَمام محبَّة المحبوب، فَإِذا أحب أَنْبيَاء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الْحق لَا لشَيْء آخر فقد أحبهم لله لَا لغيره)**.

وساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى آياتٍ في تقرير هذا المعنى وفي وجوب تقديم محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومحبة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على جميع المحاب، ومن ذلكم المحاب الثمانية التي جُبلت القلوب والنفوس على محبتها، ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ [سورة التوبة، من الآية:24]؛ وأورد أيضًا حديث عمر في "الصحيح" أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَا يُؤمن أحدكُم حَتَّى أكون أحب إِلَيْهِ من نفسه**»؛ لما قال عمر: والله لأَنْت أحب إِلَيّ من كل شَيْء إِلَّا من نفسى، قال: «**لَا يُؤمن أحدكُم حَتَّى أكون أحب إِلَيْهِ من نفسه**».

وفي القرآن: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:6].

(فحقيقة الْمحبَّة لَا تتمّ إِلَّا بموالاة المحبوب، وموالاته هي مُوَافَقَته فِي حب مَا يحب وبغض مَا يُبْغض)؛ هذه حقيقة المحبة موالاة المحبوب في حب ما يحب وبغض ما يُبغض، **(وَالله يحب الْإِيمَان وَالتَّقوى وَيبغض الفسوق**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والعصيان)؛ فلا يكون صادقًا في حبه لله إلا إذا أحب ما أحب الله، وأبغض ما يبغضه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم تنبه لهذه الفائدة العظيمة الجليلة وهي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَعْلُوم أَن الْحبّ يُحَرك إِرَادَة الْقلب**)؛ يعني ما يقوم في القلب من حب بموجب ذلك الحب تتحرك الإرادة التي في القلب، إن كان حبًا صحيحًا قويمًا تحركت إرادة القلب في الخيرات فعلًا لها وعنايةً بها، وإن كان حبًا باطلًا وحبًا آثمًا وحبًا محرمًا تحركت إرادات القلب في البحث عن المحرمات، ومعلومٌ أن الحب يُحرك إرادة القلب، (**فَكلما قويت الْمحبَّة فِي الْقلب طلب فعل المحبوبات**)؛ أي التي أحبها القلب بغض النظر أنها حق أو باطل، (**فَإِذا كَانَت الْمحبَّة تَامَّة استلزمت إِرَادَة جازمة فِي حُصُول المحبوبات**)؛ إذا كانت المحبة القائمة في القلب تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات، لا يمكن أن تكون محبة تامة ولا يقوم في القلب إرادة جازمة لفعل ما يحبه القلب، أو أن تُقبل النفس على ضد ما يُحبه القلب.

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... هَـذَا لَعَمْـرِي فِـي الْقِيَـاسِ شَـنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِـبَّ لِمَـنْ أَحَـبَّ مُطِيـعُ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(فَإِذا كَانَ العَبْد قَادرًا عَلَيْهَا حصلها، وَإِن كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا فَعل مَا يقدر عَلَيْهِ من ذَلِك كَانَ لَهُ كَأَجر الْفَاعِل)؛ إذا قامت المحبة الصادقة في القلب قويت الإرادة، وإذا قويت الإرادة تحرك البدن.

أضرب لكم -يا إخوان- صورة تُطلعكم على حقيقة الأمر. صورة واضحة نعاينها: حب الصلاة، حب القلب للصلاة بحيث فعلًا يُملأ القلب حبًّا للصلاة، كم يكون له من الأثر؟ ها أنت ترى رجالًا كبارًا في السن ضعفت قواهم ولا تحملهم أبدانهم إذا نُودي للصلاة نهض بذلك البدن الضعيف المثقل حتى إن أحدهم بخطواته البطيئة الثقيلة واعتماده على عكاز في يده في يدٍ واحدة، أو عكازين في يدين يتكئ ويمشي بخطوات ثقيلة بطيئة يستغرق بعضهم بسبب ضعف جسمه وضعف قواه يستغرق نصف ساعة حتى يصل إلى المسجد مع قرب المسجد من بيته، ويقوم الخمس صلوات، يقوم الخمس الصلوات في المسجد بكل همة، بكل إرادة، بينما إذا ضعف ذلك في القلب البدن القوي النشيط يضعف، لماذا؟ لأن الجوارح فرعٌ عن مرادات القلوب، ذاك ببدنه الضعيف المثقل يقوم ولا يتوالى، والآخر ببدنه النشيط القوي ما يتحرك، الأمر راجع لما قام في القلب، والإعاقة إعاقة القلب.

يا إخوان.. الإعاقة إعاقة القلب ليست إعاقة البدن، أحيانًا يرى بعض الأشخاص رجله مبتورة أو يده مبتورة أو أطراف منه مبتورة ويُوصف بأنه معاق، وذاك الذي في كامل قواه وفي كامل صحته البدنية ولا يشهد الصلاة لا

يوصف بالإعاقة، مع أن المعاق هذا الذي جسمه نشيط ولا يصلي؛ هذا هو المعاق، هذا والله هو المعاق، والمعاق من أعاقه قلبه عن طاعة الله والقيام بما خُلق لأجله، أما الذي فقد بعض أطرافه ليس معاقًا، الإعاقة الحقيقية هي إعاقة القلب.

فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**فَإِذا كَانَت الْمحبَّة تَامَّة استلزمت إِرَادَة جازمة فِي حُصُول المحبوبات، فَإِذا كَانَ العَبْد قَادرًا عَلَيْهَا حصلها**)؛ أي فعلها، (**وَإِذا كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا**)؛ يعني ضعف بدنه. (**فَفعل مَا يقدر عَلَيْهِ من ذَلِك كَانَ لَهُ كَأَجر الْفَاعِل**)؛ لماذا له أجر كأجر فاعل؟ لأنه قام في قلبه من الإرادة الصادقة والجزم الصادق أن يفعل مثله، لكن أعاقه أو ولم يمكنه من ذلك عجزه؛ فكان له كأجر الفاعل.

(**كما قَالَ النَّبِي** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من دَعَا إِلَى هدى كَانَ لَهُ من الْأجر مثل أجور من اتبعهُ من غير أَن ينقص من أُجُورهم شَيْء، وَمن دَعَا إِلَى ضَلَالَة كَانَ عَلَيْهِ من الْوزر مثل أوزار من اتبعهُ من غير أَن ينقص من أوزارهم شَيْء**»، **وَقَالَ**: «**إِن بِالْمَدِينَةِ لرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مسيرًا وَلَا قطعْتُمْ وَاديًا إِلَّا كَانُوا مَعكُمْ**» **قَالُوا: وهم بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ**: «**وهم بِالْمَدِينَةِ حَبسهم الْعذر**»)؛ إذًا لهم مثل أجر الفاعل، لما قام في قلبه من حب وإرادة جازمة، لكن البدن عاجزًا؛ فيكتب له مثل أجر الفاعل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذو الفضل العظيم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَالْجِهَاد: هُوَ بذل الوسع**)؛ انظر أيضًا هذه الفائدة الثمينة، قال: (**وَالْجِهَاد: هُوَ بذل الوسع - من الْقُدْرَة- فِي حُصُول مَحْبُوب الْحق، وَدفع مَا يكرههُ الْحق**)؛ وهذا الشخص العاجز بدنيًا، قام بالجهاد أو لم يقم؟ بذل وسعه، لكن الجسم الذي عنده عاجز، لولا ما في الجسم من عجز لكان مع أولئك، ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا سِرْتُمْ مسيرًا وَلَا قطعْتُمْ وَاديًا إِلَّا كَانُوا مَعكُمْ**»، لكن جسمه عاجز، وحقيقة الجهاد بذل الوسع والقدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق، وهؤلاء الذين وصفهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بذلوا وسعهم، لكن أبدانهم لم تمكنهم من ذلك حبسهم كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ العذر، (**فَإِذا ترك العَبْد مَا يقدر عَلَيْهِ من الْجِهَاد كَانَ دَلِيلًا على ضعف محبَّة الله وَرَسُوله فِي قلبه، وَمَعْلُوم أَن المحبوبات لَا تنَال غَالِبًا إِلَّا بِاحْتِمَال المكروهات**).

وفي الحديث قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره**»، لا بد من شيء من هذا القبيل، (**المحبوبات لَا تُنَال غَالِبًا إِلَّا بِاحْتِمَال المكروهات، سَوَاء كَانَت محبَّة صَالِحَة أَو فَاسِدَة**)؛ المحبوبات سواءً كانت المحبة صالحة أو فاسدة لا تكون إلا باحتمال المكروهات. (**فالمحبون للرئاسة والْمَالِ والصور لَا ينالون مطالبهم إِلَّا بِضَرَر يلحقهم فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يصيبهم من الضَّرَر فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**فالمحب لله وَرَسُوله إِذا لم يحْتَمل مَا يرى ذُو الرَّأْي من المحبين لغير الله مِمَّا يحْتَملُونَ فِي سَبِيل حُصُول محبوبهم؛ دلّ ذَلِك على ضعف محبته لله**)؛ (فالمحب لله ورسوله إذا لم يحتمل ما يرى ذو الرأي من المحبين لغير الله في حصول محبوبهم دل ذلك على ضعف محبتهم لله)، نسختك ماذا فيها؟ اقرأ..

القارئ:

(فالمحب لله وَرَسُوله إِذا لم يحْتَمل مَا يرى ذُو الرَّأْي من المحبين لغير الله مِمَّا يحْتَملُونَ فِي سَبِيل حُصُول محبوبهم؛ دلّ ذَلِك على ضعف محبته لله).

يعني كأنه يقول: إذا كان ذاك صاحب باطل، ولأجل محبوبه الباطل يتحمل الأذى، ويصبر على أشياء مكروهات في سبيل نيل محبوبة الباطل، فصاحب الحق أحق بأن يحتمل هذه المكاره والمكروهات في سبيل أن يظفر؛ لأنه كما قال: (**وَمَعْلُوم أَن المحبوبات لَا تنَال غَالِبًا إِلَّا بِاحْتِمَال المكروهات**).

(وَمن الْمَعْلُوم أَن الْمُؤمن أَشد حبًا لله قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165])؛ إذًا هذا الحب إذا قام في القلب ينبغي على المحب الصادق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعمل فعل محبوباته ولو كان باحتمال شيء من المكروهات

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

التي قد تحصل له، والجنة حُفت بالمكاره كما جاء أيضًا في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**نعم قد يسْلك الْمُحب لضعف عقله وَفَسَاد تصَوره طَرِيقًا لَا يُحصل بهَا الْمَطْلُوب**)؛ وهذا يشير به إلى مسالك أهل البدع وأهل الأهواء، فيكون في قلبه حب لكن المسلك غير صحيح، يكون المسلك غير صحيح فلا يحصل المطلوب، المطلوب الذي هو نيل رضا الله والفوز بمحبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والفيصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:31]؛ لا أن يسلك الإنسان مسالك وأعمال لم يشرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأحيانًا دافع المحبة غير المضبوط بضوابط الشرع يوقع الإنسان في أعمال هي من البدع التي لا يقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من العامل، ولننتبه لذلك، دافع المحبة إذا لم تكن مضبوطة بضابط الشرع قد توصل الإنسان إلى أعمال هي بدع نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده عنها، ولا يقبلها منهم.

(**فَمثل هَذِه الطَّرِيق لَا تُحمد إِذا كَانَت الْمحبَّة صَالِحَة محمودة**)؛ مثل هذه الطريق أن يسلك الإنسان أعمال غير مشروعة وإذا سُئل قال: أنا أفعلها حبًّا لله، أو أفعلها حبًا للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا يحصل عند خلق وخاصة من الطرقية وأشباههم، يمارسون أعمال هي من البدع التي ما أنزل الله بها من

سلطان، لم يفعلها أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا خيار الصحابة أولئك المحبون الصادقون ما فعلوها، ولو كانت من لوازم المحبة ومقتضياتها لسبقنا إليها أبو بكر، وسبقنا إليها عمر، وسبقنا إليها عثمان، وسبقنا إليها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين ما فعلوها، قل ذلك في الاحتفالات البدعية التي يفعلها بعض الناس، احتفال الإسراء، واحتفال المولد، واحتفال غير ذلك هذه ما فعلها أبو بكر، ولا فعلها عمر، ولا عثمان، ولا علي ولا بقية الصحابة، ولا أيضًا التابعين، وجدت في القرن الثالث، وأولئك نشهد وندين الله بأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قام في قلوبهم من الحب لله ولرسوله ما لا نبلغه، مبلغًا عظيمًا وهم ما فعلوا هذه الأشياء، لماذا؟

لأنهم ضبطوا المحبة بضابط الشرع، أما من لم يضبط المحبة بضابط الشرع يفعل أمورًا ما أنزل الله بها من سلطان، حتى وُجد من بعض الناس من يحافظ على الاحتفال من بدايته إلى نهايته ويسهر الليل مع ذلك الاحتفال من بدايته إلى نهايته وصلاة الفجر ينام عليها.

الحفل ما يفوته منه دقيقة والصلاة يفوتها، تفوته كثيرًا تكبيرة الإحرام أما الحفل من أول الحاضرين، والحفل ليس بمشروع ولا عمل يرضاه الله ولا يحبه الله ولا طلبه منا، ولا فعله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فتجده الحفل يواظب عليه مواظبة دقيقة من أوله لآخره ما يفوت منه شيء، وصلاة الفجر ينام عليها، أين

هم من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾؟!

أيضًا حفل الإسراء والمعراج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما أُسري به وعُرج به إلى السماء نزل بماذا؟ نزل بالصلاة، يحتفل بليلة الإسراء والمعراج ولا يصلي الفجر، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عُرج به إلى السماء نزل بفريضة الصلاة، خمس صلوات كانت خمسينًا وخُففت في المعراج إلى خمس صلوات، تجده ليلة الإسراء يحتفل وأناشيد وأشياء وإلى آخره وينام عن صلاة الفجر، حتى تلك الليلة ليلة الاحتفال ينام، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عُرج به نزل بالصلاة، كل العبادات الدينية والفرائض ينزل بها جبريل على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى الأرض إلا الصلاة خُصت من بين العبادات عُرج بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى ما فوق السماء السابعة، وجاء في بعض الروايات أن بين كل سماء وسماء مسافة خمسمئة سنة، وثخن كل سماء مسافة خمسمئة سنة كل هذه المسافات الشاسعة قطعها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ليلة واحدة، ونزل بالصلاة.

فالذي يُحقق مقام التأسي والحب الصادق للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحافظ على فرائض الإسلام، ويحافظ على واجبات الدين كما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما أن يسلك مثل هذه المسالك فكما قال شيخ الإسلام: (**فَمِثل هَذِه الطَّرِيق لَا**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

تُحمد إِذا كَانَت الْمحبَّة صَالِحَة محمودة، فَكيف إِذا كَانَت الْمحبَّة فَاسِدَة وَالطَّرِيق غير موصل؟! كَمَا يَفْعَله المتهورون فِي طلب المَال الرِّئَاسَة والصور من حب أُمُور توجب لَهُم ضَرَرًا وَلَا تحصل لَهُم مقصودًا، وَإِنَّمَا الْمَقْصُود الطّرق الَّتِي يسلكها الْعقل السَّلِيم لحُصُول مَطْلُوبه). ثم ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا الموضع بقوله: (**إِذا تبين هَذَا فَكلما ازْدَادَ الْقلب حبًا لله ازْدَادَ لَهُ عبودية وحرية عَمَّا سواهُ**).

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

أحسن الله إليكم.. وبارك فيكم.. ونفعنا الله بما قلتم.. وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين..

يقول: هل من أنواع المحبة الخُلَّة، ولماذا لم يذكرها شيخ الإسلام فيما مر معنا؟

الجواب: الخُلَّة لا شك أنها أعلى درجات المحبة، وشيخ الإسلام ابن تيمية لم يذكر درجات المحبة، وإنما ذكر شيئًا منها، لم يذكر جميع درجات المحبة وإنما ذكر شيئًا منها، وركز في حديثٍ كما مر معنا على التتيم الذي هو التعبد.

يقول: هو يطلب منكم الدعاء؟

الجواب: نسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا جميعًا لهذا الأخ ولنا جميعًا التوفيق والحفظ والسداد، والعون والعافية، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا، وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم إنا نسألك بأنك أنت القوي العزيز المتين أن تنصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم أنصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا، وحافظًا ومؤيدًا، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على ما

عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

المجلس الحادي عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]:

(وَالْقلب فَقير بِالذَّاتِ إِلَى الله من وَجْهَيْن:

- من جِهَة الْعِبَادَة؛ وَهِي الْعلَّة الغائية.
- وَمن جِهَة الِاسْتِعَانَة والتوكل؛ وَهِي الْعلَّة الفاعلة.

فالقلب لَا يصلح وَلَا يُفلح وَلَا يلتذ وَلَا يُسر وَلَا يطيب وَلَا يسكن وَلَا يطمئن..

(العلة الغائية، والعلة الفاعلية..).

(فالقلب لَا يصلح وَلَا يُفلح وَلَا يلتذ وَلَا يُسر وَلَا يطيب وَلَا يسكن وَلَا يطمئن إِلَّا بِعبَادة ربه وحبه والإنابة إِلَيْهِ، وَلَو حصل لَهُ كل مَا يلتذ بِهِ من الْمَخْلُوقَات لم يطمئن وَلم يسكن؛ إِذْ فِيهِ فقرٌ ذاتيٌ إِلَى ربه ومن حَيْثُ هُوَ معبوده ومحبوبه ومطلوبه..).

(من حَيْثُ)؛ بدون الواو.

(إِذْ فِيهِ فقرٌ ذاتيٌ إِلَى ربه من حَيْثُ هُوَ معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وَبِذَلِك يحصل لَهُ الْفَرح وَالسُّرُور واللذة وَالنعْمَة والسكون والطمأنينة، وَهَذَا لَا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يحصل لَهُ إِلَّا بإعانة الله لَهُ، فَإِنَّهُ لَا يقدر على تَحْصِيل ذَلِك لَهُ إِلَّا الله، فَهُوَ دَائِمًا مفتقرٌ إِلَى حَقِيقَة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، فَإِنَّهُ لَو أعين على حُصُول مَا يُحِبهُ ويطلبه ويشتهيه ويريده وَلم يحصل لَهُ عبَادَةٌ لله فَلَنْ يحصل إِلَّا على الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب، وَلنْ يخلص من آلام الدُّنْيَا ونكد عيشها إِلَّا بإخلاص الْحبّ لله..).

(فَإِنَّهُ لَو أعين..).

(فَإِنَّهُ لَو أعين على حُصُول مَا يُحِبهُ ويطلبه ويشتهيه ويريده وَلم يحصل لَهُ عبَادَةٌ لله فَلَنْ يحصل إِلَّا على الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب، وَلنْ يخلص من آلام الدُّنْيَا ونكد عيشها إِلَّا بإخلاص الْحبّ لله، بِحَيْثُ يكون هُوَ غَايَة مُرَاده، وَنِهَايَة مَقْصُوده وَهُوَ المحبوب لَهُ بِالْقَصْدِ الأول، وكل مَا سواهُ إِنَّمَا يُحِبهُ لأَجله لَا يحب شَيْئًا لذاته إِلَّا لله، فَمَتى لم يحصل لَهُ هَذَا لم يكن قد حقق حَقِيقَة: (لَا إِلَه إِلَّا الله)، وَلَا حقق التَّوْحِيد والعبودية والمحبة لله، وَكَانَ فِيهِ من نقص التَّوْحِيد وَالْإِيمَان، بل من الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب بِحَسب ذَلِك..).

في كلام مُدخل عندك، (**فإنه لو أعين..**).

(فَإِنَّهُ لَو أعين على حُصُول مَا يُحِبهُ ويطلبه ويشتهيه ويريده وَلم يحصل لَهُ عبَادَةٌ لله فَلَنْ يحصل إِلَّا على الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

هذه زائدة أشار إليها؟ لأن سيأتي المعنى ويكون تكرارًا إذا أُفردت، (**وَكَانَ فِيهِ من النقص والعيب، بل من الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب بِحَسب ذَلِك..**)، فالكلام بدونها.

(وَلَو سعى فِي هَذَا الْمَطْلُوب وَلم يكن مستعينًا بِاللَّه متوكلًا عَلَيْهِ مفتقرًا إِلَيْهِ فِي حُصُوله لم يحصل لَهُ، فَإِنَّهُ مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن، فَهُوَ مفتقرٌ إِلَى الله من حَيْثُ هُوَ الْمَطْلُوب المحبوب المُرَاد المعبود، وَمن حَيْثُ هُوَ الْمَسْئُول الْمُسْتَعَان بِهِ المتوَكل عَلَيْهِ؛ فَهُوَ إلهه لَا إِلَه لَهُ غَيره، وَهُوَ ربه الَّذِي لَا رب لَهُ سواهُ.

وَلَا تتمّ عبوديته لله إِلَّا بِهَاذَيْنِ؛ فَمَتَى كَانَ يحب غير الله لذاته، أَو يلْتَفت إِلَى غير الله أَنه يُعينهُ كَانَ عبدًا لما أحبه، وعبدًا لما رجاه بِحَسب حبه لَهُ ورجائه إِيَّاه، وَإِذا لم يحب أحدًا لذاته إِلَّا الله، وَأي شَيْءٍ أحبه سواهُ فَإِنَّمَا أحبه لَهُ وَلم يرج قطّ شَيْئًا إِلَّا الله، وَإِذا فعل مَا فعل من الْأَسْبَاب، أَو حصل مَا حصل مِنْهَا كَانَ مشاهدًا أَن الله هُوَ الذي خلقهَا وقدَّرها وسخرها لَهُ..).

(**كان**)؛ يظهر لي -والله أعلم- أنها زائدة.. وهي ليست موجودة في بعض النسخ.. أعد..

(وَإِذا فعل مَا فعل من الْأَسْبَاب، أَو حصل مَا حصل مِنْهَا كَانَ مشاهدًا أَن الله..).

أو حصَّل..

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَإِذا فعل مَا فعل من الْأَسْبَاب، أَو حصَّل مَا حصَّل مِنْهَا كَانَ مشاهدًا أَن الله هُوَ الذي خلقهَا وقدرها وسخرها لَهُ، وَأَن كل مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض فَالله ربه ومليكه وخالقه ومسخره وَهُوَ مفتقرٌ إِلَيْهِ، كَانَ قد حصل لَهُ من تَمام..).

هنا يأتي الآن الجواب: بينما لو أفردت كان هناك يختل المعنى.

(وَأَن كل مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض فَالله ربه ومليكه وخالقه ومسخره وَهُوَ مفتقرٌ إِلَيْهِ، كَانَ قد حصل لَهُ من تَمام عبوديته لله بِحَسب مَا قُسم لَهُ من ذَلِك).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **(وَالْقلب فَقيرٌ بِالذَّاتِ إِلَى الله من جْهَتيْن)**؛ ثم بينهما، **(جِهَة الْعِبَادَة: وَهِي الْعلَّة الغائية، وجِهَة الِاسْتِعَانَة: وَهِي الْعلَّة الفاعلة)**؛ فالعبد فقيرٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقرٌ ذاتي، ومعنى فقر ذاتي أي: فقرٌ يُلازم الإنسان لا ينفك عنه في أي لحظةٍ من لحظاته، أو أي وقتٍ من أوقاته، ففيه فقرٌ ذاتيٌ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من كل وجه، لا غنى له عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في طرفة عين، فحاجته إلى الله عَزَّوَجَلَّ وافتقاره إليه هو افتقارٌ من كل وجه، لا غنى له عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى طرفة عين، وهو فقير إلى الله عَزَّوَجَلَّ في فعل الغاية التي خلقه الله لأجلها، وفقيرٌ إلى عون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ليحقق الغاية التي خُلق لأجلها، ففقره إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهو فقرٌ ذاتي من جهتين:

من جهة العبادة والعلة الغائية، أي التي خُلق لأجلها الخلق وأوجدوا لتحقيقها، فالغاية من خلق الناس عبادة الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56] ، فهذه العلة الغائية التي لأجلها خُلق الجن والإنس وأوجد الثقلان.

ومن جهة العلة الفاعلية التي هي الاستعانة والتوكل، العلة الفاعلية بمعنى أن العبد لا يمكن أن يفعل إلا إذا أعانه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان الله عونٌ له فعل، وإن لم يعنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يستطيع أن يفعل، ولهذا كان من أعظم الدعاء سؤال الله العون، سؤال الله العون على ما خُلق العبد لأجله، هذه أعظم دعوة تدعو الله بها على الإطلاق، أعظم دعوة، وأعظم مطلب تسأله من ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعينك على ما خلقك لأجله، هذا أعظم الدعاء، وأجل دعاء، وهو موجود في فاتحة الكتاب، ولهذا افترض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا هذا الدعاء ما لم يفترضه في أي دعاءٍ آخر، يجب علينا فرضًا لازمًا متعينًا في اليوم والليلة سبع عشر مرة أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5-6]، نطلب من الله أن يعيننا، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، أي: نخصك بالعبادة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، أي: نخصك بالاستعانة لا نستعين إلا بك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]، جمعٌ بين العلتين العلة الغائية والعلة الفاعلية.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فالغاية العبادة، والوسيلة لتحقيق هذه الغاية عون الله، فإن لم يكن عونٌ من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى للعبد لا يمكن أن يفعل شيئًا، أو أن يقوم بعمل، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة النور، من الآية:21]، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:17]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:7]، فإذًا العبد فقيرٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ من حيث الغاية التي خُلق لأجلها؛ بأن يوفقه الله وأن يسدده ويجعله عبدًا له، ومن جهة العون من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى والتوفيق والتسديد للقيام بما خُلق العبد لأجله وأوجد لتحقيقه.

ثم بيَّن رَحِمَهُٱللَّهُ أن القلب الذي هو فقيرٌ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من تلك الجهتين جهة العلة الغائية والعلة الفاعلية فلا يمكن أن يتحقق له شيءٌ من ذلك إلا بعون الله ومده وتوفيقه. هو أيضًا في الوقت نفسه (**لَا يصلح وَلَا يُفلح وَلَا يُسر وَلَا يلتذ وَلَا يطيب وَلَا يطمئن إِلَّا بِعبَادة الله**)؛ إذَا هنا يتجلى لنا حقيقة السعادة واللذة والهناء وطيب العيش كيف ينال، وأنه لا يمكن أن تُنال سعادة، ولا أن تُنال لذة، ولا أن تُنال طمأنينة ولا قرة عين إلا بالعمل على تحقيق العبودية

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لله، مستمدًا في ذلك العون والتوفيق والتسديد من الله محققًا قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، جُمع فيها الدين كله، وجُمع فيها حقيقة السعادة، جُمعت في هاتين الكلمتين: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ولهذا قيل إن القرآن جُمع في فاتحة الكتاب، فلذلك هي أم القرآن، وفاتحة الكتاب جُمعت في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، الغاية والوسيلة، الغاية: العبادة، والوسيلة: العون من الله والتوفيق والتسديد، إذًا ليس هناك سعادة، ولا لذة، ولا طمأنينة، ولا راحة، ولا سكون إلا بأن يقوم العبد بالعبادة التي خُلق لأجلها، ولا سبيل إلى القيام بها إلا بالاستعانة بالله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (**وَلَو حصل لَهُ كل مَا يلتذ بِهِ من الْمَخْلُوقَات**)؛ القلب لا يمكن أن تحصل له لذة، لا يمكن أن تحصل له لذة حقيقية، لا يمكن أن يحصل له السكون والطمأنينة والراحة والهناءة لا يمكن، مهما اجتمعت للإنسان في هذه الحياة وسائل الملذات والتلذذ والتنعم لا يمكن أن تحقق أبدًا.

ولهذا يغتر بعض الناس أن يرى على المعرض عن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ابتسامةً، أو نحو ذلك ويظن أنه سعيد، والسعادة مفارقته، ليس منها وليست منه، بعيدةً السعادة تكون براحة القلب، السعادة تكون براحة القلب، مدار السعادة الذي عليه ترتكز راحة القلب، والقلب لا يمكن أن يرتاح إلا بأن يقوم بالشيء الذي

خُلق لأجله، لا يمكن أن يحصل القلب راحةً إلا بأن يقوم بالشيء الذي خُلق لأجله، فإذا ابتعد عما خُلق لأجله فارقته الراحة، وفارقته السعادة، فارقته اللذة، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:123]، نفي الضلال فيه ثبوت ضده وهو الهداية، ونفي الشقاء فيه ثبوت ضده وهو السعادة، فالذي يتبع هدى الله يسعد ولا يشقى، والذي يُعرض عن هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يلازمه الشقاء مهما أُوتي من أنواع الملذات، مهما أوتي من أنواع مستطابات النفس وما تشتهيه ونحو ذلك لا يمكن أن ينتهي.

قال: (**وَلَو حصل لَهُ كل مَا يُلتذ بِهِ من الْمَخْلُوقَات لم يطمئن وَلم يسكن**)؛ وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، من الآية:28].

ولهذا يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في موضعٍ آخر من كتبه، ونقله عنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن حاجة القلب إلى العبودية لله حبًا ورجاءً وخوفًا ورغبًا ورهبًا، حاجة القلب إلى العبودية مثل حاجة السمكة إلى الماء، كما أن السمكة إذا أُخرجت من الماء ماتت؛ فالقلب لا يمكن أن يهنئ، أو يعيش، أو يسعد، أو تتحقق له حياة حقيقية إلا بما خُلق لأجله، وأوجد لتحقيقه.

قال: (**وَلَو حصل لَهُ كل مَا يُلتذ بِهِ من الْمَخْلُوقَات لم يطمئن وَلم يسكن**)؛ لماذا؟ قال: (**إِذْ فِيهِ فقرٌ ذاتيٌ إِلَى ربه**)؛ هذا الفقر الذي في القلب الذاتي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إن لم يُملأ قلبه ويُعمر به فارقته السعادة، وفارقته الهناءة

والطمأنينة والسكون، وامتلأ بالهموم والغموم وأنواع المكدرات، ولهذا جاءت السنة –سبحان الله– في معالجة الكرب الذي يصيب القلب، وهو الهم والغم ونحو ذلك اقرأ جميع الأدعية الواردة في معالجة الكرب كلها عودة بهذا القلب إلى التوحيد، تأملها، كلها عودة لهذا القلب إلى التوحيد، فإذا رجع القلب إلى التوحيد الذي هو الغاية التي خُلق لأجلها، وشُغل بهذه الغاية ذهبت عنه الهموم والغموم.

دعوة ذي النون التي ما قالها مكروب إلا فرج الله كربه: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، وأيضًا جاء في الحديث: «**دعوة المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**»، جميع الأدعية التي وردت والأذكار في باب الكرب كلها عودة بهذا القلب إلى ما خُلق لأجله، فإذا عُمر القلب بالتوحيد التذ وسعد واطمأن وسكن، وإذا فارقه هذا الأمر فارقته اللذة والسعادة والطمأنينة.

قال: (**إِذْ فِيهِ فقرٌ ذاتيٌ إِلَى ربه من حَيْثُ هُوَ معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وَبِذَلِك يحصل لَهُ الْفَرح وَالسُّرُور واللذة وَالنعْمَة والسكون والطمأنينة**)؛ إذا شُغل القلب بهذه الغاية التي خُلق لأجلها ووجد لتحقيقها.

قال: (**وَهَذَا لَا يحصل لَهُ إِلَّا بإعانة الله لَهُ**)؛ القلب فيه فقر –كما قدَّم شيخ الإسلام– ذاتي من حيث هو معبوده ومحبوبة ومطلوبة، إن لم يُملأ القلب بالعبودية لله، والحب لله، والتعظيم لله، والرجاء لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ترحلت عنه

السعادة واللذة، ففيه فقر ذاتي إلى هذا المطلب، وهذا المطلب لا يحصل إلا بإعانة الله له، إذًا فيه فقر ذاتي من جهةٍ أخرى وهي جهة الاستعانة، وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له.

(لَا يقدر على تَحْصِيل ذَلِك لَهُ إِلَّا الله، فَهُوَ دَائِمًا مفتقر إِلَى حَقِيقَة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5])؛ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ الغاية، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، الوسيلة، الغاية أن تعبد الله، والوسيلة لأن تعبد الله أن يعينك الله وتطلب منه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يعينك.

قد قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمعاذ: «**لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»، صليت، أديت الصلاة، قمت بها في بيوت الله كما أمرك الله هذا إنما حصل بعون الله، مجرد ما تنتهي من الصلاة جدد الطلب من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يعينك، وهذا الدعاء كما أنه مطلوبٌ أدبار الصلوات فأيضًا جاءت السنة به دعوةً عامة تدعو بها في كل وقت، وتكرر هذه الدعوة: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن شيخه ابن تيمية صاحب هذا الكتاب أمرًا عجبًا من الإكثار من هذه الدعوة، ذكر من حاله أمرًا عجبًا من الإكثار من هذه الدعوة العظيمة: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

قال: (**فَإِنَّهُ لَو أُعين على حُصُول مَا يُحِبهُ ويطلبه ويشتهيه ويريده وَلم يحصل لَهُ عبَادَةُ الله بِحَيْثُ يكون هُوَ غَايَة مُرَاده وَنِهَايَة مَقْصُوده وَهُوَ المحبوب لَهُ بِالْقَصْدِ الأول، وكل مَا سواهُ فإنه يُحِبهُ لأَجله لَا يحب شَيْئًا لذاته إِلَّا الله، فَمَتى لم يحصل لَهُ هَذَا لم يكن حقق حَقِيقَة: (لَا إِلَه إِلَّا الله)، وَلَا حقق التَّوْحِيد والعبودية والمحبة، وَكَانَ فِيهِ من النَّقْص والعيب، بل ومن الآلام وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب بِحَسب ذَلِك**)؛ إذًا هذا يوضح ما قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو فقر العبد الذاتي لعون الله على القيام بعبودية الله، لكن لو أُعين الإنسان على تحصيل مبتغياته ومشتهياته وملذاته وحصلت له، أراد في الدنيا كذا وكذا وكذا، وجميع مشتهياته حصلت، هل تملأ القلب؟ هل يسعد القلب؟ هل يهنئ القلب؟ هل يلتذ القلب؟ هل يسكن القلب؟ لا، القلب لا يمكن أن يسكن ويهنئ ويلتذ إلا بأن يُملأ بالغاية التي خُلقت لأجله ووجد لتحقيقه.

وإلا كما قال شيخ الإسلام: (**كَانَ فِيهِ من النَّقْص والعيب، بل ومن الآلام وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب بِحَسب ذَلِك، وَلَو سعى فِي هَذَا الْمَطْلُوب فَلم يكن مستعينًا بِالله متوكلًا عَلَيْهِ مفتقرًا إِلَيْهِ فِي حُصُوله لم يحصل لَهُ، فَإِنَّ مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن**)؛ وهذا يبين فيه الجانب الأول وهو أن فيه فقر إلى الله ذاتي من حيث هو معبوده ومحبوبه ومقصوده، من حيث [الغاية التي خُلق لأجلها وهي عبادة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ]، فلو سعى.. عفوًا من حيث كون الله معينًا له على ذلك.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَلَو سعى فِي هَذَا الْمَطْلُوب فَلم يكن مستعينًا بِاللَّه متوكلًا عَلَيْهِ مفتقرًا إِلَيْهِ فِي حُصُوله لم يحصل لَهُ**)؛ يعني: لو سعى في العبادة التي خُلق لأجلها دون أن يكون في قلبه توكل، والتجاء إلى الله، واعتماد على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يحصل؛ لأن الأمور لا يمكن تحصل للعبد إلا بعون الله وتوفيقه وتسديده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(**فَإِنَّ مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن**). قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الملك، من الآية:28-29] ، إذًا من شاء الاستقامة وأرادها لنفسه، وسعى في تحصيلها، وبذل جهده في نيلها هذا لا يكفيه لينال الاستقامة، لا بد أن يطلب المد والعون من الله والتوفيق، فهو مفتقرٌ إلى الله في العون لذلك، والتحقيق للقيام بذلك.

(**فَهُوَ مفتقرٌ إِلَى الله من حَيْثُ هُوَ الْمَطْلُوب والمحبوب المُرَاد المعبود، وَمن حَيْثُ هُوَ الْمَسْئُول الْمُسْتَعَان بِهِ المتوَكل عَلَيْهِ**)؛ مفتقر الله من هاتين الجهتين:

- من حيث هو المطلوب والمحبوب والمراد والمعبود، وهذه ما عبر عنها سابقًا بالعلة الغائية.
- ومن حيث هو المسئول المستعان به المتوكل عليه وهي ما عبر عنه بالعلة الفاعلية.

(**فَهُوَ إلهه لَا إِلَه لَهُ غَيره**)؛ هذا الجانب الأول، (**وَهُوَ ربه لَا رب لَهُ سواهُ**)؛ هذا الجانب الثاني، قوله: (**فَهُوَ إلهه لَا إِلَه لَهُ غَيره**)؛ هذا الجانب الأول الذي هو

العبادة الذي هو الغاية، (**وَهُوَ ربه لَا رب لَهُ سواهُ**)؛ هذا الجانب الثاني وهو الوسيلة، لا يمكن أن يُحقق العبد الغاية التي هي إفراد الله بالعبادة إلا من خلال هذه الوسيلة بالاعتماد على الله والتوكل عليه.

(**وَلَا تتمّ عبوديته لله إِلَّا بِهَاذَيْنِ**)؛ هاذَيْنِ أي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، (لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، (لا إله إلا الله)؛ فيها الغاية، (ولا حول ولا قوة إلا بالله)؛ فيها الوسيلة، لا يمكن أن تكون من أهل لا إله إلا الله، ومن أهل العبادة التي خلقك الله لأجلها إلا بعون الله، ولهذا شُرع لنا إذا نادى المنادي: "حي على الصلاة، حي على الفلاح" أن نستعين بالله قائلين: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فـ"لا حول ولا قوة إلا بالله" كلمة استعانة، أي: لا تحول من حالٍ إلى حال، من ضعفٍ إلى قوة، من معصيةٍ إلى طاعة، من ضلالٍ إلى هدى، من كفرٍ إلى إيمان، لا تحول من حال إلى حال، ولا قوة من العبد على فعل شيء من الأعمال إلا بعون الله، إذا أعانه الله ووفقه وسدده قام وفعل، وإلا لا يمكن أن يفعل.

قال: (**وَلَا تتمّ عبوديته لله إِلَّا بِهَاذَيْنِ؛ فَمَتَى كَانَ محبًا لغير الله لذاته**)؛ هذا النوع الأول، (**أَو ملتفتًا إِلَى غير الله أَن يُعينهُ**)؛ وهذا النوع الثاني، (**كَانَ عبدًا لما أحبه، وعبدًا لما رجاه**)؛ الآن يُبين ما يضاد ما سبق، فإذا كان.. فمتى كان محبًا لغير الله لذاته هذه عبودية، الذي يُحب لذاته هو الله وحده، ومن سواه يُحب لأجل الله من الأشخاص والأعمال، و«**أوثق عرى الإيمان الحب في الله**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والبغض في الله، ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

(**فَمَتَى كَانَ محبًا لغير الله لذاته**)؛ هذا فساد في العلة الغائية، (**أَو ملتفتًا إِلَى غير الله**)؛ وهذا فساد في العلة الفاعلية، (**ملتفتًا إِلَى غير الله أَن يُعينهُ، كَانَ عبدًا لما أحبه، وعبدًا لما رجاه بِحَسب حبه لَهُ ورجائه إِيَّاه**)؛ الحب يتعلق بالغاية والرجاء يتعلق بالوسيلة.

(**كَانَ عبدًا لما أحبه، وعبدًا لما رجاه بِحَسب حبه لَهُ ورجائه إِيَّاه، وَإِذا لم يحب لذاته إِلَّا الله، وكل ما أحبه سواهُ فَإِنَّمَا أحبه لَهُ وَلم يرج قطّ شَيْئًا إِلَّا الله، وَإِذا فعل مَا فعل من الْأَسْبَاب، أَو حصَّل مَا حصَّل مِنْهَا مشاهدًا أَن الله هُوَ الذى خلقهَا وقدرها، وَأَن كل مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض فَالله ربه ومليكه وخالقه وَهُوَ فقيرٌ إِلَيْهِ، كَانَ قد حصَّل من تَمام عبوديته لله بِحَسب مَا قُسم لَهُ من ذَلِك**)؛ (**من ذَلِك**)؛ أي: من الجهتين اللتين بينهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، من جهة العلة الغائية ألا يحب لذاته أحد إلا الله، وكل ما سوى الله فإنما يحبه تبعًا لمحبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا من جهة العلة الفاعلية لم يرجو قط شيءٌ إلا الله، وإذا فعل ما فعل من الأسباب، أو حصل ما حصل منها مشاهدًا أن الله هو الذي خلقها وقدرها، وأن كل من في السماوات والأرض. (**فَالله ربه ومليكه وخالقه وَهُوَ فقيرٌ إِلَيْهِ، كَانَ قد حصَّل من تَمام عبوديته لله بِحَسب مَا قُسم لَهُ من ذَلِك**)؛ أي:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

من قيامٍ بتحقيق: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، تحقيق "لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله"، تحقيق الغاية وتحقيق الوسيلة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالنَّاس فِي هَذَا على دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَة لَا يُحصي طرقها إِلَّا الله، فأكمل الْخلق وأفضلهم وَأَعْلَاهُمْ وأقربهم إِلَى الله وَأَقْوَاهُمْ وأهداهم أتمهم عبوديةً لله من هَذَا الْوَجْه).

يعني لو أن متأملًا تأمل بعد هذا الإيضاح الذي بينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن حال الناس مع هذين الأمرين: (العبادة والاستعانة)، حال الناس مع هذين الأمرين العبادة التي هي الغاية التي خلقوا لأجلها، والاستعانة التي هي الوسيلة لتحقيق تلك الغاية، كيف أحوال الناس في ذلك؟

قال وجد أنها: (**دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَة لَا يُحصي طرقها إِلَّا الله**)؛ يجد الناس مذاهب شتى وطرائق قددًا، لكن الموفق منهم من وفقه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجمع بين الأمرين كما أُمر بذلك وكما شُرع له ذلك.

(**فأكمل الْخلق وأفضلهم وَأَعْلَاهُمْ وأقربهم إِلَى الله وَأَقْوَاهُمْ وأهداهم أتمهم عبوديةً لله من هَذَا الْوَجْه**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَهَذَا هُوَ حَقِيقَة دين الْإِسْلَام الَّذِي أرسل الله بِهِ رسله، وَأنزل بِهِ كتبه هُوَ أَن يستسلم العَبْد لله لَا لغيره؛ فالمستسلم لَهُ وَلغيره مُشْرك والممتنع عَن الاستسلام لَهُ مستكبر، وَقد ثَبت فِي الصَّحِيح عَن النَّبِي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَن الْجنَّة لَا يدخلهَا من كَانَ فِي قلبه مِثْقَال ذرةٍ من كبر، كَمَا أَن النَّار لَا يخلد فِيهَا من كَانَ فِي قلبه مِثْقَال ذرة من إِيمَان**»).

في باب النُّسخ: (كما أن النار لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان)؛ ومنها النسخة هذه التي بيدي ولكنه خطأ واضح، والصواب: (**كما أن النار لا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان**).

(فَجعل الْكبر مُقَابلًا للْإيمَان؛ فَإِن الْكبر يُنَافِي حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة كَمَا ثَبت فِي الصَّحِيح عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**يَقُول الله: العظمة إزَارِي، والكبرياء رِدَائي، فَمن نازعنى وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذبته**»، فالعظمة والكبرياء من خَصَائِص الربوبية، والكبرياء أَعلَى من العظمة، وَلِهَذَا جعلهَا بِمَنْزِلَة الرِّدَاء كَمَا جعل العظمة بِمَنْزِلَة الْإِزَار.

وَلِهَذَا كَانَ شعار الصَّلَوات وَالْأَذَان والأعياد هُوَ التَّكْبِير، وَكَانَ مُسْتَحبًا فِي الْأَمْكِنَة الْعَالِيَة كالصفا والمروة، وَإِذا علا الْإِنْسَان شرفًا أَو ركب دَابَّة وَنَحْو ذَلِك، وَبِه يُطفأ الْحَرِيق وَإِن عظم، وَعند الْأَذَان يهرب الشَّيْطَان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60]، وكل من استكبر عَن عبَادَة الله لَا بُد أَن يعبد غَيره؛ فَإِن الْإِنْسَان حساسٌ يَتَحَرَّك بالإرادة، وَقد ثَبت فِي الصَّحِيح عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**أصدق الْأَسْمَاء حَارِثٌ وَهَمَّام**»،

فالحارث الكاسب الْفَاعِل، والهمام فعالٌ من الْهم، والهم أول الْإِرَادَة فالإنسان لَهُ إِرَادَةٌ دَائِمًا، وكل إِرَادَةٍ فَلَا بُد لَهَا من مُرَادٍ تنتهى إِلَيْهِ.

فَلَا بُد لكل عبد من مُرَاد مَحْبُوب هُوَ مُنْتَهى حبه وإرادته، فَمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عَن ذَلِك، فَلَا بُد أَن لَهُ مُرَادٌ مَحْبُوبٌ يستعبده غير الله؛ فَيكون عبدًا لذَلِك المُرَاد المحبوب إِمَّا المَال، وَإِمَّا الجاه، وَإِمَّا الصُّور، وَإِمَّا مَا يَتَّخِذهُ إِلَهًا من دون الله كَالشَّمْسِ وَالْقَمَر وَالْكَوَاكِب والأوثان وقبور الْأَنْبِيَاء وَالصَّالِحِينَ، أَو من الْمَلَائِكَة، والأنبياء الَّذين يتخذهم أَرْبَابًا، أَو غير ذَلِك مِمَّا عُبد من دون الله.

وَإِذا كَانَ عبدًا لغير الله يكون مُشْركًا وكل مستكبرٍ فَهُوَ مُشْرك، وَلِهَذَا كَانَ فِرْعَوْن من أعظم الْخلق استكبارًا عَن عبَادَة الله).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَهَذَا هُوَ حَقِيقَة دين الْإِسْلَام الَّذِي أرسل الله بِهِ رسله، وَأنزل بِهِ كتبه وهُوَ أَن يستسلم العَبْد لله لَا لغيره). وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:19]، وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:85]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، من الآية:3]،وحقيقة الإسلام أن يستسلم العبد لله، الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، فحقيقة الإسلام أن يستسلم العبد لله لا لغيره، هذه حقيقة الإسلام الذي هو دين الله الذي شرعه

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لعبادة، ودين جميع النبيين الإسلام هو دين جميع الأنبياء، أي: أن يستسلم العبد لله لا لغيره.

وسيأتي عند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لاحقًا سوق آياتٍ كثيرة جدًا في بيان أن دين الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، فجميع الأنبياء مسلمون لله، ومعنى المسلم لله، أي: المستسلم لله لا لغيره، فحقيقة دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره.

(**فالمستسلم لَهُ وَلغيره مُشْرك**)؛ لماذا؟ لأنه سوَّى غيره به في الإسلام الذي هو دين الله الذي رضيه لعباده، فالمستسلم له ولغيره مشرك.

(**والممتنع عَن الاستسلام لَهُ مستكبر، وَقد ثَبت فِي الصَّحِيح عَن النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَن الْجنَّة لَا يدخلهَا من فِي قلبه مِثْقَال ذرةٍ من كبر، كَمَا أَن النَّار لَا يُخلد فِيهَا من فِي قلبه مِثْقَال ذرة من إِيمَان**»، **فَجعل الْكبر مُقَابل للْإِيمَان**)؛ فالجنة لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر، والنار لا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان، لكن قد يدخلها، قد يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، قد يدخلها بسبب ماذا؟ بسبب الكبائر، فيدخل النار بسبب الكبائر، ودخوله لها دخول تطهير وتنقية؛ لأن الجنة دار الطيب المحض؛ فإذا جاء ملوثًا بالكبائر ولقي الله بها لم يتخلص منها بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولقي الله بها استحق أن يدخل النار ليطهر من تلك الكبائر حتى

يزول عنه خبث الكبائر ثم بعد ذلك يدخل الجنة، قد جاء في الحديث: «**أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى مثقال ذرةٍ من إيمان**».

قال: (**فَإِن الْكبر يُنَافِي حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة**)؛ ولهذا يأتي إيراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60]، أي: حقيرين ذليلين.

(**فَإِن الْكبر يُنَافِي حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة كَمَا ثَبت فِي الصَّحِيح عَن النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «يَقُول الله: العظمة إزَارِي، والكبرياء رِدَائي، فَمن نازعني وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذبته»**)؛ العظمة إزاري والكبرياء ردائي وهذا فيه أن الكبرياء أعلى شأنًا حيث جعل في هذا الحديث الكبرياء بمثابة الرداء، والعظمة بمثابة الكبرياء.

ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالعظمة والكبرياء من خَصَائِص الربوبية، والكبرياء أَعلَى من العظمة، وَلِهَذَا جعلهَا بِمَنْزِلَة الرِّدَاء كَمَا جعل العظمة بِمَنْزِلَة الْإِزَار**)؛ والرداء يكون على أعلى البدن، فجعل الكبرياء بمنزلة الرداء، والعظمة بمنزلة الإزار، أي أنه مختص سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالكبرياء والعظمة جَلَّ وَعَلَا لا يشركه فيها غيره؛ فمن نازعه بأن يدعي ذلك لنفسه، يدعي لنفسه العظمة، يدعي لنفسه الكبرياء عذبه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالنار يوم القيامة.

ثم أخذ يُبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكانة استشعار العبد للإيمان بالكبرياء لله والعظمة لله، وما في ذلك من أثر عظيم وثمار مباركة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَلِهَذَا كَانَ شعار الصَّلَوات وَالْأَذَان والأعياد هُوَ التَّكْبِير**)؛ والتكبير كلمة لها مدلولها العقدي، التكبير التي هي كلمة: "الله أكبر" لها مدلولها العقدي، فهي تدل على إيمان المكبر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الله لا شيء أكبر منه، يعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شيء أكبر منه، كما في الحديث لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعلي: «**ما يُفرك؟**»، يعني ما الذي يجعلك تفر من الإسلام؟ «**أيفرك أن يُقال الله أكبر؟! وهل شيء أكبر من الله؟**»، فكلمة: "الله أكبر" معناها أنه لا شيء أكبر من الله، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكبير المتعال، وإذا آمن العبد أن الله هو الكبير المتعال الذي لا شيء أكبر منه فلا يستحق العبادة إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكبير المتعال، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج، من الآية:62]، اكملوا الآية..

الطالب: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج، من الآية:62].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج، من الآية:62]، ختم الآية بهذا الاسم الكبير، فالكبير الذي لا أكبر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة، وأن يُخص سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالذل والخضوع، فأين عقول المشركين! أين عقول الأفاكين! أين عقول الضالين! الذي يتعلق في رغباته وطلباته وحاجاته وأموره بشجرة من الأشجار، أو قبة من القباب، أو حجرٍ من الأحجار، أو صخرةٍ من الصخور، أو ميت من الأموات مهما كانت مكانته، ومهما كانت منزلته، يقف

ذليلًا أمام صخرة، أو أمام شجر، أو أمام حجر، أو أمام قبر فيه أحد الأموات متذللًا متوكلًا، سائلًا، راجيًا، طامعًا يا سبحان الله! أين عقول هؤلاء؟

فالعبادة والذل والاستعانة والتوكل لا يكون إلا للعلي الكبير، أما من سوى العلي الكبير كل عبادة تُصرف له فهي باطلة، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج، من الآية:62]، فالعبادة للعلي الكبير ولا تكون إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا (**كان شعار الصلاة والأذان والأعياد هو التكبير، وَكَانَ مُسْتَحبًا فِي الْأَمْكِنَة الْعَالِيَة كالصفا والمروة، وَإِذا علا الْإِنْسَان شرفًا أَو ركب دَابَّة أَو نَحْو ذَلِك**)؛ إذا صعدت إلى جبل وكنت في أعلى الجبل في قمة الجبل ونظرت إلى الناس صغار أمثال الذر، صغار جدًا وأنت عالي ورفيع وكبير، النفس في مثل ذاك المكان العالي يدخلها شيء، وتُحس بشيء إن لم يداوه ويعالجه بتكبير الله تمرض النفس، ويرى من تحته في حقارة، في ذل، في كذا إلى آخره، وأن هو كذا إلى آخره، يدخل في قلبه معاني يجول فيها القلب ويسرح، فإذا طرد هذه المعاني وشغل نفسه بالله أكبر الله أكبر، يعظم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كانت مداواة لقلبه، وهذا من السر والحكمة في أن تكبر في المكان العالي، كبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تشغل قلبك بنفسك الضعيفة، ولهذا تأمل! قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:37]، يصعد الإنسان فوق الجبل ويمرض بالتكبر، والجبل الذي هو فوقه شاهقٌ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أعلى منه، ولم يبلغ طوله طول الجبل، لكن الإنسان يمرض والنفس ضعيفة، فإذا كان مشغولًا بالذكر لله، والتعظيم لله، والتكبير لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ انطردت عنه هذه المعاني.

قال: (**وَبِه يُطفأ الْحَرِيق وَإِن عظم**)؛ وهذا ورد فيه حديثٌ وفيه إسناده مقال، ومن أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام من يقول بذلك، إما لتحسين الحديث عنده، والحديث في سنده مقال.

أذكر من اللطائف: أننا عامًا من الأعوام كنا في الحج، وشبَّ في منطقة في منى حريق، وكان ذاك الوقت خيام، والنار تشتعل فيها بسرعة، وكان الهواء متحرك فكانت النار تمشي سريعًا تأكل الخيام، كنا في مخيمنا في مكان بعيد نوعًا ما ومرتفع، فكنا نرى النار منظر مهيب جدًا، فكنت واقفًا مع الوالد -حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية-، وكان إلى جنبنا أحد المشايخ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه، فكان ينظر إلى النار ويكبر، ويكبر، ويكبر، ويرفع صوته بالتكبير، التفت إليه الوالد، قال: يا شيخ فلان حديث التكبير في الحريق ضعيف، مذهول مع النار وهول الأمر فالتفت مباشرة إلى الوالد، وقال: يا شيخ نحن أضعف، وأخذ يكبر، قال: يا شيخ نحن أضعف، واستمر يكبر: الله أكبر الله أكبر، أحيانًا الإنسان في هول الأمر قد تغيب عنه، فالشاهد: أن الحديث فيه مقال التكبير عند الحريق، ومن أهل العلم من يقول به بناءً على هذا الحديث.

قال: (وَعند الْأَذَان يهرب الشَّيْطَان)؛ لأن الشيطان لا يصمد أمام ذكر الله، وتعظيم الله، وتكبير الله، وتوحيد الله، فإذا ذُكر الله انطرد الشيطان، اقرأ ذلك في سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [سورة الناس، من الآية:1-4]، ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾؛ هو الشيطان، قال ابن عباس: "إذا ذُكر الله خنس، وإذا غُفل عن ذكر الله وسوس"، خنس أي: انطرد وابتعد إذا ذُكر الله، والله يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:36]، أما من يذكر الله فالشيطان ليس له عليه سبيل، وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:64-65]، قال بعض المفسرين: إلا من يذكر الله، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ إلا من يذكر الله، أي: لا طريق ولا سبيل للشيطان عليه، الشيطان ينطرد عند الأذان بما فيه من الذكر والتعظيم والتكبير والتوحيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، من الآية:60])؛ أي: حقيرين ذليلين صاغرين. (وكل من استكبر عَن عبَادَة الله لَا بُد أَن يعبد

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

غَير الله)؛ لكن ماذا يعبد؟ الناس أحوال في ذلك؛ منهم من يستكبر عن عبادة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ويعبد حجرًا من الأحجار، ومنهم من يستكبر عن عبادة الله ويعبد فرجًا من الفروج، أو حجرًا من الأحجار، أو غير ذلك، فالذي يستكبر عن عبادة الله سيذهب قلبه إلى معبودٍ آخر يتجه إليه، ويجعل له حبه ورغبته وذله وانكساره، لماذا؟ لماذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكل من استكبر عَن عبَادَة الله لَا بُد أَن يعبد غَير الله**) لماذا؟ قال: لأن الإنسان حساس متحركٌ بالإرادة، في داخله حركة، إرادة، هو حارث وهمام، في حركة في إرادة إن لم توجه هذه الحركة وهذه الإرادة لعبودية الله ذهبت هذه الحركة وتلك الإرادة في ماذا؟ في الباطل.

مثل ما يقال هذا القول في القلب أيضًا يقال في اللسان، اللسان خُلق للكلام، إن لم يشغل بذكر الله والكلام النافع اشتغل بالباطل، فالقلب.. الإنسان متحرك وله إرادة، هذه الحركة وهذه الإرادة والهمة الموجودة فيه إن لم تُشغل بالحق اشتغلت بالباطل.

قال: (**وَقد ثَبت فِي الصَّحِيح عَن النَّبِي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «أصدق الْأَسْمَاء حَارِثٌ وَهَمَّام»، والحارث الكاسب الْفَاعِل، والهمام فعالٌ من الْهم، والهم أول الْإِرَادَة**)؛ إذًا الإنسان هذه صفته حارث وهمام، حارث يكسب ويعمل ويفعل، وهمام عنده إرادة تحركه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**فالإنسان لَهُ إِرَادَةٌ دَائِمًا**)؛ إذًا هذه إرادة موجودة في الإنسان، وهي موجودة دائمًا ومستمرة، إن لم توجه هذه الإرادة للحق والخير والهدى اتجهت ولا بد للباطل.

(**وكل إِرَادَةٍ فَلَا بُد لَهَا من مُرَادٍ تنتهى إِلَيْهِ**)؛ الإرادة لا بد لها من مراد، الإنسان موجود فيه إرادة، إذًا ما دام موجود فيه إرادة لا بد من مرادٍ تنتهي إليه.

(**فَلَا بُد لكل عبدٍ من مُرَادٍ مَحْبُوب هُوَ مُنْتَهى حبه وإرادته، فَمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عَن ذَلِك، لَا بُد أَن لَهُ مُرَادٌ مَحْبُوبٌ يستعبده غير الله، فَيكون عبدًا لذَلِك المُرَاد المحبوب**)؛ هذا كله توضيح لقوله فما سبق: (**كل من استكبر عَن عبَادَة الله لَا بُد أَن يعبد غَير الله**)؛ لماذا؟ لأن الإنسان حساسٌ متحركٌ بالإرادة؛ فإن لم يحرك إرادته في أن يكون الله هو مراده ومقصوده وغايته ومنتهاه، وإلا انصرفت في أنواع الباطل.

(**إِمَّا المَال، أَو الجاه، أَو الصُّورة، وَإِمَّا مَا يَتَّخِذهُ إِلَهًا من دون الله**)؛ إما أن يكون عبدًا للمال مثل ما مر معنا الحديث: «**تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة**»، أن يكون عبدًا لهذه الأشياء، وإما أن يكون عبدًا لما يتخذه إلهًا له من دون الله، (**كَالشَّمْسِ، وَالْقَمَر، وَالْكَوَاكِب، والأوثان، وقبور الْأَنْبِيَاء وَالصَّالِحِينَ، أَو من الْمَلَائِكَة، والأنبياء الَّذين يتخذهم أَرْبَابًا، أَو غير ذَلِك مِمَّا عبد من دون الله**)؛ إذًا كل من لم يعبد الله واستكبر عن عبادة الله لا بد

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أن يتجه قلبه إلى عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا بد أن تتجه إرادته إلى عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن لم يكن مخلصًا كان مشركًا منددًا.

(وَإِذا كَانَ عبدًا لغير الله يكون مُشْركًا، وكل مستكبر فَهُوَ مُشْرك). قوله: **(وكل مستكبر فَهُوَ مُشْرك)**؛ هذا مستفاد من التقرير السابق؛ لأن من يستكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره، فكل مستكبر عن عبادة الله لا بد أن يشرك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِهَذَا كَانَ فِرْعَوْن من أعظم الْخلق استكبارًا عَن عبَادَة الله وَكَانَ مُشْركًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة غافر، من الآية:23-24]، إِلَى قَوْله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [سورة غافر، من الآية:27]، إِلَى قَوْله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [سورة غافر، من الآية:35]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:39]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [سورة القصص، من الآية:4]، إلى قوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص، من الآية:40]، وَقَالَ تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:14]، وَمثل هَذَا فِي الْقُرْآن كثير.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَقد وصف فِرْعَوْن بالشرك فِي قَوْله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:127]، بل الاستقراء يدل على أَنه كلما كَانَ الرجل أعظم استكبارًا عَن عبَادَة الله كَانَ أعظم إشراكًا بِاللَّه؛ لِأَنَّهُ كلما استكبر عَن عبَادَة الله ازْدَادَ فقره وحاجته إِلَى المُرَاد المحبوب الَّذِي هُوَ الْمَقْصُود مَقْصُود الْقلب بِالْقَصْدِ الأول؛ فَيكون مُشْركًا بِمَا استعبده من ذَلِك.

وَلنْ يَسْتَغْنِي الْقلب عَن جَمِيع الْمَخْلُوقَات إِلَّا بِأَن يكون الله هُوَ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، وَلَا يَسْتَعِين إِلَّا بِهِ، وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يفرح إِلَّا بِمَا يُحِبهُ ويرضاه، وَلَا يكره إِلَّا مَا يبغضه الرب ويكرهه، وَلَا يوالي إِلَّا من وَالَاهُ الله، وَلَا يعادي إِلَّا من عَادَاهُ الله، وَلَا يحب إِلَّا لله، وَلَا يبغض شَيْئًا إِلَّا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، فَكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات..

كملت عبوديته لله.

(فَكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك، والشرك غَالبٌ على النَّصَارَى، وَالْكبر غَالبٌ على الْيَهُود، قَالَ تَعَالَى فِي النَّصَارَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:31]، وَقَالَ فِي الْيَهُود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:87]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:146]).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد البيان السابق: أن من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غير الله، يقول: (**وَلِهَذَا كَانَ فِرْعَوْن من أعظم الْخلق استكبارًا عَن عبَادَة الله وَكَانَ مُشْركًا**)؛ مع أن فرعون كما دل القرآن في بعض المواضع ادعى أنه هو الإله وأنه لا إله غيره، ادعى ذلك، لكن لعل القاعدة التي قرر شيخ الإسلام: كل مستكبر عن عبادة الله فهو مشرك، وفرعون استكبر عن عبادة الله فهو من المشركين، وسيأتي استدلال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك، ساق آيات فيها استكباره عن عبادة الله.

قال: (**وَلِهَذَا كَانَ فِرْعَوْن من أعظم الْخلق استكبارًا عَن عبَادَة الله وَكَانَ مُشْركًا**)؛ فأورد في الدلالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ
أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ
مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة غافر، من الآية:23-27]؛ فهذا فيه وصف فرعون
بالتكبر.

وساق أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى آيات منها أيضًا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [سورة غافر، من الآية:35]، وأورد قول الله: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:39]، وأيضًا أورد قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [سورة النمل، من الآية:14]، **قال: وَمثل هَذَا فِي الْقُرْآن كثير)**؛ يعني: في الدلالة على أن فرعون كان مستكبرًا عن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متعاليًا، وفي الوقت نفسه مرَّت معنا القاعدة: أن كل مستكبر مشرك.

ولهذا يقول شيخ الإسلام: **(وَقد وصف فِرْعَوْن بالشرك فِي قَوْله:** ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:127])؛ قالوا له ذلك؛ لأنهم يعلمون أن له آلهة، قال: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾، ففرعون مستكبر عن عبادة الله، وكل مستكبرٍ عن عبادة الله فهو من المشركين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العبد، أو أن الإنسان كلما استكبر عن.. إن الرجل كلما استكبر عن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان أعظم إشراكًا، بمعنى أن الاستكبار كلما زاد زاد الشرك، فثمة ارتباط بين الاستكبار والشرك، كل ما زاد الاستكبار زاد الشرك وعظم؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته إلى المراد المحبوب الذي هو مقصود القلب القصد الأول، فيكون مشركًا بما استعبده من ذلك؛ لأن القلب فيه فقر ذاتي مثل ما وضح شيخ الإسلام، (**كلما استكبر عَن عبَادَة الله ازْدَادَ فقره وحاجته إِلَى الْمُرَاد المحبوب الَّذِي هُوَ مَقْصُود الْقلب بِالْقَصْدِ الأول؛ فَيكون مُشْركًا بِمَا استعبده من ذَلِك، وَلنْ يَسْتَغْنِي الْقلب عَن جَمِيع الْمَخْلُوقَات إِلَّا بِأَن يكون الله هُوَ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، وَلَا يَسْتَعِين إِلَّا بِهِ، وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يفرح إِلَّا بِمَا يُحِبهُ ويرضاه، وَلَا يكره إِلَّا مَا يبغضه الرب ويكرهه، وَلَا يوالي إِلَّا من وَالَاهُ الله، وَلَا يعادي إِلَّا من عَادَاهُ، وَلَا يحب إِلَّا لله، وَلَا يبغض إِلَّا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله**)؛ هذا هو التوحيد، وهذه حقيقة التوحيد.

(**فَكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات، وكمال عبوديته لله..**)؛ أقرأ..

(وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك).

(**وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر ومن الشرك**)؛ كل ما كان العبد أعظم تحقيقًا للعبودية ولله والإخلاص له، وتحقيق توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان

ذلك فيه تبرئةٌ له من الكبر ومن الشرك؛ لأن الكبر والشرك كلاهما مضاد للتوحيد، وكل متكبرٍ مشرك.

(فالشرك غَالبٌ على النَّصَارَى، وَالْكبر غَالبٌ على الْيَهُود، قَالَ الله تَعَالَى:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:31])؛ هذا في حق النصارى، وفي حق اليهود: (﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:87])؛ فالآية الأولى فيها وصف النصارى بالشرك، والآية الثانية فيها وصف اليهود بالاستكبار.

(وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:146]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولما كَانَ الْكبر مستلزمًا للشرك).

آيات الله وهي حججه وبيناته التي تأخذ القلب، وتهدي القلب، وتسوقه إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له يصرف عنها المتكبر لا يرى الآيات، يمر بها ولا يراها؛ بمعنى أن لا يكون لها أي أثرٍ عليه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلما كَانَ الْكبر مستلزمًا للشرك والشرك ضد الْإِسْلَام وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفره الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:48]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، من الآية:116]، كَانَ الْأَنْبِيَاء جَمِيعهم مبعوثين بدين الْإِسْلَام فَهُوَ الدّين الَّذِي لَا يقبل الله غَيره لَا من الْأَوَّلين وَلَا من الآخرين، قَالَ نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة يونس، من الآية:72]، وَقَالَ فِي حق إِبْرَاهِيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:130-131]، إلى قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:132]، وَقَالَ يُوسُف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:101]، وَقَالَ مُوسَى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ [سورة يونس، من الآية:84-85]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:44]، وَقَالَت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة النمل، من الآية:44]، وقَالَ تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾[سورة المائدة، من الآية:111]، وقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[سورة آل عمران، من الآية:19]، وقَالَ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[سورة آل عمران، من الآية:85]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[سورة آل عمران، من الآية:83]).

هذا يكون الحديث عنه في لقاء الغد بإذن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

اللهم انفعنا جميعًا بما علمتنا، واجعل ما تعلمناه حُجةً لنا لا علينا، اللهم أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين لا إله إلا أنت، اللهم أعنا جميعًا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين، اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، اللهم أعنا ولا تُعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وأمكر لنا ولا تمكر علينا، وأهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، اللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، إليك أواهين منيبين، لك مخبتين لك مطيعين، اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حُجتنا، واهدي قلوبنا، وسدد ألستنا، واسلل سخيمة صدورنا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم إنا نسألك الهدى والسداد، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين غير ضالين ولا مضلين، اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، اللهم أعذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن شر كل دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم ولي على المسلمين أينما كانوا خيارهم، وأصرف عنهم شرارهم يا رب العالمين، اللهم أنصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا، وحافظًا ومؤيدًا، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم اغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلنه، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على

من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الثاني عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَلما كَانَ الْكبر مستلزمًا للشرك، والشرك ضد الْإِسْلَام، وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفره الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:48]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، من الآية:116]، كَانَ الْأَنْبِيَاء جَمِيعهم مبعوثين بدين الْإِسْلَام؛ فَهُوَ الدّين الَّذِي لَا يقبل الله غَيره لَا من الْأَوَّلين، وَلَا من الآخرين، قَالَ نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة يونس، من الآية:72]، وَقَالَ فِي حق إِبْرَاهِيم: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:130-131]، إِلَى قَوْله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:132]،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:101]، وَقَالَ مُوسَى: ﴿يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ۝٨٤ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [سورة يونس، من الآية:84-85]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [سورة المائدة، من الآية:44]، وَقَالَت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:44]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:111]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:19]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:85]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:83].

فَذكر إِسْلَام الكائنات طَوْعًا وَكرهًا؛ لِأَن الْمَخْلُوقَات جَمِيعهَا متعبدة لَهُ التَّعَبُّد الْعَام سَوَاء أقرَّ الْمقر بذلك أَو أنكرهُ، وهم مدينون لَهُ مدبرون فهم مُسلمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكرهًا، لَيْسَ لأحدٍ من الْمَخْلُوقَات خُرُوج عَمَّا شاءه وَقدره وقضاه وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِهِ، وَهُوَ رب الْعَالمين ومليكهم يصرفهم كَيفَ يَشَاء، وَهُوَ خالقهم كلهم، وبارئهم ومصورهم، وكل مَا سواهُ فَهُوَ مربوب، مَصْنُوع،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مفطور، فَقير، مُحْتَاج، معبَّد، مقهور وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْوَاحِد القهار، الْخَالِق، البارئ، المصور).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه [العبودية]: **(وَلما كَانَ الْكبر مستلزمًا للشرك، والشرك ضد الْإِسْلَام، وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفر)**؛ وساق آيتين دليلًا على ذلك قال: **(كَانَ الْأَنْبِيَاء جَمِيعهم مبعوثين بدين الْإِسْلَام)**؛ أي أن دين الإسلام الذي بُعث به جميع النبيين الذي هو الاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ، والانقياد له خضوعًا وذلًا وانكسارًا وطواعيةً لأمر الله، مضادٌّ تمام المضادة، منافٍ تمام المنافاة للاستكبار والشرك.

فالذي لا يستسلم أي لا ينقاد لأمر الله عَزَّوَجَلَّ هذا مستكبر، والذي يجعل مع الله إلهًا آخر في استسلامه وخضوعه وذله فهذا مشرك، وكلٌّ من الاستكبار والشرك مضادٌّ لدين الإسلام الذي هو دين جميع النبيين تمام المضادة، فالإسلام استسلامٌ لله لا استكبار ولا شرك، بل استسلامٌ لله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد، وانقيادٌ له بالطاعة، وخلوصٌ من الشرك وبراءةٌ منه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وسبق أن بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن كل مستكبرٍ مشرك؛ لأن القلب لا بد له من مقصود وملجأ، فإذا استكبر عن العبودية لله والخضوع له، والذل بين يديه انصرف القلب إلى آلهةٍ أخرى ومعبوداتٍ أخرى، ومثَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كما سبق في بيانه وإيضاحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثَّل بفرعون، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك المثال: **(كَانَ فِرْعَوْن من أعظم الْخلق استكبارًا عَن عبَادَة الله وَكَانَ مُشْركًا)**؛ وهذا ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيانًا إلى أن المستكبر لا بد أن يكون مشركًا، والاستكبار يقود ولا بد إلى الشرك بالله؛ لأن من لم يعبد الله مخلصًا له الدين استكبر عن ذلك وامتنع من ذلك استكبارًا وعلوًا لا بد أن يكون مشركًا متخذًا الأنداد مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وساق آياتٍ كثيرة مدللًا بها على استكبار فرعون، ثم ساق آيةً واحدة مدللًا بها على شرك فرعون، وهذا قد يُتعجب منه! لكن فرعون ذلك الطاغية المستكبر الذي يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص، من الآية:38]؛ كان مشركًا، والآية التي ساقها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وهي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:127]. ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾؛ المراد أي التي اتخذتها معبودات تقصدها، ويعتمد قلبك عليها وتلتجئ إليها. ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾؛ آلهتك أي معبوداتك؛ لأن الآلهة جمع إله، والإله هو المعبود، وهذا فيه أن من المتقرر أن فرعون كان

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

متخذًا آلهة وأنداد يقصدهم ويلجأ إليهم، ولهذا تُذكر روايات عن بعض السلف من الصحابة وغيرهم من التابعين في ذكر ما كان يعبد فرعون، بعضهم قال: كان يعبد بقرة، وبعضهم قال: كان يعبد جمالة أو نحو ذلك في صدره، يعبدها سرًا، وقيل غير ذلك، وهذه أقوال مرسلة، لكن الآية فيها دلالة لما أوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لأجله ألا وهو شرك فرعون، وأن فرعون نفسه كان مشركًا بالله عَزَّوَجَلَّ أي متخذًا معبودات، يلجأ إليها ويذل لها ويصرف لها حبه إلى غير ذلك من أنواع التعبد.

لما ذكر ذلكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وقرره، وأورد أيضًا بعده أيضًا بعض الآيات في المعنى نفسه قال: (**وَلما كَانَ الْكبر مستلزمًا للشرك، والشرك ضد الْإِسْلَام، وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفره الله**)؛ الكبر مستلزم للشرك، والشرك ضد الإسلام، أي منافٍ للإسلام تمام المنافاة، فالمستكبر لا يكون إلا مشركًا، والمشرك مضاد للإسلام تمام المضادة، والمستكبر أي عن عبادة الله، والذل له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فمن استكبر عن عبادة الله كان مشركًا بالله عَزَّوَجَلَّ، والشرك ضد الإسلام وهو منافٍ له تمام المنافاة. (**وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفره الله**)؛ بمعنى أن من مات على الشرك فلا مطمع له في مغفرة الله ولا رحمته، وأورد دليلًا على ذلك آيتين من سورة النساء وهما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:48]، وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ

بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، من الآية:116]، فهاتان الآيتان فيهما أن المشرك لا يغفر الله له، والمراد بالمشرك هنا أي من مات على الشرك، ولهذا لا منافاة بين هاتين الآيتين في سورة النساء، وبين قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، من الآية:53]؛ أي حتى الشرك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ أي حتى الشرك يغفره الله، لكن في حق من؟ من تاب، آية الزمر في حق من تاب، بدليل قوله: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾؛ أي توبوا إلى الله مهما كانت ذنوبكم، ومهما بلغت آثامكم وخطاياكم توبوا إلى الله، ولهذا قال من قال من أهل العلم: أن هذه أرجى آيةٍ في كتاب الله؛ لأن فيها أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره إذا تاب منه صاحبه وأناب إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فإنه يغفر الذنوب جميعًا، مهما عظم الذنب ومهما كبر الجرم، من تاب تاب الله عليه، ولهذا قال: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾؛ أي توبوا إلى الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ بينما آية النساء ففيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ هل هو في حق من تاب؟ أو في حق من مات؟ في حق من مات؛ لأنه لو كان في حق من تاب فجميع الذنوب من تاب منها تاب الله عليه، وغفر له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لكن آية النساء في حق من مات على ذلك،

قوله جَلَّ وَعَلَا في آية النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي ما دون الذنوب التي دون الشرك. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ ما المراد هنا بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ هل المراد من تاب؟ أو من مات على ذلك؟ أي من مات على ذلك، فالذي مات على كبيرة مصرًا عليها فيما دون الشرك أمره تحت المشيئة، أمره إلى مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إن الله غفر له وإن شاء عذبه، ولهذا قال بعض المفسرين: إن هذه الآية من هذا الوجه أرجى من آية الزمر؛ لأن آية الزمر غفران بالتوبة، أما هذا غفران بدون توبة فيما إذا كان الذنب دون الشرك، قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

شاهد القول في هذه الآية الكريمة: عِظم وخطورة الإشراك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه الذنب الذي لا يُغفر في حق من مات على ذلك، لا يغفره الله لا مطمع له إطلاقًا في مغفرة الله، بل ليس للمشرك الذي مات على الشرك يوم القيامة إلا النار خالدًا فيها أبد الآباد، لا يقضى عليه فيموت، ولا يخفف عنه من عذابها كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر، من الآية:36-37]، فالمشرك الذي مات على الشرك ليس له يوم القيامة إلا النار خالدًا فيها أبد الآباد.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلما كَانَ الْكبر مستلزمًا للشرك، والشرك ضد الْإِسْلَام، وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفره الله**). (**كَانَ الْأَنْبِيَاء**)؛ وهذا جواب الشرط في قوله: (**كَانَ الْأَنْبِيَاء جَمِيعهم مبعوثين بدين الْإِسْلَام**)؛ ودين الإسلام الذي بُعث به جميع الأنبياء الذي لا يقبل الله دينًا سواه هو ماذا؟ هو الاستسلام لله بالتوحيد، فمن استكبر ليس مسلمًا، ومن أسلم لله ولغيره ليس مسلمًا، من استكبر عن الاستسلام لله ليس مسلمًا، ومن أسلم لله ولغيره، أشرك مع الله غيره في خضوعه وذله ليس مسلمًا، فالذي يخرج من أو يضاد الإسلام كل المضادة الاستكبار والإشراك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من لم يستسلم فهو المستكبر ومن أشرك مع الله غيره في استسلامه وخضوعه وذله فهو المشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل من الاستكبار والشرك مضادٌّ للإسلام تمام المضادة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَانَ الْأَنْبِيَاء جَمِيعهم مبعوثين بدين الْإِسْلَام؛ فَهُوَ الدَّين الَّذِي لَا يقبل الله غَيره لَا من الْأَوَّلين، وَلَا من الآخرين**)؛ لا يقبل الله دينًا لا من الأولين ولا من الآخرين إلا الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:85].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم ساق آياتٍ كثيرة مستشهدًا بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على أن الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص له من الشرك، والبراءة منه دين جميع النبيين، مبينًا أن الإسلام الذي هو وصفه هو دين جميع النبيين، فأورد قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيما يتعلق بنوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة يونس، من الآية:72]؛ هذا نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾؛ من المسلمين أي مستسلمين لله، الخاضعين لله، المنقادين لله، المخلصين لله، المطيعين أمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:163]؛ فهذا هو الإسلام أن يكون الدين لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خضوعًا وذلًا وانقيادًا وامتثالًا، وقال تعالى في حق إبراهيم إمام الحنفاء: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [سورة البقرة، من الآية:130]؛ أي حكم على نفسه وذهب بها إلى السفه، والسفه فساد العقل، فساد الرأي، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:130-131]؛ انقياد فوري مباشر لأمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له، ﴿أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ

ﭐلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة، من الآية:131-132]؛ فهذا دين الأنبياء وهو وصية الأنبياء لأبنائهم وأقوامهم هذه وصيتهم، أن يكون الدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يستسلم العبد لله، وأن لا يموت إلا وهو مسلم لله منقاد، مطيع، مخلص.

(وَقَالَ يُوسُف: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة يوسف، من الآية:101]، وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ [سورة يونس، من الآية:84-85]). الشاهد قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾؛ أي مستسلمين خاضعين لله عَزَّوَجَلَّ، (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:44])؛ أي التي أُنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، (﴿فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [سورة المائدة، من الآية:44]،)؛ وهذا موضع الشاهد. (وَقَالَت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة النمل، من الآية:44]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة، من الآية:111])؛ إذًا هذه آيات عديدة، وفي كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى [الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح] عرض لهذا الموضع وساق آيات كثيرة بأوسع من هنا بكثير فيها إسلام

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الأنبياء لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن دين الإسلام هو دين جميع النبيين، عرض الآيات التي في ذلك عرضًا أوسع مما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هنا.

ثم ختم هذا العرض بإيراد قوله تعالى: (﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:19]، وقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:85]،)؛ الدين عند الله هو الإسلام أي الاستسلام لله، فمن لم يستسلم كان مستكبرًا، ومن أشرك مع الله غيره في استسلامه وانقياده فهو المشرك، وليس هذا دين الله الذي رضيه لعباده، ولا يقبل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دينًا سواه.

ثم أورد قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:83]؛ دين الله الذي هو الإسلام والاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:83]؛ هذا المراد به الإسلام العام، استسلام الكائنات لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بمعنى أنها معبَّدة مذللة، لا خروج لها عن ما شاءه الرب العظيم والخالق الجليل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فمشيئته فيها نافذة، وأمره ماضٍ، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:83]؛ المراد: **(إِسْلَام الكائنات طَوْعًا وَكرهًا)**؛ أي أنها طوع تدبيره، وتسخيره، ومشيئته فيها نافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يوضح هذا الإسلام

الذي هو إسلام الكائنات بقوله: (**لِأَن الْمَخْلُوقَات جَمِيعهَا متعبَّدة لَهُ التَّعَبُّد الْعَام**)؛ ومر معنا سابقًا أن العبودية لله نوعان:

- عبودية تعلقها بربوبيته.
- وعبودية تعلقها بألوهيته.

وحديثنا هنا عن العبودية التي تعلقها بربوبيته والتي تتناول جميع المخلوقات؛ فجميع المخلوقات عباد لله أي معبدة، مذللة، مربوبة، مدبرة، مشيئة الله فيها نافذة، حكم الله فيها ماضٍ.

قال: (**لِأَن الْمَخْلُوقَات جَمِيعهَا متعبدة لَهُ التَّعَبُّد الْعَام سَوَاء أقرّ الْمقر بذلك أَو أنكرهُ**)؛ تعبد العام هذا أمر ثابت ومتقرر، وجميع المخلوقات متعبدة لله مقهورة تحت تدبيره وتسخيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، سواءً أقر بذلك الإنسان أو أنكر هذا هو حقيقة الأمر، أن جميع المخلوقات معبدة لله، أي طوع تدبيره وتسخيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (**سَوَاء أقرّ الْمقر بذلك أَو أنكرهُ، وهم مدينون لَهُ مدبرون**). (**مدينون**)؛ أي خاضعون لله عَزَّوَجَلَّ. (**مدبرون**)؛ يدبرهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كيف شاء، فمشيئته في الجميع نافذة.

قال: (**فهم مُسلمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكرهًا**)؛ مسلمون لله أي الإسلام العام الذي هو الخضوع لربوبية الله، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يدبرهم كيف شاء ويتصرف فيهم كما

يريد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، (**فهم مُسلمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكرهًا لَيْسَ لأحد**)؛ هذا أيضًا مزيد توضيح وبيان، (**لَيْسَ لأحد من الْمَخْلُوقَات خُرُوجٌ عَمَّا شاءه وَقدره وقضاه وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِهِ، وَهُوَ رب الْعَالمين ومليكهم يصرفهم كَيفَ يَشَاء، وَهُوَ خالقهم كلهم، وبارئهم ومصورهم، وكل مَا سواهُ فَهُوَ مربوبٌ، مَصْنُوعٌ، مفطورٌ، فَقيرٌ، مُحْتَاجٌ، معبَّدٌ، مقهورٌ**)؛ هذه صفة جميع المخلوقات، وهذا الوصف الذي ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشمل البر والفاجر، المؤمن والكافر، المهتدي والضال، جميع المخلوقات مربوبة مقهورة، مدبرة بتدبير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَهُوَ الْوَاحِد، القهار، الْخَالِق، البارئ، المصور**)؛ وهذه الأسماء الحسنى ساقها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مبينًا من خلالها ربوبية الله لهذه المخلوقات خلقًا، وإيجادًا، وتصويرًا، وتدبيرًا، وتسخيرًا.

(**وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ**)؛ فالله عَزَّوَجَلَّ جعل لكل شيء سبب، وهيئ الأسباب وأوجد الأسباب والمسببات، فالله عَزَّوَجَلَّ خالق السبب وخالق المسبب، خالق كل شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، (**وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ**)؛ أي لذلك السبب، (**والمقدر لَهُ**)؛ أي لذلك السبب بأن يوجد تبعًا لوجود ذلك السبب، فالسبب خلقه الله، وأيضًا ما ترتب على ذلك السبب فهو أيضًا مخلوقٌ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالله خالق كل شيء.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (وَهَذَا مفتقر إِلَيْهِ كافتقار هَذَا)؛ أي الأسباب والمسببات، **(وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَبٌ مُسْتَقل بِفعل خير وَلَا دفع ضرّ بل كل مَا هُوَ سَبَب فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى سَبَب آخر يعاونه)**؛ ماذا عندك؟ أو لم نقرأ هذا..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ وَهَذَا مفتقر إِلَيْهِ كافتقار هَذَا، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَب مُسْتَقل بِفعل خير وَلَا دفع ضرر، بل كل مَا هُوَ سَبَب فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى سَبَب آخر يعاونه، وَإِلَى مَا يدْفع عَنهُ الضِّدّ الَّذِي يُعَارضهُ ويمانعه).

أيضًا أعد: (وَهُوَ...).

(وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ وَهَذَا مفتقر إِلَيْهِ كافتقار هَذَا، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَب مُسْتَقل بِفعل خير وَلَا دفع ضرر، بل كل مَا هُوَ سَبَب فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى سَبَب آخر يعاونه، وَإِلَى مَا يدْفع عَنهُ الضِّدّ الَّذِي يُعَارضهُ ويمانعه.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَحده الْغنى عَن كل مَا سواهُ لَيْسَ لَهُ شريك يعاونه، وَلَا ضد يناوئه ويعارضه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]، وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:17].

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:78-82].

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَن عبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن هَذِه الْآيَة لما نزلت شقّ ذَلِك على أَصْحَاب النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا: يَا رَسُول الله أَيّنَا لم يلبس إيمَانه بظُلْم؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ الشّرك، ألم تسمعوا إِلَى قَول العَبْد الصَّالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان، من الآية:13]».

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ)؛ أي المقدر للسبب، ولعل هذا أيضًا يُتأمل، (وَهُوَ مفتقر إِلَيْهِ كافتقار هَذَا إِلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَبٌ مُسْتَقل بِفعل خير وَلَا دفع

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ضرر)؛ نسختي المثبت فيها -لا يتضح به المعنى-: (وليس في المخلوقات سببٌ مستقل يفعل ولا دفع ضرر)؛ لكن الواضح المثبت في النسخ الأخرى: **(وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَب مُسْتَقل بِفعل خيرٍ وَلَا دفع ضرر)**؛ أي أن كل ذلك لا يكون إلا بمشيئة الله وإذنه وتدبيره وتسخيره، بمعنى: أن جميع المخلوقات خاضعة لله عَزَّوَجَلَّ طوع تدبيره وتسخيره، فليس هناك سببٌ مستقلٌ بفعل خير ولا دفع ضرر، فالله خالق الأسباب وخالق المسببات، **(بل كل مَا هُوَ سَبَب فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى سَبَب آخر يعاونه، وَإِلَى مَا يدْفع عَنهُ الضِّرر الَّذِي يُعَارضهُ ويمانعه، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَحده الْغنى عَن كل مَا سواهُ لَيْسَ لَهُ شريك يعاونه، وَلَا ضد يناوئه ويعارضه)**؛ فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منزهٌ عن الشريك ومنزهٌ عن الظهير، وجُمع بينها في قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في سورة سبأ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سورة سبأ، من الآية:22]؛ أي من عويل.

(سُبْحَانَهُ وَحده الْغنى عَن كل مَا سواهُ لَيْسَ لَهُ شريك يعاونه، وَلَا ضد يناوئه ويعارضه).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]؛ أي أخبروني يا من تشركون بالله غيره. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]. ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾؛ أي هو وحده ملجأي وهو وحده كافيني قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36]؛ ومن أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الحسيب أي الكافي، فحسبي الله أي الله كافيني، وهذه الكلمة حسبي الله؛ كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض رسائله: تُقال في باب جلب المنافع وفي باب دفع المضار، في باب جلب المنافع تريد رزقًا نعمةً تيسير أمرٍ تقول: حسبي الله، فهي تقال في باب جلب المنافع، وأيضًا تُقال في باب دفع المضار، وقد مر معنا في هذا الكتاب المبارك كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليل هذا وهذا.

أما جلب المنافع فمر معنا في أول الكتاب: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:58-59]؛ قالوا حسبنا الله، حسبنا الله في هذا السياق واستشهد بها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك، تُقال في باب جلب المنافع، فهذا المقام تُقال: حسبنا الله في باب جلب المنافع.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ومن الخطأ -وسبق أن بينت ذلك- أن تُجعل هذه الكلمة كلها دعاء حتى بحد ورسوله، هذا من الخطأ، وإن كان شاع الآن في أوساط بعض الناس جعلوا ذلك كله دعاء، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾؛ فقول: حسبنا الله يؤتى بها في باب جلب المنافع، فيقول القائل في مثل هذا المقام: حسبنا الله.

وأيضًا يؤتى بها في مقام دفع المضار، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173]؛ ولو تأملنا الآية التي ساق شيخ الإسلام هنا لوجدنا أنها شملت النوعين: قول حسبنا الله في البابين باب جلب المنافع، وباب دفع المضار، لأنه قال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر، من الآية:38]؛ أي في دفع المضار وفي تحصيل المنافع، ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾؛ أي الله كافيني في جلب المنافع، وفي دفع المضار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كافيني، وهو ملجأي وعليه أتوكل، ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:17])؛ أي أن الأمر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في دفع المضار وفي جلب المنافع لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:78-79])؛ أي أنا لجوئي واعتمادي وتوكلي على من فطر السموات والأرض. ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي مائلًا عن الشرك وعن الباطل وعن الضلال إلى التوحيد والإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:80])؛ أي الأمر لله عَزَّوَجَلَّ من قبل ومن بعد، لا أخاف ما تشركون به. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾، فالذي يشاؤه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكون، ويقع طبقًا لما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما شاء تَبَارَكَ وَتَعَالَى كان، فالله عَزَّوَجَلَّ له القدرة الشاملة، وله المشيئة النافذة، ومعنى له المشيئة النافذة: أي ما شاء يقع طبقًا لما شاء في الوقت الذي يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ

أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:80-81]؛ أي حالكم هي العجب!، كيف وهم يخفونه بالآلهة والمعبودات أن تصيبه بضر، فيبين لهم أن الواجب في هذا المقام أن يكون الخوف منكم أنتم، أن تخافوا من الله لأنكم جعلتم مع الله الشركاء، كيف يطالبونه أن يخاف من أحجار وأشياء من هذا القبيل لا تملك لنفسها نفعًا ولا دفعًا، وهم لا يخافون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقد ارتكبوا أعظم الذنوب التي تغضبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾، وقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾؛ هذا دليل على بطلان كل عقيدة لم ينزل بها وحي الشرك غيره، دليل على بطلان كل عقيدة لم ينزل بها وحي، ولهذا يُوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [سورة يوسف، من الآية:39-40]، وفي سورة النجم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [سورة النجم، من الآية:19-23]؛ فكل عقيدة لم ينزل بها وحي هي عقيدة باطلة، ولهذا تجد في إبطال الأنبياء لعقائد الأقوام الضالين

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يأتي هذا كثيرًا: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾؛ فكل عقيدةٍ لم ينزل بها وحي فهي باطلة، والعقائد التي بين الناس نوعان:

- عقائد نازلة؛ نزل بها وحي من الله.
- وعقائد نابتة؛ نبتت في الأرض.

كيف نبتت؟ بوسائل وطرائق مختلفة هذه نبتت بطريقة، وهذه نبتت بطريقة، وأشكال لا حد لها ولا عد، وكل عقيدةٍ نابتة فهي باطلة، كل عقيدة نابتة نبتت من الأرض لم ينزل فيها وحي من الله فهي باطلة.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنًا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:81]؛ والمراد بالسلطان أي الحجة والبرهان، وسُميت الحجة سلطانًا؛ لأن لها سلطة على القلب، ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:81]؛ من الأحق بالأمن؟ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مخلص لله ملتجئ إلى الله، ومتوكل على الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يلجأ إلا إلى الله، وهؤلاء اتخذوا مع الله الشركاء والأنداد، ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِ﴾؟ الجواب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:82]؛ ﴿ءَامَنُواْ﴾؛ أي أخلصوا دينهم لله، ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾؛ أي لم يلبسوا إخلاصهم وتوحيدهم بشرك، لم يخلطوه لم يلبسوا أي لم يخلطوا إيمانهم بظلم، أي بشرك، المراد بالظلم هنا

الشرك، مثل قول لقمان لابنه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان، من الآية:13]، ومثل قوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:254].

ومر معنا في هذا المجلس آيةً كريمة ذُكر فيها الظلم وأُريد (والمراد) به الشرك، ما هي هذه الآية؟ اختبار في درس اليوم.

مداخلة: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

أحسنت.. جواب سريع ومسدد. ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [سورة فاطر، من الآية:37]؛ المراد بالظالمين في الآية أي المشركين الذين ظلمهم ظلم الشرك؛ لأن هذه الآية ذُكر قبلها الظلم وليس المراد به الشرك، ذُكر قبلها بآيات الظلم وليس المراد به الشرك؛ لأن الظلم تارة يُطلق ويراد به الشرك، وتارة يطلق ويُراد به ظلم النفس فيما دون الشرك، فقبل هذه الآية بآيات قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [سورة فاطر، من الآية:32]؛ هنا الظلم ليس المراد به الشرك، وإنما المراد به ما دون الشرك، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝٣٢ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [سورة فاطر، من الآية:32-33]؛ ثم ذكر ثوابهم ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ

يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة يونس، من الآية:36-37]؛ الظالمين هنا ليس المعنى في قوله: الظالمين هنا كالمعنى في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾؛ وإنما الأول ظالم نفسه أي بالمعصية فيما دون الشرك.

وهنا: ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾؛ أي مشركين الذين ظلمهم ظلم الشرك الذي هو أعظم الظلم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأي ظلمٍ أشنع من أن توضع العبادة لغير المستعان وهو الله رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولما نزلت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:82]؛ شق أمر الآية على الصحابة، لماذا؟ لماذا شق أمر الآية على الصحابة؟ لأن الذي جاء في ذهنهم ظلم النفس فيما دون الشرك، قالوا: أينا لم يظلم نفسه؟! والآية رُتِّب فيها الأمن والاهتداء على الإيمان الذي لا يلبسه صاحبه بظلم، فلما نزلت الآية شقَّ أمر هذه الآية على الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَن عبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَن هَذِه الْآيَة لما نزلت شقَّ ذَلِك على أَصْحَاب النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَقَالُوا: يَا رَسُول الله أَيّنَا لم يلبس**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

إيمَانه بظُلْم؟)؛ أينا لم يظلم نفسه؟ (فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّمَا هُوَ الشّرك ألم تسمعوا إِلَى قَول العَبْد الصَّالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان، من الآية:13]»)؛ أي لقمان، ولقمان عبدٌ صالح ليس نبيًا من الأنبياء، وإنما هو عبدٌ صالح كما وصفه بذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ آتاه الله الحكمة، وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصايا هذا الحكيم الذي آتاه الله الحكمة ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصاياه لابنه وهو يعظه، وهي وصايا عظيمة تُعد منهجًا رصينًا للمربين، كيف يربون النشأ، كيف يربي الأب أبناءه، والمعلم طلابه، منهج رصين جدًا، ووصايا لقمان مليئة بالفوائد التربوية في التربية وطريقتها، وكيف يُربى وما أساليبها فيها فوائد كثيرة.

ولي رسالة في هذا الباب مطبوعة: [فوائد من قصة لقمان الحكيم]، جمعتها من كلام المفسرين -رحمهم الله تعالى- لهذه الآيات من سورة لقمان.

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان، من الآية:13]؛ انظر هنا فائدة تربوية: لما تنهى ابنك عن ذنب بيِّن له عواقبه أضراره أخطاره، قال: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾؛ ولم يقف عند هذا الحد، قال له: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾؛ ثم بين له خطر الشرك وضرره، وأنه أعظم ذنب وأكبر جرم: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ فنهاه عن الشرك وحذره منه، وبين عاقبة الشرك، وبين أنه أظلم الظلم وأكبر الجُرم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال هنا: «**ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»، فالشاهد: وصف الشرك بالظلم.

فيكون المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:82]؛ أي لم يلبسوه بشرك، فيكون أهل التوحيد الذين سلمهم الله ووقاهم من الشرك هم أهل الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

نظير هذه الآية في تقرير هذا المعنى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [سورة النور، من الآية:55]؛ فالذي يعبد الله لا يشرك به شيئًا له الأمن والاهتداء التامان في الدنيا والآخرة.

والذي يُشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا أمن له ولا اهتداء لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالأمن قرين الإيمان ولزيمه، ولهذا سُنَّ لنا أن نقول في مطلع كل شهر إذا رأينا الهلال: «**اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان**»، الأمن والإيمان متلازمان، فإذا كان من أهل الإيمان فهو من أهل الأمن، فالأمن والإيمان متلازمان، «**اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم بعد ذلكم أخذ يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بمناسبة هذه الآيات مقام ومكانة إبراهيم (**وَإِبْرَاهِيم الْخَلِيل إِمَام الحنفاء المخلصين**)؛ لله عَزَّوَجَلَّ، وكان أمةً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إمامًا في الخير في وقتٍ (**طبق الأَرْض دين الْمُشْركين**)؛ أي أن الأرض كلها خيَّم عليها جاهلية الشرك، والضلال، والكفر بالله، واتخاذ الأوثان، وساق آيات عديدة تتعلق بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، نؤجل الحديث عنها إلى لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يجعل ما تعلمناه حُجة لنا لا علينا وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وأنصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الثالث عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَإِبْرَاهِيم الْخَلِيل إِمَام الحنفاء المخلصين حَيْثُ بعث وَقد طبق الأَرْض دين الْمُشْركين، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]؛ فَبين أَن عَهده بِالْإِمَامَةِ لَا يتَنَاوَل الظَّالِم فَلم يَأْمر الله سُبْحَانَهُ أَن يكون الظَّالِم إِمَامًا، وَأعظم الظُّلم الشّرك.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل، من الآية:120]، وَالْأمة هُوَ معلم الْخَيْر الَّذِي يؤتم بِهِ كَمَا أَن الْقدْوَة الذى يقْتَدى بِهِ.

وَالله تَعَالَى جعل فِي ذُريَّته النُّبُوَّة وَالْكتاب، وَإِنَّمَا بعث الْأَنْبِيَاء بعده بملته قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل، من الآية:123]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:68]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:67]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:135-136]، إِلَى قَوْلِه: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:136]، وَقد ثَبت فِي "الصَّحِيح" عَن النَّبِي..).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى محاجة إبراهيم لقومه وإلزامه لهم بالحُجج البيانات والدلائل الواضحات على أن الحق والأمن والنجاة من المخاوف والشرور إنما هو لأهل التوحيد والإخلاص لا لأهل الشرك والكفر والتنديد، لما بيَّن ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في سياق كلامه الذي سبق أخذ يُبين مكانة إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومنزلته العلية، وأن الله عَزَّوَجَلَّ اتخذه خليلًا، وأنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان ﴿كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة النحل، من الآية:120]، إلى غير ذلكم مما بينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَإِبْرَاهِيم الْخَلِيل إِمَام الحنفاء المخلصين**). (**إمام الحنفاء**)؛ أي: قدوتهم، (**والحنفاء**)؛ أي: المائلون عن الكفر والشرك والضلال والباطل إلى الحق والهدى والتوحيد والإخلاص، (**والمخلصين**)؛ أي: أعمالهم لله، فلا شرك ولا اتخاذ للأنداد وإنما أعمالهم كلها قائمة على الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام الحنفاء المخلصين، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:4]. ﴿أُسْوَةٌ﴾؛ أي: قدوة؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام، أي: قدوة، كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [سورة النحل، من الآية:120]، أي: إمامًا في الخير، وقدوةً في الخير -عليه صلوات الله وسلامه-

قال: (**حَيْثُ بُعث وَقد طبق الأَرْض دين الْمُشْركين**)؛ أي أن الأرض خيَّم عليها الضلال وطبقتها الجاهلية، وأصبح ليس فيها إلا أهل الشرك، وعبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية:124])؛ تلاه بكلمات، ابتلاه أي: امتحنه، و﴿بِكَلِمَاتٍ﴾؛ أي: الأوامر والنواهي، أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأوامر ونهاه عن نواهي، ابتلاه بذلك امتحانًا واختبارًا، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ أي: أتم الامتثال لله عَزَّ وَجَلَّ، والطواعية له، والانقياد بما أمره

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ به أتم ذلك وكمله ووفى بما أمره ربه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ به، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ فكان مكافأة ذلك أن جعله الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إمامًا، وهذا فيه أن الإمامة في الدين إنما تُنال باجتماع صفات الخير في العبد واكتمالها فيه، كما يُستفاد ذلك من قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ أي: أتم ما أمره الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ به، وما دعاه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ للقيام به، فكمل ذلك، وتمم ذلك.

فالإمامة إنما تكون بتكميل العبد لمقامات الدين وأوامر رب العالمين سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وفي الدعاء -دعاء عباد الرحمن-: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:74]، معنى ذلك: وفقنا يا الله؛ لأنه كم من أعمال الخير، وصفات الخير حتى نكون بذلك قدوةً للمتقين بأن نأتم أولًا بالمتقين فنعمل أعمالهم، ونتحلى بحليتهم، ونتصف بصفاتهم؛ فنكون حينئذٍ قدوة للمتقين؛ فالإمامة في الدين لا تُنال إلا بذلك، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة، من الآية:24].

﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]؛ فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]؛ وهذا سؤالٌ وطلب أن تمضي هذه الإمامة ومقامات الاقتداء، قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]؛ وهذا فيه أن عهد الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالإمامة لا يناله الظالم، لا

يكون الظالم إمامًا، فمن كان ظالمًا ليس إمامًا إلا إن كان المراد بالإمامة الإمامة في الباطل والضلال؛ فنعم، كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»، فالإمامة في الدين لا تكون من الظالم، بل من أرادها لنفسه يُجاهد نفسه على البعد عن الظلم، إذا كان من أهل الظلم ليس أهلًا أن يكون من الأئمة في الدين؛ لأن الإمامة في الدين لا ينالها الظالم ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال: (**فَبين أَن عَهده بِالْإِمَامَةِ لَا يتَنَاوَل الظَّالِم فَلم يَأْمر سُبْحَانَهُ أَن يكون الظَّالِم إِمَامًا**)؛ لا يكون الظالم قدوة للناس، وإنما الإمام هو من اجتمعت فيه صفات الخير، واكتملت فيه صفات الخير فكملها وتممها فصار بذلك أهلًا لأن يقتدى به في أبواب الخير وصفات الخير، ولهذا أحيانًا بعض السلف يتحدثون عن صفاته في ترجمته، يقولون: اجتمعت فيه صفات الخير، إذا أراد الإنسان أن ينظر إلى باب العبادة يجدوه من أهلها، باب الأخلاق إلى غير ذلك؛ فالإمامة في الدين إنما تُنال بذلك، أما الظالم لا يكون إمامًا.

قال: (**وَأعظم الظُّلم الشّرك**)؛ فأهل الإشراك بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أبعد الناس عن هذا المقام، وإن كان هذا الباب يقع فيه انحرافات شديدة فيمن يُعتقد فيهم الإمامة، ويظن فيهم الإمامة؛ حتى إن بعضهم أصبح يستدل على الأعمال

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الشركية بمن يسمونهم بالأئمة، ويستدلون على الأعمال الشركية بالأئمة، ومرادهم بذلك الأئمة الذين يزينون للناس الباطل.

ولهذا من لطائف استدلال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على التوحيد في بعض رسائله، قال: التوحيد يستدل له -وذكر عدة أمور-، قال: ومنها الإمامة، يستدل بالتوحيد بعدة أمور، وذكر من هذه الأمور الإمامة، الإمامة دليل على التوحيد.

ثم أورد قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إن كان الحديث عن هذا الباب في باب الاستدلال عن الإمامة والأئمة، والاستدلال بكلام الأئمة، أورد قول الله تعالى: (﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا﴾[سورة النحل، من الآية:120])؛ فإذا كان الاستدلال بالإمامة فليُستدل بأقوال إبراهيم الخليل إمام الحنفاء عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]؛ فكيف يحتج محتج بالأئمة ويستدل في هذا المقام بأقوامٍ يُزعم أنهم أئمة، ويُدعى أنهم أئمة ولا يلتفت إلى أقوال إمام الحنفاء خليل الرحمن عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قال: (**وَأعظم الظُّلم الشّرك**)؛ أي: أن المتلوث بالشرك لا يمكن أن يكون إمامًا، أي: قدوةً في الخير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[سورة النحل، من الآية:120]، فبرأه الله ونزهه من الشرك، قال:

﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وهذه الآية فيها صفات من حقق التوحيد، ولهذا أوردها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه [التوحيد] باب من حقق التوحيد؛ لأن هذه صفات إمام محقق التوحيد إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾، أي: إماماً في الخير وحده.

وقد مر معنا أنه وجد في زمانٍ طبق فيه الشرك، الأرض وخيمت الجاهلية، وضربت بأطنابها في كل مكان، فكان إمامًا، أي: كان وحده قدوة في الخير، والتوحيد، والإخلاص، والدعوة إلى عبادة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾؛ والقنوت المداومة، مداومة الطاعة، وملازمة العبادة، وقوله: ﴿لِّلَّهِ﴾، أي: مخلصًا قنوته لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ﴿حَنِيفٗا﴾، أي مائلًا عن الشرك والضلال والباطل إلى الحق والهدى، ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، أي: بعيدٌ عنه تمام البعد عن الشرك كله صغيره وكبيره، دقيقه وجليله، ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

(وَالأمة)؛ قال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ [سورة النحل، من الآية:120]، يقول شيخ الإسلام: (وَالأمة)؛ هو القدوة بفعل الخير، هذا هو الأمة، المراد بالأمة: القدوة بفعل الخير، سبق الإشارة إلى أن لفظة (أمة) لها إطلاقات، ولها

معاني، فتارةً تُطلق الأمة ويُراد بها الجماعة من الناس، وتارةً تُطلق ويُراد بها القدوة.

فقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، قال: (**الأمة**)؛ هو القدوة بفعل الخير الذي يتم به كمال القدوة الذي يقتدى به، اقرأ ما عندك..

قال: (وَالْأمة: هُوَ معلم الْخَيْر الَّذِي يؤتم بِهِ كَمَا أَنه الْقدْوَة الذى يقْتَدى بِهِ).

نعم هذا أوضح (**وَالْأمة: هُوَ**)؟

(معلم الْخَيْر).

(**وَالْأمة: هُوَ معلم الْخَيْر**)؛ أو كذلك القدوة بفعل الخير، لكن ما بعده؟

(الَّذِي يؤتم بِهِ، كَمَا أنه الْقدْوَة الذي يقْتَدى بِهِ).

نعم.. (**الَّذِي يؤتم بِهِ كَمَا أَنه الْقدْوَة الذي يقْتَدى بِهِ**)؛ هذا معنى الأمة، وهو معنى الإمام، الإمام هو الذي اجتمعت فيه صفات الخير فأصبح أهلًا أن يؤتم به وأن يقتدى به؛ بحيث كل صفة من صفات الخير يجد الناس فيه قدوةً لهم في تلك الصفات، هذا معنى الإمام الذي اجتمعت فيه صفات الخير فكملها وأتمها؛ فأصبح قدوةً للناس في ذلك.

(**وَالله تَعَالَى جعل فِي ذُريَّته النُّبُوَّة وَالْكتاب، وَإِنَّمَا بعث الْأَنْبِيَاء بعده بملته**)؛ أي: الملة الحنيفية.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل، من الآية:123])؛ فالذين بعده أمروا بإتباع ملته التي هي الحنيفية ملة التوحيد.

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:68])؛ أولى الناس وأحقهم بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ هم الذين اتبعوه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، أي: محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن ملته هي الملة الحنيفية التي بُعث بها خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:67]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:135-136])؛ كل هذه الآيات ساقها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مبينًا من خلالها إمامة إبراهيم الخليل، وأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أبعد الناس عن الشرك ونزهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من ذلك، وأن

الإمام لا يكون إلا بهذا، وأن من كان متلوثًا بالشرك أو شيءٍ من الباطل لا ينال هذه الرتبة العلية، والمنزلة الرفيعة التي هي الإمامة في الدين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقد ثَبت فِي "الصَّحِيح" عَن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أَن «إِبْرَاهِيم خير الْبَرِيَّة»، فَهُوَ أفضل الْأَنْبِيَاء بعد النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

هذا.. نعم..

(وَهُوَ خَلِيل الله تَعَالَى).

هذا أيضًا نظير ما سبق في بيان مقام ومكانة إبراهيم الخليل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فيقول: (**ثَبت فِي "الصَّحِيح"**)؛ أي: صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ (**أَن «إِبْرَاهِيم خير الْبَرِيَّة»**)؛ فجاء في صحيح مسلم من حديث أنس أن رجلًا قال للنبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: "يا خير البرية"، ينادي النبي، أو يخاطب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: "يا خير البرية"، قال: «**ذاك إبراهيم**»، مع أن نبينا عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ هو خير البرية، وأفضل الأنبياء، وسيد ولد آدم -صلوات الله وسلامه عليه-، والدلائل على ذلك والشواهد عليه كثيرة.

فقيل: أن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال ذلك تواضعًا، قال: ذاك خير البرية قاله من باب هضم النفس والتواضع، وقيل: إن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال ذلك قبل أن يبلغه أنه خير البرية وخير ولد آدم وأفضلهم -صلوات الله وسلامه عليه-،

لكن شاهد هذا الحديث في مقامنا هذا مكانة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصفه بهذا الوصف أن إبراهيم خير البرية.

(**فَهُوَ أفضل الْأَنْبِيَاء بعد النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَهُوَ خَلِيل الله**)؛ تأمل كلمة شيخ الإسلام: (**فَهُوَ أفضل الْأَنْبِيَاء بعد النَّبِي**)؛ أي: إبراهيم الخليل أفضل الأنبياء بعد النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أن الحديث الذي ساقه أن رجلًا قال للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "يا خير البرية"، قال: «**ذاك إبراهيم**».

فقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا: (**فَهُوَ أفضل الْأَنْبِيَاء بعد النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَهُوَ خَلِيل الله**)؛ فيه أن المعنى المشار إليه آنفًا وهو أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إما قال ذلك تواضعًا، أو قال قبل أن يعلم هو الحق في معنى الحديث، وأما خير البرية على الإطلاق هو محمد -صلوات الله وسلامه عليه-، وهو سيد ولد آدم أجمعين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وَهُوَ خَلِيل الله**)؛ أي: إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، اتخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خليلًا وسيأتي سوق شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأدلة على ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقد ثَبت فِي "الصَّحِيح" عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير وَجه أَنه قَالَ: «**إِن الله اتخذني خَلِيلًا كَمَا اتخذ إِبْرَاهِيم خَلِيلًا**»، وَقَالَ: «**لَو كنت متخذًا من أهل الْأَرْض خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا، وَلَكِن صَاحبكُم خَلِيل الله**» يعْنى نَفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَقَالَ: «**لَا يبقين فِي الْمَسْجِد خوخةٌ إِلَّا سُدت إِلَّا خوخة أَبى بكر**»، وَقَالَ: «**إِن من كَانَ قبلكُمْ كَانُوا يتخذون الْقُبُور مَسَاجِد، أَلا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُور مَسَاجِد فإني أنهاكم عَن ذَلِك**»، وكل هَذَا فِي "الصَّحِيح".

وَفِيه أَنه قَالَ ذَلِك قبل مَوته بأيام، وَذَلِكَ من تَمام رسَالَته؛ فَإِن فِي ذَلِك تَمام تَحْقِيق مخالته لله الَّتِي أَصْلهَا محبَّة الله تَعَالَى للْعَبد، ومحبة العَبْد لله خلافًا للجهمية، وَفِي ذَلِك تَحْقِيق تَوْحِيد الله، وَأَلا يعبدوا إِلَّا إِيَّاه وردٌ على أشباه الْمُشْركين، وَفِيه ردٌّ على الرافضة الَّذين يبخسون الصّديق رَضِي الله تعالى عَنهُ حَقه وهو أعظم المتسبين إِلَى الْقبْلَة..

(وهم).

(وهم أعظم المتسبين إِلَى الْقبْلَة إشراكًا بِعبَادة عَليٍّ وَغَيره من الْبشر).

إذا كان مكتوب عندك (وهو)؛ هذا خطأ شنيع جدًا...

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقد ثَبت فِي "الصَّحِيحين" من غير وَجهٍ أَنه قَالَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِن الله اتخذني خَلِيلًا كَمَا اتخذ إِبْرَاهِيم خَلِيلًا**»)؛ هذا الحديث العظيم فيه مكانة هذين النبيين -عليهما صلوات وسلامه- عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله جَلَّ وَعَلَا اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا، والخُلة أعلى درجات المحبة، وسينبه شيخ الإسلام لاحقًا فيما سيأتي من حديثه على خطأ من يقول: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يقول:

إبراهيم خليل الله، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبيب الله، المحبة لجميع عباد الله المؤمنين، الله يحب المتقين، ويحب المتطهرين، ويحب المؤمنين، المحبة لجميع عباد الله المؤمنين؛ لكن الخُلة درجة عالية لم تكن إلا لإبراهيم ولمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهما خليلا الله محمد وإبراهيم، اتخذ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إبراهيم خليلا، واتخذ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا، فهذا فيه مقام ومكانة هذين النبيين -عليهما صلوات الله وسلامه-.

قال: (**وَقَالَ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَو كنت متخذًا من أهل الأَرْض خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكرٍ خَلِيلًا**»)؛ أي: هذه الخُلة التي هي أعلى درجات المحبة تملأ القلب، وتتخلل القلب ولا تبقي فيه مجالًا، قال: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكرٍ خَلِيلًا**»، هذا إخبار منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما لا يكون أن لو كان كيف يكون، ما لا يكون يعني هو لا يتخذ أحدًا خليلًا؛ فيخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما لا يكون، هو لا يتخذ أحدًا خليلًا، لكن قال: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكرٍ خَلِيلًا**»، تخصيص أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهذا الأمر دون غيره دليل ظاهر وواضح على مكانة أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ العلية ومنزلته الرفيعة، وأنه أفضل الصحابة على الإطلاق؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر بهذا الحديث، أنه لو اتخذ خليلًا وهو لا يفعل ذلك لاتخذ أبا بكر؛ فأخبر عن أمرٍ لا يكون أن لو كان كيف يكون، أن لو كان كيف يكون، فلو اتخذ خليلًا لاتخذ أبا بكر لم يذكر أحدًا غيره.

فهذا دليل عظيم على فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومكانته العالية، وأنه خير الصحابة وأفضلهم، أفضل أمة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل دلت الأدلة أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خير الناس في جميع الأمم بعد النبيين، دلت الأدلة على أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه خير الناس في جميع الأمم بعد النبيين، وقد ثبت في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**أبو بكرٍ وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين عدا النبيين**»، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خير الناس بعد الأنبياء في جميع الأمم.

ويدل ذلك أيضًا القرآن، الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:110]، فأمة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خير الأمم، وأبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دلت الدلائل الكثيرة أنه خير هذه الأمة، فإذًا خير أتباع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأفضلهم أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فهذا مما يُبين لنا المكانة العلية لهذا الصحابي الكريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، قال: (**«لاتخذت أَبَا بكرٍ خَلِيلًا وَلَكِن صَاحبكُم خَلِيل الله» يعْنى نَفسه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ خليل الله.

(**وَقَالَ** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا يبقين فِي الْمَسْجِد خوخة**»)؛ أي: منفذ، («**إِلَّا سدت إِلَّا خوخة أَبى بكر**»)؛ وهذا أيضًا فيه مكانة أبي بكر العلية، ومنزلته الرفيعة، وأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه خير أمة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم اتبع ذلك بحديثٍ فيه الرد على أهل الغلو والباطل في الأنبياء والصالحين زعمًا منهم أنهم يفعلون ذلك من باب المحبة، وفعلهم ليس من المحبة بشيء، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («**إِن من كَانَ قبلكُمْ يتخذون الْقُبُور، قبور أنبياءهم مَسَاجِد، أَلا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُور مَسَاجِد فإني أنهاكم عَن ذَلِك**»)؛ اتخاذ قبور الأنبياء، وكذلك اتخاذ قبور الصالحين مساجد الذي جر إلى الوقوع فيه هو المحبة الغير منضبطة بضابط الشرع، وإنما محبة مبنية على الهوى، إذا وجدت المحبة غير مضبوطة بضابط الشرع مبينة على الهوى ينشأ عنها مثل هذه الأعمال.

وأول ما نشأ الشرك في البشرية نشأ من هذا الباب، دخل الشيطان على الناس من خلال محبة الصالحين، ومكانة الصالحين في النفوس، لما مات: (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا) وكانوا في أقوامهم رجالًا صالحين لما ماتوا جاء إبليس إلى أقوامهم وذكَّرهم بمكانة هؤلاء ومنزلتهم والصلاح الذي عُرفوا به، وقال: اتخذوا لهم صور حتى لا يُنسى هؤلاء، فقط صور تذكارية لهم، وكان يهدف بهذا العمل إلى أجيال آتية فيما بعد، إلى أجيال قادمة فيما بعد، يخطط إلى أمد بعيد، يفكر في الأجيال التي بعد، فلما استحسنوا هذا العمل، ووضعوا لهم صور للذكرى والتذكير بهم، جاء الأجيال التي فيما بعد ولما نُسي العلم، قال: "إن آباءكم وأجدادكم وضعوا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

هذه التماثيل؛ لأنهم إذا سألوا بها أعطوا، وإذا استسقوا بها أسقوا" وهكذا، فدخل الشرك.

فإذًا اتخاذ الصور للصالحين، أو البناء على قبورهم والتشييد على قبورهم هما أعظم منافذ الشرك في قديم الزمان وحديثه، ولهذا بعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علي بن أبي طالب ألا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا صورةً إلا طمسها، ألا يدع قبرًا مشرفًا مرتفعًا إلا سواه، ولا صورةً إلا طمسها؛ لأن بناء القبور واتخاذ التصاوير للصالحين أعظم منافذ الشرك في قديم الزمان وحديثه، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في لحظاته الأخيرة كان يحذر من صنيع اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، كان يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذر من ذلك.

(**وَفِيه أَنه قَالَ ذَلِك قبل مَوته بأيام**)؛ في حديث عائشة أنه قال وقت النزع في لحظاته الأخيرة، قال ذلك -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**وَذَلِكَ من تَمام رسَالَته**)؛ أي: من تمام بلاغه الرسالة، والنصح للأمة -صلوات الله وسلامه عليه-، قال ذلك محذرًا لهم.

(**فَإِن فِي ذَلِك تَمام تَحْقِيق مخالته لله**)؛ يعني إلى لحظاته الأخيرة وهو ينهى عن أي أمر، أو أي عمل يوصل إلى انتقاص حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبودية، بالحب، والذل، والخضوع، يريد أن يكون الناس في أعمالهم مخلصين، وسد

كل ذريعة، وكل باب، وكل منفذ يوصل إلى ضد ذلك ونقيضه، وهذا من كمال نصحه، وتمام بيانه -صلوات الله وسلامه عليه-، **(فَإِن ذَلِك تَمام تَحْقِيق مخالته لله الَّتِي أَصْلهَا)**؛ ماذا عندك؟

(محبَّة الله تَعَالَى للْعَبد).

(فَإِن فِي ذَلِك تَمام تَحْقِيق مخالته لله الَّتِي أَصْلهَا محبَّة الله تَعَالَى للْعَبد، ومحبة العَبْد لله خلافًا للجهمية).

(محبَّة الله للْعَبد ومحبة العَبْد لله)؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة، من الآية:54]، فعباد الله حقًا وصدقًا يحبون الله حبًا يورث ذلًا وخضوعًا وطاعةً وعبوديةً لله، ولهذا روح العبادة المحبة، كلما قويت المحبة الصادقة في القلب قوي إقبال العبد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقويت طواعيته وامتثاله لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأولياءه يحبونه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب أولياءه، ويحب عباده، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

قال: **(خلافًا للجهمية)**؛ والجهمية فرقة ضالة من أسوأ فرق الضلال وأشدها فسادًا وبعدًا عن الحق يتبعون شخصًا يقال له: الجهم بن صفوان، وإليه يُنسبون رأس الضلالة؛ فقامت بدعة الجهمية على أمور كثيرة منها تعطيل الصفات، أي: جحدها وعدم إثباتها، ولهذا الجهم وأيضًا شيخه الجعد بن درهم الذي قُتل على ضلالته؛ لأنه كان يقول: "إن الله لم يكلم موسى تكليمًا،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وما اتخذ إبراهيم خليلًا"، يقول: "إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولا اتخذ إبراهيم خليلًا" ينفون صفات الله، فعقيدتهم عقيدة خبيثة فاسدة باطلة فيها نفي صفات الله، ومن ذلك نفي أن الله يحب، فهم يقولون في عقيدتهم، يقول: لا يُحِب ولا يُحَب، هكذا يقولون، ولهذا قال شيخ الإسلام: (**خلافًا للجهمية**)؛ الذين ينفون أن الله يُحِب وأنه يُحَب، تعالى الله عما يقولون، وسبحان الله عما يصفون.

قال: (**وَفِي ذَلِك تَحْقِيق تَوْحِيد الله**)؛ وألا يُعبد إلا الله في هذا العمل الذي أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في حديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعنًا لليهود والنصارى في لحظاته الأخيرة، وفي أنفاسه الأخيرة -صلوات الله وسلامه عليه- كان لما نُزل به، تقول عائشة: "كان مغطيًا وجهه بخميصة فإذا اغتم كشفها، ثم قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد**»".

واتخاذ القبور مساجد يكون بأمرين:

- إما بالبناء على القبر.
- أو بالصلاة والعكوف عنده، وقصده بالعبادة والتقرب.

فهذا كله من اتخاذ القبور مساجد، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في لحظاته الأخيرة ينهى عن ذلك، ويلعن اليهود والنصارى لفعلهم ذلك محذرًا مما صنعوا، هذا

كله من تحقيق التوحيد وألا يُعبد إلا الله، ردًا على أشباه المشركين، أي الذين يعملون أعمال المشركين، ويقومون بأفعال المشركين، وطريقتهم طريقة المشركين بصرف العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن يحاولون أن يُلبسوا شركهم وباطلهم لباس الحق، ويُظهرونه بمظهر الحق، ويلقبونه بألقاب استخفافًا بعقول العوام والجهال ومن لا فهم لهم؛ فيمارسون مثلًا الشرك الصرح ويقولون: هذا توسل، يمارسون التعلق بغير الله والالتجاء إلى غير الله، ويقولون: هذا وسيلة وتوسل، يدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويذبحون لغير الله، ويسمون ذلك بأسماء أخرى حتى ينفق هذا الباطل ويروج عند العوام والجهال.

وقد خاف النبي على أمته خوفًا شديدًا من أمثال هؤلاء، عندما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»؛ لأن خطورتهم على الناس وعلى العوام شديدة جدًا، وإذا نشأ العامي بينهم لا يسمع منهم إلا ما يهيج في نفسه الباطل، ويكتمون عنه الحق، ولا يبينون له آيات التوحيد وآيات الإخلاص كل هذه يكتمونها عنه ويخفونها عنه، ويأتونه بالشبهات، إما بحديث موضوع، أو بقصة، أو بحكاية، أو مثلًا بمنامات، أو بأحاديث تكون صحيحة لكنه يفهمونها إياه على غير معناها، فإذا نشأ العامي في أوساط هؤلاء أضلوه عن سواء السبيل.

قال: (**وَفِيه ردٌّ على الرافضة الَّذين يبخسون الصِّديق حَقه**)؛ أي: أبا بكر صديق الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه يبخسونه حقه، صديق الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أبو بكر هو خير أمة محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ونبينا كما مر معنا في الحديث الصحيح، قال: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكرٍ خَلِيلًا**»، ففيه دلالة مع أحاديث متكاثرة جدًا عن نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تدل على أنه أفضل أمة محمد.

بل إن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صح عن أنه قال: "لا أجد أحدًا يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"، صح عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: "لا أجد أحد يفضلني على أبي بكرٍ وعمر إلا جلدته حتى المفتري"، هذا أعظم الافتراء والكذب، فأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو خير أمه محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، بل خير أمم الأنبياء، وأفضل الناس بعد الأنبياء، ويأتي هؤلاء المخبولون فيبخسونه حقه.

وليس فقط يزعمون أنه أقل من غيره مثلًا في الفضل، أو أنقص من غيره في الفضل، بل يعتقدون ويقررون ذلك في كتبهم، ويُصرحون به بمنطوق قولهم أنه مكانته -والعياذ بالله- في النار أنزل من منزلة إبليس! نعم يقولون ذلك في كتبهم، ويثبتونه في كتبهم، ويروون في ذلك خرافات وكلامًا سقيمًا من أبطل الباطل.

حتى في عدد من كتبهم المشهورة ينقلون رواية يسوقونها بالأسانيد إلى علي بن أبي طالب أنه قال.. انظر أرادوا أن يمدحوا عليً؛ فأساءوا إليه أعظم

إساءه، يرون عن علي بن أبي طالب أنه قال: "حدثني إبليس.. أنه قال: قلت لله: هل هناك أحدٌ أسوأ مني، أو أشد مني عذابًا في النار يوم القيامة؟ فقال: أذهب إلى مالك خازن النار ويخبرك -رواية طويلة في ثلاث صفحات موجودة في كتبهم-، فذهب إليه وقال له: إن الله أرسلني إليك تخبرني هل هناك أحد أشد مني عذابًا؟ قال: انطلق، فانطلق بي داخل النار، قلت: يا مالك تحرقني النار، قال: لن تحرقك حتى يأتي يومك الذي توعد، ودخل به مالك إلى النار، ونزل به الطبقة الأولى، ثم ذكر صفات طويلة لها، فقال: هذه منزلتي؟ قال: لا، نزل به إلى الطبقة التي دونها، ثم ذكر صفتها -حديث طويل جدًا-، وصفتها كذا إلى آخره، ثم الطبقة التي أسفل التي أسفل إلى أن قال: هذه طبقتك، قال: هل في أحد أنزل مني؟ قال: نعم، فنزل فإذا بتابوتين وفيهما كذا، وفيهما كذا، وفيهما كذا من ألوان العذاب تحت منزلة إبليس، قال هذه لمن؟ قال: لأبي بكرٍ وعمر.

هذا مثله كثير في كتبهم حتى إنهم بناءً على عوام هؤلاء وجهالهم ومن يصدقون أئمة الضلال أصبحوا في كل صباح ومساء ينهلون أبي بكر وعمر؛ لأنهم لم يقفوا على شيء من ما يتعلق بأبي بكرٍ وعمر إلا مثل هذه الحكايات والمختلقات والروايات المكذوبات والافتراءات.

ولهذا كانوا بهذه الصفة يبخسون الصدِّيق حقه، على أنه ينبغي أن يُعلم أن بخس هؤلاء المخذولون للصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه حقه، وقولهم فيه الأقوال

الشنيعة من لعن وغير ذلك كل ذلك لا يضر الصدِّيق بشيء، كل ذلك لا يضر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بشيء، بل إنه يزيده فضلًا ودرجاتٍ وعلوًّا، كما يدل ذلك حديث: «**أتدرون من المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، قال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاةٍ وصيامٍ وصدقة، ويأتي وقد ضرب هذا، وسفك دم هذا، وشتم هذا، وقذف هذا، وأخذ مال هذا، فيُعطى من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، وإلا أخذ من سيئاته فطرحت عليه؛ فطرح في النار**»، فهذا كله لا يضر الصديق، بل الأمر كما قالت عائشة لما نُقل لها أن نفرًا يسبون الصحابة، قالت: "إن الله لما قطع عنهم العمل" يعني: بالموت، "ما أحب الله أن يقطع عنهم الأجر"، فهؤلاء يعملون باستمرار في مثلًا سب أبا بكر وعمر وغيرهم من الصحابة، لكن هذا السب كله حسنات لأبي بكر وعمر، ويأتي هؤلاء مفاليس يوم القيامة، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أتدرون من المفلس؟**».

قال: (**الَّذين يبخسون الصِّديق حَقه، وهم أعظم المنتسبين إِلَى الْقبْلَة إشراكًا بالْبشر**)؛ ماذا عندك؟

(إشراكًا بِعبَادة عَليّ وَغَيره من الْبشر).

(**وهم أعظم المنتسبين إِلَى الْقبْلَة إشراكًا بعَليّ وَغَيره من الْبشر**)؛ فإضافةً إلى ما ملئت به قلوبهم من غيظ وحقد وحنق وغل على أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وطعن ووقيعه فيهم، ومن المعلوم والمتقرر أن الطعن في

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الصحابة طعنٌ في الدين نفسه، الطعن في الصحابة طعنٌ في الدين نفسه؛ لأن الطعن في الناقل طعنٌ في المنقول، وأي وثوقٍ بدينٍ مطعونٌ في نقلته، ولهذا الطعن في الصحابة هو في الحقيقة طعنٌ في الدين نفسه، واعتقاد قدر الصحابة ومكانتهم وفضلهم وعدالتهم هذا جزء من الدين، وجزء من العقيدة، ولهذا لا ترى كتابًا لإمامٍ من أئمة السلف صغيرٍ أو كبير إلا وترى فيه -كتابًا في العقيدة- إلا وترى فيه ما يتعلق بالصحابة ومكانة الصحابة؛ لأن هذا جزء من الدين.

فالطعن فيهم طعنٌ في الدين؛ لأن الطعن في الناقل طعنٌ في المنقول، فإضافةً إلى ما قام في قلوبهم من غل وحقد وغيظ على أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (**هم أعظم المنتسبين إِلَى الْقبْلَة إشراكًا بعَليّ وَغَيره من الْبشر**)؛ وهذا أيضًا مليء بكتبهم وأحوالهم من التعلق بالقبور، ودعاء المقبورين، والذبح لهم، والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات؛ فيجتمعون عند القبور، ويجمعون بين أمرين:

- استغاثة بالصالحين، أو من يسمونهم الأئمة.
- وطعن في خيار المؤمنين.

قائمة على ذلك، ونياحة وبكاء وغير ذلك، هو قائم على الاستغاثة بغير الله، ودعاء غير الله، والالتجاء إلى غير الله، وفي الوقت نفسه طعنٌ في خيار الأمة

وخيار المؤمنين من أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وحفصة، وعائشة، وغيرهم من أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأزواجه الطاهرات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (والخلة وهِيَ كَمَال الْمحبَّة المستلزمة من العَبْد كَمَال الْعُبُودِيَّة لله، وَمن الرب سُبْحَانَهُ كَمَال الربوبية لِعِبَادِهِ الَّذين يُحبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

وَلَفظ الْعُبُودِيَّة يتَضَمَّن كَمَال الذل وَكَمَال الْحبّ، فَإِنَّهُم يَقُولُونَ قلبٌ متيم إِذا كَانَ متعبدًا للمحبوب، والمتيم المتعبد، وتيم الله عبد الله، وَهَذَا على الْكَمَال حصل لإِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُحَمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِهَذَا لم يكن لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الأَرْض خَلِيل؛ إِذْ الْخلَّة لَا تحْتَمل الشّركَة، فَإِنَّهُ كَمَا قيل فِي الْمَعْنى:

قد تخللت مَسْلَك الرّوح مني ** وبذا سُمي الْخَلِيل خَلِيلًا

ممكن يقال أيضًا يقال: (**الشركة، ما لم فيها من شرك**)؛ تحتمل الشرك، أو الشركة.

(فَإِنَّهُ كَمَا قيل فِي الْمَعْنى:

قد تخللت مَسْلَك الرّوح مني ** وبذا سُمي الْخَلِيل خَلِيلًا

بِخِلَاف أصل الْحبّ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قَالَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح فِي الْحسن وَأُسَامَة: «**اللَّهُمَّ إِنِي أحبهما فأحبهما وَأحب من يحبهما**»، وَسَأَلَهُ

عَمْرو بن الْعَاصِ: أَي النَّاس أحب إِلَيْك؟ قَالَ: «**عَائِشَة**»، قَالَ: فَمن الرِّجَال؟ قَالَ: «**أَبوهَا**»، وَقَالَ لعَلي رَضِي الله تعالى عَنهُ: «**لَأُعْطين الرَّايَة غَدًا رجلًا يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ الله وَرَسُوله**»، وأمثال ذَلِك كثير.

وَقد أخبر تَعَالَى أَنه يحب الْمُتَّقِينَ، وَيُحب الْمُحْسِنِينَ، وَيُحب المقسطين، وَيُحب التوابين، وَيُحب المتطهرين، وَيُحب الَّذين يُقَاتلُون فِي سَبيله صفًا كَأَنَّهُمْ بُنيان مرصوص وَقَالَ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:54]، فقد أخبر بمحبته لِعِبَادِهِ الْمُؤمنِينَ ومحبة الْمُؤمنِينَ لَهُ حَتَّى قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165].

أما الْخلَّة فخاصة، وَقَول بعض النَّاس: إِن مُحَمَّدًا حبيب الله وَإِبْرَاهِيم خَلِيل الله، وظنه أَن الْمحبَّة فَوق الْخلَّة قَولٌ ضَعِيف، فَإِن مُحَمَّدًا أَيْضًا خَلِيل الله كَمَا ثَبت ذَلِك فِي الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة المستفيضة، وَمَا يرْوى أَن الْعَبَّاس يحْشر بَين حبيب وخليل، وأمثال ذَلِك فأحاديث مَوْضُوعَة لَا تصلح أَن يعْتَمد عَلَيْهَا).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والخلة هِيَ كَمَال الْمحبَّة**)؛ الخلة التي هي صفة العبد. (**هِيَ كَمَال الْمحبَّة المستلزمة من العَبْد كَمَال الْعُبُودِيَّة لله**)؛ هي كمال المحبة، أي: أعلى درجات المحبة وأرفعها؛ بحيث يمتلأ القلب بها فلا يبقى بها مجال.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ولهذا قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما تقدم: «**لَو كنت متخذًا من أهل الأَرْض خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكرٍ**»، لكن ليس هناك مجال لهذا الذي هو الخلة الذي هو أعلى درجات المحبة، هذا كله لله عَزَّوَجَلَّ لا مجال فيه لغيره، لكن في الوقت نفسه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب أصحابه، يحب الصالحين مثل ما سيأتي معنا في الحديث، يحب الحسن، يحب أسامة إلى غير ذلك؛ فيحب، لكن الخلة التي أعلى درجات المحبة لا مجال فيها، ولهذا قال: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكرٍ خَلِيلًا، وَلَكِن صَاحبكُم خَلِيل الله**».

قال: (**والخلة هِيَ كَمَال الْمحبَّة المستلزمة من العَبْد كَمَال الْعُبُودِيَّة لله، وَمن الرب سُبْحَانَهُ كَمَال الربوبية لِعِبَدِهِ**)؛ الله عَزَّوَجَلَّ إذا اتخذ من عباده خليلًا، والله عَزَّوَجَلَّ وصف نفسه في القرآن في مواضع بالمحبة، والخُلة أعلى درجات المحبة، والله اتخذ من عباده إبراهيم ومحمد -عليهما السلام-، اتخذ إبراهيم خليلًا واتخذ محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خليلًا.

فهي من (**الرب كَمَال الربوبية لِعِبَادِهِ الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**)؛ كمال الربوبية، المراد بالربوبية هنا ليست العامة، وإنما الربوبية الخاصة التي تقتضي كمال تربيتهم على الإيمان، والعبودية لله، وبلوغ الدرجات العالية الرفيعة.

قال: (**وَلَفظ الْعُبُودِيَّة يتَضَمَّن كَمَال الذل وَكَمَال الْحبّ**)؛ وهذا مر بيانه عند الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**فَإِنَّهُم يَقُولُونَ: قلبٌ متيم إِذا كَانَ متعبدًا للمحبوب**)؛ ومر أيضًا ذكر شيخ الإسلام أن التتيم آخر مراتب الحب.

(**إِذا كَانَ متعبدًا للمحبوب والمتيم المتعبد، وتيم الله عبد الله، وَهَذَا على الْكَمَال حصل لإِبْرَاهِيم وَمُحَمّدٍ -صلى الله عَلَيْهِمَا وَسلم-، وَلِهَذَا لم يكن لَهُ من أهل الأَرْض خَلِيل إِذْ الْخلَّة لَا تحْتَمل الشّركَة**). (**لم يكن لَهُ**)؛ أي: لمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، (**من أهل الأَرْض خَلِيل إِذْ الْخلَّة لَا تحْتَمل الشّركَة**)؛ يعني: المشاركة.

(**فَإِنَّهُ كَمَا قيل فِي الْمَعْنى:**

قد تخللت مَسْلَك الرّوح مني ** وبذا سُمي الْخَلِيل خَلِيلًا

(**تخللت مَسْلَك الرّوح**)؛ أي: لم يبقى مكان في الروح ملأتها حبًّا فلم يبقى في ذلك أي مسلك لشيءٍ آخر، (**وبذا سُمي الْخَلِيل خَلِيلًا**)؛ يعني: كون المحبة تخللت الفؤاد وملأت القلب فلم يبقى لذلك لأحدٍ في ذلك نصيب، أو مشاركة.

(**بِخِلَاف أصل الْحبّ**)؛ هناك فرق بين الخُلة والمحبة، أصل الحب قال: (**بِخِلَاف أصل الْحبّ فَإِنَّهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **قد قَالَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح فِي الْحسن وَأُسَامَة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «**اللَّهُمَّ إِنِي أحبهما فأحبهما وَأحب من يحبهما**»)؛ فهذا فيه محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للحسن وأسامة، وأيضًا حبه لعائشة، حبه

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لأبي بكر، حبه لعلي، حبه لغيره جاءت فيه أحاديث كثيرة، مثل قوله لمعاذ: «**يا معاذ إني أحبك**»، جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا في هذا دعوة دعا بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ إني أحبهما** -يعني أسامة والحسن- **فأحبهما وَأحب من يحبهما**»، هنا دعوة من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لكل من يحب الحسن وأسامة أن يحبهما الله، دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يحبه الله؛ فالفوز بهذا الأمر يكون بحب هؤلاء، وحب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أحبهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأحبوه وناصروه، فهذا يستفاد منه أن حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم تُنال به محبة الله، أن حب الصحابة تُنال به محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونقيض ذلك بنقيضه، بغض الصحابة ينال به بغض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن يبغض الصحابة حريٌ بأن يصيبه بغض الله له، وأن يبوء ببغض الله له.

ومن يحب الصحابة ويكون في قلبه حب للصحابة حري بأن يفوز بحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له، قال: «**فأحبهما وَأحب من يحبهما**»، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أصحابه، يحب أبي بكر، ويحب عمر، يحب علي، يحب عثمان، يحب جميع أصحابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ودعا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الدعوة: «**أحبهما وَأحب من يحبهما**».

قال: (**وَسَأَلَهُ عَمْرو بن الْعَاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَي النَّاس أحب إِلَيْك؟ قَالَ:** «**عَائِشَة**»، **قَالَ: فَمن الرِّجَال؟ قَالَ:** «**أَبوهَا**»)؛ فهذا فيه حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحبه لأبيها أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(**وَقَالَ لعَلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَأُعْطيَن الرَّايَة غَدًا رجلًا يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ الله وَرَسُوله**»)؛ وأعطاها لعلي يوم خيبر، قال ذلك يوم خيبر، لما قال هذه الكلمة لما قال: «**لَأُعْطيَن الرَّايَة غَدًا رجلًا يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ الله وَرَسُوله**»، الصحابة باتوا يذوقون ليلتهم أيهم يعطاها؟ ثم ابتدروا مجلسًا من أول الصباح كلهم يريد أن يعطاها، كلهم يريد أن يعطى الراية، حرصًا على ماذا؟ الفوز بهذا الوصف: «**يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ الله وَرَسُوله**» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما اجتمعوا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أين علي؟**»، قالوا: به رمد، والأمر فيه راية، راية جهاد، يحتاج إلى من يحمل راية أن يكون يبصر الطريق ويرى الطريق، قالوا: به رمد، فقال: «**أأتوا به**»، فجئ به، وكان يقوده من جاء به لا يرى الطريق من شدة الرمد الذي أصاب عينيه، فجيء به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبصق بعينيه؛ فبرئت، فلم يجد بعد ذلك رمدًا، وأعطاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراية.

الشاهد من ذلك: وصف علي بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب علي، ويحب أبا بكر، ويحب عثمان،

ويحب الحسن، ويحب أسامة، يحب جميع الصحابة، والصحابة أيضًا كان بينهم حب متبادل، وما جاءت هذه التفرقة إلا لما وجد رؤوس الضلال وأئمة الباطل أخذوا يحبون بعض الصحابة ويطعنون في بعض، وإلا الصحابة كانوا كلهم قلوب متراحمة ومتحابة متآلفة، ألَّف بينهم الإسلام، وجمع بينهم أعظم جمع وأوثق رابطة، ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:63]، الله عَزَّوَجَلَّ ألف بينهم بالإسلام وجمع بينهم.

قال: (**وَقد أخبر تَعَالَى أَنه يحب الْمُتَّقِينَ، وَيُحب الْمُحْسِنِينَ، وَيُحب المقسطين، وَيُحب التوابين، وَيُحب المتطهرين، وَيُحب الَّذين يُقَاتلُون فِي سَبيله صفًا كَأَنَّهُمْ بُنيان مرصوص، وَقَالَ:** ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة، من الآية:54]، **فقد أخبر بمحبته لِعِبَادِهِ الْمُؤمنِينَ ومحبة الْمُؤمنِينَ لَهُ حَتَّى قَالَ:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165])؛ إذًا حب الله للمتقين للمحسنين للمقسطين إلى آخره، هل يتعارض مع ما تقدم من أنه إنما اتخذ إبراهيم ومحمد عَلَيۡهِمَاٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ اتخذ إبراهيم خليلًا واتخذ محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خليلًا؟ هل يتعارض؟ لا يتعارض، لماذا؟ لأن في فرق بين الخلة وبين المحبة، والخلة أعلى درجات المحبة.

ولهذا قال: (**وأما الْخلَّة فخاصة**)؛ المحبة عامة للمؤمنين، أما الخلة ليست لكل المؤمنين وإنما هي خاصة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَقَول بعض النَّاس: إِن مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حبيب الله، وَإِبْرَاهِيم خَلِيل الله، وظنه أَن الْمحبَّة فَوق الْخلَّة قَولٌ ضَعِيف**)؛ هذا دليل على خطأ قائل هذه المقالة، وأيضًا جهله بدلالة اللغة، وجهله بدلالة أيضًا النصوص، فالخلة هي أعلى الدرجات، فمن قال: إن إبراهيم خليل الله، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبيب الله، ومراده بذلك أن المحبة أعلى، ماذا يقول في الآيات الكثيرة التي أُثبت فيها حب الله للمتقين، للمقسطين، للتوابين، للمتطهرين إلى آخر ذلك؟ هذه للجميع، أما الخلة خاصة، ولم تكن إلا لإبراهيم ولمحمد -عليهما صلوات الله وسلامه-.

قال: (**فَإِن مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَيْضًا خَلِيل الله كَمَا ثَبت ذَلِك فِي الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة المستفيضة**)؛ وسبق أن أشار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى إلى شيءٍ منها.

قال: (**وَمَا يرْوى أَن الْعَبَّاس يُحْشر بَين حبيبٍ وخليل**)؛ أي: على المعنى السابق المحبة لمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والخلة لإبراهيم. (**وأمثال ذَلِك أحاديث مَوْضُوعَة لَا تصلح أَن يُعْتَمد عَلَيْهَا**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقد قدمنَا أَن محبَّة الله تَعَالَى هِيَ محبته ومحبة مَا أحب كَمَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ"، عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذْ أخرجه الله مِنْهُ كَمَا يكره**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أَن يلقى فِي النَّار»، أخبر النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن من كَانَ فِيهِ هَذِه الثَّلَاث وجد حلاوة الْإِيمَان؛ لِأَن وجود الْحَلَاوَة بالشَّيْء يتبع الْمحبَّة لَهُ، فَمن أحب شَيْئًا أَو اشتهاه إِذا حصل لَهُ مُرَاده؛ فَإِنَّهُ يجد الْحَلَاوَة واللذة وَالسُّرُور بذلك.

واللذة أَمرٌ يحصل عقيب إِدْرَاك الملائم الَّذِي هُوَ المحبوب أَو المشتهى، وَمن قَالَ: إِن اللَّذَّة إِدْرَاك الملائم -كَمَا يَقُوله من يَقُوله من المتفلسفة والأطباء- فقد غلط فِي ذَلِك غلطًا بَينًا، فَإِن الْإِدْرَاك يتوسط بَين الْمحبَّة واللذة، فَإِن الْإِنْسَان مثلًا يَشْتَهِي الطَّعَام فَإِذا أكله حصل لَهُ عقيب ذَلِك اللَّذَّة، فاللذة تتبع النّظر إِلَى الشَّيْء فَإِذا نظر إِلَيْهِ التذ بِهِ فاللذة تتبع النّظر لَيست نفس النّظر وَلَيْسَت هِيَ رُؤْيَة الشَّيْء، بل تحصل عقيب رُؤْيَته، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:71]، وَهَكَذَا جَمِيع مَا يحصل للنَّفس من اللَّذَّات والآلام من فَرح وحزنٍ وَنَحْو ذَلِك يحصل بالشعور بالمحبوب، أَو الشُّعُور بالمكروه وَلَيْسَ نفس الشُّعُور هُوَ الْفَرح والْحزن.

فحلاوة الْإِيمَان المتضمنة من اللَّذَّة بِهِ والفرح مَا يجده الْمُؤمن الْوَاجِد حلاوة الْإِيمَان تتبع كَمَال محبَّة العَبْد لله وَذَلِك بِثَلَاثَة أُمُور: تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة، وتفريعها، وَدفع ضدها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

- فتكميلها أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، فَإِن محبَّة الله وَرَسُوله لَا يكْتَفى فِيهَا بِأَصْل الْحبّ بل لا بد أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا كَمَا تقدم.
- وتفريعها أَن يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله.
- وَدفع ضدها أَن يكره ضد الْإِيمَان أعظم من كَرَاهَته الْإِلْقَاء فِي النَّار).

هذا كله مزيد بيان وإيضاح لما سبق، والحديث عنه قد يطول؛ فيؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يغفر لنا ولوالدينا، ولمشايخنا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم اغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلنه، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يقربنا إلى حبك، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا،

ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم يسر لنا أمرنا ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وأنصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الرابع عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَقد قدمنَا أَن محبَّة الله تَعَالَى هِيَ محبته ومحبة مَا أحب كَمَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ"، عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا، وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذْ أخرجه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار**»، أخبر النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن من كَانَ فِيهِ هَذِه الثَّلَاث وجد حلاوة الْإِيمَان؛ لِأَن وجد الْحَلَاوَة بالشَّيْء يتبع الْمحبَّة لَهُ؛ فَمن أحب شَيْئًا أَو اشتهاه إِذا حصل لَهُ مُرَاده؛ فَإِنَّهُ يجد الْحَلَاوَة واللذة وَالسُّرُور بذلك، واللَّذة أَمر يحصل عقيب إِدْرَاك الملائم الَّذِي هُوَ المحبوب أَو المشتهى.

وَمن قَالَ: إِن اللَّذَّة إِدْرَاك الملائم -كَمَا يَقُوله من يَقُوله من المتفلسفة والأطباء- فقد غلط فِي ذَلِك غَلطًا بَينًا؛ فَإِن الْإِدْرَاك يتوسط بَين الْمحبَّة واللذة؛ فَإِن الْإِنْسَان مثلًا يَشْتَهِي الطَّعَام فَإِذا أكله حصل لَهُ عقيب ذَلِك اللَّذَّة، فاللذة تتبع النّظر إِلَى الشَّيْء، فَإِذا نظر إِلَيْهِ التذ بِهِ، واللذة الَّتِي تتبع النّظر

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لَيست نفس النّظر وَلَيْسَت هِيَ رُؤْيَة الشَّيْء بل تحصل عقيب رُؤْيَته. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:71]، وَهَكَذَا جَمِيع مَا يحصل للنَّفس من اللَّذَّات والآلام من فَرح وحزن وَنَحْو ذَلِك يحصل بالشعور بالمحبوب، أَو الشُّعُور بالمكروه، وَلَيْسَ نفس الشُّعُور هُوَ الْفَرح وَلَا الْحزن.

فحلاوة الْإِيمَان المتضمنة من اللَّذَّة بِهِ والفرح مَا يجده الْمُؤمن الْوَاجِد حلاوة الْإِيمَان تتبع كَمَال محبَّة العَبْد لله، وَذَلِكَ بِثَلَاثَة أُمُور: تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة، وتفريعها، وَدفع ضدها.

- فتكميلها أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا؛ فَإِن محبَّة الله وَرَسُوله لَا يكْتَفى فِيهَا بِأَصْل الْحبّ، بل لا بد أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا كَمَا تقدم.
- وتفريعها أَن يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله.
- وَدفع ضدها أَن يكره ضد الْإِيمَان أعظم من كَرَاهَته الْإِلْقَاء فِي النَّار).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا الحديث المخرَّج في "الصحيحين" حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والذي فيه بيان كمال محبة العبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما تكون، وهو حديث عظيم للغاية في بابه؛ لأنه جمع ما يكون به كمال محبة العبد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن كمال المحبة يكون بأمورٍ ثلاثة يأتي شرحها وبيانها عند شيخ الإسلام ألا وهي: (**تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة، وتفريعها، وَدفع ضدها**)؛ فبهذه الأمور الثلاثة تكمل المحبة، وقد جُمعت في هذا الحديث العظيم؛ حيث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد بهن حلاوة الْإِيمَان**»)؛ كُن فيه أي: اجتمعن فيه، («**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد بهن حلاوة الْإِيمَان**»)؛ قوله: بهن أي: أن حلاوة الإيمان التي هي أثرٌ من آثاره، وشيءٌ يأتي عقيبة، ونتيجة من نتائجه إنما يكون بوجود هذه الثلاث مكتملات، ولهذا قال: «**ثَلَاث من كن فِيهِ وجد بهن حلاوة الْإِيمَان**»؛ وفي الحديث أن الإيمان له حلاوة له طعم له لذة؛ لكن هذه الحلاوة واللذة لا يجدها إلا من اجتمعت فيه هذه الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث:

الأول: (**أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا**)؛ وهذا كما عرفه وبينه شيخ الإسلام تكميل المحبة التي هي الأصل والأساس الذي يُبنى عليه ما بعده، بأن يحب الله عَزَّوَجَلَّ محبةً مقدمة على كل المحاب، أن يحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن يحب رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومحبة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبعٌ لمحبة الله، بحيث تكون هذه المحبة مقدمةً على جميع المحاب، لا يقدم

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

عليها محبة أي شيء آخر، وقد سبق أن مر معنا قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [سورة التوبة، من الآية:24]؛ أي انتظروا عقوبة الله، فإذًا الأصل الذي هو تكميل هذه المحبة بأن يكون الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه مما سواهما، يقوم في قلبه حبٌّ لله، وحبٌّ لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مقدَّم على جميع المحاب، وعلى كل ما يُحب، **(أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا)**.

ثم الأمر الثاني: تفريع هذه المحبة أي ما يتفرع عن هذه المحبة ألا وهو أن **(يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله)**؛ إذا أحب الله وهذا هو الأصل والأساس محبةً مقدمةً على جميع المحاب. الأمر الثاني وهو تابع للأول: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فتكون محبته للأشياء أو الأشخاص أو الأعمال تابعة لما قام في قلبه من محبة لله، فهو يحب الله حبًا ملأ قلبه، فحبه للأشياء منبثق وناتج عن هذه المحبة، فهو يحب الشخص لا يحبه إلا لله، وهذا وصفه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر: بأنه أوثق عرى الإيمان، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله**»؛ الحب في الله والبغض في الله هذا فرع عن أصل، الأصل هو حب الله، والفرع أن تحب المرء لا تحبه إلا

لله، وهذا أوثق عرى الإيمان، تحب المرء لا تحبه إلا لله وهذا أوثق عرى الإيمان.

وهو ناتج عن الأمر المتقدم الذي هو الأصل بأن يملأ قلبه حبًا لله، ويميل بكلية قلبه إلى الله حبًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محبًا مقدمة على جميع المحاب. ثم فرع ذلك أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ثم الأمر الثالث: (**وَدفع ضدها**)؛ بعد أن وُجد الأصل ووجد الفرع دفع الضد، دفع ما يضاد ذلك وما ينافيه عن القلب وإبعاده عن القلب، وهو ما ذكره بقوله: (**أَن يكره أَن يعود فِي الْكفْر بعد إِذْ أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يقذف فِي النَّار**)؛ أحب الله وأحب ما يحبه الله، أحب الله وهو الأصل، وأحب ما يحبه الله وهو فرعه، يُبعد عن قلبه -وهذا الأمر الثالث- يبعد عن قلبه ما يضاد ذلك، فيقوم في قلبه كراهية للكفر أشد من كراهية أن يقذف في النار، بمعنى: أن يقوم في قلبه كراهية للكفر شديدة جدًا أشد من كراهية أن يقذف في النار، ومعلوم أنه قام في قلب كل إنسان كراهية شديدة أن يقذف في النار، وشيءٌ لا تطيقه النفس ولا تقبله ولا ترضاه، فإذًا هذا دفع ما يضاد بعد أن قام فيه الأصل ووجد الفرع، يدفع ما يضاد ذلك بأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار.

هذه الثلاث إذا اجتمعت في العبد وجد بهن حلاوة الإيمان، وجميع هذه الثلاث مكانها القلب؛ حب الله، وحب ما يحبه الله، وكراهية الكفر، هذا كله مكانه القلب.

وهذا فيه أن القلب هو الأساس، أساس زكاء العبد، وفلاحه، وفعلًا هذه الأمور إذا قامت في القلب يكون قد تحقق في القلب الإيمان، وتمكن من الإيمان، وأصبح في رتبة الإيمان التي هي الرتبة العالية من رتب الدين، ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:14]؛ هذه الرتبة هي رتبة دخول الإيمان فعلًا في القلب وتمكنه من القلب، بأن تجتمع هذه الثلاثة.

فإذا اجتمعت الثلاث في قلب العبد: الأصل، والفرع، ودفع المضاد، إذا اجتمعت هذه الثلاث وجد حلاوة الإيمان، حلاوته أي طعمه ولذته، والحلاوة -الحلاوة كما بين شيخ الإسلام- الحلاوة تعقب وجود المحبوب الملائم للنفس، ليست الحلاوة هي الأمر المحبوب وإنما هي تعقبه، فإذا وجد المحبوب الملائم للنفس وجدت الحلاوة، مثَّل لذلك بمثال: مثلًا شخص يحب طعامًا معينًا، ونفسه تشتهيه يحبه ونفسه تشتهيه فوجد الطعام، حصل على الطعام وأكله، يعقب أكله له وتحصيله له وأكله له يعقب ذلك حلاوته، وأن يجد حلاوته، فإذًا هذه الأمور العظيمة الثلاثة التي جُمعت في

هذا الحديث المبارك إذا وُجدت في قلب العبد؛ وجد حلاوة الإيمان أي: وجد طعمه ولذاته.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الحديث: (**أخبر النَّبِي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أَن من كَانَ فِيهِ هَذِه الثَّلَاث وجد حلاوة الْإِيمَان؛ لِأَن وجود الْحَلَاوَة بالشَّيْء يتبع الْمحبَّة لَهُ؛ فَمن أحب شَيْئًا واشتهاه إِذا حصل لَهُ مُرَاده؛ فَإِنَّهُ يجد الْحَلَاوَة واللذة وَالسُّرُور بذلك، واللذة أَمرٌ يحصل عقيب إِدْرَاك الملائم الَّذِي هُوَ المحبوب أَو المشتهى**)؛ فإذا حصل وجدت اللذة، إذًا هذه الثلاث إذا وجدت في القلب وتمكنت من القلب واستقرت في القلب يجد الحلاوة، ويذوق الحلاوة.

ثم ينبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على خطأ في فهم هذا الأمر الارتباط بين وجود الملائم والحلاوة يقول: (**وَمن قَالَ: إِن اللَّذَّة إِدْرَاك الملائم -كَمَا يَقُوله من يَقُوله من المتفلسفة والأطباء- فقد غلط فِي ذَلِك غَلطًا بَينًا**)؛ يقول: ليست الحلاوة هي إدراك الملائم، الحلاوة أمرٌ يعقب إدراك الملائم، إذًا عندنا ثلاث أشياء: محبة، وإدراكٍ الملائم المحبوب، والحلاوة.

الإدراك: أمر يقع بين المحبة والحلاوة يحب الشيء ثم يدركه ثم يجد حلاوته، قال: (**فَإِن الْإِدْرَاك يتوسط بَين الْمحبَّة واللذة**)؛ الإدراك أمر يتوسط بين اللذة والمحبة، ما معنى يتوسط بين اللذة والمحبة؟ المحبة أولًا، ثانيًا: إدراك الملائم، ثالثًا: وجود الحلاوة.

(**فَإِن الْإِنْسَان مثلًا يَشْتَهِي الطَّعَام فَإِذا أكله حصل لَهُ عقيب ذَلِك اللَّذَّة، فاللذة تتبع النّظر إِلَى الشَّيْء، فَإِذا نظر إِلَيْهِ التذ بِهِ، واللذة الَّتِي تتبع النَّظر لَيست نفس النّظر**)؛ هذا مثال آخر، يعني مثَّل بالطعام ومثَّل بالنظر، مثلًا: أحب شخصًا النظر إلى شيء، مثلًا: أحب النظر إلى نهر، أو بستان جميل، نفسه أحبت ذلك وتشتهيه، إذًا الأمر الأول: المحبة، ثم وجد هذا الذي تشتهي نفسه أن تنظر إليه وجد النهر أو وجد البستان فنظر إليه، هذا إدراك الملائم المحبوب للنفس، يعقب ذلك الأمر الثالث الذي هو الحلاوة، يعقب ذلك الأمر الثالث الذي هو الحلاوة واللذة.

قال: (**فاللذة تتبع النّظر إِلَى الشَّيْء، فَإِذا نظر إِلَيْهِ التذ بِهِ، واللذة الَّتِي تتبع النّظر لَيست نفس النّظر، وَلَيْسَت هِيَ رُؤْيَة الشَّيْء بل تحصل عقيب رُؤْيَته. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾** [سورة الزخرف، من الآية:71]، **وَهَكَذَا جَمِيع مَا يحصل للنَّفس من اللَّذَّات والآلام من فَرح وحزن أمثال ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب، أَو الشُّعُور بالمكروه، وَلَيْسَ نفس الشُّعُور هُوَ الْفَرح وَلَا الْحزن**)؛ بعد هذا التوضيح لهذه الأمور الثلاثة: المحبة، وإدراك الملائم، وحصول الحلاوة، رجع لبيان الحديث المتقدم الذي فيه: بِمَ تنال كمال الإيمان، وبما يتحقق الإيمان في القلب ويتمكن، قال: (**فحلاوة الْإِيمَان المتضمنة من اللَّذَّة بِهِ، والفرح مَا يجده الْمُؤمن الْوَاجِد حلاوة الْإِيمَان تتبع كَمَال محبَّة العَبْد لله**)؛ حلاوة الإيمان ثمرة عظيمة وهناءة جليلة يجدها العبد

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

إذا قامت فيه هذه الأمور الثلاثة، إذا كن فيه هذه الأمور الثلاثة التي ذكرت في الحديث، قال: (**تتبع كَمَال محبَّة العَبْد لله**).

توضيح ذلك بعبارة أخرى: كمال محبة العبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ التي يجد بها حلاوة الإيمان تقوم على أمورٍ ثلاثة لا بد منها، كمال محبة العبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ التي يجد بها العبد حلاوة الإيمان وطعمه تقوم على ثلاثة مكانها القلب لا بد منها؛ فإذا وجدت وُجدت الحلاوة، الحلاوة أثر من آثار ذلك، ونتيجة من نتائجه، فإذا وُجدت هذه الأمور الثلاثة التي مكانها القلب تُوجد على إثرها وعقيبها حلاوة الإيمان.

إذًا لو قيل في سؤالٍ: بِمَ يكون كمال محبة العبد لله؟ جواب ذلك الحديث، جواب ذلك في حديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: كمال وجوب محبة العبد لله تكون بأمورٍ ثلاثة ذكرت في هذا الحديث العظيم الذي هو من جوامع كلم نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الأمر الأول: أولًا ذكرها مجملة (**تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة، وتفريعها، وَدفع ضدها**)؛ هذه أمور ثلاثة ذكرها مجملة، ثم فصلها، (**تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة**)؛ هذا الأمر الأول.

الثاني: (**تفريعها**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الثالث: (**دفع ضدها**). فإذا وجدت هذه الثلاث -وهي كلها في القلب- وجدت على إثر ذلك وعقيبه حلاوة الإيمان.

الأول: (**تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة**)؛ في قوله في الحديث: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»؛ أي أن يقوم في قلب العبد حبًّا لله جَلَّ وَعَلَا وحبًّا لرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مقدمًا على جميع المحاب، بحيث يكون حب الله ورسوله في القلب أحب إلى القلب مما سواهما. (**فَإِن محبَّة الله وَرَسُوله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَا يكْتَفى فِيهَا بِأَصْل الْحبّ**)؛ يعني أن يكون أصل الحب لله موجود في القلب، أو أصل الحب للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجود في القلب. (**لَا يكْتَفى فِيهَا بِأَصْل الْحبّ، بل لَا بُد أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا**)؛ لا يكفي في ذلك أن يُوجد حب في القلب لله، ويوجد في القلب حب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يكفي، بل لا بد أن يبلغ هذا الحب في قلب العبد مبلغًا يُصبح حب الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه مما سواهما، هذا الأمر الأول الذي هو الأصل: تكميل المحبة؛ محبة الله ومحبة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والأمر الثاني: تفريعها؛ يعني ما يتفرع عنها، في بعض النسخ مكتوب: (تفريغها) خطأ، تفريعها؛ أي: ما يتفرع عنها، ما يتفرع عن محبة الله ومحبة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو ما ذُكر في الجملة الثانية من الحديث: (**أَن يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله**)؛ وهذا الثاني هو فرع عن الأول؛ لأنه فعلًا إذا كان القلب أحب الله وأحب رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ محبةً مقدمة على جميع المحاب

سيتفرع عن ذلك وسينشأ عنه: (**أَن يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله**)؛ لأن حب الله وحب رسوله عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ في قلبه مُقدم على كل المحاب، فسيتفرع عن ذلك أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

الأمر الثالث: دفع المضاد: دفع ما يضاد ذلك، يضاده أي ينافيه ويناقضه، دفعه أي إبعاده وطرده عن القلب، وهو: (**أَن يكره ضد الْإِيمَان أعظم من كَرَاهَته الْإِلْقَاء فِي النَّار**)؛ وانظر هذا النصح العظيم من نبينا عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ حيث ذكر هذا المثال الواضح، والنبي عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ يعتني -وهذا من كمال نصحه بضرب الأمثال-، فهنا قال: (**وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذْ أنقذه الله مِنْهُ**)؛ فذكر مثالًا لذلك في أمرٍ استقر في القلوب شدة الكراهية له، وشدة البغض له، والقلب لا يطيق ذلك ولا يرضى ذلك، فقال: (**أَن يكره أَن يعود فِي الْكفْر بعد إِذْ أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يقذف فِي النَّار**)؛ وسبحان الله! المثال الذي اختاره نبينا عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ له ارتباط بحقيقة الأمر؛ لأن فعلًا من يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه هو في الحقيقة ألقى نفسه في النار.

فهذا هو الأمر الثالث: أن يقوم في قلبه كراهية للكفر وبُغض للكفر بغضًا شديدًا كما يكره أن يُقذف في النار، قال شيخ الإسلام: (**أَن يكره ضد الْإِيمَان أعظم من كَرَاهَته الْإِلْقَاء فِي النَّار**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِذا كَانَت محبَّة الرَّسُول وَالْمُؤمنِينَ من محبَّة الله، وَكَانَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الْمُؤمنِينَ الَّذين يُحِبهُمْ الله).

قوله في: (**أعظم من كَرَاهَته الْإِلْقَاء فِي النَّار**)؛ لأن نار الدنيا ليست بشيء من نار الآخرة، فردة الإنسان وانتقاله إلى الكفر هو إلقاء بالنفس في النار، وهي نار لا تُقارن بهذه النار التي في هذه الحياة الدنيا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِذا كَانَت محبَّة الرَّسُول وَالْمُؤمنِينَ من محبَّة الله، وَكَانَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الْمُؤمنِينَ الَّذين يُحِبهُمْ الله؛ لِأَنَّهُ أكمل النَّاس محبَّة لله وأحقهم بِأَن يحب مَا يُحِبهُ الله، وَيُبغض مَا يبغضه الله، والخُلة لَيْسَ فِيهَا لغير الله نصيب، بل قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَو كنت متخذًا من أهل الأَرْض خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا**»، عُلم مزِيد مرتبَة الْخُلَّة على مُطلق الْمحبَّة).

لما ذكر ما سبق.. عاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان مرتبة الخلة وهي أعلى المحبة، فنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب المؤمنين الذين يحبهم الله، وهذا في الحديث المتقدم في الجملة الثانية، قال: «**أن يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله**»؛ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب المؤمنين الذين يحبهم الله؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبته تبعًا لمحبة الله، وهو أكمل خلق الله تحقيقًا لذلك، كما أنه أكمل خلق الله تحقيقًا للعبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(لِأَنَّهُ أكمل النَّاس محبَّة لله، وأحقهم بِأَن يحب مَا يُحِبهُ الله، وَيبغض مَا يبغضه الله)؛ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب المؤمنين، ويحب الصالحين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، مع أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس في قلبه الخُلَّة إلا لمن؟ إلا لله، قال: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا**»؛ فإذًا يُعلم من ذلك أن الخُلة أعلى درجة وأرفع، قال: **(والخُلة لَيْسَ فِيهَا لغير الله نصيب)**؛ لكنه يحب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأدلة كثيرة تدل على ذلك أنه يحب المؤمنين وسبق أن سمى شيخ الإسلام أشخاصًا ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حبه لهم، فإذًا هو يحب، وفي الوقت نفسه قال: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا**»؛ أخبر عن أمر لا يكون أن لو كان كيف يكون، وعرفنا أن في هذا فضيلة عظيمة لصديق الأمة، أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خصَّه بذلك فهذا دليل على أنه أفضل أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأن النبي قال في حقه: «**لَو كنت متخذًا خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا**»؛ أي لا يفعل ذلك لكن لو كان ذلك فهو لأبي بكر.

فهذا فيه دلالة واضحة أن أبا بكر أحب أصحابه إليه، هذا فيه دلالة واضحة أن أبا بكر أحب أصحابه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إليه، وهذا صرح به، لما سُئل من الرجال من أحب؟ قال: «**أبو بكر**»، صرح به، وسبق أن أورد المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى الحديث بذلك.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فإذًا هنا يستفاد من ذلك أن الخُلة أعلى، يقول شيخ الإسلام: (**عُلم مزِيد مرتبَة الْخلَّة على مُطلق الْمحبَّة**)؛ يعني من هذا السياق الذي ذكره أن (**عُلم مزِيد مرتبَة الْخلَّة على مُطلق الْمحبَّة**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْمَقْصُود هُوَ أَن الْخُلَّة والمحبة لله تَحْقِيق عبوديته، وَإِنَّمَا يغلط من يغلط فِي هَذِه من حَيْثُ يتوهمون أَن الْعُبُودِيَّة مُجَرّد ذل وخضوع فَقَط لَا محبَّة مَعَه، أَو أَن الْمحبَّة فِيهَا انبساط فِي الْأَهْوَاء أَو إذلال لَا تحتمله الربوبية، وَلِهَذَا يذكر عَن ذِي النُّون أَنهم تكلمُوا عِنْده فِي مَسْأَلَة الْمحبَّة فَقَالَ: أَمْسكُوا عَن هَذِه الْمَسْأَلَة لَا تسمعها النُّفُوس فتدعيها.

وَكره من كره من أهل الْمعرفَة وَالْعلم مجالسة أَقوام يُكثرون الْكَلَام فِي الْمحبَّة بِلَا خشيَة.

وَقَالَ من قَالَ من السّلف: من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق، وَمن عَبده بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجئ، وَمن عَبده بالخوف وَحده فَهُوَ حروري، وَمن عَبده بالحب وَالْخَوْف والرجاء فَهُوَ مُؤمنٌ موحد.

وَلِهَذَا وُجد فِي الْمُستَأَخّرين من انبسط فِي دَعْوَى الْمحبَّة حَتَّى أخرجه ذَلِك إِلَى نوع من الرعونة وَالدَّعْوَى الَّتِي تنَافِي الْعُبُودِيَّة، وَتُدْخل العَبْد فِي نوع من الربوبية الَّتِي لَا تصلح إِلَّا لله، ويدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حُدُود الْأَنْبِيَاء

وَالْمُرْسلِينَ، أَو يطْلبون من الله مَا لَا يصلح بِكُل وَجهٍ إِلَّا لله، ولَا يصلح للأنبياء وَلَا للمرسلين.

وَهَذَا بَابٌ وَقع فِيهِ كثيرٌ من الشُّيُوخ، وَسَببه ضعف تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة الَّتِي بيّنها الرُّسُل، وحررها الْأَمر وَالنَّهْي الَّذِي جَاءُوا بِهِ، بل ضعف الْعقل الَّذِي بِهِ يعرف العَبْد حَقِيقَته، وَإِذا ضعف الْعقل وقل الْعلم بِالدِّينِ، وَفِي النَّفس محبَّة طائشة جاهلة انبسطت النَّفس بحمقها فِي ذَلِك، كَمَا ينبسط الْإِنْسَان فِي محبَّة الْإِنْسَان مَعَ حمقه وجهله، وَيَقُول: أَنا محب فَلَا أؤاخذ بِمَا أَفعلهُ من أَنْوَاع يكون فِيهَا عدوان وَجَهل؛ فَهَذَا عين الضلال، وَهُوَ شَبيه بقول الْيَهُود وَالنَّصَارَى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]؛ فَإِن تعذيبه لَهُم بِذُنُوبِهِمْ يَقْتَضِي أَنهم غير مجبورين وَلَا منسوبين إِلَيْهِ بِنِسْبَة الْبُنُوَّة، بل يَقْتَضِي أَنهم مربوبون مخلوقون.

فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ محبوبه، لَا يفعل مَا يبغضه الْحق ويسخطه من الْكفْر والفسوق والعصيان، وَمن فعل الْكَبَائِر وأصر عَلَيْهَا وَلم يتب مِنْهَا؛ فَإِن الله يبغض مِنْهُ ذَلِك كَمَا يحب مِنْهُ مَا يَفْعَله من الْخَيْر؛ إِذْ حبه للْعَبد بِحَسب إيمَانه وتقواه.

وَمن ظن أَن الذُّنُوب لَا تضره لكَون الله يُحِبهُ مَعَ إصراره عَلَيْهَا، كَانَ بِمَنْزِلَة من زعم أَن تنَاول السم لَا يضرّهُ مَعَ مداومته عَلَيْهِ، وَعدم تداويه مِنْهُ بِصِحَّة مزاجه، وَلَو تدبر الأحمق مَا قصَّ الله فِي كِتَابه من قصَص أنبيائه، وَمَا جرى لَهُم من التَّوْبَة وَالِاسْتِغْفَار، وَمَا أصيبوا بِهِ من أَنْوَاع الْبلَاء الَّذِي فِيهِ تمحيصٌ لَهُم وتطهير بِحَسب أَحْوَالهم؛ علم بعض ضَرَر الذُّنُوب بأصحابها، وَلَو كَانَ أرفع النَّاس مقَامًا؛ فَإِن الْمُحب للمخلوق إِذا لم يكن عَارِفًا بمصلحته وَلَا مرِيدًا لَهَا بل يعْمل بِمُقْتَضى الْحبّ، وَإِن كَانَ جهلًا وظلمًا كَانَ ذَلِك سَببًا لِبُغْض المحبوب لَهُ، ونفوره عَنهُ بل سَببًا لعقوبته).

هذا الكلام والتقرير -وله تتمة عند شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- كله في بيان انحرافات ودعاوى زائفات في المحبة، وبيان أن المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليست مجرد دعوى تُدَّعى، أو أمنية تُرتجى، بل المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي حقيقةٌ تقوم في قلب المحب تملأ قلبه، يترتب عليها ذل المحب لله، وخضوعه له، وطاعته لأمره، واتباعه لشرعه، وبعده عن ما يُسخطه ويغضبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه حقيقتها، ليست مجرد دعوى.

ولما وُجد أقوام ادعوا ذلك -مجرد ادعاء- وزعموا ذلك لأنفسهم -مجرد زعم- مع سفه في العقول وقلة في الدين أخذوا يُمارسون أمور شنيعة وباطلة يدرجونها بزعمهم تحت المحبة، ويجعلونها جزءً من المحبة، فشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذا الموضع يحذر من مثل هذه الطرائق وهي توجد بكثرة

عند الطرقية، وأرباب السلوك الباطل، فتوجد عندهم مثل هذه الأمور بكثرة يدعون المحبة، وأنهم أهل المحبة؛ لكن أعمالهم في وادٍ بعيدٍ أشد البعد عن حقيقة المحبة لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وقد نقل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: زعم قوم قالوا: إنا نحب ربنا حبًّا شديدًا، فأنزل الله فابتلاهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:31]؛ وهذه الآية فيها التنبيه إلى أن محبة الله ليست مجرد دعوى تدَّعى، فالذي يدعي أنه يحب الله ليمتحن نفسه في ضوء هذه الآية في اتباعه لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ يعني إن كان قام في قلوبكم محبة صادقة لله ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لا أن يكون الأمر مجرد ادعاء، لو كانت المحبة تُنال ثمارها وآثارها بمجرد الدعوى لنالها إخوان القردة والخنازير، فهم يقولون: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]؛ لكن ماذا رد الله عليهم؟ قال: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]؛ فإذًا كون هؤلاء معرضون عن دين الله وعن شرعه واتباع نبيه؛ فهذا دليل على أن هذا الحب الذي يدعونه زائف ليس حقيقي، فإذًا المحبة ليست مجرد دعوى يدعيها المرء.

قال: (**وَالْمَقْصُود هُوَ أَن الْخُلَّة والمحبة لله تَحْقِيق عبوديته**)؛ هذا هو مقصودها وهذه حقيقتها، (**وَإِنَّمَا يغلط من يغلط فِي هَذِه من حَيْثُ يتوهمون أَن الْعُبُودِيَّة مُجَرّد ذلٍّ وخضوع فَقَط لَا محبَّة مَعَه**)؛ الآن انتبه! شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيتحدث بالتفصيل عن أمور يُزعم أنها محبة وهي ليست منها، فينبه على أخطاء وانحرافات في هذا المقام، وتابع ما سينبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أخطاءٍ في هذا المقام، بدأها بـ:

أولًا: (**يغلط من يغلط فِي هَذِه من حَيْثُ يتوهمون أَن الْعُبُودِيَّة مُجَرّد ذل وخضوع فَقَط لَا محبَّة مَعَه**)؛ وسبق أن عرفنا أن عبودية الله هي غاية الذُّل مع غاية الحب، ليست ذلًا بلا حب؛ لأن الذل بلا حب ليس عبودية، والحب بلا ذل ليس عبودية، والعبودية من مجموعهما، فالعبودية هي غاية الذل مع غاية الحب، فإذا وجد حب بلا ذل ليس عبودية، وإذا وجد عكس ذلك حب بلا ذل ليس عبودية، فإذًا من يتوهم أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه؛ هذا خطأ شنيع في فهم العبودية.

الخطأ الثاني في هذا الباب: قال: (**وَأَن الْمحبَّة فِيهَا انبساط فِي الْأَهْوَاء أَو إدلال لَا تحتمله الربوبية**)؛ هكذا عندك؟

القارئ: **نعم**.

(أَو إذلال لَا تحتمله الربوبية)؛ أيضًا هذا من الانحرافات في هذا الباب، باسم المحبة وأنها قام في قلبه حب عظيم لله ينبسط في الأهواء -أي أهواء النفس،- وسيأتي مثال لطيف أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في لاحق كلامه فيمن يمارس أشياء من انبساط النفس مع محبوبه بزعم أنه محب والمحب لا يؤاخذ، فيعمل مع محبوبه أخطاء ويقول له ماذا؟ لا تؤاخذني هذا من حبي لك، ويُخطئ في حقه، فيقول: لا تؤاخذني هذا من حبي لك، فبعضهم يجعل المحبة: **(انبساط فِي الْأَهْوَاء أَو إذلال لَا تحتمله الربوبية)**؛ يعني يعمل أعمالًا ويرتكب أمورًا باسم المحبة انبساطًا في أهواء النفس، مثل ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انبساط فِي الْأَهْوَاء أَو إذلال لَا تحتمله الربوبية)**؛ بمعنى: أن المحب الصادق ينبغي أن يعظم الله جَلَّ وَعَلَا، وأن يقدره جَلَّ وَعَلَا حقَّ قدره، وأن يعظمه، وأن يكون في قلبه خوف من الله، ومراقبة لله، وقيام بما يحبه الله وتجنب لما يسخطه ويغضبه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(وَلِهَذَا يذكر عَن ذِي النُّون أَنهم تكلمُوا عِنْده فِي مَسْأَلَة الْمحبَّة، فَقَالَ: أَمْسكُوا عَن هَذِه الْمَسْأَلَة لَا تسمعها النُّفُوس فتدعيها)**؛ منبهًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك إلى أن المحبة ليست كلامًا نظريًا، أو مجرد حبر على ورق، أو شيء يقوله الإنسان بلسانه؛ لأن الكلام يسير على كل لسان، وسوغ أيضًا العبارة أيضًا سهل على كل لسان، فقال لهم: **(أَمْسكُوا عَن هَذِه الْمَسْأَلَة لَا تسمعها النُّفُوس فتدعيها)**.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَكره من كره من أهل الْمعرفَة وَالْعلم مجالسة أَقوام يكثرون الْكَلَام فِي الْمحبَّة بِلَا خشيَة**)؛ يعني إذًا المراد في هذا الباب يكون توازن في العبد، وتستحضر أيضًا في هذا المقام أن العبودية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ترتكز وتقوم على أركان ثلاثة لا بد من وجودها في القلب، تُستصحب في كل عبودية لله، من صلاة، أو صيام أو غير ذلك من العبادات: وهي الحب والرجاء والخوف، وهذه الثلاث كلها في القلب ويسميها أهل العلم: أركان التعبد القلبية، بمعنى: أن كل عبادة تتقرب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها تكون قائمة على هذه الأركان الثلاثة، تصلي حبًا لله، رجاءً لثوابه، خوفًا من عقابه، تحج حبًا لله، رجاءً لثوابه، خوفًا من عقابه، تصوم حبًا لله، رجاءً لثوابه، خوفًا من عقابه، وهكذا في جميع العبادات، واقرأ هذه الأركان الثلاثة للتعبد في الفاتحة، ففي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:2]؛ الحب؛ لأن الحمد هو الثناء مع الحب، وفي قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:3]؛ إذا قرأت هذين الاسمين ما الذي يقوم في قلبك؟ الرجاء ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:57]، وإذا قرأت: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:4]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [سورة الانفطار، من الآية:18-19]، ما الذي يحصل لقلبك؟ خوف، فإذًا تأمل هذه الأركان في الفاتحة، عندما يقرأها المسلم متدبرًا إذا قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ تحرك الحب، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ تحرك الرجاء. ﴿مَٰلِكِ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ تحرك الخوف، بهذه الثلاث: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:5]؛ فذكرت العبادة التي هي الغاية والمقصد بعد أن أرسيت أركانها فكأنه قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ يا الله بالحب الذي دل عليه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ وبالرجاء الذي دل عليه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ وبالخوف الذي دل عليه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، فاجتمعت أركان التعبد القلبية الثلاثة في فاتحة الكتاب.

كما أنها أيضًا اجتمعت في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:57]. إذًا لو أن شخصًا أخذ يشتغل بالمحبة -حتى نفهم التحذير الذي مر معنا في الباب- أخذ يشتغل بالمحبة، وتحدث عن المحبة، ويبحث في المحبة وهو متجنب باب الخوف، والخشية من الله والمراقبة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ متجنب لذلك، ستكون أعماله نتيجة ذلك نوع من الرعونة والتصرفات التي السيئة، ولا يكون عنده توازن، ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكره من كره من أهل الْمعرفَة وَالْعلم مجالسة أَقوام يكثرون الْكَلَام فِي الْمحبَّة بِلَا خشيَة)**؛ فإذا أكثر الكلام في المحبة ومعانيها وما إلى ذلك، ولم يقم في قلبه خشية أيضًا ولم ينمي مقام الخشية في قلبه تنشأ أنواع من الرعونات.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم نقل عن بعض السلف أنه قال: (**من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق، وَمن عَبده بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجئ، وَمن عَبده بالخوف وَحده فَهُوَ حروري، وَمن عَبده بالحب وَالْخَوْف والرجاء فَهُوَ مُؤمنٌ موحد**)؛ عبادة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إنما تكون بالحب والرجاء والخوف، فالذي يعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بواحدة من هذه الثلاث يكون عمله مختل، ولا يكون دينه قائمًا، القيام الصحيح الذي يكون عليه قيام الدين؛ لأن هذه أركان تقوم عليها العبادات والأعمال.

(**من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق**)؛ والزنديق لا دين له، يُظهر الدين ويُبطن سواه، فالذي يعبد الله بالحب وحده هو زنديق، ما معنى يعبد الله بالحب وحده؟ يقول: أنا قلبي ممتلئ حب لله، وهذا الحب يحركني لعبادة الله، لكنني لا أرجو رحمةً من الله، ولا أخاف عذابًا منه، لا أريد جنة ولا أيضًا أخاف من نار، ولا أخاف من عقوبة، والنار والجنة ليست شيء عنده، ويستخف بعضهم بها، مثل ما سينقل شيخ الإسلام عن ضلال هؤلاء وكبار المبطلين منهم: كيف أنهم بلغ بهم الأمر إلى رعونات في غاية السوء، استخفاف بالنار، مثل ما يزعم أحد هؤلاء، وسينقل كلامه لاحقًا يقول: سأنصب خيمتي عند النار لئلا ما يدخلها أحد، كل هذا ناشئ عن استخفاف، ويزعمون أنهم أهل الحب، وأن عبادتهم ليست عبادة التجار، يقولون: عبادة التجار هو الذي يريد جنة، ويريد أن يدفع عن نفسه أما نحن فقط حب خالص، أما الجنة والنار لا تعني عندهم أي شيء، وهذا من أبطل ما يكون

وأفسد ما يكون، ولهذا قال: (**من قَالَ من السّلف: من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق**)؛ الأنبياء كلهم يعبدون الله حبًا له ورجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه، نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما جاء ذلك الأعرابي وقال: يا رسول الله! إني لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، يعني الأذكار والدعاء الذي تقولونه لا أحسنه، قال: «**ماذا تقول؟**»، قال: أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أخذًا من عبارته قال: ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ونحن حولها ندندن**»، يعني حول الجنة والنار ندندن، أعمالنا كلها دندنة حول الجنة والنار، نريد الجنة ونخاف من النار، ثم يأتي هؤلاء المبطلة ويقولون: نحن لا نريد جنة ولا نخاف من نار فقط نحب الله، فهذه من الدعاوى الزائفة في المحبة التي تورق من يديه نوع من الرعونة والفساد، (**من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق**).

(**وَمن عَبده**)؛ وهذا هو موضع الشاهد في هذا السياق من سوق هذا الخبر. (**من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق**)؛ لأنه شاهد قوله: (**كره من أهل الْمعرفَة وَالْعلم مجالسة أَقوام يُكثرون الْكَلَام فِي الْمحبَّة بِلَا خشيَة**)؛ فنقل عن بعض السلف أنه قال: (**من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق، وَمن عَبده بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجئ**)؛ من المجرئة؟ من عبده بالحب وحده فهو مرجئ، المرجئة هم الذين يؤخرون -الإرجاء من التأخير- الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، يقولون: العمل ليس داخل في الإيمان، كل من يُخرج العمل

عن مسمى الإيمان يقال عنه: مرجئة، وهم في الإرجاء طبقات، وهم متفاوتون ليسوا فيها على درجة واحدة، فالذي يعبد الله بالرجاء وحده مرجئ يعني على طريقة المرجئة، لماذا؟ لأن من طريقة المرجئة إعمال آيات الوعد والرجاء وإهمال آيات الوعيد والخوف.

مثلًا: يستدلون بحديث أبي ذر: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق**»، ويُهملون حديث أبي هريرة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، هذا حديث وعد، وهذا حديث وعيد، وقاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب: الجمع بين حديث الوعد والوعيد، من أخذ طرفًا وترك طرفًا انحرف، لا بد في هذا الباب من الجمع بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب هما بمثابتي الجناح، هما للمؤمن كالجناحين للطائرة، لا يستتم الطيران إلا بجناحين، فالمُرجئة طريقتهم: إعمال نصوص الوعد والرجاء، وإهمال نصوص الوعيد والخوف.

(**فَمن عَبد الله بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجئ، وَمن عَبد الله بالخوف وَحده فَهُوَ حروري**)؛ أي من الخوارج، والخوارج يقال لهم: حرورية؛ لأنهم يومًا أو فترةً قطنوا حروراء، يقال: حروري؛ أي من الخوارج، الخوارج عكس وضد المُرجئة، يعملون نصوص الوعيد والخوف ويهملون نصوص الوعد والرجاء، فمن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري أي من الخوارج، طريقته

طريقة الخوارج، **(وَمن عَبده بالحب وَالْخَوْف والرجاء فَهُوَ مُؤمنٌ موحد)**؛ لأن الإيمان يقوم على هذه الأركان الثلاثة: الحب والرجاء والخوف.

قال: **(وَلِهَذَا وُجد فِي الْمُتَأَخِّرين من انبسط فِي دَعْوَى الْمحبَّة حَتَّى أخرجه ذَلِك إِلَى نوع من الرعونة وَالدَّعْوَى الَّتِي تنَافِي الْعُبُودِيَّة، وَتُدْخل العَبْد فِي نوع من الربوبية الَّتِي لَا تصلح إِلَّا لله)**؛ يعني أخذ يبالغ ويغالي في محبةٍ قامت في نفسه لله، وأهمل ما سوى ذلك من مقامات الدين وأموره خشية الله، والخوف منه، والخوف من عقابه، ورجاء ثوابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه كلها أهملها، وانبسط في دعوى المحبة حتى بلغ مبلغًا من الرعونة والدعاوى التي تنافي العبودية، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح لله، أي في زعمه ودعواه، ويصرح بعضهم بأشياء من هذا القبيل، وسيشير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى شيءٍ من ذلك.

(تتجاوز حُدُود الْأَنْبيَاء وَالْمُرْسلِينَ، أَو يطْلبُون من الله مَا لَا يصلح بِكُل وَجه إِلَّا لله، ولَا يصلح للأنبياء وَلَا للمرسلين)؛ ويدعي أحدهم دعاوي يطلب من الله بزعمه أن في قلبه حب لله وانبسط في هذا المقام؛ فيطلب من الله أمور لا تصلح إلا لله، يطلب من الله أمور لا تصلح إلا لله، وهذا موجود بكثرة في كتب الطرقية، وغلاة المتصوفة بكثرة يوجد مثل هذا الأمر إما طلبًا من الله، أو زعمًا يزعمونه في أشياخهم أشياخ الضلالة، وأنه لا يبلغ مبلغه في هذه المقامات حتى يقول للشيء: كن فيكون، ويزعمون ذلك، ويعلم ما كان وما سيكون

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة التي كلها تنشأ من مثل هذا الانبساط في دعاوى المحبة والتوسع في ذلك مع إهمال للمقامات المطلوبة من العبد في دينه وعبادته لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَهَذَا بَابٌ وَقع فِيهِ كثيرٌ من الشُّيُوخ، وَسَببه ضعف تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة الَّتِي بيَّنها الرُّسُل، وحرَّرها الْأَمر وَالنَّهْي الَّذِي جَاءُوا بِهِ**)؛ لاحظ الآن! انحراف هؤلاء كيف كان؟ أن هؤلاء دخلوا في مقام المحبة وانبسطت نفوسهم في دعاوى المحبة، وتوسعوا في هذا الباب، وأهملوا مقامات الدين الأخرى، ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبب الانحراف اللي وقع فيه هؤلاء الذي أشار إليه فيما سبق أنهم تعدوا حدود الأنبياء ويطلبون أمور لا تصلح إلا لله وغير ذلك من الأمور، (**وَسَببه ضعف تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة الَّتِي بيَّنها الرُّسُل، وحرَّرها الْأَمر وَالنَّهْي الَّذِي جَاءُوا بِهِ**)؛ فلو كانوا من أهل المحبة حقًا وصدقًا لحققوا العبودية لله، لم يسلكوا هذه المسالك المنحرفة التي يدعون ويزعمون أنها من محبة الله، أو من تحقيق محبة الله.

(**بل أضافه إلى ضعف تحقيق العبودية ضعف الْعقل الَّذِي بِهِ يعرف العَبْد حَقِيقَته**)؛ يعني هؤلاء بسبب الانبساط في دعوى المحبة بلغ بهم الأمر مبلغًا أنهم نسوا حقيقة أنفسهم، اجتمع فيهم ضعف العبودية وضعف العقل فنسوا حقيقة أنفسهم، نسى حقيقة نفسه من هو؟ وكونه مخلوق مربوب مسخر مدبر

أمره إلى الله نسي ذلك، وأخذ يتطاول، ويطلب لنفسه أمورًا ليست للبشر، وبعضهم لا يكتفي بأن يطلبها لنفسها بل يدعيها لنفسه ويزعمها لنفسه.

(**بل ضعف الْعقل الَّذِي بِهِ يعرف العَبْد حَقِيقَته**)؛ وحقيقة يعني عندما يُطالع المطالع من ذوي العقول السليمة ما تتلفظ به أفواه هؤلاء شيوخ الضلال، ولاسيما المغرقين منهم في الباطل يجد أمورًا يتلفظون بها يحكم العقل ببديهته أنها نوع من الجنون والسفه، وأن هذا الذي يقول هذا الكلام ما عرف نفسه أنه بشر، وأنه مخلوق من مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذًا اجتمع فيهم مع ضياع العبودية ضياع العقول.

قال: (**بل ضعف الْعقل الَّذِي بِهِ يعرف العَبْد حَقِيقَته، وَإِذا ضعف الْعقل وقل الْعلم بِالدّينِ، وَفِي النَّفس محبَّة**)؛ ماذا يحدث؟ انتبه! (**وَإِذا ضعف الْعقل وقل الْعلم بِالدّينِ**)؛ العقل ضعيف ورديء، والدين أيضًا قليل عند شخص وفي الوقت نفسه عنده انبساط في دعوى المحبة، (**وَفِي النَّفس محبَّة طائشة جاهلة انبسطت النَّفس بحمقها فِي ذَلِك، كَمَا ينبسط الْإِنْسَان فِي محبَّة الْإِنْسَان مَعَ حمقه وجهله**)؛ يعني شخص عقله ضعيف ودينه ضعيف، وفي النفس محبة (**انبسطت النَّفس بحمقها فِي ذَلِك، كَمَا ينبسط الْإِنْسَان فِي محبَّة الْإِنْسَان مَعَ حمقه وجهله**).

يعني أعطيكم مثالًا طريفًا -وإن كان لا يُذكر لكن تعذرونني في ذكره-: يقولون أن إنسانًا طلب من دُب أن يحرسه، وكان الدب يتعامل معه معاملة محب، لكنه دب حيوان، وما عنده عقل ولا تمييز ويحب هذا الإنسان، فطلب منه أن يحرسه، فوقعت على هذا الإنسان وهو نائم ذبابة، فأخذ الدب صخرة ثقيلة جدًا ليقتل الذبابة من حبه لصاحبه، ورمى هذه الحصاة الثقيلة على الإنسان فطارت الذبابة ومات صاحبها، وتعذرونني على هذا المثال، لكن هكذا جاء قفز إلى ذهني الآن.

فالشاهد من ذلك: أن الإنسان إذا كان عنده حب وما عنده عقل، عنده حب وليس عنده عقل سيتصرف بأمور يدفعه إليها هذا الحب الذي عنده هي نوع من الرعونات والسفه والطيش والتجاوز والتعدي، وكل هذا الركام من الأخطاء وانحرافات كلها داخلة تحت ماذا؟ لا تلمني أنا محب، كلها داخلة تحت هذا الباب، هذا محب، هذا امتلأ قلبه حبًا، وهيامًا في الحب، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذا ضعف الْعقل وقل الْعلم بِالدّينِ، وَفِي النَّفس محبَّة طائشة جاهلة انبسطت النَّفس بحمقها فِي ذَلِك، كَمَا ينبسط الْإِنْسَان فِي محبَّة الْإِنْسَان مَعَ حمقه وجهله، وَيَقُول: أَنا محب فَلَا أؤاخذ بِمَا أَفعلهُ من أَنْوَاع يكون فِيهَا عدوان وَجَهل**)؛ ماذا يقال عن مثل هذه التصرفات؟ وصاحبها يقول: أنا والله ما فعلتها إلا حبًا، وكثير من الضلال والباطل يدخل تحت زعم

المحبة، كثير من الضلال، تمارس أمور وضلالات وخرافات وما إلى ذلك وكلها تدخل تحت اسم المحبة.

يقول ابن تيمية لما وضح هذا الأمر ومثل له بهذا المثال: (**فَهَذَا عين الضلال**)؛ يعني لا يشفع للإنسان مجرد دعوى المحبة، والمحبة كلٌّ يدعيها، مثل ما قال القائل: وكل يدعي وصلًا لليلى، كلٌّ يدعيها، لكن العبرة بالحقيقة، ليست العبرة بالدعاوى.

قال: (**فَهَذَا عين الضلال، وَهُوَ شَبيه بقول الْيَهُود وَالنَّصَارَى**: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18])؛ من جهة أن كله دعاوى، هؤلاء أهل دعاوى، وهؤلاء -أي اليهود والنصارى- أهل دعاوى. (﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾)؛ كلمة -مثل ما قدَّمت سابقًا- سهلة على اللسان، كل واحد سهل على لسانه أن يقول: أنا أحب الله حبًّا شديدًا، ولهذا نقل ابن كثير عن بعض السلف أنه قال: ليس الشأن أن تُحِب، ولكن الشأن أن تُحَب، أي أن يحبك الله، ولن يحبك الله بمجرد الدعاوى، لا بد من تصديق هذه المحبة والإتيان بالبرهان الذي يصدقه، قالوا: (﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، **قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18])؛ الآن دعواهم ادعوا ادعاءين؛ أنهم أبناء الله، وأنهم أحباء الله، فجاء الجواب

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

متناولًا أمرين: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾؛ لو كنتم أحباء الله والله يحبكم لم يعذبكم، ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾؛ وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾؛ قال: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾؛ فالدعاوى من السهل أن يدعيها المدعي، ويفتريها المفتري، وأيضًا يزينها ويزخرفها حتى تروج عند العوام والجهال، كم من شيوخ الضلال وأكابر عتاة هؤلاء روجوا عند العوام أشياء يدعون عند العوام: أنا نحب الله وبلغنا رتبة في حب الله وحب الله لنا، وأعطانا تصرفات في الكون، وفعلًا يزعمون في أشياخهم من أشياخ الضلال أنهم يتصرفون، ومليئة كتبهم بخرافات ودعاوى وأكاذيب كلها مبنية على هذا..

امرأة مات ابنها فتفطر قلبها عليه؛ فأرشدوها إلى واحدٍ من هؤلاء هذا من الخرافات التي يذكرونها في كتبهم، أرشدوها إلى واحد من هؤلاء فقال لها: لا عليكِ، فضرب الزنبيل -هكذا يقولون الذي في يد ملك الموت- وجميع الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم طارت من يده، ورجعت إلى أماكنها، يذكرون في كتبهم أن هذا محب، وأنه بلغ مبلغ، ويعطى من التصرف في الكون بناءً على ذلك، وهذه كلها دعاوى مفترين على الله وعلى دينه وعلى شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (وَهُوَ شَبيه بقول الْيَهُود وَالنَّصَارَى: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (فَإِن تعذيبه لَهُم بِذُنُوبِهِمْ يَقْتَضِي أَنهم غير محبوبين)؛ أي له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، (وَلَا منسوبين إِلَيْهِ بنِسَبة الْبُنُوَّة)؛ هكذا عندك؟

القارئ: أينعم.

(فَإِن تعذيبه لَهُم بِذُنُوبِهِمْ يَقْتَضِي أَنهم غير محبوبين وَلَا منسوبين إِلَيْهِ بنِسَبة الْبُنُوَّة، بل يَقْتَضِي أَنهم مربوبون مخلوقون)؛ مثل ما في الآية: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾. (فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ)؛ مثل ما في الحديث قال: «من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، يعني يستعمله فيما يحبه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ. (فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ محبوبه، لَا يفعل مَا يبغضه الْحق ويسخطه من الْكفْر والفسوق والعصيان)؛ محبوب الله لا يفعل ما يُبغضه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان، هذا يتنافى مع حقيقة كونه محبوب لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن فيه محبة صادقة لله.

قال: (وَمن فعل الْكَبَائِر وأصر عَلَيْهَا وَلم يتب مِنْهَا؛ فَإِن الله يُبغض مِنْهُ ذَلِك كَمَا يحب مِنْهُ مَا يَفْعَله من الْخَيْر)؛ يتحدث هنا عن العاصي من الموحدين،

إذا كان فعل بعض الكبائر؛ ففيه موجب الحب وموجب البغض، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُبغض منه ذلك -يعني الكبائر- كما يحب منه ما يفعله من الخير.

(إِذْ حبه للْعَبد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ **بِحَسب إيمَانه وتقواه)**؛ ليس حبه للعبد بمجرد زعم العبد ودعواه.

يقول ابن تيمية: **(وَمن ظن أَن الذُّنُوب لَا تضره لكَون الله يُحِبهُ مَعَ إصراره عَلَيْهَا كَانَ بِمَنْزِلَة من زعم)**؛ هذا مثال جميل. **(من زعم أَن تنَاول السم لَا يضرّهُ مَعَ مداومته عَلَيْهِ، وَعدم تداويه مِنْهُ بِصِحَّة مزاجه)**؛ يعني يقول: مثلًا شخص يقول: أنا مزاجي صحيح والسم لا يضرني لصحة مزاجي. مثله من يقول: أنا حبي لله صحيح فالذنوب لا تضرني، ولا تنقص من قدري، أو من مكانتي، أو من منزلتي، أو من ثوابي، قال: **(وَلَو تدبر الأحمق)**؛ يعني من يدَّعي مثل هذه الدعاوى. **(مَا قصّ الله فِي كِتَابه من قَصَص أنبيائه، وَمَا جرى لَهُم من التَّوْبَة وَالِاسْتِغْفَار، وَمَا أصيبوا بِهِ من أَنْوَاع الْبلَاء الَّذِي فِيهِ تمحيصٌ لَهُم وتطهير بِحَسب أَحْوَالهم؛ علم بعض ضَرَر الذُّنُوب بأصحابها، وَلَو كَانَ أرفع النَّاس مقَامًا)**؛ يعني مثلًا: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مقامه عند الله مقام علي ورفيع، أكل من الشجرة وظلم نفسه بذلك وقد نهاه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن الأكل منها، فأهبطه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إلى الأرض وذريته، ولهذا أيضًا أمثلة ونظائر، فإذا تأمل ذلك وهم أرفع الناس مقامًا.

فقال: (**فَإِن الْمُحب للمخلوق إِذا لم يكن عَارِفًا بمصلحته وَلَا مرِيدًا لَهَا بل يعْمل بِمُقْتَضى الْحبّ، وَإِن كَانَ جهلًا وظلمًا كَانَ ذَلِك سَببًا لِبُغْض المحبوب لَهُ، ونفوره عَنهُ بل سَببًا لعقوبته**)؛ يعني شخص أحب شخصًا لكنه مع حبه له ليس عارفًا بمصلحته، ولا مريدًا لها، بل يعمل بمقتضى الحب وإن كان جهلًا وظلمًا، كان ذلك سببًا لبغض محبوبه له ونفوره عنه بل لعقوبته له، مثال ذلك ماذا؟ مثال هذا ما هو؟ الدب، يعني يُحب ولكنه جاهل، ولا يُحسن أن يتعامل، فيقول هنا ابن تيمية: (**كَانَ ذَلِك سَببًا لِبُغْض المحبوب لَهُ، ونفوره عَنهُ بل سَببًا لعقوبته**)؛ لكن صاحب الدب ما حتى بقيت عنده فرصة لبغضه والنفور عنه ومعاقبته؛ كلها ما بقيت فرصة لأنها ضربة كانت قاضية.

ثم يواصل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الحديث لايزال الكلام له صلة، لكن نكتفي بهذا القدر.

اللهم انفعنا يا ربنا بما علمتنا، اللهم اجعل ما تعلمناه حُجة لنا لا علينا، اللهم اصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم زيِّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تُسلط علينا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

من لا يرحمنا، أذكِّر الإخوة بصيام التاسع والعاشر من شهر الله المحرَّم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا جميعًا التوفيق والقبول والسداد والعون على كل خير.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس الخامس عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في [كتاب العبودية]: (وَكثيرٌ من السالكين سلكوا فِي دَعْوَى حب الله أنواعًا من أُمُور الْجَهْل بِالدّينِ: إِمَّا من تعدِي حُدُود الله، وَإِمَّا من تَضْييع حُقُوق الله، وَإِمَّا من ادِّعَاء الدَّعَاوَى الْبَاطِلَة الَّتِي لَا حَقِيقَة لَهَا؛ كَقَوْل بَعضهم: أَي مُرِيد لي ترك فِي النَّار أحدًا فَأَنا برِيء مِنْهُ، فَقَالَ الآخر: أَي مُرِيد لي ترك أحدًا من الْمُؤمنِينَ يدْخل النَّار فَأَنا مِنْهُ بَرِيء.

فَالْأول: جعل مُرِيده يُخرج كل من فِي النَّار.

وَالثَّانِي: جعل مُرِيده يمْنَع أهل الْكَبَائِر من دُخُول النَّار.

وَيَقُول بَعضهم: إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة نصبت خَيْمَتي على جَهَنَّم حَتَّى لَا يدخلهَا أحد.

وأمثال ذَلِك من الْأَقْوَال الَّتِي تُؤثر عَن بعض الْمَشَايِخ الْمَشْهُورين، وَهِي إِمَّا كذبٌ عَلَيْهِم، وَإِمَّا غلطٌ مِنْهُم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَمثل هَذَا قد يصدر فِي حَال سكر وَغَلَبَة وفناء يسْقط فِيهَا تَمْيِيز الْإِنْسَان أَو يضعف حَتَّى لَا يدْرِي مَا قَالَ. وَالسكر هُوَ لَذَّة مَعَ عدم تَمْيِيز، وَلِهَذَا كَانَ من هَؤُلَاءِ من إِذا صَحا اسْتغْفر من ذَلِك الْكَلَام، وَالَّذين توسعوا من الشُّيُوخ فِي سَماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كَانَ هَذَا أصل مقصدهم؛ فَإِن هَذَا الْجِنْس يُحَرك مَا فِي الْقلب من الْحبّ كَائِنًا مَا كَانَ، وَلِهَذَا أنزل الله محنة يمْتَحن بهَا الْمُحب فَقَالَ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:31]؛ فَلَا يكون محبًا لله إِلَّا من يتبع رَسُوله، وَطَاعَة الرَّسُول ومتابعته لَا تكون إِلَّا بتحقيق الْعُبُودِيَّة، وَكثير مِمَّن يَدعِي الْمحبَّة يخرج عَن شَرِيعَته وسنته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وَيَدعِي من الْحَالَات مَا لَا يَتَّسِع هَذَا الْموضع لذكره، حَتَّى قد يظنُّ أحدهم سُقُوط الْأَمر وَتَحْلِيل الْحَرَام لَهُ، وَغير ذَلِك مِمَّا فِيهِ مُخَالفَة شَرِيعَة الرَّسُول وسنته وطاعته.

بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رَسُوله الْجِهَاد فِي سَبيله، وَالْجهَاد يتَضَمَّن كَمَال محبَّة مَا أَمر الله بِهِ، وَكَمَال بُغض مَا نهى الله عَنهُ، وَلِهَذَا قَالَ فِي صفة من يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [سورة المائدة، من الآية:54]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لا يزال كلام الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى موصولًا ببيان المخالفات والانحرافات التي دخلت من باب المحبة، ودعوى المحبة، وسبق أن نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على شيءٍ من ذلك، ولا يزال كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ موصولًا بالتحذير من مثل هذه الانحرافات والمخالفات والتجاوزات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكثير من السالكين سلكوا فِي دَعْوَى حب الله أنواعًا من أُمُور الْجَهْل بِالدّينِ)**. تأمل! **(وَكثير من السالكين سلكوا فِي دَعْوَى حب الله أنواعًا من أُمُور الْجَهْل بِالدّينِ)**؛ أي أنهم فعلوا أمورًا يزعمون أنها من محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنها من تمام تحقيق محبته جَلَّ وَعَلَا، والحق أنها جهلٌ بدين الله، ومخالفةٌ لشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والسبب في ذلك عرفناه فيما سبق: ألا وهو أن هؤلاء عندهم حبٌّ لكن مع قلة علمٍ وقلة بصيرة، ولربما أيضًا قلة عقلٍ وفهم، فيترتب على ذلك تجاوزاتٍ وأعمالٍ ليست من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهم يمارسونها باسم الدين وباسم تحقيق المحبة لرب العالمين.

ذكر أمثلة لذلك: قال: (**إِمَّا من تعدِي حُدُود الله**)؛ أي تجاوزها، تعدى حدود الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أي يتجاوز حدود الله، وهذا باب غلو ومغالاة وتجاوز للحد في دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

(**وَإِمَّا**)؛ وهذا مقابل الأول (**من تَضْيِيع حُقُوق الله**)؛ وهذا جفاء، الأول غلو وهذا جفاء، الأول يغالي بفعل أمورٍ ليست من دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، يزعم أن الدافع إليها هو محبة الله، وآخر يضيِّع -ضده- يضيع حقوق الله التي أوجبها على عباده، ويبني ذلك على حبه لله، وأن مقام الحب الذي قام في قلبه أغناه عن هذه الأعمال، ووصوله فيه موصلًا أو مبلغًا أغناه عن هذه الأعمال فيضيع حقوق الله، فالأول متجاوزٌ للحدود بغلوه، والآخر مضيِّعٌ للحقوق بجفائه، وهذا وذاك يفعلون ذلك باسم المحبة.

قال: (**وَإِمَّا من ادِّعَاء الدَّعَاوَى الْبَاطِلَة الَّتِي لَا حَقِيقَة لَهَا**)؛ ادعاء الدعاوى الباطلة أي في أنفسهم أو في أشياخهم، يدعون لأنفسهم أشياء لا حقيقة لها، من تصرف مثلًا في الكون، أو دعاوى من هذا النحو ومن هذا القبيل يدعونها بزعمٍ منهم أنها لهم لعلو مقامهم في المحبة، ورفعة درجتهم فيها، فيدعي بعضهم دعاوى باطلة لا حقيقة لها، (**كَقَوْل بَعضهم: أَي مُرِيدٍ لي ترك فِي النَّار أحدًا فَأَنا برِئ مِنْهُ، فَقَالَ الآخر: أَي مُرِيد لي ترك أحدًا من الْمُؤمنِينَ يدْخل النَّار فَأَنا مِنْهُ بَرِيء. فَالْأول: جعل مُريده يُخرج كل من فِي النَّار، وَالثَّانِي: جعل مُريده يمْنَع أهل الْكَبَائِر من دُخُول النَّار**)؛ هذا كلام باطل وفيه تعدي

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وتجاوز للحدود، هذا الذي يقول هذا الكلام وكذلك من تحته من مريدين هو نفسه لا يدري عن حاله، ولا يعرف مآله، رب العالمين جل شأنه قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم، من الآية:71]؛ أي النار. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [سورة مريم، من الآية:71-72]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:185]. العبد على يقين أنه سيعبر من فوق النار وسيمر من فوقها، ولكنه في شكٍّ من نجاته، على يقين من العبور والمرور. ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ لكن النجاة في شك، لا يضمن لنفسه مهما كان صلاحه فكيف يضمن للآخرين؟! بل كيف يدَّعي هذه الدعوى الجائرة الكاذبة الفاجرة أنه يمنع من استحق دخول النار يمنعه من دخولها أهل الكبائر، والآخر يدعي أنه يخرجهم منها، وهذا كله دعاوى فاجرة كاذبة يقولها هؤلاء بناءً على ادعاء علو مقامٍ في المحبة وتحقيقهم لها، فصاروا بزعمهم حقيقين بهذه الأمور جديرين بها.

(وَيَقُول بَعضهم: إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة نصبت خَيْمَتي على جَهَنَّم حَتَّى لَا يدخلهَا أحد)؛ ويقول الآخر يوم القيامة: أبسطوا جهنم تصبح حشيشًا أخضرًا، يقول لهم: لا عليكم، هؤلاء القائلون لهذا الكلام هم في غرور، غرَّهم الشيطان فادعوا لنفسهم هذه الرتبة وهذا المقام، وتبعًا لتغرير الشيطان بهم غرروا

أتباعهم، فأصبح أتباعهم يتعلقون بهم، ويلتجئون إليهم حتى في النجاة من النار ودخول الجنة، يلجأ إلى شيخه لما يعتقده فيه بناءً على هذه الادعاءات، أرأيتم العامي الجاهل عندما ينشأ على يد شيخ من هؤلاء الأشياخ، ويزعم هذا الزعم ويدعي هذا الادعاء، ستراه في حياة الشيخ وبعد مماته يلتجئ إليه في أن يدخله الجنة وينجيه من النار، وهذه كارثة تكثر عند أصحاب الطرق الباطلة، الطرقية تكثر عندهم، ولهذا ينشأ عندهم تعلق بالأشياخ وبغير الله والالتجاء إليهم، واستحال عند هؤلاء ما كان عند النصارى من دعاوى صكوك الغفران ونحو ذلك، تحولت عند هؤلاء مصداقًا لقول نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**».

قال: (**وأمثال ذَلِك من الْأَقْوَال الَّتِي تُؤثر عَن بعض الْمَشَايِخ الْمَشْهُورين، وَهِي إِمَّا كذبٌ عَلَيْهِم، وَإِمَّا غلطٌ مِنْهُم**)؛ تأمل هذا الكلام، فإنك تحتاج إليه يا طالب العلم، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَهِي إِمَّا كذبٌ عَلَيْهِم، وَإِمَّا غلطٌ مِنْهُم**)؛ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مع كثرة تصدِّيه للمبطلين وجهوده العظيمة في دحض شبوهات هؤلاء وإبطال أقوالهم كان رجلًا منصفًا عدلًا، يزن الأمور بموازين العدل، ويُنصف خصومه، فانظر هذا الإنصاف، لما ذكر هذه الأقوال عنهم وأشار إلى أن من أقوال بعض الشيوخ المشهورين عندهم قال: (**وَهِي إِمَّا كذبٌ عَلَيْهِم، وَإِمَّا غلطٌ مِنْهُم**)؛ فوضع احتمال، احتمال أيضًا وارد أن يكون

كذب عليهم، وكثيرًا ما تُنسب أقوال إلى أشخاص هم منها براء، تكون كذبًا عليهم، وليست من أقوالهم، فهو يُنبه بذلك إلى التنبه لمثل هذا الأمر قبل أن نحكم على شخصٍ معين ننتبه! قد يكون القول ليس له حتى وإن قيل، قد يكون ليس له، قد يكون كذبًا عليه، أو يكون زيد في كلامه، أو نُقص من كلامه، أو حُذف حرفًا من كلامه يغير الكلام، فبدل أن يُبادر الإنسان يقول: فلان الفاعل التارك إلى آخره يتأكد من هذه القضية، وإذا أراد أن يرد الباطل يرده بمثل هذه الطريقة، فما أحوجنا طلبة العلم ولاسيما في مقام الرد والنقد أن نعرف مثل هذه الآداب، وكيف الرد؟ وطريقته؟ وكيف التعامل؟ قال: (**وَهِي إِمَّا كذبٌ عَلَيْهِم، وَإِمَّا غلطٌ مِنْهُم**)؛ يعني أقوال هي خطأ وضلال.

(**وَمثل هَذَا قد يصدر فِي حَال سكرٍ وَغَلَبَةٍ وفناءٍ يسْقط فِيهَا تَمْيِيز الْإِنْسَان**)؛ سبق أن أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيتٍ نقله إن السكر سكران؛ سكر الهوى وسكر المدامة التي هي الخمر، وسكر الهوى عندما يهيم القلب في نوعٍ من الهوى معين يهيمن عليه ويسيطر عليه ويملأه؛ قد يترتب على ذلك أقوال سيئة قد يندم عليها، لكنه وقع فيها من شدة هيامه، أو إغراقه في ذلك الهوى، وهو في ذلك مذموم ولا شك.

لكن مراد شيخ الإسلام: أنه قد يكون بعضهم قال ذلك لا يقصد ذات هذه الكلمات، أو ذات هذه الألفاظ، وإنما غلب عليه نوع من سُكر الهوى؛ فجاءت مثل هذه الكلمات، ولهذا يستغفر بعضهم من ذلك ويندم على قوله

له، قال: (**وَمثل هَذَا قد يصدر فِي حَال سكرٍ وَغَلَبَةٍ وفناءٍ يسْقط فِيهَا تَمْيِيز الْإِنْسَان، أَو يضعف حَتَّى لَا يدْرِي مَا قَالَ**)؛ والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر في الحديث: «**أن الرجل يقول الكلمة لا يلقي لها بال يهوي بها في النار سبعين خريفًا**»، فالكلمات الخطيرة الآثمة التي تجني على عقائد الناس وعلى أديانهم، وعلى عباداتهم، وعلى تجرئهم على مقام رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شك أنها في غاية الخطورة والإثم والتجني والتعدي، ولكن شيخ الإسلام يشير إلى أسبابه والبواعث التي قد تنشأ فيها مثل هذه الأقوال، قال: (**وَالسكر هُوَ لَذَّة مَعَ عدم تَمْيِيز**)؛ سواءً كان سكر الخمر أو سكر الهوى.

(**وَلِهَذَا كَانَ من هَؤُلَاءِ من إِذا صَحا اسْتغْفر من ذَلِك الْكَلَام**)؛ وسكر الخمر يجعل الإنسان يفعل أمورًا ويقول كلامًا إذا صحا من سكره وأُخبر به ندم على ذلك، وأسف على صدوره منه، أو فعله له، ولربما بعضهم يتوب من الخمر بسبب ما يُذكر له أنه كان يفعله.

مثل أحدهم قيل له: رأيناك في الليل -ليلة الرابع عشر- تقفز عاليا وتمد يدك تقول: أريد أن أمسك القمر، والناس يرونك ويضحكون، فلما أُخبر بذلك ندم أنه يتعاطى شيئًا يجعله يصب بمثل هذه الحال يكون أضحوكة للناس، وهذه مثال من آلاف الأمثلة لما يقع من المخمور من تصرفات وأعمال بسبب سكره.

وكذلك سكر الهوى يجر الإنسان إلى أقوال وأفعال من هذا القبيل وأسوأ، قد يكون فيها تعدي على مقام رب العالمين، أو دعاوى باطلة، أو كلمات جائرة.

قال: **(وَالَّذين توسعوا من الشُّيُوخ فِي سَماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كَانَ هَذَا أصل مقصدهم)**؛ أصل مقصدهم أن يزداد عمق الحب في نفسه، لكن ازدياد عمق الحب -مثل ما سبق- بدون خشية وبدون خوف بدون عناية بمقامات الدين الأخرى ينشأ عنها مثل هذه الأمور.

والقصائد والشعر والإنشاد مع ما قد يُضاف إليها؛ اعتنى بها من قديم الطرقية والسلف حذروا منها، حتى أن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ذُكر له رجل يُتوِّب الناس بالأناشيد، يعني يأتي إلى العصاة فيأتي بأناشيد بصوت معين وبطريقة معينة وبمادة أيضًا وموضوعات معينة؛ فيتأثرون، قال: هذا رجل مبتدع، أو صاحب بدعة، وأخذ يفصِّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التحذير من ذلك، والناس في زمانه توسعوا كثيرًا في هذا الباب، وراجت عندهم، حتى إن بعض القصائد التي لا تُعرف إلا عند الطرقية دخلت على الناس من هذا الباب.

ولا شك أن مثل هذه القصائد عندما تكون هي مادة الإنسان التي يتلقى عنها، تنشأ عنده أعمال أو تصرفات مبنية للمصدر الذي هو يتلقى عنه، بخلاف ذاك

الذي يتلقى عن القرآن والسنة فيكتسب طمأنينة وسكون وهدوء وأدب وخُلق وغير ذلك من المعاني التي لا يُحصلها أولئك ولا يصلون إلى قريب منها.

قال: (**وَلِهَذَا أنزل الله محنة**)؛ أن المحبة مثل ما سبق الإشارة كلٌّ يدعيها، وكلٌّ ينسبها إلى نفسه، فأنزل الله للمحبة (**محنة يمْتَحن بهَا الْمُحب**)؛ أي أنزل آية ابتلاء يبتلي فيها المحب؛ يعني من يدعي المحبة ومن يزعمها يختبر نفسه في ضوء الآية، وهي قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:31]؛ أهل العلم يسمون هذه الآية: آية المحنة، ويسمونها: آية الامتحان، والمعنى أن من ادعى المحبة ليمتحن نفسه في ضوئها، وفي ضوء العلامة التي ذُكرت فيها: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾؛ هذه العلامة، العلامة بصدق المحبة اتباع النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أما ذاك الذي تجاوز الحدود باسم المحبة، أو ضيع الحقوق باسم المحبة، أو ادعى الدعاوى الباطلة باسم المحبة ليست محبته صادقة؛ لأن المحبة الصادقة هي التي لها هذه العلامة: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾.

انتبه إذًا لكلام شيخ الإسلام تعليقًا على الآية، قال: (**فَلَا يكون محبًا لله إِلَّا من يتبع رَسُوله**صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ)؛ كلام عظيم جدًا، قال: (**فَلَا يكون محبًا لله إِلَّا من يتبع رَسُوله**صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ)؛ لا يكون محبًا لله حتى وإن ادعى؛ لأن الأمر ليس بالادعاء، مر معنا قول الله تعالى في شأن اليهود أنهم قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]؛ فالمحبة كلٌّ يدعيها، من طريق ما مر عليه في هذا الباب، يقولون في البرازيل -الدولة المعروفة-: أن الشعب يقولون: نحن شعب حبيب إلى الله، والدليل يقولون: أننا دائمًا نفوز بكرة القدم، نحن شعب حبيب إلى الله، وكفر وفجور وفسق وضياع ولا شيء عندهم من دين الله، ويدعون، دعوى المحبة أمرها سهل على كل لسان؛ فاجر، وفاسق، وكافر، قل ما شئت ويقول: أنا حبيب إلى الله، سهلة جدًا على كل لسان ، لكن الدعاوى إذا لم يُقم عليها بينات أهلها أدعياء، فإذًا هذه الآية علامة: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:31].

يقول شيخ الإسلام: (**فَلَا يكون محبًا لله إِلَّا من يتبع رَسُوله**صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ)، (**وَطَاعَة الرَّسُول ومتابعته لَا تكون إِلَّا بتحقيق الْعُبُودِيَّة**)؛ الذي يطيع الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويفعل ما أمر به هذه هي العبودية، العبودية لله تقوم على أصلين -سبق بيانها-: الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالعبودية هي طاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ومتابعته، ويدخل تحت قوله: (**وَطَاعَة الرَّسُول ومتابعته**)؛ الإخلاص؛ لأن أعظم ما دعا إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الإخلاص، فالعبودية هي طاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ومتابعته، هذا هو تحقيقها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَكثير مِمَّن يَدعِي الْمحبَّة يخرج عَن شَرِيعَته وسنته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدعِي من الخيالات مَا لَا يَتَّسِع هَذَا الْموضع لذكره)؛ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يعرف عن هؤلاء الشيء الكثير، اطلع على كتبهم وحصلت أيضًا بينه وبينهم مناظرات ومباحثات يعرف عنهم الشيء الكثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول: (مَا لَا يَتَّسِع هَذَا الْموضع لذكره، حَتَّى قد يظنّ أحدهم سُقُوط الْأَمر وَتَحْلِيل الْحَرَام لَهُ)؛ يدعي ذلك ويظن ذلك لنفسه بناءً على ماذا؟ بناءً على ما يتوهمه من نفسه من علو مقامٍ في المحبة، وتحقيقٍ للمحبة، (وَغير ذَلِك مِمَّا فِيهِ مُخَالفَة شَرِيعَة الرَّسُول وسنته وطاعته. بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رَسُوله)؛ اقرأ ما عندك..

القارئ: (بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رَسُوله الْجِهَاد فِي سَبيله).

(بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجِهَاد فِي سَبيله)؛ يوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (وَالْجهَاد يتَضَمَّن كَمَال محبَّة مَا أَمر الله بِهِ، وَكَمَال بُغض مَا نهى الله عَنهُ)؛ والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، كما جاء بذلكم الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَالْجهَاد يتَضَمَّن كَمَال محبَّة مَا أَمر الله بِهِ، وَكَمَال بُغض مَا نهى الله عَنهُ، وَلِهَذَا قَالَ فِي وصف من يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:54]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لِهَذَا كَانَت محبَّة هَذِه الْأمة لله أكمل من محبَّة من قبلهَا وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هَذِه الْأمة فِي ذَلِك هم أَصْحَاب مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمن كَانَ بهم أشبه كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل، فَأَيْنَ هَذَا من قوم يدعونَ الْمحبَّة؟

وَفِي كَلَام بعض الشُّيُوخ: الْمحبَّة نَارٌ تحرق فِي الْقلب مَا سوى مُرَاد المحبوب. وَأَرَادُوا أَن الْكَوْن كُله قد أَرَادَ الله وجوده، فظنوا أَن كَمَال الْمحبَّة أَن يُحب العَبْد كل شَيْء حَتَّى الْكفْر والفسوق والعصيان، وَلَا يُمكن لأحد أَن يُحب كل مَوْجُود، بل يُحب مَا يلائمه وينفعه، وَيبغض مَا يُنَافِيهِ ويضره، وَلَكِن استفادوا بِهَذَا الضلال اتِّبَاع أهوائهم، ثمَّ زادهم انغماسًا فِي أهوائهم وشهواتهم، فهم يُحبونَ مَا يهوونه؛ كالصور، والرئاسة، وفضول المَال، والبدع المضلة، زاعمين أَن هَذَا من محبَّة الله، وَمن محبَّة الله بُغض مَا يبغضه الله وَرَسُوله، وَجِهَاد أَهله بِالنَّفسِ وَالْمَال).

هذه ليست عندنا.. **(وأصل ضلالهم...)**.

(وأصل ضلالهم: أَن هَذَا الْقَائِل الَّذِي قَالَ: إِن الْمحبَّة نَار تحرق مَا سوى مُرَاد المحبوب، قصد بِمُرَاد الله تَعَالَى: الْإِرَادَة الكونية فِي كل الموجودات.

أما لَو قَالَ مُؤمن بِالله وَكتبه وَرُسُله، هَذِه الْمقَالة، فَإِنَّهُ يقْصد الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الشَّرْعِيَّة).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

كذا في النسخة التي معك، والذي عندي: (**وأصل ضلالهم: أَن هَذَا الْقَائِل الَّذِي قَالَ: إِن الْمحبَّة نَارٌ تحرق مَا سوى مُرَاد المحبوب، قصد بِمُرَاد الله تَعَالَى: الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الشَّرْعِيَّة الَّتِي هِيَ بِمَعْنى محبته وَرضَاهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تحرق من الْقلب ما سوى المحبوب لله، وهذا معنى صحيح**)؛. أعد القراءة: (**وأصل...**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأصل ضلالهم: أَن هَذَا الْقَائِل الَّذِي قَالَ: إِن الْمحبَّة نَارٌ تحرق مَا سوى مُرَاد المحبوب، قصد بِمُرَاد الله تَعَالَى: الْإِرَادَة الكونية فِي كل الموجودات.

أما لَو قَالَ مُؤمن بِاللَّه وَكتبه وَرُسُله هَذِه الْمقَالة؛ فَإِنَّهُ يقْصد الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الشَّرْعِيَّة الَّتِي هِيَ بِمَعْنى محبته وَرضَاهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تحرق من الْقلب مَا سوى المحبوب لله، وَهَذَا معنى صَحِيح).

هذا فكأنه قال: يقوي أن الأصل ما عندنا في نسختنا، يعني من ينسبون إليه ويأخذون عن هذه المقالة ما قصد هذا المعنى الذي فهموه، وإنما قصد الإرادة الشرعية، والإرادة كونية وشرعية يأتي الحديث عن ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فَإِن من تَمام الْحبَّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله، فَإِذا أَحْبَبْت مَا لَا يحب كَانَت الْمحبَّة نَاقِصَة. وَأما قَضَاؤُهُ وقدره فَهُوَ

يُبغضه ويكرهه ويسخطه وَينْهى عَنهُ؛ فَإِن لم أوافقه فِي بُغضه وكراهته وَسخطه لم أكن محبًّا لَهُ بل محبًّا لما يبغضه.

فاتباع هَذِه الشَّرِيعَة وَالْقِيَام بِالْجِهَادِ بهَا من أعظم الفروق بَين أهل محبَّة الله وأوليائه الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَبَين من يَدعِي محبَّة الله نَاظرًا إِلَى عُمُوم ربوبيته أَو مُتبعًا لبَعض الْبدع الْمُخَالفَة لشريعته).

طيب.. أعد من بعد قوله: (**وَهَذَا معنى صَحِيح**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فَإِن من تَمام الْحبّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله).

في النسخ هكذا؟ لا.. (**وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فَإِن قال...**). طيب.. أعد: (**وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فإن...**).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فَإِن من تَمام الْحبّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله؛ فَإِذا أَحْبَبْت مَا لَا يحب كَانَت الْمحبَّة نَاقِصَة. وَأما قَضَاؤُهُ وَقدره فَهُوَ يُبغضه ويكرهه ويسخطه وَينْهى عَنهُ؛ فَإِن لم أوافقه فِي بغضه وكراهته وَسخطه لم أكن محبًّا لَهُ، بل محبًا لما يبغضه.

فاتباع هَذِه الشَّرِيعَة وَالْقِيَام بِالْجِهَادِ بهَا من أعظم الفروق بَين أهل محبَّة الله وأوليائه الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَبَين من يَدعِي محبَّة الله نَاظرًا إِلَى عُمُوم ربوبيته، أَو مُتبعًا لبَعض الْبدع الْمُخَالفَة لشريعته؛ فَإِن دَعْوَى هَذِه الْمحبَّة لله

من جنس دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى الْمحبَّة لله، بل قد تكون دَعْوَى هَؤُلَاءِ شرًا من دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى لما فيهم من النِّفَاق الَّذين هم بِهِ فِي الدَّرك الْأَسْفَل من النَّار، كَمَا قد تكون دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى شرًا من دَعوَاهُم إِذا لم يصلوا إِلَى مثل كفرهم.

وَفِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل من التَّرْغِيب فِي محبَّة الله مَا هم متفقون عَلَيْهِ، حَتَّى إِن ذَلِك عِنْدهم أعظم وَصَايَا الناموس.

فَفِي الْإِنْجِيل أن المسيح قال: أعظم وَصَايَا الْمَسِيح: "أَن تحب الله بِكُل قَلْبك وعقلك ونفسك"، وَالنَّصَارَى يدعونَ قيامهم بِهَذِهِ الْمحبَّة، وَأَن مَا هم فِيهِ من الزّهْد وَالْعِبَادَة هُوَ من ذَلِك، وهم بُرَآء من محبَّة الله؛ إِذْ لم يتبعوا مَا أحبه بل ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [سورة محمد، من الآية:28].

وَالله يُبغض الْكَافرين ويمقتهم ويلعنهم، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يحب من يُحِبهُ، لَا يُمكن أَن يكون العَبْد محبًا لله وَالله تَعَالَى غير محب لَهُ، بل بِقدر محبَّة العَبْد لرَبه يكون حب الله لَهُ، وَإِن كَانَ جَزَاء الله لعَبْدِهِ أعظم، كَمَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح الإلهي عَن الله تَعَالَى أَنه قَالَ: «**من تقرب إِلَيَّ شبْرًا تقربت إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمن تقرب إِلَيَّ ذِرَاعًا تقربت إِلَيْهِ باعًا، وَمن أَتَانِي يمشي أَتَيْته هرولة**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَقد أخبر الله سُبْحَانَهُ أَنه يحب الْمُتَّقِينَ والمحسنين وَالصَّابِرِينَ وَيُحب التوابين وَيُحب المتطهرين، بل هُوَ يحب من فعل مَا أَمر بِهِ من وَاجِب ومستحب، كَمَا فِي الحَدِيث الإلهي الصَّحِيح: «**لَا يزَال عَبدِي يتقرَّب إِلَيَّ بالنوافل حَتَّى أحبه، فَإِذا أحببته كنت سَمعه الَّذِي يسمع بِهِ، وبصره الَّذِي يُبصر بِهِ**» الحَدِيث، وَكثير من المخطئين الَّذين ابتدعوا أَشْيَاء فِي الزّهْد وَالْعِبَادَة وَقَعُوا فِي بعض مَا وَقع فِيهِ النَّصَارَى من دَعْوَى الْمحبَّة لله مَعَ مُخَالفَة شَرِيعَته، وَترك المجاهدة فِي سَبيله وَنَحْو ذَلِك، ويتمسكون فِي الدَّين الَّذِي يَتَقَرَّبُون بِهِ إِلَى الله بِنَحْوِ مَا تمسك بِهِ النَّصَارَى من الْكَلَام الْمُتَشَابه، والحكايات الَّتِي لَا يُعرف صدق قَائِلهَا، وَلَو صدق لم يكن قَائِلهَا مَعْصُومًا، فيجعلون متبوعيهم شارعين لَهُم دينًا كَمَا جعل النَّصَارَى قسيسيهم وَرُهْبَانهمْ شارعين لَهُم دينًا، ثمَّ إِنَّهُم ينتقصون الْعُبُودِيَّة، وَيدَّعونَ أَن الْخَاصَّة يتعدونها كَمَا يَدعِي النَّصَارَى فِي الْمَسِيح والقساوسة، ويُثبتون لخاصتهم من الْمُشَاركَة فِي الله من جنس مَا تثبته النَّصَارَى فِي الْمَسِيح وَأمه إِلَى أَنْوَاع أخر يطول شرحها فِي هَذَا الْموضع).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلِهَذَا كَانَت محبَّة هَذِه الْأمة لله** جَلَّ وَعَلَا **أكمل من محبَّة من قبلهَا**)؛ أي لما أكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به من اتباعٍ للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واستمساكٍ بهديه، وسيرًا على نهجه؛ فكانوا كما أخبر الله: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:110]؛ وفي الحديث: «**خير الناس قرني**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم**)؛ لأن كمال اتباعهم للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكمل من حال من قبلهم في اتباع رسلهم، ولهذا شهد الله لهم بالخيرية، وشهد لهم رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بها، قال: (**وأكمل هَذِه الْأمة فِي ذَلِك هم أَصْحَاب مُحَمَّد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ)؛ وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد بهذا التدرج الذي سمعتموه أن يصل إلى تقرير أمرٍ جليل للغاية في باب العبودية، ألا وهو أن يُعرف في هذا الباب مقام الصحابة، وما كان عليه الصحابة، وأن يحذر الإنسان من الدعاوى التي نشأت بعدهم، والمحدثات التي أوجدت بعدهم، فإن كل تلك المحدثات هي في الحقيقة شرٌّ وقى الله أصحابه منه، وليس خيرًا لم يعرفه الصحابة فعرفه من بعدهم، ليتنبه لذلك!، هو في الحقيقة شرٌّ وقى الله أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ منه، وليس خيرًا جهله الصحابة وعرفه هؤلاء الذين جاءوا من بعدهم، فيخلص المسلم من هذا إلى فائدةً ثمينة جليلة للغاية ألا وهي: أن كل عبادة يُتعبد الله بها لم تكن موجودة في عهد الصحابة، ليست من دين الله؛ لأن الصحابة من خير أمة أخرجت للناس وهم خير هذه الأمة وأكملهم عبوديةً لله، ولهذا قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمته العظيمة: "ما لم يكن دينًا زمن محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، لن يكون دينًا إلى قيام الساعة"، ولهذا كل مدة يُطالب عندما يقول: هذا عمل جيد، أو عمل فاضل إلى غير ذلك، يقال له: أخرج لنا النص والأثر أن الصحابة فعلوا ذلك، فإن لم

يكونوا قد فعلوه فالأمر كما قال السلف: "من لم يسعه ما وسع الصحابة لا وسع الله عليه"، يسعنا ما وسع أصحاب النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

واستمع الآن إلى كلمة شيخ الإسلام الجليلة، والله كلمة عظيمة احفظوها وحافظوا عليها، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذا التدرج للبيان قال: (**وَمن كَانَ بهم أشبه كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل**)؛ لما بيَّن مقام الصحابة ومنزلتهم العلية قال: (**وَمن كَانَ**)؛ يعني ممن جاء بعدهم، (**وَمن كَانَ بهم**)؛ يعني بالصحابة. (**أشبه كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل**)؛ وهذه قاعدة في هذا الباب: أن العبد كل ما كان أعظم تباعًا وتأسيًا وتشبهًا بالصحابة كان ذلك أكمل في العبودية، (**كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل**)؛ يعني العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن كان على الأثر -كما قال السلف- فهو على الطريق، من كان على أثر الصحابة وجادتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم فهو على الطريق، قال: (**وَمن كَانَ بهم**)؛ أي بأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (**أشبه كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل**). (**ذَلِك**)؛ إشارة هنا بقوله: (**ذَلِك**)؛ أي العبودية والتعبد لله. (**كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل**)؛ إذًا ماذا يُقابل ذلك، (**وَمن كَانَ بهم أشبه كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل**)؛ ممكن نقوله: من كان عن هديهم أبعد، كان ذلك فيه أنقص؛ أي دلالًا على نقص دينه وإيمانه وبُعده، لمَّا أشار إلى مقام الصحابة العلي في الحب؛ حب الله وتحقيقه له، قال: (**فَأَيْنَ هَذَا من قوم يدَّعونَ الْمحبَّة؟ وَفِي كَلَام بعض الشُّيُوخ**). اقرأ ما عندك.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(فَأَيْنَ هَذَا من قوم يدَّعونَ الْمحبَّة؟

وَفِي كَلَام بعض الشُّيُوخ: الْمحبَّة نَارٌ تحرق فِي الْقلب مَا سوى مُرَاد المحبوب).

قال: (فَأَيْنَ هَذَا من قوم يدَّعونَ الْمحبَّة؟)؛ وأشار إلى نماذج من هؤلاء أصحاب هذه الدعاوى، ثم يشير إلى أيضًا شيء من هذا القبيل يقول: (وَفِي كَلَام بعض الشُّيُوخ: الْمحبَّة نَارٌ تُحرق فِي الْقلب مَا سوى مُرَاد المحبوب)؛ (وَأَرَادُوا)؛ يعني هؤلاء القوم الذين يدَّعون المحبة. (وَأَرَادُوا أَن الْكَوْن كُله)؛ هكذا فهموا كلمة بعض الشيوخ. (وَأَرَادُوا أَن الْكَوْن كُله قد أَرَادَ الله وجوده)؛ قالوا -من كلام بعض الشيوخ-: (الْمحبَّة نَارٌ تحرق فِي الْقلب مَا سوى مُرَاد المحبوب)؛ قالوا: والكون أراده الله كله، أراده الله كله أي ماذا؟ كونًا وقدرًا، لكن الذي قال تلك الكلمة ما أراد الإرادة الكونية، وإنما أراد الإرادة الشرعية كما سيأتي توضيح ذلك عند شيخ الإسلام، تابع الكلام، يقول: (فَأَيْنَ هَذَا من قوم يدَّعونَ الْمحبَّة؟)؛ وبين يعني معترضتين. (وَفِي كَلَام بعض الشُّيُوخ: الْمحبَّة نَارٌ تحرق فِي الْقلب مَا سوى مُرَاد المحبوب. وَأَرَادُوا)؛ يعني هؤلاء الذين يدعون المحبة. (أَن الْكَوْن كُله قد أَرَادَ الله وجوده، فظنوا أَن كَمَال الْمحبَّة أَن يُحب العَبْد كل شَيْء)؛ لأن الله أراد. ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، من الآية:82]؛ هذه الإرادة الكونية القدرية، قال:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**الْمحبَّة نَارٌ تُحرق فِي الْقلب كل شيء سوى مُرَاد المحبوب**)؛ والكون كله مراد لله، إذًا نتيجة هذا ماذا فهمهم؟ ما هو فهمه للمحبة؟ أن يحب كل شيء في الكون، يحب الكفر، يحب الفجور، يحب الفسوق، يحب الفواحش، يحب المحرمات، كل شيء موجود في الكون يُحبه؛ لأنه مراد المحبوب.

(**وَأَرَادُوا أَن الْكَوْن كُله قد أَرَادَ الله وجوده، فظنوا أَن كَمَال الْمحبَّة أَن يُحب العَبْد كل شَيْء حَتَّى الْكفْر والفسوق والعصيان**)؛ هذا الذي قاله في دعوى هؤلاء أنفسهم، هل هو أمرٌ واقعي عملي عندهم تطبيقي في كل شيء، يعني الآن هما لما قعدوا هذه القاعدة وفهموا هذا الفهم، وأن كل شيءٍ أراده قدرًا فهو يُحبه جعلوا الإرادة الكونية ملازم للمحبة -وهذا كلام باطل- فبنوا على ذلك أن يحب كل شيء في الكون، من حيث الواقع العملي لهؤلاء: هل هم كل شيء في الكون يحبونه؟ يقول ابن تيمية: ولا يمكن أحد أن يحب أن يكون موجود؛ يعني هذه دعوة يركبها هؤلاء ليصلوا إلى مآرب لهم، أما عندما يمحص هؤلاء يجد فعلًا أن في أشياء لا يحبونها، خاصةً الأشياء التي تمسهم هم أنفسهم بنوع من الأذى، لو سطى عليه أو اعتدى عليه، أو أضر به أو بأشياء من حقوقه، هل يحب ذلك؟ ما يحب ذلك، وتنتقض عنده القاعدة التي قررها.

قال: (**وَلَا يُمكن لأحد أَن يحب كل مَوْجُود، بل يحب مَا يلائمه وينفعه، وَيُبغض مَا يُنَافِيهِ ويضره**)؛ إذًا ما هو مأربهم لتلك القاعدة التي قعَّدوها، يقول:

(وَلَكِن استفادوا بِهَذَا الضلال اتِّبَاع أهوائهم)؛ استفادوا بهذا التقعيد وهذا التأصيل اتباع أهوائهم، فكل شيء يهوونه من البدع وأُريد منهم أن يحتجوا له أصبح الاحتجاج ما يحتاج إلى وقت ولا إلى جهد، إذا قيل له: هات الدليل، إيش يقول؟ في كل باطل يفعله، كل هوى تهواه نفسه قيل: هات الدليل، ماذا يقول؟ يقول: يكفي دليل أن الله أراد كونًا، ما يحتاج دليل، ما دام أن الله أراد كونًا ويكفي.

لكن لو قال لمن يحدثه: وهل الآن لو صفعتك على وجهك حتى تسقط على قفاك تحب ذلك؟ وأعتذر لك؟ يقول: هذا شيء أراده الله كونًا ووقع كما أراد، هل تقبل بذلك؟ فإذًا هم دعوى لا يطبقونه إلا في الملائم، يعني الأشياء التي تطابق أهوائهم، ويوافق أهوائهم يطبقونه وما سوى ذلك وهذا من أكبر الدلائل على بطلان العقيدة، عندما تكون متناقضة عند صاحبها في مقامٍ يُعملها وفي مقام لا يُعملها.

قال: **(وَلَكِن استفادوا بِهَذَا الضلال اتِّبَاع أهوائهم، ثمَّ زادهم انغماسًا فِي أهوائهم وشهواتهم، فهم يُحبونَ مَا يهوونه؛ كالصور، والرئاسة، وفضول المَال، والبدع المضلة، زاعمين أَن هَذَا من محبَّة الله)**؛ يعني الله أرادها كونًا إذًا يُحبها الله، ومن محبة الله اقرأ.. **(زاعمين أَن هَذَا من محبَّة الله. وَمن محبَّة الله بُغض مَا يُبغضه الله وَرَسُوله..)**.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(زاعمين أَن هَذَا من محبَّة الله، وَمن محبَّة الله بغض مَا يبغضه الله وَرَسُوله، وَجِهَاد أَهله بِالنَّفسِ وَالْمَال).

يعني ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين أن هذا القول الذي يقوله فاسد؛ لأن (**وَمن محبَّة الله بغض مَا يبغضه الله وَرَسُوله، وَجِهَاد أَهله بِالنَّفسِ وَالْمَال**)؛ وسيبين ذلك لاحقًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

قال: (**وأصل ضلالهم: أَن هَذَا الْقَائِل الَّذِي قَالَ: إِن الْمحبَّة نَارٌ تُحرق مَا سوى مُرَاد المحبوب، قصد بِمُرَاد الله تَعَالَى: الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الشَّرْعِيَّة**)؛ التي هي بمعنى محبته، فكأنما قال: تحرق من في القلب ما سوى المحبوب لله، فكأنه قال: تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله؛ لأن الإرادة الدينية الشرعية مرادفة للمحبة، لا يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شرعًا ودينًا إلا ما يحب، أما الذي يُريد كونًا وقدرًا قد يريد كونًا وقدرًا ما لا يحب مثل الكفر والشرك وغير ذلك من الأمور التي أرادها كونًا وقدرًا لكن لا يحبها، ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:7]؛ فهو لا يحبها، ويبغض الكافرين كبر مقتًا عند الله أمور كبيرة تدل على أنه يبغض ذلك ولا يحبه، جاء صريحًا في القرآن، مع أنه أرادها كونًا وقدرًا، إذًا أصل ضلال هؤلاء: (**أَن هَذَا الْقَائِل الَّذِي قَالَ: إِن الْمحبَّة نَارٌ تُحرق مَا سوى مُرَاد المحبوب**)؛ قصد بمراد الله: (**الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الشَّرْعِيَّة الَّتِي هِيَ بِمَعْنى محبته وَرضَاهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تُحرق من الْقلب مَا سوى المحبوب لله**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَهَذَا معنى صَحِيح**)؛ هذا المعنى صحيح، المحبة نار تكون في قلب المحب تحرق من القلب كل شيء سوى المحبوب لله؛ هذا كلام صحيح، بمعنى أن المحبة لله الصادقة إذا وجدت فعلًا في القلب أذهبت عن القلب وأطردت من القلب كل أمرٍ إلا أمرًا يحبه الله، واضح؟! إلا أمرًا يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**فَإِن قال: من تَمام الْحبّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله؛ فَإِذا أَحْبَبْت مَا لَا يحب كَانَت الْمحبَّة نَاقِصَة. وَأما قَضَاؤُهُ وَقدره فَهُوَ يُبغضه ويكرهه ويسخطه وَينْهى عَنهُ؛ فَإِن لم أوافقه فِي بُغضه وكراهته وَسخطه لم أكن محبًّا لَهُ، بل محبًا لما يبغضه**)؛ هكذا في النسخة التي معي، اقرأ لي مرةً ثانية ما عندك..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فَإِن من تَمام الْحبَّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله؛ فَإِذا أَحْبَبْت مَا لَا يحب كَانَت الْمحبَّة نَاقِصَة. وَأما قَضَاؤُهُ وَقدره فَهُوَ يُبغضه ويكرهه ويسخطه وَينْهى عَنهُ؛ فَإِن لم أوافقه فِي بغضه وكراهته وَسخطه لم أكن محبًّا لَهُ بل محبًا لما يبغضه).

هذا الكلام واضح يعني في لما قال: (**وَهَذَا معنى صَحِيح**)؛ أخذ يوضح ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بقوله: (**وَهَذَا معنى صَحِيح؛ فَإِن من تَمام المحبة**)؛ أعطني نسختك، نعم.. لما بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا معنى صحيح وضحه بقوله: (**فَإِن من تَمام الْحبَّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله؛ فَإِذا أَحْبَبْت مَا لَا يحب كَانَت الْمحبَّة**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نَاقِصَة. وَأما قَضَاؤُهُ وَقدره فَهُوَ يُبغضه ويكرهه ويسخطه)؛ يعني قضاؤه بما أشير إليه سابقًا الكفر والفسوق ونحو ذلك قضاؤه بهذه الأشياء القضاء الكوني. (**فَهُوَ يُبغضه ويكرهه ويسخطه وَينْهى عَنهُ؛ فَإِن لم أوافقه فِي بغضه وكراهته وَسخطه لم أكن محبًّا لَهُ بل محبًا لما يُبغضه)**؛ فإذًا هذا كلام عظيم جدًا في توضيح هذا الأمر، وبيان أن المحبة إذا قيل عنها: أنها نار تُحرق ما سوى مراد المحبوب، وقُصد بذلك أن يُحب ما يُحبه المحبوب، ويُبغض ما يُبغضه هذا معنى صحيح مثل ما وضَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ثم استمر في البيان قال: (**فاتباع هَذِه الشَّرِيعَة وَالْقِيَام بِالْجِهَادِ بهَا من أعظم الفروق بَين أهل محبَّة الله وأوليائه الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَبَين من يَدعِي محبَّة الله نَاظرًا إِلَى عُمُوم ربوبيته، أَو مُتبعًا لبَعض الْبدع الْمُخَالفَة لشريعته)**؛ هذا الآن فرقان، وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب عظيم في هذا الباب باب الفرقان: [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان]، وترون فيه بسطًا للفروقات، فهذا فرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قد يكون فصَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه [الفرقان]، فيقول: (**فاتباع هَذِه الشَّرِيعَة وَالْقِيَام بِالْجِهَادِ بهَا من أعظم الفروق بَين أهل محبَّة الله وأوليائه الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَبَين من يَدعِي محبَّة الله نَاظرًا إِلَى عُمُوم ربوبيته، أَو مُتبعًا لبَعض الْبدع الْمُخَالفَة لشريعته)**؛ لأنه أشار في أكثر من موضع أنهم على قسمين؛ قسم ينظر إلى عموم الربوبية، ويبني عليها أن هذا أمر قدره الله كونًا وأوجده وقضاه، فلا يقضي كونًا إلا بما

يُحب إذًا أنا أكون قد وافقته في محبوبه الذي هو مراده الكوني القدري، وأنا أجري فيما أراده، وفي مراده، فبعضهم من هذا الباب والآخر لا، يدخل في اتباعه لبعض البدع المخالفة لشريعته، ويزعم أنه يُمارسها من تمام محبته لله.

(**فَإِن دَعْوَى هَذِه الْمحبَّة لله**)؛ التي بهذا الفهم دعوى المحبة لله هي (**من جنس دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى الْمحبَّة لله، بل قد تكون دَعْوَى هَؤُلَاءِ شرًا من دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى لما فيهم من النِّفَاق الَّذين هم بِهِ فِي الدَّرك الْأَسْفَل من النَّار، كَمَا قد تكون دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى شرًّا من دَعوَاهُم إِذا لم يصلوا إِلَى مثل كفرهم**)؛ وهذا أيضًا من إنصافه وتحريه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تقريراته، قال: (**وَفِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل من التَّرْغِيب فِي محبَّة الله مَا هم متفقون عَلَيْهِ، حَتَّى إِن ذَلِك عِنْدهم أعظم وَصَايَا الناموس**)؛ أي أعظم من وصايا الوحي، (**فَفِي الْإِنْجِيل أن المسيح قال: أعظم وَصَايَا الْمَسِيح: "أَن تحب الله بِكُل قَلْبك وعقلك ونفسك"**)؛ أنت تسمع هذا الكلام لكن الواقع العملي التطبيقي لهذه المحبة ضلال وانحراف، ورهبانية ابتدعوها، وضلالات ما لها حد. (**وَالنَّصَارَى يدعونَ قيامهم بِهَذِهِ الْمحبَّة، وَأَن مَا هم فِيهِ من الزّهْد وَالْعِبَادَة هُوَ من ذَلِك، وهم بُرَآء من محبَّة الله**)؛ لماذا؟ (**إِذْ لم يتبعوا مَا أحبه بل** ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [سورة محمد، من الآية:28]).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم بيان آخر للأمر، يقول: (**وَالله يبغض الْكَافرين ويمقتهم ويلعنهم، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يحب من يُحِبهُ، لَا يُمكن أَن يكون العَبْد محبًّا لله وَالله تَعَالَى غير محب لَهُ**)؛ فهؤلاء يدعون أنهم محبين لله، لو كان حبهم لله صادقًا لأحبهم الله، لكن لما كان حبهم لله مجرد دعوى لم يحبهم الله، بل يُبغضهم ويلعنهم ويمقتهم، وتوعد بأنه سيدخلهم النار، وهم يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:18]؛ فانتبه لهذا، يقول: (**وَالله يُبغض الْكَافرين ويمقتهم ويلعنهم، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يحب من يُحِبهُ، لَا يُمكن أَن يكون العَبْد محبًّا لله وَالله تَعَالَى غير محب لَهُ، بل بِقدر محبَّة العَبْد لرَبه يكون حب الله لَهُ، وَإِن كَانَ جَزَاء الله لعَبْدِهِ أعظم، كَمَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح الإلهي عَن الله تَعَالَى أَنه قَالَ: «من تقرب إِلَيَّ شبْرًا تقربت إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمن تقرب إِلَيَّ ذِرَاعًا تقربت إِلَيْهِ باعًا، وَمن أَتَانِي يمشي أَتَيْته هرولة»**)؛ هذا فيه سعة بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنِّه على عبده المحب له المقبل عليه المتقرب إليه سبحانه بما يحب.

(**وَقد أخبر الله سُبْحَانَهُ أَنه يحب الْمُتَّقِينَ والمحسنين وَالصَّابِرِينَ وَيُحب التوابين وَيُحب المتطهرين، بل هُوَ يُحب من فعل مَا أَمر بِهِ من وَاجِبٍ ومستحب، كَمَا فِي الحَدِيث الإلهي الصَّحِيح: «لَا يزَال عَبدِي يتَقرَّب إِلَيَّ بالنوافل..»**)؛ أيضًا قبله: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولَا يزَال عَبدِي يتَقرَّب إِلَيّ بالنوافل حَتَّى أحبه، فَإِذا أحببته كنت سَمعه الَّذِي يسمع بِهِ، وبصره الَّذِي يبصر بِهِ»، وهذا الحديث يُعرف بحديث: الولي؛

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لأن فيه بيان من هُم أولياء الله؟ أوله قال الله: «**ما عاد لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، لَا يزَال عَبدِي يتَقرَّب إِلَيّ بالنوافل حَتَّى أحبه**»؛ فدل الحديث على أن أولياء الله على درجتين:

الدرجة الأولى: الذين يفعلون الفرائض والواجبات، ويتجنبون المحرمات؛ فهؤلاء أولياء لله.

ثم الدرجة الثانية: وهي أعلى من درجة هؤلاء وهي إضافة إلى التقرب إلى الله بفعل الواجب وترك المحرم المنافسة في الرغائب والمستحبات، وإليهم الإشارة بقوله: («**ولَا يزَال عَبدِي يتَقرَّب إِلَيّ بالنوافل حَتَّى أحبه، فَإِذا أحببته كنت سَمعه الَّذِي يسمع بِهِ، وبصره الَّذِي يبصر بِهِ، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه**»).

قال: (**وَكثير من المخطئين الَّذين ابتدعوا أَشْيَاء فِي الزّهْد وَالْعِبَادَة وَقَعُوا فِي بعض مَا وَقع فِيهِ النَّصَارَى من دَعْوَى الْمحبَّة لله مَعَ مُخَالفَة شَرِيعَته، وَترك المجاهدة فِي سَبيله وَنَحْو ذَلِك**)؛ حتى إنني قرأت مرة لأحد يستدل على جواز المولد والاحتفال به، يقول: ولئن كان أهل الصليب اتخذوا يوم مولد نبيهم عيدًا أكبر؛ فالمسلمون أولى بالتكريم وأجدر، متفقٌ عليه، هذا دليل: ولئن كان أهل الصليب اتخذوا يوم مولد نبيهم عيدًا أكبر فالمسلمون أولى

بالتكريم وأجدر، وفي الحديث: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»، وعند القائل: أنه جاء بدليلٍ قاطع وفيصل في الموضوع، وهو في الحقيقة دليل على أن مثل هذه الأعمال إنما دخلت على بعض المسلمين من باب التشبه.

قال: (**وَكثيرٌ من المخطئين الَّذين ابتدعوا أَشْيَاء فِي الزّهْد وَالْعِبَادَة وَقَعُوا فِي بعض مَا وَقع فِيهِ النَّصَارَى من دَعْوَى الْمحبَّة لله مَعَ مُخَالفَة شَرِيعَته، وَترك المجاهدة فِي سَبيله وَنَحْو ذَلِك، ويتمسكون فِي الدَّين الَّذِي يَتَقَرَّبُون بِهِ إِلَى الله بِنَحْوِ مَا تمسك بِهِ النَّصَارَى من الْكَلَام الْمُتَشَابه، والحكايات الَّتِي لَا يُعرف صدق قَائِلهَا**)؛ يعني إذا طُولب أحدهم بدليل على الأعمال التي يتقرب إلى الله بها -وهي ليست من دين الله- بماذا يستدل؟ تجد بعضهم يستدل بحكايات، أو آخر يستدل بتجارب، أو يستدل بمنامات وأشياء من هذا القبيل، فيستدلون من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يُعرف صدق قائلها، (**وَلَو صدق لم يكن قَائِلهَا مَعْصُومًا**)؛ لو صدق يعني لو أنه ثبت صحة نسبتها إلى قائل معين فكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر -صلوات الله وسلامه عليه- كما هي كلمة الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**فيجعلون متبوعيهم شارعين لَهُم دينًا كَمَا جعل النَّصَارَى قسيسيهم وَرُهْبَانهمْ شارعين لَهُم دينًا**)؛ وتُصبح كلمة الشيخ أو المتبوع هي النص.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ابن تيمية له كلمة جميلة جدًا يقول فيها: كلٌّ يُستدل لقوله لا به إلا الله ورسوله، كلٌّ يستدل لقوله، يعني إذا قال قائلٌ قولًا لا يكون قوله الدليل، إلا قول الله وقول رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا هو الدليل، لكن كل قائل يستدل لقوله، يعني يُبحث دليل عن قوله، فإن وجد الدليل على قوله أُخذ به، ولهذا يُنقل عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أنه قال: لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم دليلًا عليه، والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إذا رأيتم قولي يُخالف قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاضربوا بقولي عرض الحائط، والإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر يعني رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه-.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته، يأخذون برأي فلان وفلان والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور، من الآية:63].

(**ثمَّ إِنَّهُم ينتقصون الْعُبُودِيَّة، وَيدَّعونَ أَن الْخَاصَّة يتعدونها**)؛ يقسمون الناس إلى عامة وخاصة، والخاصة عندهم يتعدون مقام العبودية، العبودية للخاصة، أما هم فمقامهم تجاوز العبودية، فلا يقومون بعبودية لله لا فعلًا لأوامره ولا تركًا لنواهيه، ومر معنا أن -وسيأتي أيضًا في آخر الكتاب- يستدلون على ذلك بقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:99]؛ اليقين يقولون

درجة إذا وصل إليها سقطت عنه التكاليف، وتكون التكاليف للعامة، أما الخاصة الذين بلغوا بزعمهم درجة اليقين تسقط عنهم التكاليف، فالعبودية ينتقصونها. (**وَيدعونَ أَن الْخَاصَّة يتعدونها كَمَا يَدعِي النَّصَارَى فِي الْمَسِيح والقساوسة، ويثبتون للخاصة من الْمُشَاركَة فِي الله من جنس مَا تثبته النَّصَارَى فِي الْمَسِيح وَأمه إِلَى أَنْوَاع أُخر يطول شرحها فِي هَذَا الْموضع**)؛ وهذه أمثلة يذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يُبين من خلالها أن البدعة التي صرت في الناس، والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان هي حقيقة فيها وجه تشابه بين أصحابها وبين من كانوا قبلنا من نصارى أو يهود أو غيرهم، مصداقًا لقول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**»، وهذا يعني أنك جميع ما تسمعه وتقرأه عن الأمم التي كانت قبلنا سيقع مثله. « **شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**»، خص جحر الضب بالذكر؛ لأنه يتميز عن غيره من جحور الزواحف بأنه جحر متلوي ومعقد، وعادة الزواحف تحفر حفرة مستقيمة، وتنتهي إلى عمق معين، بينما الضب لا، حتى الذي يريد أن يصطاده -والضب مأكول اللحم- من يريد أن يصطاده إذا حفر يضيع؛ لأنه إذا حفر يلتف ويلتف ويضيع ما يتهيأ له بالحفر أن يصطاده بسهولة، بمعنى لو دخلوا أشياء متلوية وفعلوا أمور معقدة وطرائق غاية في الفساد؛ فيوجد من يفعل مثلهم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نسأل الله أن يحفظنا، نسأل الله أن يحفظنا، وأن يعيذنا من الأهواء والبدع، وأن يُجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولمشايخنا والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

أُذَكِّر أيضًا بصيام التاسع والعاشر غدًا وبعد غدٍ الاثنين والثلاثاء، أما صيام العاشر فشكر لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو اليوم الذي أهلك الله فيه فرعون وقومه، ونجى فيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه، وأما صيام التاسع فمخالفةً لليهود كما في صحيح مسلم، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**»؛ أي مع العاشر، وصيام عاشوراء قال عنه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح: «**أحتسبه على الله أن يكفِّر السنة التي قبلها**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمدٍ، وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس السادس عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَإِنَّمَا الدِّين الْحق هُوَ تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة لله بِكُل وَجه، وَهُوَ تَحْقِيق محبَّة الله بِكُل دَرَجَة، وبقدر تَكْمِيل الْعُبُودِيَّة تكمل محبَّة العَبْد لرَبه وتكمل محبَّة الرب لعَبْدِهِ، وبقدر نقص هَذَا يكون نقص هَذَا، وَكلما كَانَ فِي الْقلب حب لغير الله كَانَت فِيهِ عبودية لغير الله بِحَسب ذَلِك، وَكلما كَانَ فِيهِ عبودية لغير الله كَانَ فِيهِ حب لغير الله بِحَسب ذَلِك.

وكل محبَّة لَا تكون لله فَهِيَ بَاطِلَة، وكل عمل لَا يُرَاد بِهِ وَجه الله فَهُوَ بَاطِل فـ «**الدُّنْيَا ملعونة مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لله**»، وَلَا يكون لله إِلَّا مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ الْمَشْرُوع.

فَكل عمل أُرِيد بِهِ غير الله لم يكن لله، وكل عمل لَا يُوَافق شرع الله لم يكن لله، بل لَا يكون لله إِلَّا مَا جمع الوصفين: أَن يكون لله، وَأَن يكون مُوَافقًا لمحبة الله وَرَسُوله، وَهُوَ الْوَاجِب وَالْمُسْتَحب كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فَلَا بُد من الْعَمَل الصَّالح وَهُوَ الْوَاجِب وَالْمُسْتَحب، وَلَا بُد أَن يكون خَالِصًا لوجه الله تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112]، وَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملًا لَيْسَ عَلَيْهِ أمرنَا فَهُوَ رد**»، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكل امْرِئ مَا نوى، فَمن كَانَت هجرته إِلَى الله وَرَسُوله فَهجرَته إِلَى الله وَرَسُوله، وَمن كَانَت هجرته لدُنْيَا يُصِيبهَا أَو امْرَأَة يَتَزَوَّجهَا فَهجرَته إِلَى مَا هَاجر إِلَيْهِ**»، وَهَذَا الأَصْل هُوَ أصل الدَّين، وبحسب تَحْقِيقه يكون تَحْقِيق الدَّين، وَبِه أرسل الله الرُّسُل، وَأنزل الْكتب، وَإِلَيْهِ دَعَا الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيهِ جَاهد، وَبِه أَمر وَفِيه رغب، وَهُوَ قطب الدَّين الَّذِي تَدور عَلَيْهِ رحاه).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى الانحرافات التي وقعت في المحبة والدعاوى المدعاة في هذا الباب، وبيَّن زيفها وخطأ أصحابها، أتى إلى هذه الخلاصة التي فيها جماع هذا الأمر حيث قال: (**وَإِنَّمَا الدَّين الْحق هُوَ**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة لله بِكُل وَجه)؛ الدين الحق أي: الذي رضيه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لعباده دينًا ولا يرضى لهم دينًا سواه، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:19]، وكما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة، من الآية:3]، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:85]؛ فهذا الدين الحق حقيقته تحقيق العبودية لله بكل وجه، بأن يكون الحب لله، والخضوع لله، والذل لله، والدعاء لله، والتوكل على الله، وأنواع العبادة كلها إنما تُصرف لله، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:162-163].

قال: (وَهُوَ تَحْقِيق محبَّة الله بِكُل دَرَجَة)؛ يعني أن يكون حب العبد الذي يُثمر الذل والخضوع -ليس المراد الحب الطبيعي- وإنما حب العبادة، حب الذل والخضوع يكون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يكون لأحدٍ فيه شركة؛ لأن إشراك غير الله مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الحب شركٌ بالله، مصادمٌ للتوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:165]؛ لأن حب المؤمنين لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حب خالص صافي، لا يشركون مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيه غيره، بل يخلصونه لله جَلَّوَعَلَا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وبقدر تَكْمِيل الْعُبُودِيَّة تكمل محبَّة العَبْد لرَبه، وتكمل محبَّة الرب لعَبْدِهِ**)؛ إذا كان الأمر كما قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الدين الحق هو تحقيق العبودية لله وتحقيق محبة الله بكل وجه، فينتج من ذلك أنه بقدر تكميل العبودية تكمل المحبة، يعني تكمل محبة العبد لله، تكون المحبة صادقة وكاملة، بينما إذا كان الإنسان يدعي محبةً ولا يتحقق منه عبوديةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فعدم تحقق العبودية دليلٌ على عدم صدق المحبة؛ لأنه بين المحبة والعبودية تلازم، (**وبقدر تَكْمِيل الْعُبُودِيَّة تكمل محبَّة العَبْد لرَبه، وتكمل محبَّة الرب لعَبْدِهِ**)؛ فإذا أحب العبد ربه، وذل له، وخضع وعبده مخلصًا له الدين؛ أحبه الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وإنما تُنال محبة الله بذلك لا بمجرد الدعاوى.

قال: (**وبقدر نقص هَذَا يكون نقص هَذَا**)؛ يعني بقدر نقص العبودية يكون نقص المحبة، كل ما نقصت العبودية نقص حظ العبد من محبة الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له، ولهذا يتفاضل الناس تفاضلًا عظيمًا من حيث حب الله لهم، فأكملهم إيمانًا أحظى حبًّا وفوزًا بحب الله له، ومن نقص إيمانه نقص حظه من ذلك بحسب نقص إيمانه.

(**وَكلما كَانَ فِي الْقلب حب لغير الله كَانَت فِيهِ عبودية لغير الله بِحَسب ذَلِك**)؛ لما بين الحب والعبودية من التلازم، فإذا قام في القلب حب لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ففي القلب عبودية لغير الله، ولهذا مر معنا في الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

﴿يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾؛ لما سوَّى المشركون بين الأصنام وبين الله في المحبة، عبدوا الأصنام، عبدوها وصرفوا لها العبادة التي هي حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وَكلما كَانَ فِيهِ عبودية لغير الله كَانَ فِيهِ حب لغير الله بِحَسب ذَلِك، وكل محبَّةٍ لَا تكون لله فَهِيَ بَاطِلَة)؛ وقد مر معنا الحديث الذي فيه تحقيق المحبة وتفريعها ودفع ما يُضادها.

(وكل محبَّةٍ لَا تكون لله فَهِيَ بَاطِلَة، وكل عمل لَا يُرَاد بِهِ وَجه الله فَهُوَ بَاطِل فـ «الدُّنْيَا ملعونة مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»)**؛ وفي الحديث الصحيح أن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه**»، فما كان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويبتغى به وجه الله لا يشمله، ما جاء في الحديث من كون الدنيا ملعونة وما فيها أيضًا ملعون.

(وَلَا يكون لله إِلَّا مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ الْمَشْرُوع)؛ تأمل! **(وكل عمل لَا يُرَاد بِهِ وَجه الله فَهُوَ بَاطِل)**؛ يعني العمل الذي لا يقوم على الإخلاص فهو باطل، ثم يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يكون لله إِلَّا مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ الْمَشْرُوع)**؛ فاجتمع الأمران الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، فهما أمران متلازمان، وأصلان لا بد منهما وعليهما قيام دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَهُوَ الْمَشْرُوع. فَكل عمل أُرِيد بِهِ غير الله لم يكن لله**)؛ إذًا لا بد من هذين الأمرين الأصلين؛ الإخلاص للمعبود تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والمتابعة للرسول -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

قال: (**وكل عمل لَا يُوَافق شرع الله لم يكن لله، بل لَا يكون لله إِلَّا مَا جمع الوصفين**)؛ أي جمع أنه لله خالصًا وللسُّنة موافقًا، الذي لا يكون خالصًا لله خرج عن ذلك بكونه شرك وضلال، والذي لا يوافق سُنة نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج عن ذلك لكونه هوى وبدعة، والله لا يقبل من الدين إلا ما ابتغي به وجهه ووافق شرعه الذي أنزله على رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: (**بل لَا يكون لله إِلَّا مَا جمع الوصفين: أَن يكون لله، وَأَن يكون مُوَافقًا لمحبة الله وَرَسُوله**)؛ الأول في قوله: (**أَن يكون لله**)؛ هذا الإخلاص، والثاني في قوله: (**وَأَن يكون مُوَافقًا لمحبة الله وَرَسُوله**)؛ هذا المتابعة، وعلى الأمرين قيام الدين، أما الإخلاص فهو تحقيق شهادة: أن لا إله إلا الله، وأما المتابعة فهي تحقيق شهادة: أن محمدًا رسول الله، والدين قيامه على الشهادتين، وعنهما يُسأل الأولون والآخرون يوم القيامة، ماذا كنتم تعبدون؟ ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [سورة القصص، من الآية:65]؛ سؤالان الأول عن الإخلاص، والثاني عن المتابعة، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه موافقًا لسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

تنبه لهذا جيدًا ما دمت في دار المهلة دار العمل؛ لأنك إذا دخلت القبر وبدأت في مرحلة الحساب ومرحلة المجازاة لن ترى في صالح عملك عملًا تُثاب عليه وتؤجر عليه وتُكرم عليه إلا ما قام على الأصلين: الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، أما إذا كان الإخلاص مفتقدًا أو كانت المتابعة مفتقدة؛ فالعمل مردود، حتى وإن كثر، وإن تعدد، وإن رآه صاحبه من أحسن الأعمال مردود لا يقبله الله، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان له موافقًا لهدي نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

أما أن يقول: عندي أعمال كثيرة، منافعها متعددة، آثارها عظيمة إلى غير ذلك ليس بذلك يكون القبول، وإنما القبول يتوقف على أن يكون العمل لله، وأن يكون موافقًا لهدي رسول الله، فإذا خرج عن الإخلاص لم يُقبل، وإذا خرج عن المتابعة لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا.

قال: **(أَن يكون لله، وَأَن يكون مُوَافقًا لمحبة الله وَرَسُوله، وَهُوَ الْوَاجِب وَالْمُسْتَحب)**؛ يعني ما جاء في شرع الله من واجبات ومستحبات. **(كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]. **فَلَا بُد من الْعَمَل الصَّالح وَهُوَ الْوَاجِب وَالْمُسْتَحب، وَلَا بُد أَن يكون خَالِصًا لوجه الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [سورة

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

البقرة، من الآية:112])؛ قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي مخلصًا، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي متبعًا هدي النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فجُمع في هذه الآية بين الإخلاص والمتابعة، كما أنه جُمع بينهما في الآية التي قبلها، وسبق أن أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الآيتين مستدلًا بهما على هذا الأمر؛ الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثين أحدهما في المتابعة والثاني في الإخلاص، وهما قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («**من عمل عملًا لَيْسَ عَلَيْهِ أمرنَا فَهُوَ رد**»)، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («**إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ....**»)؛ إلى آخر الحديث، وهذان الحديثان عليهما مدار الدين، وبعض أهل العلم يضم إليهما حديث النعمان: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات**»، الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب المسند والكتب الأخرى الكثيرة في الحديث المشتملة على الآلاف من أحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الرجل الضليع في السنة وفي حفظ أحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: الأحاديث كلها أحاديث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها ترجع إلى ثلاثة أحاديث، آلاف الأحاديث المروية عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترجع إلى ثلاثة أحاديث؛ حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، وحديث: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وحديث: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمورٍ مشتبهات**»، فتجد أن الأحاديث الكثيرة المروية

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها تفريع لهذه الأحاديث؛ لأنها ترجع إليها، وتقوم عليها، «**إنما الأعمال بالنيات**»؛ هذا فيه الإخلاص، وابتغاء وجه الله بالعمل، ومعنى: «**إنما الأعمال بالنيات**»؛ أي إنما هي معتبرة بالنية، اعتبار العمل بالنية، فإذا كان خالصًا قُبل، وإن لم يكن خالصًا لم يقبل، حتى وإن كان ظاهر العمل الصلاح والاستقامة.

والحديث الثاني قال فيه: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»؛ فيه أن العمل إذا كان لم يوافق السنة رُدَّ على صاحبه، ولم يُقبل منه، فهو رد أي مردودٍ على صاحبه غير مقبولٍ منه، فالله لا يقبل من العمل إلا الخالص الموافق لهدي الرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أورد هذين الحديثين حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، وحديث: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»؛ لبيان أن الدين إنما يقوم على هذين الأصلين، ولا يُقبل أي عملٍ من الأعمال إلا بهما، وقد مر معنا عند شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كلمة عظيمة للفضيل بن عياض في معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، من الآية:2]؛ قال: أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَهَذَا الأَصْل هُوَ أصل الدَّين وبحسب تَحْقِيقه يكون تَحْقِيق الدَّين، وَبِه أرسل الله الرُّسُل، وَأنزل الْكتب، وَإِلَيْهِ دَعَا الرَّسُول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَعَلِيهِ جَاهد وَبِه أَمر وَفِيه رغَّب، وَهُوَ قطب الدَّين الَّذِي تَدور عَلَيْهِ رحاه**)؛ فالدين قائم على محبة الله والعبودية لله، والعبودية لله مدارها على الإخلاص للمعبود جَلَّ وَعَلَا، فلا يُشرك معه غيره في العبادة، والاتباع لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلا يعبد الله إلا بما جاء عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والشرك غَالبٌ على النُّفُوس وَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**هُوَ فِي هَذِه الْأمة أخْفى من دَبِيب النَّمْل**»، وَفِي حَدِيث آخر: قَالَ أَبُو بكر: يَا رَسُول الله كَيفَ ننجو مِنْهُ وَهُوَ أخْفى من دَبِيب النَّمْل؟ فَقَالَ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلا أعلمك كلمة إِذا قلتهَا نجوت من دقه وجله! قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم، وأستغفرك لما لَا أعلم**»، وَكَانَ عمر يَقُول فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا، واجعله لوجهك خَالِصًا، وَلَا تجْعَل لأحد فِيهِ شَيْئًا").

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والشرك غَالبٌ على النُّفُوس**)؛ ما سبب هذه الغلبة؟ الشرك غالبٌ على النفوس يسري إلى النفوس، يتسلل إلى القلوب، يدخل على الإنسان من هنا وهناك، غلبة الشرك على النفوس لكثرة منافذه، وكثرة مداخله، وكثرة مسائله، وأسبابه، وطرائقه، ومن وراء ذلك كله الشيطان الرجيم، قد أمرنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ندعو الله كل صباحٍ ومساء قائلين: «**اللهم**

فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيءٍ ومليكة، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر الشيطان وشركه»؛ أي وما يدعوا إليه من الشرك، وفي رواية: «**وشَرَكِهِ**»؛ أي ما يضعه من حبائل وينصب من فخوخ ووسائل لإدخال الناس وإيقاعهم في الشرك بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فإذًا الشرك غالب على النفوس؛ لأنه ما يزال الإنسان في سيره وفي عمله وفي عبادته الشرك يتسلل إليه، ويحتاج دائمًا إلى مدافعة ومجاهدة لنفسه حتى يُبعدها عن الشرك، حتى قال أحد أئمة السلف إما الأوزاعي أو الثوري قال: "ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي"، النية تتفلت تحتاج من العبد فعلًا إلى مجاهدة مستمرة، واستعانة بالله، والتجاء إلى الله، وتعوذ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتحصن أيضًا بقراءة العلم النافع، كم يحتاج الناس فعلًا إلى قراءة التوحيد، وتعلم التوحيد، والقراءة في كتب التوحيد، وشروحات التوحيد، حتى يحصل عندهم قوة علمية مستمدة من الكتاب والسنة يدفعون بها هذه الشرور، ويدفعون بها هذه الآفات، ولهذا سبب الجهل بالدين، وتوحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تدخل أنواع من الشركيات على الناس من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

قال: (**والشرك غَالبٌ على النُّفُوس وَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «هُوَ فِي هَذِه الْأمة أَخْفى من دَبِيب النَّمْل»**)؛ الشرك أخفى من دبيب النمل، الشرك فيه جلي وفيه خفي، الشرك فيه شركٌ جلي وفيه شركٌ خفي، والنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال:

«**الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل**»؛ حتى نفهم الحديث جيدًا لنستحضر دبيب النمل، وقلت في المرة السابقة: لو أن نملةً الآن مشت من بيننا تدب، نسمع صوت دبيبها؟ نراها؟ نُحس بها؟ يمكن تخترق الجميع من الأول إلى الآخر ما شعر بها أحد، قال: (**أَخْفى من دَبِيب النَّمْل**)؛ وهذا من جملة أحاديث كثيرة جدًا استدل بها أهل العلم على وجوب الخوف من الشرك، أن العبد دائمًا يخاف على نفسه من الشرك، يا رب سلم سلم، يدعو الله أن يعيذه أن ينجيه، إمام الحنفاء الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:35-36]؛ قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟! ومع ذلك بعض المبطلة يدعون دعاوى فجة عريضة ويقولون: الشرك لا يقع، ويأتون بأحاديث يفهمونها على غير بابها، مثل حديث: أن الشيطان يئس أن يعبده المصلون عن جزيرة العرب، قالوا: هذا عن جزيرة العرب لم يكن فيها شرك إطلاقًا، والعوام مساكين إذا فهموا هذا الحديث بهذه الطريقة، تجده يمارس الأشياء التي يمارسها وهي من الشركيات وهو مطمئن لأن الشرك ما يقع، كأن الذي يكون في الجزيرة عنده حصانة لا يخترقه الشرك بحكم في داخل الجزيرة هكذا فهم بعض العوام، ولهذا يشرك ويقول: الحمد لله أنا في الجزيرة، هذه مصيبة، مصيبة عظيمة، ومن يقول مثل هذا الكلام هذا يضل الناس، ويهون في قلوبهم الخوف من الشرك، والحذر من الشرك، بينما

الأنبياء بُعثوا الأنبياء كلهم في التخويف من الشرك والتحذير منه وبيان خطورته.

قال: (**وَفِي حَدِيث آخر: قَالَ أَبُو بكر: يَا رَسُول الله كَيفَ ننجو مِنْهُ وَهُوَ أخْفى من دَبِيب النَّمْل؟**)؛ انظر صدِّيق الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خير أمة محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، خير الناس بعد الأنبياء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، قال: (**كَيفَ ننجو مِنْهُ**)؛ حتى ما قال: كيف ينجو منه الناس؟ ما قال: كيف ينجو من الناس كيف يسلم من العوام والجهال قال: (**كَيفَ ننجو مِنْهُ وَهُوَ أخْفى من دَبِيب النَّمْل؟**)؛ هذا يقولونه لما قام في قلوبهم خوف منه، وإذا قام الخوف بدأت المدافعة والعمل على طرد الشرك والبعد عنه.

يا أخي! الآن لما يخاف الناس من مرض ويحدثون عن خطورته، يمر علينا في حياتنا أشياء من هذا كثير، يعني يأتي يقول الآن: انتشر المرض الفلاني انتبهوا! الكمامات ما أدري كذا، إلى آخره، تجد الناس حتى الصيدليات بعض الأشياء تنفذ مباشرة، إيش السبب؟ وُجد خوف، الخوف يورث مدافعة، فالذي يخاف من مرض يعمل على مدافعته، الآن تجد بعض الناس خوفًا من الأمراض يترك أطعمة تشتهيها نفسه وهي نافعة لكن حمية، يحتمي من بعض الأطعمة حفظًا لصحته وبدنه، فإذًا الخوف من الشرك مطلوب واجب، واجب من الواجبات أن يكون الإنسان يخاف من الشرك، وأن يكون في قلبه

خوف من الشرك، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:48]؛ إذا كان من مات مشركًا معنى ذلك أنه يبقى في النار أبد الآباد، مخلَّدًا فيها أبد الآباد، لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها؛ كيف لا يُخاف وهذه حاله؟

قال: (**وَفِي حَدِيث آخر: قَالَ أَبُو بكر: يَا رَسُول الله كَيفَ ننجو مِنْهُ وَهُوَ أخْفى من دَبِيب النَّمْل؟**)؛ فقال: يا أبا بكر، اسمع كلام الناصح -صلوات الله وسلامه عليه-، («**ألا أعلمك كلمة إِذا قلتهَا نجوت من دقه وجله**»)؛ حديثٍ آخر قال: «**أذهب الله عنكم قليل الشرك وكثيره**»، وهذا كلام الناصح الأمين، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة، من الآية:128]؛ -صلوات الله وسلامه عليه- فانظر هذا النصح لأمته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**أذهب الله عنكم قليل الشرك وكثيره، دقه وجله، ما كان منه دقيقا وكبيرًا ليذهبه الله عنكم**». قال: (**قل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم، وأستغفرك لما لَا أعلم»**)؛ هذه الدعوة جديرة بأن تُحفظ وأن يُحافظ عليها، وأن يكثر المسلم منها، ووالله لن تنجو من الشرك إلا إذا نجاك الله.

قال: (**تقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم، وأستغفرك لما لَا أعلم»**)؛ أعوذ بك أي: التجئ إليك يا الله، فإليك الملتجأ، وإليك المفر،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وإليك المفزع، ولا نجاة ولا سلامة إلا لمن كتبت له ذلك ونجيته وسلمته، **(أعوذ بك)**؛ التجئ إليك أن تحميني، أن تقيني، أن تنجيني، لا يكفي لتسلم من الشرك أن تعلم به، أو أن تعرفه، أو أن تعرف أنواعه، لا يكفي ذلك، أنت في فقرٍ ذاتي إلى الله جَلَّ وَعَلَا أن ينجيك، وأن يقيك من الشرك وأن يحميك منه، لا نجاة من ذلك إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا ينبغي على المؤمن فعلًا أن يخاف من الشرك وأن يلجأ إلى الله دائمًا أن ينجيه من الشرك، أن يخرجه من هذه الدنيا سالمًا، ناجيًا، من أخطر ما فيها وأضر ما فيها وأشد ما فيها ضررًا يلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يا رب، يا رب، والله عَزَّوَجَلَّ لا يخيب من دعاه، ومن سأل الله بصدق أعطاه، من سئل الله بصدقٍ أعطاه، فمن صدق مع الله جَلَّ وَعَلَا أعانه ويسر له أمره ووقاه، فلهذا جدير بأن تحفظ هذه الدعوة وأن يحافظ عليها: (**«اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم، وأستغفرك لما لَا أعلم»**)؛ تنبه! الشرك قد يدخل على الإنسان وهو يعلم، وقد يدخل عليه من حيث لا يعلم، تجد أناس يمارس شركيات، وقد مضى عليه دهرًا من عمره وهو يمارسها على أنها توسل مشروع، ويقرأ وهو يُمارس تلك الشركيات قول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:35]؛ يقرأ الآية، ثم يعمل الشرك ويظن أن هذا العمل الذي يعمله يوافق قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، وربما أنه قال: الحمد لله أنني أعمل بهذه الآيات: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾؛ فيتخذ الأنداد مع الله والشركاء على اعتبار أنها وسائل

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ووسائط، فيُشرك من حيث الإنسان من حيث يعلم، ويشرك من حيث لا يعلم، إذًا مطلوب في هذا المقام بأن تدعو بهذه الدعوة المباركة، ويحتاج مع الدعاء بها -وهذا أصل مهم نبه عليه أهل العلم- أن تتبع الدعاء ببذل السبب، فتقول: ((«**اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم، وأستغفرك لما لَا أعلم**»)؛ ثم تبذل السبب، تعمل، تتعلم، تتفقه، تعرف، حذيفة بن اليمان يقول: كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن الخير، وكنت اسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فيتعلم الإنسان حتى يحذر، كثير من الناس ما كان يتعلم من أمور التوحيد وأمور الاعتقاد ويقع في أنواع من الباطل، فلما تعلم أدرك حاجته فعلًا إلى العلم، والعلم نور لصاحبه، فإذًا تدعو بهذا الدعاء وتتبع ذلك بالعمل، تقرأ في التوحيد، وتحرص على أن يقرأ أولادك في التوحيد، ومن أحسن الكتب في هذا كتاب [فتح المجيد] كتاب جعل الله فيه بركة عظيمة ونفعًا كبيرًا في بابه، [فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]، خلقٌ نجاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من شركيات وأنواع من الأباطيل بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن يسر لهم قراءة هذا الكتاب، وغيره كثير، لكن هذا كتاب من أنفع ما يكون، وبعض المشايخ الأفاضل يُنقل عنه أنه قرأ هذا الكتاب أكثر من ستين مرة، ولا يزال يقرأ يقرأ وهو بحاجة إلى الاستفادة والانتفاع.

فإذًا يدعو بهذا الدعاء، ويُتبع الدعاء ببذل السبب: ((«**اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم، وأستغفرك لما لَا أعلم**»))، **وَكَانَ عمر يَقُول فِي دُعَائِهِ:**

"اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا، واجعله لوجهك خَالِصًا، وَلَا تجْعَل لأحد فِيهِ شَيْئًا")؛ وهذه موافقة عجيبة! اجتمع الصديقان اجتمع أبو بكر الصديق وعمر الفاروق في هذا الباب العظيم الباب الخطير الذي يستهين به كثير من الناس ولا يلقون له بال، ولا يقع فيه قلوبهم خوف منه، فها هو صديق الأمة يقول للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كَيفَ ننجو مِنْهُ**)؛ وها هو عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه يقول في دعاءه: **"اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا، واجعله لوجهك خَالِصًا، وَلَا تجْعَل لأحد فِيهِ شَيْئًا"**؛ وانتبه لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجعل، اجعل؛ لأنه ما يمكن أن تكون مخلصًا ولا أن تكون متبعًا إلا إذا جعلك الله كذلك، ولهذا يدعو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: (**"اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحًا، واجعله لوجهك خَالِصًا..."**)؛ فعملك لا يُمكن أن يكون خالصًا لله، ولا يمكن أن يكون موافقًا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا إذا جعله الله كذلك، اللهم يا ربنا اجعل عملنا كله صالحًا، ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَثِيرًا مَا يخالط النُّفُوس من الشَّهَوَات الْخفية مَا يفْسد عَلَيْهَا تَحْقِيق محبتها لله وعبوديتها لَهُ وإخلاص دينهَا لَهُ، كَمَا قَالَ شَدَّاد بن أَوْس: يَا نعايا الْعَرَب! يَا نعايا الْعَرَب! إِن أخوف مَا أَخَاف عَلَيْكُم الرِّيَاء والشهوة الْخفية، وَقيل لأبي دَاوُد السجسْتانِي: وَمَا الشَّهْوَة الْخفية؟ قَالَ: حب الرِّئَاسَة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَعَن كَعْب بن مَالك عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**مَا ذئبان جائعان أرسلا فِي زريبة غنم بأفسد لَهَا من حرص الْمَرْء على المَال والشرف لدينِهِ**»، قَالَ التِّرْمِذِيّ: حَدِيث حسن صَحِيح.

فبيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن الْحِرْص على المَال والشرف فِي إِفْسَاد الدَّين لَا يُنقص عَن إِفْسَاد الذئبين الجائعين لزريبة الْغنم، وَذَلِك بيِّن؛ فَإِن الدَّين السَّلِيم لَا يكون فِيهِ هَذَا الْحِرْص، وَذَلِكَ أَن الْقلب إِذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته لَهُ لم يكن شَيْء أحب إِلَيْهِ من ذَلِك حَتَّى يقدمهُ عَلَيْهِ، وَبِذَلِك يصرف عَن أهل الْإِخْلَاص لله السوء والفحشاء، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:24].

فَإِن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله مَا يمنعهُ عَن عبوديته لغيره، وَمن حلاوة محبته لله مَا يمنعهُ من محبَّة غَيره؛ إِذْ لَيْسَ عِنْد الْقلب السَّلِيم أحلى وَلَا أَلذ وَلَا أطيب وَلَا أَلين وَلَا أنعم من حلاوة الْإِيمَان المتضمن عبوديته لله ومحبته لَهُ وإخلاص الدَّين لَهُ، وَذَلِك يَقْتَضِي انجذاب الْقلب إِلَى الله؛ فَيصير الْقلب منيبًا إِلَى الله خَائفًا مِنْهُ رَاغبًا رَاهِبًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق، من الآية:33]؛ إِذْ الْمُحب يخَاف من زَوَال مَطْلُوبه، أَو عدم حُصُول مرغوبه فَلَا يكون عبد الله ومحبه إِلَّا بَين خوف ورجاء، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:57]).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَثِيرًا مَا يخالط النُّفُوس من الشَّهَوَات الْخفية مَا يفْسد عَلَيْهَا تَحْقِيق محبتها لله وعبوديتها لَهُ وإخلاص دينهَا لَهُ**)؛ لمَّا نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الشرك الخفي وخطورته وأنه أخفى من دبيب النمل، وأورد الدعاء الذي علمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر ودعوة عمر العظيمة، نبه أن كثيرًا ما يخالط النفوس من الشهوة الخفية، الشهوة الخفية شهوة النفس؛ مثل حب الظهور، وثناء الناس، وحصول الرئاسات، أو المطامع الدنيوية، أو غير ذلك هناك في النفس شهوة خفية، وهذه الشهوة الخفية إذا سيطرت على القلب وتمكنت من قلب الإنسان أدخلته في أنواع من الشركيات بسبب تعلق قلبه بتلك الشهوة الخفية ولهذا قال: (**مَا يفْسد عَلَيْهَا تَحْقِيق محبتها لله وعبوديتها لَهُ وإخلاص دينهَا لَهُ**)؛ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(**كَمَا قَالَ شَدَّاد بن أَوْس: يَا نعايا الْعَرَب! يَا نعايا الْعَرَب! إِن أخوف مَا أَخَاف عَلَيْكُم الرِّيَاء**)؛ يعني أن تقعوا في الرياء، وأن يخالط أعمالكم، وأن تعملوا الأعمال مراءاة، قال: (**إِن أخوف مَا أَخَاف عَلَيْكُم الرِّيَاء والشهوة الْخفية**)؛ الرياء يعمل عمل لأجل الناس مراءاة له، الشهوة الخفية ما هي؟ أورد شيخ الإسلام أن أبا داود السجستاني سُئل: (**وَمَا الشَّهْوَة الْخفية؟ قَالَ: حب الرِّئَاسَة**)؛ هذا -والله تعالى أعلم- تفسير للشهوة الخفية بالمثال، لا حصر

للشهوة الخفية بحب الرئاسة، قد يكون حب رئاسة، وقد يكون حب شهرة، وقد يكون حب ظهور إلى غير ذلك، فتكون في النفس شهوة خفية وهي التي توجهه، وهي التي تسير قلبه؛ فيقع في القلب ما يُفسد عليه تحقيق المحبة لله بسبب تلك الشهوة الخفية، بحيث تكون تلك الشهوة الخفية هي مطلوبه ومقصود قلبه وقبلة فؤاده، فيضيع بسبب هذه الشهوة الخفية تحقيق المحبة لله والعبودية لله وإخلاص الدين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم أورد حديث كعب بن مالك عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (**أنه قَالَ: «مَا ذئبان جائعان أرسلا فِي حظيرة غنم بأفسد لَهَا من حرص الْمَرْء على المَال والشرف لدينِهِ»، قَالَ التِّرْمِذِيّ: حَدِيث حسن صَحِيح**)؛ هذا حديث عظيم جدًا في بابه، وهو من نظير ما سبق أن مر معنا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كثيرًا ما يضرب الأمثال، وهذا من نصحه، أمثال عجيبة توضح الأمور، تجعل المعاني مثل شيء تراه، دعونا قبل أن ندخل في الحديث أن نستحضر المثال: لو أن ذئبان جائعان في أشد ما يكون من الجوع، ثم أدخل هذان الذئبان في حظيرة غنم مليئة بالغنم وهما جائعان، ماذا سيكون للغنم؟ الذئب معروف بالفساد يعني لا يكفي أن يأكل ما يشبع بطنه، لا يكتفي بأن يأخذ من ذرية الغنم شاةً واحدة تُشبع بطنه، لا يكتفي بذلك، الذئب معروف إذا دخل ذريبة الغنم يقتل أكثر الغنم الذي فيه، يجتهد في قتل أكثر الغنم، يقتل هذه وهذه وهذه؛ فإذا وضع ذئبان في حظيرة غنم وهما جائعان ما الذي سيحدث؟ هذا الآن مثال

استحضره حتى تعلم من خلاله أمرًا يبينه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث يقول: («**مَا ذئبان جائعان أرسلا فِي حظيرة غنم بأفسد لَهَا من حرص الْمَرْء على المَال والشرف لدينِهِ**»)؛ يعني إفساد حرص المرء على المال والشرف -إفساده لدينه- أشد من إفساد الذئبين الجائعين في حظيرة غنم، حرص الإنسان على المال، حرصه على الشرف، حرصه على رئاسة حرصه على غير ذلك فيه خطورة في إفساد الدين أخطر من إفساد ذئبين جائعين أرسلا في حظيرة غنم، يقول ابن تيمية: (**فَبيَّن** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَن الْحِرْص على المَال والشرف فِي فساد الدَّين لَا ينقص عَن إِفْسَاد الذئبين الجائعين لزريبة الْغنم**)؛ حرص الإنسان على المال أن يحصل المال الطائل، والشرف أن يقول له شرف برئاسة بظهور بعلو ببروز إلى غير ذلك شرف، تحت أي مسمى كان أن يكون له شرف ورفعة، فحرص الإنسان على المال وكذلك حرصه على الشرف خطورته في إفساد الدين لا ينقص عن إفساد الذئبين الجائعين لذريبة الغنم، لماذا قال: لا ينقص؟ لأن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث: (**بأفسد لَهَا**)؛ وأفسد أفعل تفضيل فالمال والحرص أشد إفسادًا للدين من حرص الإنسان على المال وعلى الشرف، أشد إفسادًا للدين من إفساد الذئبين الجائعين الذي أرسلا في زريبة غنم.

وللحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة مفردة في هذا الحديث، رسالة مفردة جميلة نافعة مطبوعة في شرح هذا الحديث.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (وَذَلِكَ يُبيِّن؛ فَإِن الدَّين السَّلِيم لَا يكون فِيهِ هَذَا الْحِرْص)؛ ما معنى هذا الكلام، (الدَّين السَّلِيم لَا يكون فِيهِ هَذَا الْحِرْص)؛ معناه إذا كان وُجد الحرص على الشرف وعلى المال وسيطر على الإنسان على قلبه؛ فهذا كما يقول شيخ الإسلام: يبين أن الدين لا يكون بذلك سليمًا دخله ما دخله، قال: (وَذَلِكَ يُبيِّن أن الدَّين السَّلِيم لَا يكون فِيهِ هَذَا الْحِرْص، وَذَلِكَ أَن الْقلب إِذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته لَهُ لم يكن شَيْء أحب إِلَيْهِ من ذَلِك حَتَّى يقدم عَلَيْهِ، وَبِذَلِك يُصرف عَنهم السوء والفحشاء)؛ بذلك أي بما قام في قلوبهم من إيمان وإخلاص وتوحيد لله. (يُصرف عَن أهل الْإِخْلَاص لله السوء والفحشاء، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:24]).

(فَإِن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله مَا يمنعهُ عَن عبوديته لغيره، وَمن حلاوة محبته لله مَا يمنعهُ من محبَّة غَيره؛ إِذْ لَيْسَ عِنْد الْقلب السَّلِيم أحلى وَلَا ألذ وَلَا أطيب وَلَا ألين وَلَا أنعم من حلاوة الْإِيمَان)؛ لكن هذا المعنى يشعر به من أكرمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وذاق هذه الحلاوة؛ فلا يقبل أن يداخلها شيء، أو ينازعها شيء، أو يفسدها شيء.

قال: (من حلاوة الْإِيمَان المتضمن عبوديته لله ومحبته لَهُ وإخلاص الدَّين لَهُ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي انجذاب الْقلب إِلَى الله؛ فَيصير الْقلب منيبًا إِلَى الله خَائفًا مِنْهُ

رَاغِبًا رَاهِبًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق، من الآية:33]؛ إِذْ الْمُحب يخَاف من زَوَال مَطْلُوبه، أَو حُصُول مرهوبه فَلَا يكون عبد الله ومحبه إِلَّا بَين خوف ورجاء، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:57])، وهذه الآية الكريمة من سورة الإسراء جمعت الأمور الثلاثة التي يشير إليها شيخ الإسلام وهي الحب الذي هو روح الدين والرجاء والخوف، فجمعت هذه الآية الكريمة الثلاث، أما الحب ففي قوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾؛ دافع ذلك عظيم حبهم لله سبحانه، ثم ذكر الرجاء والخوف بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذا كَانَ العَبْد مخلصًا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إِلَيْهِ، فَيَنْصَرِف عَنهُ مَا يضاد ذَلِك من السوء والفحشاء، وَيخَاف من حُصُول ضد ذَلِك، بِخِلَاف الْقلب الَّذِي لم يخلص لله؛ فَإِن فِيهِ طلبًا وَإِرَادَة وحبًا مُطلقًا؛ فيهوى مَا يسنح لَهُ، ويتشبث بِمَا يهواه كالغصن أَي نسيم مر بِهِ عطفه وأماله، فَتَارَة تجتذبه الصُّور الْمُحرمَة وَغير الْمُحرمَة، فَيبقى أَسِيرًا عبدًا لمن لَو اتَّخذهُ هُوَ عبدًا لَهُ لَكَانَ ذَلِك عَيْبًا ونقصًا وذمًا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَتارَةً يجتذبه الشّرف والرئاسة؛ فترضيه الْكَلِمَة وتغضبه الْكَلِمَة، ويستعبده من يثني عَلَيْهِ وَلَو بِالْبَاطِلِ، ويعادي من يذمه وَلَو بِالْحَقِّ.

وَتارَةً يستعبده الدِّرْهَم وَالدِّينَار، وأمثال ذَلِك من الْأُمُور الَّتِي تستعبد الْقُلُوب، والقلوب تهواها؛ فيتخذ إِلَهًا هَوَاهُ وَيتبع هَوَاهُ بِغَيْر هدىً من الله.

وَمن لم يكن خَالِصًا لله عبدًا لَهُ قد صَار قلبه معبدًا لرَبه وَحده لَا شريك لَهُ، بِحَيْثُ يكون الله أحب إِلَيْهِ من كل مَا سواهُ، وَيكون ذليلًا لَهُ خاضعًا وَإِلَّا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشَّيَاطِين فَكَانَ من الغاوين إخْوَان الشَّيَاطِين، وَصَارَ فِيهِ من السوء والفحشاء مَا لَا يُعلمهُ إِلَّا الله.

وَهَذَا أَمر ضَرُورِيّ لَا حِيلَة فِيهِ؛ فالقلب إِن لم يكن حَنِيفًا مُقبلًا على الله معرضًا عَمَّا سواهُ وَكَانَ مُشْركًا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم، من الآية:30-32]).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: **(وَإِذا كَانَ العَبْد مخلصًا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إِلَيْهِ، فَيَنْصَرِف عَنهُ مَا يضاد ذَلِك من السوء والفحشاء)**؛ بمعنى: أن العبد كلما وُفِّق لتحقيق مقام الإخلاص والإقبال على الله والصدق مع الله حظي من

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

كرامة الله عَزَّوَجَلَّ له وتوفيقه له بانجذاب قلبه إلى الله وإقباله عليه سبحانه، وعدم التفات القلب إلى ما سوى ذلك، قال: **(فأحيا قلبه واجتذبه إِلَيْهِ، فَيَنْصَرِف عَنهُ مَا يضاد ذَلِك من السوء والفحشاء)**؛ قد مر معنا قول الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف، من الآية:24]. قال: **(وَيخَاف من ضد ذَلِك)**؛ المخلص يخاف من ضد ذلك، انتبه لهذه الكلمة! يخاف من ضد ذلك، يخاف من ضد الإخلاص ونقيضه، هذا المخلص، أما من لا يكون مخلصًا أو الإخلاص ضعيفٌ في قلبه لا يقع فيه هذا الخوف أو يكون الخوف ضعيفًا، من كان الإخلاص في قلبه ضعيفًا الخوف يكون أيضًا في قلبه ضعيف، ولهذا يقول: **(وَيخَاف من حُصُول ضد ذَلِك، بِخِلَاف الْقلب الَّذِي لم يخلص لله؛ فَإِن فِيهِ طلبًا وَإِرَادَة وحبًا مُطلقًا)**؛ حتى إن بعض دعاة الباطل من شدة عدم مبالاته للشرك يقول لأتباعه: افعلوا هذا ولا عليكم، إن كان شرك فذنبكم علي، يقول ذلك، يقول: إذا كان هذا شرك أنا أتحمله عنكم، هذا ما يقوله إلا أجهل الجهلاء، وعنده من الإفساد والإضلال للناس ما هو أشد ما يكون، قد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن أخوف ما أخاف على أئمتي الأئمة المضلين**»، حتى أنه نقل لي مرة عن شخص أنه قال لبعض أتباعه: هذا إن كان شرك فهو في رقبتي، أتباعه عُد، يقول: إن كان هذا شرك فهو في رقبتي، يعني أنا أتحمل ذلك، هذه مصيبة! وجناية يجني على نفسه وعلى الآخرين، والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ قال:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:25]، وقال: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه**»، أين الورع؟ وأين الخوف من الله؟ وأين الخوف من الشرك؟ وأين النُّصح للناس؟ فإذًا انتبه!

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِخِلَاف الْقلب الَّذِي لم يخلص لله؛ فَإِن فِيهِ طلبًا وَإِرَادَةً وحبًا مُطلقًا؛ فيهوى مَا يسنح لَهُ، ويتشبث بِمَا يهواه**)؛ مثاله مثل الغصن (**كالغصن أَي نسيم مر بِهِ عطفه وأماله**)؛ عطفه وأماله، أي هوى يمر به تبع الهوى، الغصن يتمايل وهو يتمايل به هواه في أودية الباطل من وادٍ إلى وادي، أمثلة: (**فَتَارَة تجتذبه الصُّور الْمُحرمَة**)؛ صاحب الهوى، (**فَتَارَة تجتذبه الصُّور الْمُحرمَة وَغير الْمُحرمَة، فَيبقى أَسِيرًا عبدًا لمن لَو اتَّخذهُ هُوَ عبدًا لَهُ لَكَانَ ذَلِك نقصًا**)؛ يعني يقع فيه عبودية لشخص أيضًا هو لو كان اتخذه عبدًا له لكان نقصًا؛ لأن كلهم عباد، وعيبًا وذمًا.

(**وَتَارَةً يجتذبه الشّرف والرئاسة**)؛ فيكون همه الشرف وهمه الرئاسة فماذا يترتب على ذلك؟ (**فترضيه الْكَلِمَة وتغضبه الْكَلِمَة**)؛ ما الكلمة التي ترضيه؟ وما الكلمة التي تغضبه؟ ليس غضبًا في الله ولا رضا في الله، (**فترضيه الْكَلِمَة وتغضبه الْكَلِمَة**)؛ إذا مُدح وقيلت كلمات تدعم رئاسته ماذا؟ رضي، وأحب ذلك الشخص، وإذا انتقد أو خُطئ في أعماله الخاطئة الآثمة غضب؛ (**فترضيه**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الْكَلِمَة وتغضبه الْكَلِمَة، ويستعبده من يثني عَلَيْهِ وَلَو بِالْبَاطِلِ)؛ يعني قلبه يميل له، (**ويستعبده من يثني عَلَيْهِ وَلَو بِالْبَاطِلِ**)؛ الشخص الذي يثني عليه ولو كان ثناؤه باطل ويعلم أن ثناوه باطلًا يستعبد قلبه؛ لأن قلبه يميل إليه.

(**ويعادي من يذمه وَلَو بِالْحَقِّ**)؛ لماذا؟ لأن الرئاسة سيطرت على قلبه، واستولت على نفسه، واستعبدته، بخلاف المخلص؛ المخلص يستوي عنده المادح والذام.

قال: (**وَتارَةً يستعبده الدِّرْهَم وَالدِّينَار، وأمثال ذَلِك من الْأُمُور الَّتِي تستعبد الْقُلُوب**)؛ قد مر معنا قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد الدِّرْهَم**»، مر أيضًا كلام شيخ الإسلام على معناه.

(**والقلوب تهواها؛ فيتخذ إِلَهًا هَوَاهُ وَيتبع هَوَاهُ بِغَيْر هدىً من الله**)؛ والله يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [سورة الجاثية، من الآية:23].

قال: (**وَمن لم يكن مخلِصًا لله عبدًا لَهُ قد صَار قلبه معبدًا لِرَبه وَحده لَا شريك لَهُ، بِحَيْثُ يكون الله أحب إِلَيْهِ من كل مَا سواهُ، وَيكون ذليلًا لَهُ خاضعًا وَإِلَّا استعبدته الكائنات**)؛ أمران لا ثالث لهما: أما أن يكون عبدًا لله، فإن لم يكن عبدًا لله استعبدته الكائنات، الكائنات إما صورة، أو رئاسة، أو درهم، أو صنم، أو غير ذلك، أنواع كثيرة تستعبد الإنسان. إن لم مخلصًا لله، مقبلًا على الله، محبًا لله، خاضعًا لله، ذليلًا بين يدي الله، عبدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إن لم يكن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

كذلك (استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشَّيَاطِين فَكَانَ من الغاوين إِخْوَان الشَّيَاطِين، وَصَارَ فِيهِ من السوء والفحشاء مَا لَا يُعلمهُ إِلَّا الله، وَهَذَا أَمر ضَرُورِيّ لَا حِيلَة فِيهِ)؛ يعني أمر واقع ولا بد منه، إن لم يكن عبدًا لله كان عبدًا للكائنات، وتلقفته الشياطين.

(فالقلب إِن لم يكن حَنِيفًا مُقبلًا على الله مُعرضًا عَمَّا سواهُ وَإِلَّا كَانَ مُشْركًا، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم، من الآية:30-32])، وهذه الآية أوردها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى؛ لأن فيها دعوة إلى إخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾؛ أي مخلصًا مقبلًا على الله، مبتعدًا عن الشرك والباطل، فالحنيف هو المائل عن الشرك إلى التوحيد، وعن الباطل إلى الحق والهدى، ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ ختم السياق بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ إذًا من لم يكن مخلصًا حنيفًا ماذا سيكون؟ سيكون من المشركين، ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾؛ فمن لم يكن حنيفًا مقبلًا على الله معرضًا عما سواه وإلا كان من المشركين الدليل الآية الكريمة،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أو السياق الكريم في هذه الآيات: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾؛ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ وهذه الآيات الكريمات من سورة الروم جمعت أسباب الاجتماع والسلامة من الفرقة، وهي ستة أسباب سبق أن بسطها توضيحًا وبيانًا في محاضرة مستقلة.

اسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم، اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهك خالصة، ولا تجعل لأحدٍ فيها شيئًا، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم آمنا في أوطاننا واصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم يا قوي يا عزيز يا قاهر يا متين انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم انصرهم واحفظهم، وكن لهم ولا تكن عليهم يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تُسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس السابع عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَقد جعل الله سُبْحَانَهُ إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم أَئِمَّةً لهَؤُلَاء الحنفاء المخلصين أهل محبَّة الله وعبادته وإخلاص الدّين لَهُ، كَمَا جعل فِرْعَوْن وَآل فِرْعَوْن أَئِمَّة الْمُشْركين المتبعين أهواءهم، قَالَ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيم: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:72-73]؛ وَقَالَ فِي فِرْعَوْن وَقَومه: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ [سورة القصص، من الآية:41-42]؛ وَلِهَذَا يصير أَتبَاع فِرْعَوْن أَولًا إِلَى أَلا يميزوا بَين مَا يُحِبهُ الله ويرضاه وَبَين مَا قدر الله وقضاه بل ينظرُونَ إِلَى الْمَشِيئَة الْمُطلقَة الشاملة، ثمَّ فِي آخر الْأَمر لَا يميزون بَين الْخَالِق والمخلوق بل يجْعَلُونَ وجود هَذَا وجود هَذَا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَيَقُول محققوهم: الشَّرِيعَة فِيهَا طَاعَةٌ ومعصية، والحقيقة فِيهَا مَعْصِيّةٌ بِلَا طَاعَة، وَالتَّحْقِيق لَيْسَ فِيهِ طَاعَة وَلَا مَعْصِيّة، وَهَذَا تَحْقِيق مَذْهَب فِرْعَوْن وَقَومه الَّذين أَنْكَرُوا تكليمه لعَبْدِهِ مُوسَى وَمَا أرْسلهُ بِهِ من الْأَمر وَالنَّهْي.

وَأما إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم الحنفاء من الْأَنْبِيَاء وَالْمُؤمنِينَ بهم فهم يعلمُونَ أَنه لَا بُد من الْفرق بَين الْخَالِق والمخلوق، وَلَا بُد من الْفرق بَين الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة، وَأَن العَبْد كلما ازْدَادَ تَحْقِيقًا لهَذَا الْفرق ازدادت محبته لله وعبوديته لَهُ وطاعته لَهُ، وإعراضه عَن عبَادَة غَيره، ومحبة غَيره، وَطَاعَة غَيره).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أهل الحق وقولهم، وذكر أيضًا انحرافات أهل الباطل وأقوالهم، نبه أن كلًّا من هؤلاء لهم أئمتهم؛ فأهل الحق لهم أئمة الهدى اقتدوا بهديهم، وساروا على نهجهم، وتمسكوا بخطاهم، وأهل الباطل لهم أيضًا أئمتهم أهل الباطل والضلال، فأهل الحق متبعون لأئمة الهدى، وأهل الباطل متبعون لأئمة الباطل والردى.

قال: **(وَقد جعل الله سُبْحَانَهُ إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم أَئِمَّةً للحنفاء المخلصين)**؛ أي أن كل شخصٍ حنيف ومخلص لله إمامه في إخلاصه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وأسوته إبراهيم، ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:4]، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:21]؛ فالمخلص الحنيف المقبل على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إمامه في ذلك إبراهيم ومحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وجميع أئمة الهدى من الأنبياء وأتباعهم.

وأورد شاهدًا لذلك قول الله سبحانه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:72]، أي لإبراهيم ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:72-73]، وهذا موضع الشاهد في بيان أن أهل الحق والهدى أئمتهم إبراهيم الخليل، وآل إبراهيم، ومن كان على سنن الأنبياء، وطريق الأنبياء من أئمة الحق والهدى.

والإمامة في الدين رتبة علية لا تُنال إلا بالمجاهدة والصبر واليقين، كما قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة، من الآية:24]، فذكر في الآية أربع علامات عظام للأئمة الهدى:

- الهداية: أي العمل في طريق الدعوة، والتعليم، والتوجيه.
- ثم دعوتهم بأمر الله ليست بالباطل، أو بالبدع والأهواء، وإنما يهدون بأمر الله.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

- ثم الصبر.

- ثم اليقين.

فهي أربعة أمور صفاتٌ تجتمع في أئمة الحق وأئمة الهدى، فهم دعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ودعوتهم بأمر الله لا بالباطل والأهواء، ثم هم أهل صبرٍ وأهل يقين، فهذه الصفات تجتمع في أئمة الهدى، وأضدادها تجتمع في أئمة الباطل والردى.

وأورد قول الله سبحانه: (﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ [سورة القصص، من الآية:41])؛ أي: فرعون وقومه، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة القصص، من الآية:41]، يدعون إلى النار؛ فإذًا أهل الباطل أتباع الأهواء المردية، والشهوات الباطلة لهم أئمة، وأئمتهم مثل ما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [سورة القصص، من الآية:41]، فهناك أئمةٌ يدعون إلى الجنة، وهناك أئمةٌ يدعون إلى النار، فالذي يحرص على الإخلاص، والعبادة لله، والإقبال على الله، واتباع شرع الله هو مؤتم بأئمة الهدى، والذي ينحرف في طرائق الباطل وسبل الضلال أيضًا له أئمة، ولهذا يُحشر هؤلاء مع أئمتهم، من يسلك مسالك الباطل يُحشر يوم القيامة مع أئمة الباطل لا يحشر مع أئمة الهدى، ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [سورة الصافات، من الآية:22].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في شأن الصلاة: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ يوم القيامة، وحُشر مع قارون وفرعون وهامان وأُمية بن خلف**»، في هذا الزمان الرجل الذي لا يصلي يُحشر مع فرعون مع البعد الزمني بينه وبين فرعون ولم يلقه وبينه وبينه قرون لكن يحشر معه؛ لأنه مؤتم به حتى وإن لم يره، يعد إمامًا له ويُحشر معه شاء أم أبى، حتى لو قال: أنا ما أعرف فرعون ولا عندي منه خبر، ولا قارون كلهم ما أعرفهم، يُحشر معهم، طالما أنه سلك مسالكهم، وصار في طرائقهم يُحشر معهم، فيكون يوم القيامة جنبًا إلى جنب مع فرعون وهامان وقارون وأمية بن خلف، وهؤلاء صناديد الكفر، هؤلاء الأربعة المسمين في الحديث صناديد الكفر وأعمدة الباطل، منهم من ألهاه عن الحق رئاسته، ومنهم من ألهاه وزارته، ومنهم من ألهاه تجارته، والمحصِّل أن أشياءً من الدنيا ألهتهم عما خلقوا لأجله، فمن صار سيرهم، وسلك مسلكهم، وترك طاعة ربه ومولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حُشر معهم.

فإذًا أهل الحق أئمتهم إبراهيم وآل إبراهيم، وأهل الباطل أئمتهم فرعون وآل فرعون وأتباع فرعون، ولهذا خذ الأمر الذي يوضح لك هذا المعنى جليًا في قضية الصلاة كما هو في الحديث، في قضية الصلاة قال: «**وحشر مع قارون وفرعون وهامان وأُمية بن خلف**»، لماذا؟ لأن هذا مسلكهم، وهذا الذي كانوا يدعون إليه بخلاف أئمة الهدى، إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: ﴿رَبِّ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ﭐجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:40]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [سورة طه، من الآية:132]، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة مريم، من الآية:55]؛ هذا شأن أئمة الهدى، فالذي يصلي فهو مؤتم بأئمة الهدى إبراهيم وآل إبراهيم، ونبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والذي لا يصلي ويسلك مسالكم الأهواء والباطل والضلال شاء أم أبى يُحشر مع أئمة الباطل، حتى لو قال: أنا ما عندي منهم خبر ولا أعرفهم يُحشر معهم؛ لأن طريقهم واحد، ومسلكهم واحد، ونهجهم واحد.

قال: (**وَلِهَذَا يصير أَتبَاع فِرْعَوْن أَولًا إِلَى أنهم لا يُميزون بَين مَا يُحِبهُ الله ويرضاه وَبَين مَا قدره وقضاه)**؛ هنا يُبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ التدرج في اتباع فرعون، الخطوات التي يخطوها بها؛ يخطوها الشيطان بالإنسان ليكون من أتباع فرعون، والسائرين على نهجه في الاستكبار، والإشراك، والانصراف عن عبودية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والعلو في الأرض، والفساد، فهذا عبر خطوات.

قال: **(يصير أَتبَاع فِرْعَوْن أَولًا إِلَى أنهم لا يُميزون بَين مَا يُحِبهُ الله ويرضاه وَبَين مَا قدره وقضاه)**؛ بحيث يقولون: هذا كله أراده الله، ويخلطون بين الإرادة الكونية القدرية والإرادة الشرعية الدينية، ويجعلون البابين بابًا واحدًا، وأن كل ما أراده الله فهو يحبه؛ سواءً أراده كونًا أو أراده شرعًا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

نعم ما أراده الله شرعًا يحبه، لكن الأشياء التي أرادها كونًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يلزم أن يكون محبًّا لكل ما أراده كونًا، فهناك أمور كونية لا يحبها ولا يرضاها، وجاءت الدلائل الكثيرة أنه يُبغض ويمقت ويكره ويسخط ويغضب في آيات كثيرة جدًا في أشياء أرادها كونًا، فهؤلاء خلطوا بين المحبة.. خلطوا بين الإرادة الكونية والقدرية.. الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية، فلا يميزون بين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه، ولهذا يقول واحد منهم: "الله قدر الكفر، وقدر النفاق، وقدر الشرك، قدر الظلم، قدر هذه الأشياء؛ إذًا هو يحبها، ولا ضير عليه إن كنت من أهلها، فأنا أعيش في أمرٍ محبوبٍ لله" فيمارس أنواع الضلال والباطل بهذا الشهود، شهود الإرادة الكونية القدرية والغفلة عن الإرادة الشرعية الدينية.

قال: (**بل ينظرُونَ إِلَى الْمَشِيئَة الْمُطلقَة الشاملة**)؛ أي أن كل ما وجد فهو بمشيئة الله؛ فإذًا أعماله يعتبرها كلها مرضية لله محبوبه له؛ لأنها بمشيئته.

(**ثُمَّ فِي آخر الْأَمر**)؛ تدرج بهم، (**فِي آخر الْأَمر لَا يميزون بَين الْخَالِق والمخلوق**)؛ يتدرج بهم هذا الضلال والإلحاد والباطل إلى أن يصل به الحال إلى أن لا يميز بين الخالق والمخلوق، (**بل يجْعَلُونَ وجود هَذَا وجود هَذَا**)؛ ولهذا يقول قائلهم: "الرب عبدٌ والعبد ربٌ"، ما في فرق، لا يميز بين رب ومربوب، وعبد ومعبود، وخالق ومخلوق، يجعلهما شيئًا واحدًا.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**وَيَقُول محققهم: الشَّرِيعَة فِيهَا طَاعَةٌ ومعصية**)؛ الشريعة التي جاءت بها أنبياء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وبُعثت بها رسل الله سبحانه فيها طاعة ومعصية، فيها طاعة لله وفيها معصية له، ولهذا أتباع الشريعة يوجد عندهم طاعة ويوجد عندهم معصية؛ لأن الشريعة حكمت على أعمال بأنها طاعات، وأعمال بأنها معاصي، وأهل الشريعة يعلمون أن هذه طاعات وأن هذه معاصي، وأن هؤلاء مطيعين وأن هؤلاء عصاة، فالشريعة فيها طاعة ومعصية.

(**والحقيقة فِيهَا مَعْصِيّةٌ بِلَا طَاعَة، وَالتَّحْقِيق**)؛ الذي هم عليه، الدرجة التي بلغوها شهود الحقيقة الكونية، والإرادة الكونية، والمشيئة الشاملة العامة، والغفلة عما سوى ذلك فيها.. (**وَالتَّحْقِيق لَيْسَ فِيهِ طَاعَة وَلَا مَعْصِيّة**)؛ لأن كله جاري بالمشيئة النافذة العامة، فليس فيه طاعة ولا معصية، ولا يصح أن يُقال مطيعين وعصاة؛ لأنهم كلهم وفق الإرادة، ماضون وفق الإرادة.

قال: (**وَهَذَا تَحْقِيق مَذْهَب فِرْعَوْن وَقَومه**)؛ ولهذا هم من أئمتهم فرعون، فهذا مذهب فرعون، نهاية مذهب فرعون إنكار الله، وإنكار العبودية لله، وإنكار الخضوع لله، وإنكار الطاعات، وإنكار المعاصي، كل هذا ينكره، فوصلوا إلى النتيجة الذي وصل إليها فرعون فهو إمامهم، ولهذا كل مبطل له أئمة.

أنظر على سبيل المثال: إنكار المبطلة لعلو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ونفيهم لذلك، وجحدهم أن الله مستوٍ على عرشه، مَنْ إمامهم في ذلك؟ مَنْ إمامهم في هذا

الإنكار؟ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في جملة ما أخبر به فرعون أن الله في السماء حتى قال له في دعوته كما في سورة الإسراء: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]، يا فرعون، ﴿مَا أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:124]؛ يعني: الآيات، والنزول من أعلى إلا رب السماوات، وصرح له بعلو الله والاستواء على عرشه، ولهذا أعلن جحوده وتكذيبه، واستخف بالملأ الذين عنده، قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [سورة غافر، من الآية:36-37]؛ لأن موسى زعم أن إلهه في السماء، فابن لي صرح يا هامان، أي: بناء عالي مرتفع جدًا أصعد منه إلى السماء انظر إلى هذا الإله الذي يدعيه موسى، ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [سورة غافر، من الآية:37]، ففرعون أنكر وجحد علو الله، وموسى أثبت علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا قال العلماء: من يُنكر علو الله فهو فرعوني، والذي يثبت علو الله موسوي؛ لأن هذا ذاك إمام فرعون، وهؤلاء أئمتهم موسى والأنبياء عمومًا، فكل مبطل له أئمة، كل مبطل له أئمة، فالذي يُنكر علو الله حتى لو ما كان عنده خبر من عقيدة فرعون إمام فرعون؛ لأنه نهج نهج فرعون في جحد علو الله، وإنكار علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَهَذَا تَحْقِيق مَذْهَب فِرْعَوْن وَقَومه الَّذين أَنْكَرُوا الخالق، وأنكروا تكليمه لعَبْدِهِ مُوسَى، وَمَا أرْسلهُ بِهِ من الْأَمر وَالنَّهْي)؛ وأيضًا هؤلاء محصل قولهم ذلك، ونتيجته ذلك.

قال: (وَأما إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم الحنفاء الْأَنْبِيَاء فهم يعلمُونَ أَنه لَا بُد من الْفرق بَين الْخَالِق والمخلوق، وبَين الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة، وَأَن العَبْد كلما ازْدَادَ تَحْقِيقًا)؛ أي للعبودية، (ازدادت محبته لله، وعبوديته لَهُ، وطاعته لَهُ، وإعراضه عَن عبَادَة غَيره، ومحبة غَيره، وَطَاعَة غَيره).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَؤُلَاء الْمُشْركُونَ الضالون يسوون بَين الله وَبَين خلقه والخليل يَقُول: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:75-77]، ويتمسكون بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ كَمَا فعلت النَّصَارَى.

مِثَال ذَلِك: اسْم (الفناء) فَإِن الفناء ثَلَاثَة أَنْوَاع:

- نوعٌ للكاملين من الْأَنْبِيَاء والأولياء.
- وَنَوعٌ للقاصدين من الْأَوْلِيَاء وَالصَّالِحِينَ.
- وَنَوعٌ لِلْمُنَافِقين الْمُلْحِدِينَ المشبهين.

فَأما الأول: فَهُوَ الفناء عَن إِرَادَة مَا سوى الله، بِحَيْثُ لَا يحب إِلَّا الله، وَلَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يطْلب من غَيره، وَهُوَ الْمَعْنى الَّذِي يجب أَن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يقْصد بقول الشَّيْخ أبي يزِيد حَيْثُ قَالَ: "أُرِيد ألاّ أُرِيد إِلَّا مَا يُرِيد"؛ أَي: الْمُرَاد المحبوب المرضي وَهُوَ الْمُرَاد بالإرادة الدِّينِيَّة، وَكَمَال العَبْد أَلا يُرِيد وَلَا يحب وَلَا يرضى إِلَّا مَا أَرَادَهُ الله ورضيه وأحبه وَهُوَ مَا أَمر بِهِ أَمر إِيجَابٍ أَو اسْتِحْبَاب، وَلَا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله؛ كالملائكة والأنبياء وَالصَّالِحِينَ، وَهَذَا معنى قَوْلهم فِي قَوْله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:89]، قَالُوا: هُوَ السَّلِيم مِمَّا سوى الله، أَو مِمَّا سوى عبَادَة الله، أَو مِمَّا سوى إِرَادَة الله، أَو مِمَّا سوى محبَّة الله فَالْمَعْنى وَاحِد، وَهَذَا الْمَعْنى إِن سمي فنَاءً أَو لم يسمى هُوَ أول الْإِسْلَام وَآخره وباطن الدَّين وَظَاهره).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهَؤُلَاء الْمُشْركُونَ الضالون يسوون بَين الله وَبَين خلقه)**؛ سواءً في حقوق الله أو في خصائص الله، في حقوق الله بأن يشركوا مع الله غيره في العبادة، والعبادة حقٌّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو يسووا بين الله وبين خلقه في خصائص الله التي هي ربوبيته وأسماءه وصفاته، فيجعلون للمخلوق الناقص من الصفات ما ليس إلا لله، بل ربما بلغ بهم الأمر بالتسوية أن يجعلوا المخلوق والخالق شيئًا واحدًا، ليس هناك رب وعبد وإنما هما شيء واحد، فيسوون بين المخلوق والخالق، هؤلاء أتباع فرعون، وأتباع أئمة الباطل والضلال.

قال: (**والخليل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **يَقُول**: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:75-77])؛

قول إبراهيم الخليل: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، نستفيد منها فائدتان:

الأولى: أن هؤلاء يسوون بين الله وبين معبوداتهم، ولهذا قال لهم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:75-77]؛ واستثنى رب العالمين، بمعنى: أنهم يعبدون رب العالمين في جملة معبوداتهم، فهم يسوون بين الله وبين غيره، ولهذا يقولون في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:97-98]؛ فإذًا الآية تفيد أن هؤلاء عندهم تسوية بين الله وبين خلقه هذه الأولى.

الفائدة الثانية: أن إبراهيم وجميع أئمة الهدى عندهم تفرقة، يفرقون بين الله وبين خلقه، وبين الحق وبين الضلال، وبين التوحيد وبين الكفر، كل هذا يفرقون بينه، بخلاف هؤلاء الذين يجعلون هذا كله شيئًا واحدًا.

قال: (**ويتمسكون**)؛ يعني هؤلاء المشركون الضالون. (**ويتمسكون بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ**)؛ يتمسكون بماذا؟ (**بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ**)؛ انتبه لهذه الكلمة حتى أيضًا تفهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآتي، (**المتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ**)؛ مثل ماذا؟ قال: مثل لفظة الفناء، الفناء هذه اللفظة ماذا تكون؟ ليست لفظةً جاءت في القرآن، ولا في أحاديث الرسول

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا أيضًا جاءت في كلام الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، ليس هناك في القرآن آيات فيها الترغيب بالفناء، أو الحث على الفناء، أو الإشادة بالفناء، ولا أيضًا في أحاديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر للفناء، وعده منزلة من منازل الصالحين، أو باب من أبواب الخير لا يوجد ذكر له، ولا أيضًا في كلام الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، أين وجدت هذه اللفظة؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يتمسكون بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ**)؛ يكون لبعض المشايخ المتأخرين ألفاظ أنشأوها، وعظموها، وتكلموا كثيرًا بها فيتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ، يعني: كلمة فيها اشتباه، معنى متشابه أي: كلمة فيها اشتباه تحتمل معاني عديدة، الكلام المتشابه هو الذي يحتمل معاني، يحتمل معنى حق، ومعنى باطل، ومعنى فاسد، فتكون تحتمل معاني عديدة؛ فيتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ.

ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أئمة أهل العلم لا وجود لهذه الألفاظ عندهم في كتبهم، عندما يقرر المعتقد الحق، والمنهج القويم، والصراط المستقيم لا وجود لهذه الألفاظ إطلاقًا عندهم ولا يُعرجون عليها، لكن لما يأتي في مثل هذا المقام مناقشة هؤلاء والرد عليهم يأتي بهذه الألفاظ في مقام ماذا؟ المناقشة، أما الإنسان الذي يريد أن يعبد الله ويتقرب إلى الله بما شرع لا يحتاج أصلًا إلى لفظة (الفناء) هذه، ليست لفظة شرعية، لا وجود لها في الكتاب ولا في السنة، لكن يذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا في مقام ماذا؟

مناقشة؛ لأنها عند القوم الذين يشير إليهم الذين ضلوا ووقعوا في الباطل ويريد أن يُبين الحق، يقول: (**يتمسكون بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ**)، لو تركوا المتشابه من كلام المشايخ وأخذوا المُحكم من كلام الله؛ لهدوا إلى سواء السبيل، وإلى صراط الله المستقيم.

يا إخواني! إذا كان من يتبع المتشابه في الآي ابتغاء الفتنة وابتغاء الزيغ فهو ضال، في الآية آي الذكر الحكيم، فكيف بمن يبتدع المتشابه من كلام مشايخ متأخرين لا شأن لهم في الحق وليسوا من أهله، ويتبع المتشابه من كلامهم؟! قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:7]، ولهذا تراهم يتركون الآيات الواضحات بالآلاف والمئات تقرر حقيقةً واضحة كل هذا يتركه ويتمسك بكلامٍ متشابه يقرر به الباطل الذي يميل إليه ويعتقده.

قال: (**ويتمسكون بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ كَمَا فعلت النَّصَارَى**)؛ فهم لهم أئمة في إتباع المتشابه، أئمتهم في ذلك النصارى.

(**مِثَال ذَلِك: اسْم (الفناء)**)؛ لماذا أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى اسم الفناء هنا في هذا الكتاب؟ لماذا أورد مثالًا لإتباع المشركون الضالون للمشتبه من كلام المشايخ وتركهم المحكم من كلام الله وكلام رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ إذًا أوردها في مقام النقد والرد، لكن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل أيضًا منصف، رجلٌ

منصف، الألفاظ المشتبه يُحللها، وينظر ماذا تحتمل من المعاني، وماذا يُراد بها من المعاني، فالمعنى الحق يُثبت، والمعنى الباطل يرد.

وقاعدته في هذا الباب: أن اللفظ المشتبه يوقف، عبارته رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في التدمرية قال: "يوقف اللفظ ويفصل في المعنى"، الألفاظ المشتبهة يوقف عندما نريد أن نتحدث عن عقيدتنا، عن ديننا، عن إيماننا بربنا لا نأتي بهذه الألفاظ المجملة، ولا نعبر بها إطلاقًا، لكن إذا جئت إلى مقام مثلًا، جئت إلى لنفرض مثلًا مدرسة قائمة في بلده، وقال: ماذا قولك في الفناء مثلًا؟ يفيدك هنا لما تطلع على كلام شيخ الإسلام تقول: إذا كان تريد بالفناء، أولًا تقول: الفناء هذه كلمة لا وجود لها في الكتاب والسنة، ولا في كلام الصحابة، لكن إذا كان تريد بالفناء كذا؛ فهو حق، وإذا كان تريد كذا؛ فهو باطل، تعرف ماذا تحتمل هذه الكلمة المتشابه من معاني، وماذا يراد بها من معاني، فيُحق الحق ويبطل الباطل، وهذه طريقة الإنصاف، طريقة الإنصاف.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِثَال ذَلِك: اسْم (الفناء)، فَإِن الفناء ثَلَاثَة أَنْوَاع:**

- **نوعٌ للكاملين من الْأَنْبِيَاء والأولياء.**
- **وَنَوعٌ للقاصدين من الْأَوْلِيَاء وَالصَّالِحِينَ.**
- **وَنَوعٌ لِلْمُنَافِقين الْمُلْحِدِينَ المشبهين.**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

حسب هو يتكلم الآن حسب ما تحتمله هذه اللفظة من معنى، وما يعبر عنها به من معاني، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن الفناء ثلاثة أنواع، ثم شرح هذه الأنواع الثلاثة.

الأول من هذه الأنواع: قال: (**هُوَ الفناء عَن مَا سوى الله**)؛ ويعبر عن هذا النوع بالفناء عن عبادة السوى، أن يفنى عن عبادة سوى الله، ما معنى يفنى عن عبادة سوى الله؟ لفظة لا نحتاجها، لكننا الآن بصدد تحليل هذه اللفظة وما تحتمله من معاني فقط، فالفناء عما سوى.. الفناء عن عبادة السوى، أو الفناء عن عبادة سوى الله، أي: أن تكون عبادته كلها لله، فالفناء عن عبادة السوى، أو الفناء عما سوى الله بحيث لا يحب إلا الله، ولا يعبد إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه ولا يطلب غيره؛ هذا معنى من المعاني التي يُراد بها.. يراد بالفناء، أو المرادة بهذه اللفظة لفظة الفناء، فكون الإنسان لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا الله، ولا يلجأ إلا إلى الله، ما هذا؟ توحيد الأنبياء والمرسلين.

ولهذا قال: (**نوعٌ للكاملين من الْأَنبِيَاء والأولياء**)؛ الذي هو ألا يعبد إلا الله، لا يصرف شيء من العبادة إلا لله، يخلص دينه كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا النوع يعبر عن فناء عن عبادة السوى، أي: سوى الله، (**فهُوَ الفناء عَن مَا سوى الله بِحَيْثُ لَا يحب إِلَّا الله وَلَا يعبد إِلَّا الله**)؛ أن يفنى بعبادة الله عن عبادة كل ما سواه هذا معناه، أن يفنى بعبادة الله عن عبادة كل ما سواه، يقبل بكليته على

الله حبًا، ورجاءً، وخضوعًا، وذلًا، وطمعًا، ويعرض عن كل ما سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَهُوَ الْمَعْنى الَّذِي يجب أَن يقْصد بقول الشَّيْخ أبي يزِيد**)؛ أي: البسطامي، (**"أُرِيد ألاّ أُرِيد إِلَّا مَا يُرِيد"**)؛ قال: يُحمل كلامه على أحسن محمل؛ لأن هذا لفظ ممكن يحمله شخص على الإرادة الكونية؛ فيصل إلى عقيدة فاسدة -مر الحديث عنها-، لكن يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ الْمَعْنى الَّذِي يجب أَن يقْصد بقول الشَّيْخ أبي يزِيد**)؛ إن لم يُقصد هذا المعنى بقوله أصبح قوله قولًا باطلًا، والمدلول الذي يدل عليه مدلولًا باطلًا.

(**"أُرِيد ألاّ أُرِيد إِلَّا مَا يُرِيد"**)؛ **"أُرِيد"** أي: أرغب، **"ألاّ أُرِيد"** ألا أرغب، وألا أطلب، وألا أفعل، **"إِلَّا مَا يُرِيد"**؛ أي: إلا ما يريده الله مني شرعًا ودينًا، أي: أريد أن أجاهد نفسي أن تفعل ما أراده الله مني شرعًا ودينًا، فتُحمل على هذا المحمل الحسن، قال: يجب أن يقصد بقوله: (**"أُرِيد ألاّ أُرِيد إِلَّا مَا يُرِيد" أَي: المُرَاد المحبوب المرضي**)؛ ما هو المراد المحبوب المرضي؟ الذي شرعه الله، الإرادة الشرعية الدينية، ولهذا الإرادة الشرعية الدينية تساوي المحبة، كل ما أراده شرعًا ودينًا يحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَهُوَ المُرَاد بالإرادة الدِّينِيَّة، وَكَمَال العَبْد أَلا يُرِيد وَلَا يحب وَلَا يرضى إِلَّا مَا أَرَادَهُ الله ورضيه وأحبه**)؛ فتُحمل تلك الكلمة على هذا المعنى.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**وَهُوَ مَا أَمر بِهِ أَمر إِيجَاب أَو اسْتِحْبَاب، وَلَا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله**)؛ يعني: من الأشخاص والذوات إلا ما يحبه الله، (**كالملائكة والأنبياء وَالصَّالِحِينَ، وَهَذَا معنى قَوْلهم فِي قَوْله تعالى**: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:89])؛ ما هو القلب السليم؟ هو الذي يحب ما يحبه الله، (**قَالُوا: هُوَ السَّلِيم مِمَّا سوى الله، أَو مِمَّا سوى عبَادَة الله، أَو مِمَّا سوى إِرَادَة الله**)؛ أي: الشرعية، (**أَو مِمَّا سوى محبَّة الله فَالْمَعْنى وَاحِد، وَهَذَا الْمَعْنى إِن سمي فنَاءً، أَو لم يسمى هُوَ أول الْإِسْلَام وَآخره وباطن الدَّين وَظَاهره**)؛ لاحظ كلمة شيخ الإسلام الدقيقة، (**إِن سمي فنَاءً أَو لم يسمى**)؛ يعني: إن سماه هؤلاء فناءً، أو لم يسموه فناءً هذا هو حقيقة الدين، هذا حقيقة الدين أن يُخلص العبد دينه لله، وأن يفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده بالعبادة، وألا يجعل مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شريكًا في شيءٍ من العبادة؛ فيخلص دينه كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**وَهَذَا الْمَعْنى إِن سمي فنَاءً أَو لم يسمى**)؛ يعني: إن سماه أولئك أما نحن معاشر أهل السنة لا نحتاج إلى هذا الاسم، لا نحتاج إليه، ولا نحتاج أن نعبر به، ولا يصلح أن الإنسان في درسٍ، أو في خطبة، أو في تعليم الناس يقول: يا جماعة الخير كلنا لا بد أننا.. ويأتي بهذه العبارة ما يصلح، هذه عبارة من عبارات الصوفية، مصطلحات مثل ما قال شيخ الإسلام: (**المتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ**)؛ التصوف، فما يعبر بها، لكن لما نأتي إلى الحكم على هذا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اللفظ ننظر، رأيناها في كتاب، أو سألنا سائل، أو في مدرسة، ننظر ونفصل مثل ما فصل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأما النَّوْع الثَّانِي: فَهُوَ الفناء عَن شُهُود السوى، وَهَذَا يحصل لكثيرٍ من السالكين فَإِنَّهُم لفرط انجذاب قُلُوبهم إِلَى ذكر الله وعبادته ومحبته وَضعف قُلُوبهم عَن أَن تشهد غير مَا تعبد وَترى غير مَا تقصد، لَا يخْطر بقلوبهم غير الله بل لَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِهِ كَمَا قيل فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [سورة القصص، من الآية:10]، قَالُوا: فَارغًا من كل شَيْء إِلَّا من ذكر مُوسَى، وَهَذَا كثيرًا مَا يعرض لمن دهمه أَمر من الْأُمُور: إِمَّا حبٌ، وَإِمَّا خوفٌ، وَإِمَّا رَجَاء، يبْقى قلبه منصرفًا عَن كل شَيْءٍ إِلَّا عَمَّا قد أحبه أَو خافه أَو طلبه، بِحَيْثُ يكون عِنْد استغراقه فِي ذَلِك لَا يشْعر بِغَيْرِه.

فَإِذا قوي على صَاحب الفناء هَذَا فَإِنَّهُ يغيب بموجوده عَن وجوده، وبمشهوده عَن شُهُوده، وبمذكوره عَن ذكره، وبمعروفه عَن مَعْرفَته حَتَّى يفنى من لم يكن وَهِي الْمَخْلُوقَات العَبْد فَمن سواهُ وَيبقى من لم يزل وَهُوَ الرب تَعَالَى، وَالْمرَاد فناؤها فِي شُهُود العَبْد وَذكره وفناؤه عَن أَن يُدْرِكهَا أَو يشهدها..).

كذا العبارة في بعض النسخ، لكن الأوضح ما جاء في مجموع الفتاوى في المجلد العاشر في (كتاب العبودية) موجود في مجموع الفتاوى في المجلد

العاشر، والعبارة هناك أوضح، قال: (**حَتَّى يفنى من لم يكن وَهِي الْمَخْلُوقَات المعَبْدة ممن سواهُ، وَيبقى من لم يزل وَهُوَ الرب تَعَالَى**).

أحسن الله إليك.. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذا قوي هَذَا ضعف الْمُحب حَتَّى يضطرب فِي تَمْيِيزه، فقد يظنّ أَنه هُوَ محبوبه..).

(وَإِذا قوي)؟

(وَإِذا قوي هَذَا ضعف الْمُحب حَتَّى يضطرب فِي تَمْيِيزه، فقد يظنّ أَنه هُوَ محبوبه، كَمَا يذكر أَن رجلًا أَلْقى نَفسه فِي اليم فَأَلْقى محبه نَفسه خَلفه، فَقَالَ: أَنا وَقعت فَمَا أوقعك خَلْفي؟ قَالَ: غبت بك عني فَظَنَنْت أَنَّك أَنِّي.

وَهَذَا الْموضع زلت فِيهِ أَقوام، وظنوا أَنه اتِّحَاد وَأَن الْمُحب يتحد بالمحبوب حَتَّى لَا يكون بَينهمَا فرقٌ فِي نفس وجودهما وَهَذَا غلط، فَإِن الْخَالِق لَا يتحد بِهِ شَيْءٌ أصلًا، بل لَا يُمكن أن يتحد شَيْءٌ بِشَيْء إِلَّا إِذا استحالا وفسدت حَقِيقَة كل مِنْهُمَا، وَحصل من اتحادهما أَمرٌ ثَالِث لَا هُوَ هَذَا وَلَا هَذَا، كَمَا إِذا اتَّحد المَاء وَاللَّبن، وَالْمَاء وَالْخمر وَنَحْو ذَلِك، وَلَكِن يتحد الْمُرَاد والمحبوب، وَالْمرَاد وَالْمَكْرُوه، ويتفقان فِي نوع الْإِرَادَة وَالْكَرَاهَة، فيحب هَذَا مَا يحب هَذَا، وَيبغض هَذَا مَا يبغض هَذَا، ويرضى مَا يرضى، ويسخط مَا يسْخط، وَيكرهُ مَا يكره، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، وَهَذَا الفناء كُله فِيهِ نقص).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى المعنى الثاني للفناء، وهو الفناء عن شهود السوى، أي: شهود ما سوى الله، فيفنى القلب بحيث لا يكون فيه شهود إلا الله فلا يشهد إلا الله، لا يشهد بقلبه إلا الله فهو شهود.. فناءٌ عن شهود السوى، أي: شهود ما سوى الله.

(**وَهَذَا يحصل لكثيرٍ من السالكين**)؛ ويقول عنه ابن القيم يظنه الصوفية غاية السالكين، غاية السالك أن يصل بسلوكه هذا الموصل، أن يفنى عن شهود السوى، أي: شهود ما سوى الله، فلا يشهد قلبه إلا الله.

يقول: (**فَإِنَّهُم لفرط انجذاب قُلُوبهم إِلَى ذكر الله وعبادته ومحبته، وَضعف قُلُوبهم عَن أَن تشهد غير مَا تعبد وَترى غير مَا تقصد، لَا يخْطر بقلوبهم غير الله بل وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِهِ..**). ماذا؟

(بل لَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِهِ).

نعم عندي ساقطة "إلا". (**لَا يخْطر بقلوبهم غير الله بل وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِهِ، كَمَا قيل فِي قَوْله تَعَالَى:** ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [سورة القصص، من الآية:10])؛ ما معنى فارغًا؟ لما ألقت بولدها (**قَالُوا: فَارغًا من كل شَيْء إِلَّا من ذكر مُوسَى**)؛ يعني: غاب عن قلبها كل شيء إلا ذكر موسى، (**وَهَذَا كثيرٌ يعرض لمن داهمه أَمرٌ من الْأُمُور**)؛ هذا المعنى يعرض لمن داهمه أمر عظيم جدًا سواءً أمراً محبوبًا أو مبغوضًا فإذا داهم الإنسان يُصبح قلبه فارغ من كل شيء إلا من ماذا؟ إلا من هذا الشيء،

يكون قلبه فارغ من كل شيء إلا من هذا الشيء الذي دهمه، قال: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾؛ يعني: لا يخطر ببالها أي شيء آخر إلا موسى، فيعبرون بشهود الفناء عن شهود السوى هذا المعنى: أن بالمجاهدة والترقي إلى أن يصل إلى هذه الرتبة التي هي غاية السالكين عندهم، إلى أن يصل إلى هذه الرتبة أنه يكون قلبه فارغ من كل شيء، لا يشهد إلا الله، لا يشهد السوى، فناء عن شهود السوى.

(**قَالُوا: فَارغًا من كل شَيْء إِلَّا من ذكر مُوسَى، وَهَذَا كثيرٌ يعرض لمن دهمه أَمرٌ من الْأُمُور إِمَّا حبٌ، وَإِمَّا خوفٌ، وَإِمَّا رَجَاء**)؛ يعرض له فراغ قلبه من كل شيء إلا من هذا الشيء، ولاحظ في الحب، أو في الرجاء، أو في الخوف، هذه تعرض للإنسان ويجد أن قلبه لا يوجد فيه شيء آخر يفكر فيه، أو يشغل قلبه إلا ماذا؟ هذا الأمر، إذًا هم يقولون: السالك أعظم ما يبلغه ويقصده ويصل إليه أن يبلغ هذه المرتبة، يُجاهد نفسه بالعبادة والذكر إلى آخره إلى أن يُصبح ماذا؟ لا يشهد قلبه سوى الله، فناء عن شهود السوى، أي: سوى الله.

(**بِحَيْثُ يكون عِنْد استغراقه فِي ذَلِك لَا يشْعر بِغَيْرِهِ**)؛ انتبه الآن لقضية: (**لَا يشْعر بِغَيْرِهِ**)؛ ماذا سيدخل تحتها؟ (**لَا يشْعر بِغَيْرِهِ**)؛ قلبه فارغ من غير.. ليس فيه إلا الله، إلا ذكر الله، فانظر الآن كيف الخطوات والمنزلقات التي سيدخلها هؤلاء باتباع المتشابه من هذه الألفاظ، فيقول: هذه أعلى درجات السالكين أن يفنى عن شهود السوى، أي: سوى الله؛ فيتدرج في العبادة،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والذكر، والمجاهدة للنفس، وأيضًا الخلوة ونحو ذلك حتى لا يشهد قلبه سوى الله، ولا يكون فيه إلا ذلك.

فهنا يدخل في منعطف، هنا يدخل في منعطف؛ فيعتقد أنه بوصوله هذه المرتبة وبلوغه هذه المرتبة أصبح لا يشهد كل شيء حتى الذكر، والعبادة، والصلاة، وأنواع القربات التي لله عَزَّوَجَلَّ غاب عنها بذاك الشهود، انظر الانحلال الآن من أين دخل على هؤلاء؟ غاب عنها وأصبح لا يشهد سوى الله، حتى الأمر والنهي والعبادة والذكر هذه كلها مثل ما سيأتي..

قال: **(فَإِذا قوي على صَاحب الفناء هَذَا فَإِنَّهُ يغيب بموجوده عَن وجوده، وبمشهوده عَن شُهُوده، وبمذكوره عَن ذكره، وبمعروفه عَن مَعْرفَته)**؛ وبمعبوده كما أيضًا عبر شيخ الإسلام عن عبادته، وبمعبوده عن عبادته؛ إذًا لما يصل إلى هذا المنعطف ما الذي سيحدث؟ سيتوقف عن العبادة، وسيتوقف عن الذكر، وسيتوقف.. لماذا؟ لأنه خلاص رجل وبلغ هذا المبلغ، ولهذا يسمونها أيضًا يعبرون عنها بـ...، لما يبلغ هذا المبلغ يعبرون عنها بدرجة الاصطلام والسكر والجمع، ولها عبارات عند الصوفية كثيرة يعبرون عن هذه المعاني، فلا يشتغل لا بعبادة، ولا بذكر، ولا بطاعة، هذا منعطف.

يمضي في هذا المنعطف المهلك يدخله أيضًا في منعطف أشد هلكة منه وهو ماذا؟ يبلغ به الأمر إلى أن يرى أن بلغ به الفناء إلى أن فنى هو في الله أصبح هو

والله شيء واحد، الدرجات التي يخطو الشيطان بها في هؤلاء إلى أن يصل إلى هذه الدرجة من الهلكة، فيقول: أنا الله والله أنا، يصرحون بها، حتى في زماننا هذا، يصل إلى هذه الدرجة، منعطفات، منعطفات يدخل فيها كل منعطف يدخله في منعطف أشد هلكة.

أنظر تعبير شيخ الإسلام مرة ثانية: (**فَإِذا قوي**)؛ يعني: أول مرحلته هو عبادة ومجاهدة للنفس حتى يريد أن يصل إلى هذا المقصد الذي هو غاية السالكين عندهم أن يفنى عن السوى، عن شهود السوى، يريد أن يصل إلى هذا بحيث لا يكون في قلبه إلا الله، ولا يشهد أي شيء آخر، فيريد أن يصل لهذه المرتبة، يشتغل بالمجاهدة، وغالبًا أيضًا المجاهدة تكون بأعمال هم أصلوها وأسسوها من أذكار، وخلوة، وظلمة، وانقطاع، وأشياء من هذا القبيل، وأيضًا عزلة، وهيام في الأرض إلى غير ذلك من الأمور التي وضعوها لأنفسهم حتى يصل إلى هذه الغاية، (**فَإِذا قوي على صَاحب الفناء هَذَا فَإِنَّهُ يغيب بموجوده عَن وجوده، وبمشهوده عَن شُهُوده، وبمذكوره عَن ذكره، وبمعروفه عَن مَعْرفَته حَتَّى يفنى من لم يكن وَهِي الْمَخْلُوقَات المعَبْدة ممن سواهُ، وَيبقى من لم يزل وَهُوَ الرب تَعَالَى، وَالْمرَاد فناؤها فِي شُهُود العَبْد وَذكره، وفناؤه عَن أَن يُدْرِكهَا أَو يشهدها**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَإِذا قوي هَذَا ضعف الْمُحب حَتَّى اضطرب فِي تَمْيِيزه فقد يظنّ أَنه هُوَ محبوبه**)؛ لاحظت المنعطف الأخير؟ (**حتى يظن أنه هو محبوبه**)؛ يعني: يظن أنه هو الله، وسيأتي عندنا النوع الثالث من الفناء.

(**حتى يظنّ أَنه هُوَ محبوبه، كَمَا يُذكر أَن رجلًا ألْقى نَفسه فِي اليم فَألْقى محبه نَفسه خَلفه، فَقَالَ: أَنا وَقعت فَمَا أوقعك خَلْفي؟ قَالَ: غبت بك عني حتى ظَنَنْت أَنَّك أَنِّي، وَهَذَا الْموضع زلت فِيهِ أَقوام، وظنوا أَنه اتِّحَاد**)؛ يعني بالترقي بهذه الدرجات يترقى بها إلى أن يحصل اتحاد ما معناه؟ أي أن يتحد المخلوق بالخالق فيصبحا شيئًا واحدًا، تعالى الله عما يقولون، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:91].

(**وظنوا أَنه اتِّحَاد وَأَن الْمُحب يتحد بالمحبوب حَتَّى لَا يكون بَينهمَا فرق فِي نفس وجودهما**)؛ أن يكون هو وأي شيء شيئًا واحدًا لا فرق في وجودهما، بمعنى يكون وجود الخالق هو وجود المخلوق، (**وَهَذَا غلط، فَإِن الْخَالِق لَا يتحد بِهِ شَيْء أصلًا**)؛ بل انظر إلى التقعيد الجميل، يقول: (**بل لَا يتحد شَيْء بِشَيْء**)؛ يعني: مخلوق بمخلوق لا يحصل اتحاد.

(**لَا يتحد شَيْء بِشَيْء إِلَّا إِذا استحالا، أَو فسد، أَو حصل من اتحادهما أَمرٌ ثَالِث**)؛ فلا يتحد شيء بشيء إلا بهذه الأمور، (**إلا إذا حصل من اتحادهما أَمرٌ ثَالِث لَا هُوَ هَذَا وَلَا هَذَا، كَمَا إِذا اتَّحد المَاء وَاللَّبن، وَالْمَاء وَالْخمر وَنَحْو**

ذَلِك)؛ الآن لما يصب مثلًا ماء على لبن اتحد الماء باللبن، لكن ما أصبحت حقيقة الماء ماء، ولا أيضًا حقيقة اللبن لبن أصبح شيء ثالث، هذا مما يبين أنه لا يمكن أن يتحد شيء بشيء إلا أن يستحيلا يعني إلى شيء آخر، أو يفسده، أو يحصل من اتحادهما أمرٌ ثالث.

قال: (**وَلَكِن يتحد المُرَاد والمحبوب، وَالْمرَاد وَالْمَكْرُوه، ويتفقان فِي نوع الْإِرَادَة وَالْكَرَاهَة، فيحب هَذَا مَا يحب هَذَا، وَيبغض هَذَا مَا يبغض هَذَا، ويرضى مَا يرضى، ويسخط مَا يسْخط، وَيكرهُ مَا يكره، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، وَهَذَا الفناء كُله فِيهِ نقص**)؛ يعني: هذا النوع من الفناء الذي يتحدد، والذي يجعله هؤلاء غاية السالكين هذا فيه نقص، نقصٌ من جهة إضعافه للعبودية والذل والخضوع لله، ونقص أيضًا من حيث ما يوصل به من يجعله مقصدًا له، وغايةً إلى أنواعٍ من الهلكات، كما أوضح ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبينه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وأكابر الْأَوْلِيَاء؛ كَأبي بكرٍ وَعمر والسابقين الْأَوَّلين من الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار لم يقعوا فِي هَذَا الفناء فضلًا عَمَّن هُوَ فَوْقهم من الْأَنْبِيَاء، وَإِنَّمَا وَقع شَيْء من هَذَا بعد الصَّحَابَة.

وَكَذَلِكَ كل مَا كَانَ من هَذَا النمط مِمَّا فِيهِ غيبَة الْعقل وَعدم التَّمْيِيز لما يرد على الْقلب من أَحْوَال الْإِيمَان، فَإِن الصَّحَابَة رَضِي الله تعالى عَنْهُم كَانُوا

أكمل وَأقوى وَأثبت فِي الْأَحْوَال الإيمانية من أَن تغيب عُقُولهمْ، أَو يحصل لَهُم غشي، أَو ضعفٌ، أَو سكرٌ، أَو فنَاءٌ، أَو وَلهٌ، أَو جُنُون، وَإِنَّمَا كَانَ مبادئ هَذِه الْأُمُور فِي التَّابِعين من عُباد الْبَصْرَة؛ فَإِنَّهُ كَانَ فيهم من يغشى عَلَيْهِ إِذا سمع الْقُرْآن، وَمِنْهُم من يَمُوت كَأبي جهير الضَّرِير، وزرارة بن أوفى قَاضِي الْبَصْرَة.

وَكَذَلِكَ صَار فِي شُيُوخ الصُّوفِيَّة من يعرض لَهُ من الفناء وَالسكر مَا يضعف مَعَه تَمْيِيزه حَتَّى يَقُول فِي تِلْكَ الْحَال من الْأَقْوَال مَا إِذا صَحا عرف أَنه غالطٌ فِيهِ، كَمَا يحْكى نَحْو ذَلِك عَن مثل أبي يزِيد، وَأبي الْحُسَيْن النوري، وَأبي بكر الشبلي، وأمثالهم، بِخِلَاف أبي سُلَيْمَان الدَّارَانِي، ومعروف الْكَرْخِي، والفضيل بن عِيَاض، بل وَبِخِلَاف الْجُنَيْد وَأَمْثَاله مِمَّن كَانَت عُقُولهمْ وتمييزهم يصحبهم فِي أَحْوَالهم فَلَا يقعون فِي مثل هَذَا الفناء وَالسكر وَنَحْوه.

بل الكُمَّل تكون قُلُوبهم لَيْسَ فِيهَا سوى محبَّة الله وإرادته وعبادته، وَعِنْدهم من سَعَة الْعلم والتمييز مَا يشْهدُونَ بِهِ الْأُمُور على مَا هِيَ عَلَيْهِ، بل يشْهدُونَ الْمَخْلُوقَات قَائِمَةً بِأَمْر الله مُدبرَة بمشيئته، بل مستجيبةً لَهُ قانتةً لَهُ فَيكون لَهُم فِيهَا تبصرةٌ وذكرى، وَيكون مَا يشهدونه من ذَلِك مؤيدًا وممدًا لما فِي قُلُوبهم من إخلاص الدّين، وَتَجْرِيد التَّوْحِيد لَهُ، وَالْعِبَادَة لَهُ وَحده لَا شريك لَهُ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَهَذِه هِيَ الْحَقِيقَة الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْقُرْآن، وَقَامَ بهَا أهل تَحْقِيق الْإِيمَان والكُمَّل من أهل الْعرْفَان، وَنَبينَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَام هَؤُلَاءِ وأكملهم، وَلِهَذَا لما عُرج بِهِ إِلَى السَّمَاوَات وعاين مَا هُنَالك من الْآيَات، وأوحي إِلَيْهِ مَا أُوحِي من أَنْوَاع الْمُنَاجَاة، أصبح فيهم وَهُوَ لم يتَغَيَّر حَاله وَلَا ظهر عَلَيْهِ ذَلِك، بِخِلَاف مَا كَانَ يظْهر على مُوسَى من التغشي -صلى الله عَلَيْهِم وَسلم أَجْمَعِينَ-).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأكابر الْأَوْلِيَاء؛ كَأبي بكر وَعمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **والسابقين الْأَوَّلين من الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار لم يقعوا فِي هَذَا الفناء فضلًا عَمَّن هُوَ فَوْقهم من الْأَنْبِيَاء**)؛ لم يقعوا في هذا الفناء، يعني: أن تبلغ به المجاهدة فيفنى عن كل شيء، ولا يشعر بشيء إلا مشهوده ومحبوبه فيفنى عن كل شيء حتى مثل ما مر معنا حتى عن الأمر، والنهي، والعبادة، والذكر، والطاعة وغير ذلك من المعاني، وأيضًا قد يدخل في نوع الاصطلام، أو الغُشي، أو الجنون، أو السكر، أو نحو ذلك، كل ذلك تحت مسمى هذا الفناء.

قال: (**فالصحابة لم يقعوا فِي هَذَا الفناء فضلًا عَمَّن هُوَ فَوْقهم من الْأَنْبِيَاء، وَإِنَّمَا وَقع شَيْءٌ من هَذَا..**). اقرأ..

(وَإِنَّمَا كَانَ مبادئ هَذِه الْأُمُور فِي التَّابِعين من عُباد الْبَصْرَة).

اقرأ..

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(فَإِنَّهُ كَانَ فيهم من يُغشى عَلَيْهِ إِذا سمع الْقُرْآن، وَمِنْهُم من يَمُوت كَأبي جهير الضَّرِير، وزرارة بن أوفى قَاضِي الْبَصْرَة، وَكَذَلِكَ صَار فِي شُيُوخ الصُّوفِيَّة من يعرض لَهُ من الفناء وَالسكر مَا يضعف مَعَه تَمْيِيزه حَتَّى يَقُول فِي تِلْكَ الْحَال من الْأَقْوَال مَا إِذا صَحا عرف أَنه غالطٌ فِيهِ، كَمَا يحْكى نَحْو ذَلِك عَن مثل أبي يزِيد).

أي أن هذه الأمور إنما نشأت فيما بعد، أما عند الصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم وأرضاهم- لم يقع شيء من ذلك، وهم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأهل الاتباع والائتساء لنبينا الكريم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وإنما بدأت الأشياء مبادئ هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة **(فَإِنَّهُ كَانَ فيهم من يُغشى عَلَيْهِ إِذا سمع الْقُرْآن، وَمِنْهُم من يَمُوت)**؛ على أن أيضًا بعض التابعين شدد في هذا الأمر، بل بعضهم اعتبر هذا شيء من الدعاوى مثل ما يُنقل عن ابن سيرين فيما أذكر أنه قال: "بيننا وبين هؤلاء"، يعني: الذين يحصل لهم الغُشي عند الذكر وقراءة القرآن، قال: "بيننا وبين هؤلاء أن يقف أحدهم على الجدار ونقرأ القرآن"، ننظر هل يصاب بغشي أو لا يصاب، لكن لما يكون جالس في الأرض المنبسطة، ويسمع الآيات يُصاب بغشي، قال: إذًا بيننا وبينه أن يقف على جدار، ونقرأ عليه القرآن هل يصاب بغشي أو لا يصاب، أما أنه إذا كان على الجدار يضبط نفسه وجسمه؛ لأنه إذا أصاب بغشي يعرف أنه سيموت، يسقط على رأسه ويموت، فيمسك نفسه في مثل هذا الحال.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فقال: "بيننا وبينهم أن يقف أحدهم على الجدار ونقرأ عليه القرآن"، فوجدت هذه البدايات ولم تكن موجوده عند الصحابة، وأيضًا نبه شيخ الإسلام أن وجودها في بعض التابعين ربما -نبه على ذلك في بعض كتبه- ربما أن سبب ذلك قوة الوارد وضعف القلب، بخلاف حال الصحابة الذين كمل الله عَزَّوَجَلَّ أحوالهم، وقلوبهم، وشأنهم مع الإيمان، وآيات الإيمان، وآيات الوعد والوعيد ونحو ذلك.

ثم ذكر أن الأمر ترقى في هذا، قال: (**وَكَذَلِكَ صَار فِي شُيُوخ الصُّوفِيَّة من يعرض لَهُ من الفناء وَالسكر مَا يضعف مَعَه تَمْيِيزه حَتَّى يَقُول فِي تِلْكَ الْحَال من الْأَقْوَال مَا إِذا صَحا عرف أَنه غالطٌ**)؛ يعني لما يدخل في هذه المرحلة من الفناء ويغيب بها عن كل شيء يقول كلمات إذا صحى من ذلك ندم وأسف على صدور مثل هذه الكلمات عنه، (**كَمَا يحْكى ذَلِك عَن مثل أبي يزِيد**)؛ البسطامي، (**وَأبي الْحُسَيْن النوري، وَأبي بكر الشبلي، وأمثالهم بِخِلَاف أبي سُلَيْمَان الدَّارَانِي، ومعروف الْكَرْخِي، والفضيل بن عِيَاض، بل وَبِخِلَاف الْجُنَيْد وَأَمْثَاله مِمَّن كَانَت عُقُولهمْ وتمييزهم تصحبهم فِي أَحْوَالهم فَلَا يقعون فِي الفناء وَالسكر وَنَحْو ذلك، بل الكُمَّل تكون عقولهم لَيْسَ فِيهَا سوى محبَّة الله وإرادته وعبادته، وَعِنْدهم من سَعَة الْعلم والتمييز مَا يشْهدُونَ بِهِ الْأُمُور على مَا هِيَ عَلَيْهِ**)؛ انتبه هنا لهذه الفائدة، هذه ثمينة جدًا، جدًا ثمينة، لما ذكر مقام أولئك وما فيه من نقص وخلل وما يجر أولئك.. ما يجر إليه من فساد،

قال: الكُمَّل من عباد الله: **(تكون عقولهم لَيْسَ فِيهَا سوى محبَّة الله وإرادته وعبادته، وَعِنْدهم)**؛ في الوقت نفسه، **(من سَعَة الْعلم والتمييز مَا يشْهدُونَ بِهِ الْأُمُور على مَا هِيَ عَلَيْهِ، بل يشْهدُونَ الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِأَمْر الله مُدبرَة بمشيئته، مسبحةٌ له، قانتة، فَيكون لَهُم فِيهَا تبصرةٌ وذكرى، وَيكون مَا يشهدونه من ذَلِك مؤيدًا وممدًا لما فِي قُلُوبهم من إخلاص الدَّين، وَتَجْرِيد التَّوْحِيد، وَالْعِبَادَة لَهُ وَحده لَا شريك لَهُ)**؛ الحقيقة هذه الكلمة ثمينة جدًا في هذا المقام، وتجلية الأمر، ووضع الأمور في نصابها.

قال: **(وَهَذِه الْحَقِيقَة الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْقُرْآن، وَقَامَ بهَا أهل تَحْقِيق الْإِيمَان والكُمَّل من أهل الْعرْفَان، وَنَبينَا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِمَام هَؤُلَاءِ وأكملهم، وَلِهَذَا لما عُرِج بِهِ إِلَى السَّمَاوَات، وعاين مَا هُنَالك من الْآيَات، وأوحي إِلَيْهِ مَا أُوحِي من أَنْوَاع الْمُنَاجَاة وأصبح فيهم وَهُوَ لم يتَغَيَّر حَاله وَلَا ظهر عَلَيْهِ ذَلِك)**؛ سبحان الله! يعني أُسري به إلى بيت المقدس، وعُرِج به إلى ما فوق السماء السابعة، وبين كل سماءٍ وسماء خمسمائة عام، ورأى من آيات ربه الكبرى، ورأى أشياء عظيمة، ثم أصبح عند قومه وحاله هي حاله، حاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي حاله، بينما الإنسان الذي ضعيف القلب يشهد أحيانًا مواقف تجد يتغير حاله تمامًا، أو يُصاب مثلًا بأمور أو أشياء من هذا القبيل، فإذًا هذا الذي ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الكُمَّل أن عقولهم تصحبهم مع أنهم ليس في قلوبهم سوى محبة

الله وإرادة الله وعبادة الله، لكن عندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون به الأمور على ما هي عليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَأما النَّوْع الثَّالِث مِمَّا قد يُسمى فنَاءً: فَهُوَ أَن يشْهد أَن لَا مَوْجُود إِلَّا الله، وَأَن وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق فَلَا فرق بَين الرب وَالْعَبْد، فَهَذَا فنَاء أهل الضلال والإلحاد الواقعين فِي الْحُلُول والاتحاد، وَهَذَا يبرأ مِنْهُ الْمَشَايِخ المستقيمون، فإِذا قَالَ أحدهم :مَا أرى غير الله، أَو لَا أنظر إِلَى غير الله وَنَحْو ذَلِك، فمرادهم بذلك مَا أرى رَبًّا غيره، وَلَا خَالِقًا وَلَا مُدبرًا غَيره، وَلَا إِلَهًا لي غَيره، وَلَا أنظر إِلَى غَيره محبَّة لَهُ أَو خوفًا مِنْهُ أَو رَجَاءً لَهُ؛ فَإِن الْعين تنظر إِلَى مَا يتَعَلَّق بِهِ الْقلب، فَمن أحب شَيْئًا أَو رجاه أَو خافه الْتفت إِلَيْهِ وإن لم يكن فِي الْقلب محبَّة لَهُ وَلَا رَجَاء لَهُ وَلَا خوفٌ مِنْهُ).

أعد.. (وأما النوع الثالث).

(وَأما النَّوْع الثَّالِث مِمَّا قد يُسمى فنَاءً: فَهُوَ أَن يشْهد أَن لَا مَوْجُود إِلَّا الله، وَأَن وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق فَلَا فرق بَين الرب وَالْعَبْد، فَهَذَا فنَاء أهل الضلال والإلحاد الواقعين فِي الْحُلُول والاتحاد، وَهَذَا يبرأ مِنْهُ الْمَشَايِخ المستقيمون، فإِذا قَالَ أحدهم: مَا أرى غير الله، أَو لَا أنظر إِلَى غير الله وَنَحْو ذَلِك، فمرادهم بذلك..).

(وَهَذَا يبرأ مِنْهُ الْمَشَايِخ المستقيمون).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَهَذَا يبرأ مِنْهُ الْمَشَايِخ المستقيمون، فإِذا قَالَ أحدهم: مَا أرى غير الله، أَو لَا أنظر إِلَى غير الله وَنَحْو ذَلِك، فمرادهم بذلك، أي: مَا أرى رَبًّا غَيره، وَلَا خَالِقًا وَلَا مُدبرًا غَيره، وَلَا إِلَهًا غَيره، وَلَا أنظر إِلَى غَيره محبَّة لَهُ، أَو خوفًا مِنْهُ، أَو رَجَاءً لَهُ؛ فَإِن الْعين تنظر إِلَى مَا يتَعَلَّق بِهِ الْقلب، فَمن أحب شَيْئًا أَو رجاه أَو خافه الْتفت إِلَيْهِ، وَإِذا لم يكن فِي الْقلب محبَّةٌ لَهُ وَلَا رَجَاءٌ لَهُ وَلَا خوفٌ مِنْهُ وَلَا بغضٌ لَهُ وَلَا غير ذَلِك من تعلق الْقلب به لم يقْصد الْقلب أَن يلْتَفت إِلَيْهِ، وَلَا أَن ينظر إِلَيْهِ، وَلَا أَن يراهُ، وَإِن رَآهُ اتِّفَاقًا رُؤْيَةً مُجَرّدَة كَانَ كما لَو رأى حَائِطًا وَنَحْوه مِمَّا لَيْسَ فِي قلبه تعلقٌ بِهِ، والمشايخ الصالحون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ...).

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأما النَّوْع الثَّالِث**)؛ الفناء عن وجود السوى، هذا النوع الثالث (**مِمَّا قد يُسمى فنَاءً**)؛ الفناء عن وجود السوى.

الأول: عرفناه وهو الفناء عن عبادة السوى.

والثاني: الفناء عن شهود السوى.

والثالث: الفناء عن وجود السوى، وهو قول الملاحدة أهل الوحدة، يسمونه فناءً. (**وهُوَ أَن يشْهد أَن لَا مَوْجُود إِلَّا الله**)؛ الفناء أن يشهد أن لا موجود إلا الله، (**وَأَن وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق فَلَا فرق بَين الرب وَالْعَبْد**).

قال: (**فَهَذَا فنَاء أهل الضلال والإلحاد الواقعين فِي الْحُلُول والاتحاد**). قال: أما المشايخ المستقيمون (**إِذا قَالَ أحدهم :مَا أرى غير الله، أَو غيره، لَا أنظر**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

إِلَى غير الله أَوَ نَحْو ذَلِك)؛ إذا جاءت مثل هذه الإطلاقات. **(فمرادهم بذلك مَا أرى رَبًّا غَيره، وَلَا خَالِقًا غيره، وَلَا مُدبرًا له، وَلَا إِلَهًا غَيره)**؛ ربما بعض الجهال يقرأها فيحملها على المعنى الموجود عند الملاحدة من أهل الحلول والاتحاد.

فهذا مرادهم أي: **(مَا أرى رَبًّا غَيره، وَلَا خَالِقًا غيره، وَلَا مُدبرًا، وَلَا إِلَهًا غَيره، وَلَا أنظر إِلَى غَيره محبَّةً)**؛ إنما أقول: لا أنظر إلى.. إلا إلى الله، أي: محبةً، **(أَو خوفًا مِنْهُ، أَو رَجَاءً لَهُ؛ فَإِن الْعين تنظر إِلَى مَا يتَعَلَّق بِهِ الْقلب، فَمن أحب شَيْئًا أَو رجاه أَو خافه الْتفت إِلَيْهِ، فَإِذا لم يكن فِي قلبه محبَّةٌ وَلَا رَجَاءٌ لَهُ وَلَا خوفٌ مِنْهُ، وَلَا بغضٌ لَهُ، وَلَا غير ذَلِك من تعلق الْقلب لَهُ لم يقْصد الْقلب أَن يلْتَفت إِلَيْهِ، وَلَا أَن ينظر إِلَيْهِ، وَلَا أَن يرَاهُ، وَإِن رَآهُ اتِّفَاقًا رُؤْيَة مُجَرّدَة كَانَ كمن رأى حَائِطًا)**؛ يعني: لا يتعلق به قلبه.

إذًا مراد المشايخ الصالحين إنما تأتي منها العبارات: لم أرى إلا الله، أو لم أنظر إلا إلى الله، أي: في خوفي، في مراقبتي، في خشيتي، مثل هذا المعنى أرادوا بهذه العبارات.

قال: **(ومن المشايخ الصالحون** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **يذكرُونَ شَيْئًا من تَجْرِيد التَّوْحِيد وَتَحْقِيق إخلاص الدَّين كُله بِحَيْثُ لَا يكون العَبْد ملتفتًا إِلَى غير الله وَلَا نَاظرًا**

إِلَى مَا سواهُ لَا حبًا لَهُ، وَلَا خوفًا مِنْهُ، وَلَا رَجَاء لَهُ، بل يكون الْقلب فَارغًا من الْمَخْلُوقَات خَالِيًا مِنْهَا لَا ينظر إِلَيْهَا إِلَّا بِنور الله).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فبالحق يسمع، وبالحق يبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشي، فيحب مِنْهَا مَا يُحِبهُ الله، وَيبغض مِنْهَا مَا يبغضه الله، ويوالي مِنْهَا مَا وَالَاهُ الله، ويعادي مِنْهَا مَا عَادَاهُ الله، وَيخَاف الله فِيهَا وَلَا يخافها فِي الله، ويرجو الله فِيهَا وَلَا يرجوها فِي الله، فَهَذَا هُوَ الْقلب السَّلِيم الحنيف الموحد الْمُسلم الْمُؤمن الْمُحَقق الْعَارِف بِمَعْرِفَة الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ، وبحقيقتهم وتوحيدهم).

يعني هذا كله توضيح لأقوال المشايخ الصالحين إذا بدرت منهم مثل العبارات السابقة: "ما أرى غير الله، أو لا أنظر إلى غير الله"، هذا هو مرادهم بمثل هذه الألفاظ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَهَذَا النَّوْع الثَّالِث الَّذِي هُوَ الفناء فِي الْوُجُود هُوَ تَحْقِيق آل فِرْعَوْن ومعرفتهم..).

أعد..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَهَذَا النَّوْع الثَّالِث الَّذِي هُوَ الفناء فِي الْوُجُود هُوَ تَحْقِيق آل فِرْعَوْن ومعرفتهم وتوحيدهم كالقرامطة وأمثالهم.

وَأما النَّوْع الَّذِي عَلَيْهِ أَتبَاع الْأَنْبِيَاء فَهُوَ الفناء الْمَحْمُود الَّذِي يكون صَاحبه مِمَّن أثنى الله عَلَيْهِم من أوليائه الْمُتَّقِينَ، وَحزبه المفلحين، وجنده الغالبين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَلَيْسَ مُرَاد الْمَشَايِخ وَالصَّالِحِينَ بِهَذَا الْقَوْل أَن الَّذِي أَرَاهُ بعيني من الْمَخْلُوقَات هُوَ رب الأَرْض وَالسَّمَاوَات، فَإِن هَذَا لَا يَقُوله إِلَّا من هُوَ فِي غَايَة الضلال وَالْفساد، إِمَّا فَسَاد الْعقل، وَإِمَّا فَسَاد الِاعْتِقَاد، فَهُوَ مُتَرَدّدٌ بَين الْجُنُون والإلحاد).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هَذَا النَّوْع الثَّالِث**)؛ الذي سبق أن تحدَّث عنه وهو الفناء عن وجود السوى، فهو في الحقيقة (**تَحْقِيق آل فِرْعَوْن وتوحيدهم ومعرفتهم كالقرامطة وأمثالهم**).

أما الذي عليه الأنبياء، (**أَتبَاع الْأَنْبِيَاء هُوَ الفناء الْمَحْمُود الَّذِي يكون صَاحبه مِمَّن أثنى الله عَلَيْهِم من أولياء الْمُتَّقِينَ، وَحزبه المفلحين، وجنده الغالبين**).

ونبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً ثانية أن المشايخ الصالحين عندما يعبرون ببعض العبارات أن الذي -مثل ما مر معنا- "ما أرى غير الله، أو لا أنظر إلى غير الله" مرادهم بهذه العبارات أن الذي أراه بعيني.. ليس مرادهم (**أَن الَّذِي أَرَاهُ بعيني من هُوَ رب الأَرْض وَالسَّمَاوَات، فَإِن هَذَا لَا يَقُوله إِلَّا من هُوَ فِي غَايَة الضلال وَالْفساد؛ إِمَّا فَسَاد الْعقل، أَوَ فَسَاد الِاعْتِقَاد**)؛ فساد العقل يعني ماذا؟ الجنون، وفساد الاعتقاد يعني: الإلحاد، قال: (**فَهُوَ مُتَرَدّدٌ بَين الْجُنُون والإلحاد**)؛ إن فسد عقله فهو مجنون، إن فسد اعتقاده فهو ملحد في الدين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكل الْمَشَايِخ الَّذين يقْتَدى بهم فِي الدَّين متفقون على مَا اتّفق عَلَيْهِ سلف الْأمة وأئمتها من أَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباينٌ للمخلوقات وَلَيْسَ فِي مخلوقاته شَيْءٌ من ذَاته وَلَا فِي ذَاته شَيْءٌ من مخلوقاته، وَأَنه يجب إِفْرَاد الْقَدِيم عَن الحادث، وتمييز الْخَالِق عَن الْمَخْلُوق..).

(عَن الْحَادِث).

نعم يا شيخ؟

(عَن الْحَادِث).

(وَأَنه يجب إِفْرَاد الْقَدِيم عَن الْحَادِث وتمييز الْخَالِق عَن الْمَخْلُوق، وَهَذَا فِي كَلَامهم أَكثر من أَن يُمكن ذكره هُنَا، وهم قد تكلمُوا على مَا يعرض للقلوب من الْأَمْرَاض والشبهات؛ فَإِن بعض النَّاس قد يشْهد وجود الْمَخْلُوقَات فيظنه خَالق الأَرْض وَالسَّمَاوَات لعدم التَّمْيِيز وَالْفرْقَان فِي قلبه بِمَنْزِلَة من رأى شُعَاع الشَّمْس فَظن أَن ذَلِك هُوَ الشَّمْس الَّتِي فِي السَّمَاء، وهم قد يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفرق وَالْجمع وَيدخل فِي ذَلِك من الْعبارَات الْمُخْتَلفَة نَظِير مَا دخل فِي الفناء، فَإِن العَبْد إِذا شهد التَّفرِقَة وَالْكَثْرَة فِي الْمَخْلُوقَات..).

طيب نكتفي.. نتحدث عن هذا غدًا -إن شاء الله-.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم أقسم لنا من خشيتك ما

يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وأنصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

المجلس الثامن عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وكل الْمَشَايِخ الَّذين يقْتَدى بهم فِي الدَّين متفقون على مَا اتّفق عَلَيْهِ سلف الْأمة وأئمتها من أَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباين للمخلوقات، وَلَيْسَ فِي مخلوقاته شَيْء من ذَاته وَلَا فِي ذَاته شَيْء من مخلوقاته، وَأَنه يجب إِفْرَاد الْقَدِيم عَن الْحَادِث وتمييز الْخَالِق عَن الْمَخْلُوق، وَهَذَا فِي كَلَامهم أَكثر من أَن يُمكن ذكره هُنَا.

وهم قد تكلمُوا على مَا يعرض للقلوب من الْأَمْرَاض والشبهات؛ فَإِن بعض النَّاس قد يشْهد وجود الْمَخْلُوقَات؛ فيظنه خَالق الأَرْض وَالسَّمَاوَات لعدم التَّمْيِيز وَالْفرْقَان فِي قلبه بِمَنْزِلَة من رأى شُعَاع الشَّمْس فَظن أَن ذَلِك هُوَ الشَّمْس الَّتِي فِي السَّمَاء.

وهم قد يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفرق وَالْجمع، وَيدخل فِي ذَلِك من الْعبارَات الْمُخْتَلفَة نَظِير مَا دخل فِي الفناء.

فَإِن العَبْد إِذا شهد التَّفْرِقَة وَالْكَثْرَة فِي الْمَخْلُوقَات، يبْقى قلبه مُتَعَلقًا بهَا مشتتًا، نَاظرًا إِلَيْهَا، متعلقا بهَا؛ إِمَّا محبَّة، وَإِمَّا خوفًا، وَإِمَّا رَجَاء، فَإِذا انْتقل إِلَى الْجمع

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اجْتمع قلبه على تَوْحِيد الله وعبادته وَحده لَا شريك لَهُ، فَالْتَفت قلبه إِلَى الله بعد التفاته إِلَى المخلوقين، فَصَارَت محبته لرَبه، وخوفه من ربه، ورجاؤه لرَبه، واستعانته بربه، وَهُوَ فِي هَذَا الْحَال قد لَا يسع قلبه النّظر إِلَى الْمَخْلُوق ليفرق بَين الْخَالِق والمخلوق، فقد يكون مجتمعًا على الْحق معرضًا عَن الْخلق نظرًا وقصدًا، وَهُوَ نَظِير النَّوْع الثَّانِي من الفناء.

وَلَكِن بعد ذَلِك الْفرق الثَّانِي: وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِاللَّه مدبره بأَمْره، وَيشْهد كثرتها مَعْدُومَة بوحدانية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وَأَنه سُبْحَانَهُ رب المصنوعات وإلهها وخالقها ومالكها، فَيكون -مَعَ اجْتِمَاع قلبه على الله إخلاصًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً واستعانة وتوكلًا على الله وموالاة فِيهِ ومعاداة فِيهِ وأمثال ذَلِك- نَاظرًا إِلَى الْفرق بَين الْخَالِق والمخلوق، مُمَيّزًا بَين هَذَا وَهَذَا، يشْهد تفرق الْمَخْلُوقَات وَكَثْرَتهَا مَعَ شَهَادَته أَن الله رب كل شَيْء ومليكه وخالقه، وَأَنه هُوَ الله لَا إِلَه إِلَّا هُوَ.

وَهَذَا هُوَ الشُّهُود الصَّحِيح الْمُسْتَقيم، وَذَلِكَ وَاجِب فِي علم الْقلب، وشهادته، وَذكره، ومعرفته، وَفِي حَال الْقلب وعبادته، وقصده، وإرادته، ومحبته، وموالاته، وطاعته.

وَذَلِكَ تَحْقِيق شَهَادَة: أَن لَا إِلَه إِلَّا الله؛ فَإِنَّهَا تَنْفِي عَن قلبه ألوهية مَا سوى الْحق، وَتثبت فِي قلبه ألوهية الْحق.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فَيكون نافيًا لألوهية كل شَيْء من الْمَخْلُوقَات، ومثبتًا لألوهية رب الْعَالمين وَرب الأَرْض وَالسَّمَاوَات، وَذَلِكَ يتَضَمَّن اجْتِمَاع الْقلب على الله، وعَلى مُفَارقَة مَا سواهُ، فَيكون مفرقًا فِي علمه وقصده، فِي شَهَادَته وإرادته، فِي مَعْرفَته ومحبته بَين الْخَالِق والمخلوق، بِحَيْثُ يكون عَالمًا بِاللَّه تَعَالَى ذَاكِرًا لَهُ عَارِفًا بِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِك عَالم بمباينته لخلقه وانفراده عَنْهُم، وتوحده دونهم، وَيكون محبًا لله مُعظمًا لَهُ، عابدًا لَهُ، راجيًا لَهُ، خَائفًا مِنْهُ، محبًا فِيهِ، مواليًا فِيهِ معاديًا فِيهِ، مستعينًا بِهِ، متوكلًا عَلَيْهِ، مُمْتَنعا عَن عبَادَة غَيره، والتوكل عَلَيْهِ، والاستعانة بِهِ، وَالْخَوْف مِنْهُ، والرجاء لَهُ، والموالاة فِيهِ، والمعاداة فِيهِ، وَالطَّاعَة لأَمره، وأمثال ذَلِك مِمَّا هُوَ من خَصَائِص إلهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَإِقْرَاره بإلوهية الله تَعَالَى دون مَا سواهُ يتَضَمَّن إِقْرَاره بربوبيته؛ وَهُوَ أَنه رب كل شَيْء ومليكه وخالقه ومدبره؛ فَحِينَئِذٍ يكون موحدًا لله.

وَيبين ذَلِك: أَن أفضل الذّكر لَا إِلَه إِلَّا الله كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَابْن أبي الدُّنْيَا وَغَيرهمَا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**أفضل الذِّكر: لَا إِلَه إِلَّا الله، وَأفضل الدُّعَاء: الْحَمد لله**».

وَفِي "الْمُوَطَّأ" وَغَيره عَن طَلْحَة بن عبيد الله بن كريز أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أفضل مَا قلت أَنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك، وَله الْحَمد، وَهُوَ على كل شَيْء قدير**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما ذكر الشيخ -شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- النوع الثالث من أنواع الفناء، وهو الفناء عن وجود السوى وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كما مر التنبيه على ذلك، (أن يشهد أحدهم أن لا موجود إلا الله)؛ وهذه عقيدة باطلة كفرية جائرة، لما بين ذلك وأشار إليه في مقام إبطال ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل الْمَشَايِخ الَّذين يقْتَدى بهم فِي الدَّين متفقون على مَا اتّفق عَلَيْهِ سلف الْأمة وأئمتها من أَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباين للمخلوقات)**. قوله: **(وكل الْمَشَايِخ الَّذين يقْتَدى بهم فِي الدَّين)**؛ يقصد بذلك الأول من أهل السلوك ممن يُنقل عنهم نقولات جميلة ونافعة في السلوك، وقد يُنقل عن بعضهم شيء من الألفاظ التي فيها شيء من الخطأ، لكن كل هؤلاء متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات.

وشيخ الإسلام في كتابه [الحموية]، وتلميذه ابن القيم في كتابه [اجتماع الجيوش] نقل عن عدد من هؤلاء نقولات في علو الله وإثبات المباينة -مباينة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمخلوقات-، قال: **(من أَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباين للمخلوقات)**؛ ما معنى مباين للمخلوقات؟ ما معنى هذه الكلمة؟ عطف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عليها

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

عطفًا تفسيريًا لها، فقال: (**وَلَيْسَ فِي مخلوقاته شَيْء من ذَاته وَلَا فِي ذَاته شَيْء من مخلوقاته**)؛ هذا معنى كلمة (بائن) وشرح لها، إذا قيل: ما معنى بائن؟ ما معنى أن الله بائنٌ من مخلوقاته؟ فالجواب: أي: (**لَيْسَ فِي مخلوقاته شَيْء من ذَاته وَلَا فِي ذَاته شَيْء من مخلوقاته**)؛ فالعطف هنا عطفٌ تفسيري.

(**وَأَنه يجب إِفْرَاد الْقَدِيم عَن الْحَادِث وتمييز الْخَالِق عَن الْمَخْلُوق**)؛ هذا أمر مجمع عليه والمشايخ الذين يقتدى بهم أيضًا جادتهم في ذلك جادة السلف وقولهم فيه قول السلف، وهو محل إجماع كما يبين ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

(**وَهَذَا فِي كَلَامهم أَكثر من أَن يُمكن ذكره هُنَا**)؛ وللاطلاع على بعضه ينظر كما أسلفت [للحموية] لشيخ الإسلام، ولـ [اجتماع الجيوش] لتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ويمكن أيضًا أن ينظر أيضًا إلى [العلو الذهبي]، وقبله [العلو] لابن قدامة، وغيرها من الكتب التي جمع فيها مصنفوها النقولات عن أهل العلم مقسمة تقسيماتٍ متنوعة في طبقات أهل العلم أو أنواع علومهم، أو نحو ذلك مما قُسمت عليه تلك الكتب.

قال: (**وهم قد تكلمُوا على مَا يعرض للقلوب من الْأَمْرَاض والشبهات**)؛ أيضًا يُنبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هؤلاء المشايخ الذين يقتدى بهم نبهوا على الأمراض والشبهات -أمراض القلوب-، والقلب يُصاب بمرض الشهوة ومرض الشبهة، مرض الشهوة وهذا المرض يوقع الإنسان في المعاصي والفواحش،

ومرض الشبهة وهذا يوقعه في البدعة والانحراف عن دين الله، فيقول: إن هؤلاء المشايخ تكلموا عن هذه الأمراض، مشيرًا بذلك أن من جملة ما تكلموا به تحذير من الشبهات التي أدخلت على بعض هؤلاء القول بالاتحاد أو الحلول أو غير ذلك من الباطل مما يشير إليه بقوله: (**فَإِن بعض النَّاس قد يشْهد**)؛ لاحظ الآن! كيف يصف الانحراف فيما بين المشايخ الذين يشير إليهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (**فَإِن بعض النَّاس قد يشْهد وجود الْمَخْلُوقَات فيظنه خَالق الأَرْض وَالسَّمَاوَات لعدم التَّمْيِيز وَالْفرْقَان فِي قلبه**)؛ مثال هؤلاء: (**من رأى شُعَاع الشَّمْس فَظن أَن ذَلِك هُوَ الشَّمْس الَّتِي فِي السَّمَاء**)؛ إذا فسد القلب بالشبهة ولم يصبح قلبًا مميزًا بسبب الشبهات التي اكتنفت القلب فلم يصبح قلبًا مميزًا؛ فإنه حينئذٍ يكون نظره نظر قاصر، ورؤيته للأشياء رؤية قاصرة، فيقع في مثل هذا الانحراف لما قام في قلبه من لوثة الشبهات التي أفسدت قلبه لعدم التمييز والفرقان في قلبه، لماذا قلبه لا يميز؟ لعدم التمييز والفرقان في قلبه، مع أن هذه من أجل الحقائق وأوضحها، لماذا لا يميز؟ أي: لما قام في قلبه من شبهات أردت قلبه وأهلكته، أصبح ينظر ولا يُميز، فينطق بمثل ذلك الضلال والكفر.

(**وهم قد تَكَلَّمُوا فِي الْفرق وَالْجمع**)؛ تكون مثل هذه العبارات جاءت في بعض كلام المشايخ -ولهم فيها مقصد حسن-، مثل ما مر معنا في لفظة: (الفناء). يعني يعبر عنها البعض ويقصد مقصدًا حسنًا مثل المقصد الأول،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ومثل أيضًا بعض العبارات التي مرت عن بعض المشايخ الذين يشير إليهم: أريد أن لا أريد ما يريد، أريد معنى بذلك يقصد معنى صحيحًا، لكن يأتي الأتباع وأتباع الأتباع فيما بعد وتكون تلوثت قلوبهم بشبهات؛ فيأخذون مثل هذه الألفاظ والكلمات المتشابهة فيحملونها أو يفهمون منها معاني فاسدة.

فالمشايخ تكلموا في الفرق والجمع قال: (**وَيدخل فِي ذَلِك من الْعبارَات الْمُخْتَلفَة نَظِير مَا دخل فِي الفناء**)؛ ما معنى ذلك؟ أي أن الفناء أشار شيخ الإسلام أنه يدخل تحته معاني عديدة ذكرها، وذكر أن الأول منها معنى صحيح، أيضًا الفرق والجمع يكون تكلم به بعض المشايخ من أهل السلوك وقصد فيه معنًى صحيحًا، ثم انحرف فيما بعد الأتباع في فهم مراده بكلامه، ومقصوده بقوله، وهذا يحصل في كثير من الألفاظ.

فلفظ الجمع والفرق يقصدون به بالجمع: اجتماع القلب بكليته على الله مقبلًا عليه، مخلصًا في دينه، وتقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والفرق أي أيضًا يشهد مع ذلك ما الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والعبد والمعبود، فتكلموا في الفرق والجمع. (**وَيدخل فِي ذَلِك من الْعبارَات الْمُخْتَلفَة نَظِير مَا دخل فِي الفناء**).

(**فَإِن العَبْد إِذا شهد التَّفرِقَة وَالْكَثْرَة فِي الْمَخْلُوقَات، يبْقى قلبه مُتَعَلقًا بهَا، مشتتًا، نَاظرًا إِلَيْهَا، متعلقا بهَا؛ إِمَّا محبَّة، وَإِمَّا خوفًا، وَإِمَّا رَجَاءً**)؛ يكون في

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مرحلة في هذا النظر يتفرق قلبه ويتشتت بهذا النظر، وانظر دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لصاحبي السجن، قال: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [سورة يوسف، من الآية:39]؛ أن يتشتت القلب ويتفرق ويتمزق أم أن يجتمع على الإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الواحد القهار.

يقول: فيعني يكون عند هؤلاء **(إِن العَبْد إِذا شهد التَّفْرِقَة وَالْكَثْرَة فِي الْمَخْلُوقَات، يبْقى قلبه مُتَعَلقًا بهَا، مشتتًا، نَاظرًا إِلَيْهَا، متعلقا بهَا؛ إِمَّا محبَّة، وَإِمَّا خوفًا، وَإِمَّا رَجَاءً، فَإِذا انْتقل إِلَى الْجمع)**؛ يعني اجتماع القلب بعد هذه التفرقة التي حصلت فيه والتشتت. **(فَإِذا انْتقل إِلَى الْجمع اجْتمع قلبه على تَوْحِيد الله وعبادته وَحده لَا شريك لَهُ، فَالْتَفت قلبه إِلَى الله بعد التفاته إِلَى المخلوقين، فَصَارَت محبته إِلَى ربه، وخوفه من ربه، ورجاؤه لرَبه، واستعانته بربه، وَفِي هَذَا الْحَال)**؛ انتبه للخطأ الذي يقع فيه هؤلاء هنا. **(فِي هَذِه الْحَال قد لَا يسع قلبه النّظر إِلَى الْمَخْلُوق ليفرق بَين الْخَالِق والمخلوق)**؛ بعد أن اجتمع قلبه هذا الاجتماع قد يكون بعضهم في مثل هذا الحال **(لَا يسع قلبه النّظر إِلَى الْمَخْلُوق ليفرق بَين الْخَالِق والمخلوق)**؛ لأن قلبه اجتمع الآن فلا ينظر إلى المخلوق ليفرق بين الخالق والمخلوق، **(فقد يكون مجتمعًا على الْحق معرضًا عَن الْخلق نظرًا وقصدًا)**؛ أي نظرًا وقصدًا في نظره وفي قصده معرضًا عن الخلق، فماذا يقع فيه؟ ماذا يقع فيه؟ هنا يقع فيه ما أشار إليه شيخ الإسلام بقوله: **(وَهُوَ نَظِير النَّوْع الثَّانِي من الفناء)**؛ لاحظ ماذا قال في النوع

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الثاني عندما تحدَّث عن ضعف قلوب هؤلاء في السطر الثاني من كلامه على المعنى الثاني من معاني الفناء، قال: (**وَضعف قُلُوبهم عَن أَن تشهد غير مَا تعبد وَترى غير مَا تقصد**)؛ فقوله هنا: (**أَن تشهد غير مَا تعبد وَترى غير مَا تقصد**)؛ هو قوله هنا في الموضع الآخر: (**نظرًا وقصدًا**)؛ فيجتمع قلبه نظرًا وقصدًا على المعبود، ويُعرض عن المخلوق يعني لا يشهد ذلك ولا يشهد أيضًا فرق بين المخلوق والخالق فيقع في نوع من الخلل فيكون نظير النوع الثاني من الفناء كما سبق الحديث عنه.

(**وَلَكِن بعد ذَلِك الْفرق الثَّانِي: وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِالله مدبره بأَمْره**)؛ يعني إذا وُجد اجتماع القلب، ووجد هذا الفرق الثاني غير الأول، إذا وجد هذا الفرق الثاني بعد اجتماع القلب (**وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِالله مدبره بأَمْره**)؛ الأول ماذا حصل له؟ كان عنده أولًا الفرق، ثم اجتماع القلب، ثم أعرض حتى لم يدرك فرقًا بين تمييزًا بين خالق ومخلوق، لكن من اجتمع قلبه وبعد ذلك كان من أهل الفرق الثاني: (**وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِالله مدبره بأَمْره، وَيشْهد كثرتها مَعْدُومَة بوحدانية الله** سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، **وَأَنه سُبْحَانَهُ رب المصنوعات، وإلهها، وخالقها، ومالكها، فَيكون -مَعَ اجْتِمَاع قلبه على الله إخلاصًا، ومحبةً، وخوفًا، ورجاءً، واستعانةً، وتوكلًا على الله، وموالاة فِيهِ، ومعاداة فِيهِ، وأمثال ذَلِك-**)؛ ومع ذلك يكون ماذا؟ (**نَاظرًا إِلَى الْفرق بَين الْخَالِق والمخلوق، مُمَيّزًا بَين هَذَا وَهَذَا، يشْهد**

تفرق الْمَخْلُوقَات وَكَثْرَتهَا مَعَ شَهَادَته أَن الله رب كل شَيْء ومليكه وخالقه، وَأَنه هُوَ الله لَا إِلَه إِلَّا هُوَ. وَهَذَا هُوَ الشُّهُود الصَّحِيح الْمُسْتَقيم)؛ ففي الوقت الذي يجتمع قلبه على الله إخلاصًا وعبوديةً وذلًا ومحبةً وخضوعًا في الوقت نفسه يشهد أيضًا هذه المخلوقات، وأنها خلق الله، وأن الله أوجدها، وأنه يعدمها، وأنه مدبرها، وأنه مسخرها؛ يشهد هذا، بخلاف الأول لا يشهد هذا فيقع في نوع من الانحراف حتى يظن بعضهم أن كل شيء واحد، يجمع قلبه عليه فيظنه شيئًا واحدًا؛ فيقع في انحراف هؤلاء القول بالاتحاد أو الوحدة أو غير ذلك من باطلهم.

قال: **(وَهَذَا هُوَ الشُّهُود الصَّحِيح الْمُسْتَقيم، وَذَلِكَ وَاجِب فِي علم الْقلب وشهادته وَذكره ومعرفته، وَفِي حَال الْقلب وعبادته وقصده وإرادته ومحبته وموالاته وطاعته)**؛ هذا راجع إلى الكلام السابق نظرًا وقصدًا؛ لأن القلب مطلوب منه علم، ومطلوب منه عمل، مطلوب منه علم وعمل، أما علم القلب فشهادته بالتوحيد وإقراره به وإيمانه، وأما عمل القلب بعبوديته وذله وخوفه ورجاءه وإقباله على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وموالاته وطاعته، القلب له أعمال، قال: **(وَذَلِكَ وَاجِب فِي علم الْقلب، وَوَاجِب فِي حَال الْقلب. وَذَلِكَ تَحْقِيق شَهَادَة: أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، فَإِنَّهَا تَنْفِي عَن قلبه إلهية مَا سوى الْحق، وَتثبت فِي قلبه إلهية الْحق)**؛ لأنها قائمة على ركنين النفي والإثبات، تنفي إلهية ما سوى الله، وتُثبت الإلهية بكل معانيها لله وحده؛ لأن التوحيد نفي

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وإثبات، لا توحيد إلا بهما، التوحيد نفي وإثبات، لا يمكن أن يكون توحيد إلا بالنفي والإثبات، بدون النفي والإثبات لا يكون التوحيد، من نفى ولم يُثبت لم يوحد، ومن أثبت ولم ينفي لم يوحد، فلا توحيد إلا بالنفي والإثبات، ولهذا قامت لا إله إلا الله على النفي والإثبات، نفي للعبودية عن كل من سوى الله، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وحده، قال في شرح الكلمة: (**فَيكون نافيًا لإلهية كل شَيْء من الْمَخْلُوقَات، ومثبتًا لإلهية رب الْعَالمين وَرب الأَرْض وَالسَّمَاوَات**)؛ وهذا هو توحيد الله، (**وَذَلِكَ يتَضَمَّن اجْتِمَاع الْقلب على الله، وعَلى مُفَارقَة مَا سواهُ، فَيكون مفرقًا فِي علمه وقصده، فِي شَهَادَته وإرادته، فِي مَعْرفَته ومحبته بَين الْخَالِق والمخلوق، بِحَيْثُ يكون عَالمًا بِالله تَعَالَى، ذَاكِرًا لَهُ، عَارِفًا بِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِك**). اقرأ.

(وَهُوَ مَعَ ذَلِك عَالم بمباينته لخلقه وانفراده عَنْهُم).

(**وَهُوَ مَعَ ذَلِك عَالم بمباينته لخلقه**)؛ مقر بالعبودية لله ووجوب إخلاص الدين له، ووجوب إفراده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالوحدانية، وفي الوقت نفسه أيضًا (**عَالم بمباينته لخلقه وانفراده عَنْهُم، وتوحده دونهم**)؛ وقد مر معنا قول شيخ الإسلام عن معنى تباين أي ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَيكون محبًا لله، مُعظمًا لَهُ، عابدًا لَهُ، راجيًا لَهُ، خَائفًا مِنْهُ، محبًا فِيهِ، مواليًا فِيهِ معاديًا فِيهِ، مستعينًا بِهِ، متوكلًا عَلَيْهِ، مُمْتَنعًا عَن عبَادَة غَيره، والتوكل عَلَيْهِ، والاستعانة بِهِ، وَالْخَوْف مِنْهُ، والرجاء لَهُ، والموالاة فِيهِ، والمعاداة فِيهِ، وَالطَّاعَة لأَمره، وأمثال ذَلِك مِمَّا هُوَ من خَصَائِص إلهية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. **وَإِقْرَاره بإلهية الله تَعَالَى دون مَا سواهُ يتَضَمَّن لإِقْرَاره بربوبيته)**؛ وهذا فيه أن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، بخلاف توحيد الربوبية فإنه يستلزم توحيد الإلهية يستلزمه، أما توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأن من أفرد الله حقًا في العبادة فقد عرف الله بوحدانيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ربوبيته، أما من عرف الله بالربوبية قد يُخلص العبادة لله، وقد يعبد غيره كحال المشركين عبدة الأصنام.

قال: **(وَإِقْرَاره بإلهية الله تَعَالَى دون مَا سواهُ يتَضَمَّن لإفراده بربوبيته؛ وَهُوَ أَنه رب كل شَيْء ومليكه وخالقه ومدبره؛ فَحِينَئِذٍ يكون موحدًا لله)**؛ حديثه عن هذا المعنى من خلال لفظة الجمع والفرق التي يتحدث عنها هؤلاء، لكن عند الحديث أصالةً عن لا إله إلا الله ومعناها، والتوحيد ومعناه، مثل هذه الألفاظ كما قدمت لكم أؤكد على ذلك لا نحتاج إليها، فلا يقع إنسان في خلط في هذا الباب، هذا المقام الذي تحدث فيه شيخ الإسلام مقام رد ومناقشة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فيذكر مثل هذا في مقام الرد والمناقشة، لكن عندما يتحدث إنسان عن التوحيد أصالةً وابتداءً وتقريرًا لا يحتاج إلى هذه ألفاظ الجمع والتفرقة والفناء والاصطلام، ومثل هذه الألفاظ التي هي ألفاظ متشابهة عُرفت عن بعض الشيوخ ثم حُملت أو بُني عليها معاني باطلة وأقوال فاسدة مر الإشارة إلى شيءٍ منها.

قال: (**وَيبين ذَلِك: أَن أفضل الذّكر: لَا إِلَه إِلَّا الله**)؛ وأيضًا قوله وتقرير ذلك ما يزال في سياق النقد لهؤلاء؛ لأن بناءً على الانحراف الذي وصل إليه أولئك حتى لا إله إلا الله وكونها أفضل الذكر هذا أيضًا لم يلتزمه هؤلاء ولم يقروا به، وسيأتي أن لا إله إلا الله عندهم ليست أفضل الذكر، بل هناك ما هو أفضل منها بزعمهم ودعواهم، وسيأتي أيضًا مناقشة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك.

ولهذا يقول: (**وَيبين ذَلِك: أَن أفضل الذّكر لَا إِلَه إِلَّا الله كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَابْن أبي الدُّنْيَا وَغَيرهمَا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «أفضل الذِّكر: لَا إِلَه إِلَّا الله، وَأفضل الدُّعَاء: الْحَمد لله»**.

وَفِي "الْمُوَطَّأ" وَغَيره عَن طَلْحَة بن عبيد الله أَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «أفضل مَا قلت أَنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك، وَله الْحَمد، وَهُوَ على كل شَيْء قدير»**)؛ فهذا فيه أن أفضل كلمة قالها نبي هي هذه، كل الأنبياء أفضل ما قالوه هو هذه الكلمة: لا إله إلا الله وحده

لا شريك له، فهي أفضل الكلمات على الإطلاق، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله**»، والأحاديث في فضل لا إله إلا الله، وأنها أعلى الدين، وأرفع شعب الإيمان، وأفضل شعب الإسلام، وأرفع مقامات الدين كثيرة جدًا.

لما أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشارة إلى هذين الحديثين في أن أفضل الذكر لا إله إلا الله، قال: (**وَمن زعم أَن هَذَا ذكر الْعَامَّة، وَأَن ذكر الْخَاصَّة هُوَ الِاسْم الْمُفْرد، وَذكر خَاصَّة الْخَاصَّة هُوَ الِاسْم الْمُضمر؛ فهم ضالون غالطون**)؛ يقول: من زعم أن هذا ذكر العامة، (**وَأَن ذكر الْخَاصَّة هُوَ الِاسْم الْمُفْرد**)؛ أي الله، وأن (**وَذكر خَاصَّة الْخَاصَّة هُوَ الِاسْم الْمُضمر**)؛ أي هو، والصوفية يقسمون الذكر إلى ثلاثة أقسام، قسم العامة: لا إله إلا الله، وذكر الخاصة: الله الله، يرددونها، وذكر خاصة الخاصة: هو هو هو، يرددونها، هذا ذكر خاصة الخاصة، فيقول: من زعم هذا الزعم (**فهم ضالون غالطون، واحتجاج بَعضهم على ذَلِك بقوله:** ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾)؛ في سورة الأنعام. (﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:91])؛ الصوفية يحتجون بالآية يقولون: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، فنحن نقول الله الله عملًا بالآية؛ لأن الله قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ فنحن نعمل يقولون ونردد الله الله، فيقول شيخ الإسلام -احتجاجًا بهذه الآية-: (**من أبين غلط هَؤُلَاءِ**)؛ من الدلائل على أنهم من أبعد الناس فهمًا لكلام الله ومراده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، قال:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(من أبين غلط **هَؤُلَاءِ؛ فَإِن الِاسْم [الله] مَذْكُور فِي الْأَمر بِجَوَاب الِاسْتِفْهَام**)؛ يعني الآن مثلًا لو قال قائل: من الشخص الذي أحضر اليوم الشيء الفلاني؟ فقلت: زيد، كلمة زيد هذه تعتبر كلمة أو أن السياق دل على أنها جملة، السؤال الذي سألته فأجبت عليه بقولك: زيد، أغنى عن إعادة السؤال، فقولك: زيد، هذه جملة، زيد هو الذي أحضر الشيء الذي تسأل عنه، فتأمل سياق الآية، يقول: (**فَإِن الِاسْم [الله]**)؛ في الآية الكريمة (**مَذْكُور فِي الْأَمر بِجَوَاب الِاسْتِفْهَام**)؛ ماذا عندك؟

(مَذْكُور فِي الْأَمر بِجَوَاب الِاسْتِفْهَام).

(**مَذْكُور فِي الْأَمر بِجَوَاب الِاسْتِفْهَام، وَهُوَ قَوْله:** ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ﴾)؛ هذا أمر.

(﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ... قُلِ ٱللَّهُ﴾)؛ ما هي الجملة الآن التي حُذف بقيتها لدلالة الاستفهام عليه في السؤال؟ قل الله أنزل الكتاب الذي أنزل على موسى، فجاءت في جواب الاستفهام والاقتصار على [الله] كافية في الجواب، فينتزع هؤلاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ من موضع دلالتها، ويقولون ماذا: الله يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، ونحن نقول: قل الله ونردد الله الله الله، ولا أمركم به، ولا فهمتم كلام، وأنتم من أبعد ما يكون خطئًا بفهم كلام الله، هذا من أبين الغلط؛ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فالاسم مبتدأ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾؛ فالاسم مبتدأ، الاسم ما هو؟ الله، في الآية قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ الاسم هذا الله مبتدأ، أين خبره؟ هذه جملة الآن، الله مبتدأ، أين الخبر؟ محذوف دل عليه الأمر في الاستفهام في قوله: قل الله أنزل؛ فيقول: (**فالاسم [الله] مُبْتَدأ وَخَبره قد دلّ عَلَيْهِ الِاسْتِفْهَام**)؛ فالله مبتدأ، خبره أنزل التوراة التي أنزل على موسى، (﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:91]). الجواب: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ الذي أنزل الكتاب على موسى. ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾.

(**كَمَا فِي نَظَائِر ذَلِك**)؛ يعني أنا أعطيك مثال: يقال: هذا سؤال من جاء؟ فتقول: زيد، قولك: زيد؛ هذه الآن جملة، زيد مبتدأ، خبره محذوف دل عليه الاستفهام في قوله: من جاء؟ زيدٌ جاء، فهذا له نظائر.

قال: (**وَأما الِاسْم الْمُفْرد مظْهرًا، أَو مضمرًا؛ فَلَيْسَ بِكَلَام تَامّ وَلَا جملَة مفيدة**)؛ (**الِاسْم الْمُفْرد مظْهرًا**)؛ أي الله، (**أَو مضمرًا**)؛ أي هو، (**وَأما الِاسْم الْمُفْرد مظْهرًا، أَو مضمرًا؛ فَلَيْسَ بِكَلَام تَامّ وَلَا جملَة مفيدة**)؛ هذه فائدة ثمينة جدًا، حتى تعرف الأذكار الشرعية التي تعبدنا الله بها، وشرع لنا أن نتقرب إليه بها، قاعدة مفيدة في ضرب الأذكار، الأذكار والدعوات كلها تأتي جمل تامة، ليس من الأذكار حرف يُردد أو كلمة تُردد لا يوجد، لا يوجد إلا جملة مفيدة، أحب الكلام إلى الله أربع: (سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر، لا إله إلا الله)، في

الحديث: «**أكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله**»، قل: حسبي الله، فجميع الأذكار الشرعية جملة مفيدة، أما ذكر الله بكلمة، أو بضمير هذا لا يوجد، فإذًا هذه فائدة نفيسة جدًا، الأذكار التي شرعها الله لنا وجاءت في هدي نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلها جملة مفيدة، فإذا جاء شخص بلفظة قال: تكرر عشرات المرات. يعني في الآونة الأخيرة من سنتين تقريبًا أو ثلاث أحد الأطباء ممن ليس لهم عناية بالعلم الشرعي طلع بأمر وانتشر عند العوام انتشار النار في الهشيم، قال: إنه اكتشف علاج للأمراض بأسماء الله، وكل مرض يُحدد له، مثلًا أمراض الظهر يقول: تضع يدك على ظهرك وتردد: الجبار الجبار، يضع أرقام تردد هذا الاسم، أمراض العين تضع يدك على عينك البصير البصير ترددها ويكتب أرقام يحددها، وكثير من العوام تناقلوها بالرسائل وبالأوراق وفي المدارس تناقلوها، لا يوجد أصلًا في الأذكار الشرعية كلمة تُردد! الأذكار، الآن هذا أشغلهم بهذا الذي لا يشرع عن المشروع.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا جيء له بمريض يقول: «**اللهم رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك**»، ما يضع يده على المريض ويقول: الشافي، الشافي، الشافي، يرددها هذا ما يوجد، هذا ليس من الذكر الشرعي، الأذكار الشرعية جُملة مفيدة، إذا قلت اللهم اشفني، أو قلت مثلًا: اللهم إني أتوسل إليك لأنك أنت السميع البصير العليم الحكيم أن كذا، تسأل الله بأسمائه، الله قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:180]،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:110]؛ فادعوا الله بأسمائه، وسل حاجتك بأسمائه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

أما أن يُردد الاسم هكذا ترداد فقط، هذا ليس من الذكر الشرعي، رأيت مرة شخصًا، وكان سبحان الله يحفظ القرآن حفظًا متقنًا، حتى إنني استفدت منه فائدة، قال لي: القرآن الكريم فيه ثلاث وثلاثين آية كلها تبدأ بلفظ الجلالة الأولى كذا الثانية كذا والثالثة كذا سردها لي إلى أن قال: الثالثة والثلاثون: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية:2]؛ سرد، سردها، وإذا تسأل عن آية مباشرة يدلك على مكانها، يحفظ القرآن حفظ متقن، ابتلي مسكين بشيء من... يقول: يأتيني هاتف في المنام ويقول: اللطيف، مليون وأرقام، مليون وكذا مرة، يقول: فأنا اعتقدت أن هذا إلهام من الله وأنه لا بد أن أذكر الله بهذا الذكر، يقول: اشتريت لي سبحة من الألف؛ لأن أعداد كبيرة جدًا، وبدأت أجلس الضحى في البيت تركت القرآن، يقول: أنا الآن معي هاتف من الله -يخبرني أنا- وبدأت أجلس في الضحى ومعي أوراق وأعد ألف وأكتب، وألفين وثلاثة، واللطيف اللطيف وأعد في السبحة، يقول: إذا انتهيت تأخذ مني جهد ومراجعتي للقرآن وصلاة الضحى وأعمالي تعطلت، يقول: أنا هذا هاتف من الله ولا بد أن أقوم به، وهكذا وقع في نفسي، يقول: مجرد ما انتهي منها اسم آخر من أسماء الله ورقم أكبر، المرة الأولى مليون، المرة الثانية خمسة عشر مليون، بالبداية تدرج معه، وجاته أرقام، وجلس المسكين يشتغل في هذا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الباب، فأخذت أحدثه وأبين له أن هذا كله خرافة، وهذا كله لم يشرع لك ولم تؤمر به، قال لي: صحيح؟! قلت: كيف أنت الآن ابتعدت عن القرآن، وابتعدت عن صلاة الضحى، وابتعدت عن أعمال الخير، وعن جلوسك لتدريس القرآن، عن أمور كثيرة نافعة كنت تقوم بها كلها ابتعدت عنها، ذُهل، قلت: هذا كله ليس من دين الله، إذا تريد أن تُثبت أنه من دين الله أعطنا آية أو حديث أن هذا يشرع لك، الأذكار المشروعة مبينة في الكتاب والسنة، موضحة في الكتاب والسنة، هل في الكتاب والسنة أنك تقوم بهذا العمل! ثم ذكرت له هذه القاعدة وأيضًا شدته جدًا، قلت: يا أخي تأمل الأذكار الشرعية التي في الكتاب والسنة كلها لا تكون إلا جملة مفيدة، أما اسم يردد هذا لا ينبني عليه إيمان ولا توحيد ولا.. لأن ممكن واحد يقول: اللطيف وحده لا شريك له، وآخر يقول: اللطيف ويضيف لها كلمة كفر أو كلمة باطل، فالاسم وحده لا ينبني عليه توحيد أو كفر أو غيره حتى يضاف له جملة تفيد معنى، تعطي معنى، تدل على مقصود، قلت: هذا كله لما تردد الاسم هذا ليس من العمل المشروع، وجزاه الله خيرًا يعني شرح الله صدره وقبل الكلام، ثم قابلني قال: يا أخي جزاك الله خير أرحتني، والله تعبت، والله تعبت تعب شديد حتى يقول: بدأ رأسي يدخل في شيء من الهلوسة، فهذه أشياء تدخل مساكين على العوام تأتيهم مثل هذه الأشياء ويظنها هاتف من الله، وتكون هذه كلها من الشياطين، تصرف الإنسان عن الذكر وعن العبادة، ومثل هذا الرجل

حافظ القرآن الكريم تصرفه عنه القرآن، وعن الذكر، وعن إقراء القرآن تصرفه عن كل خير، ويشتغل بأمرٍ غير مشروع، ويترك الأمر المشروع، يشتغل بأمرٍ غير مشروع ويترك الأمر المشروع الذي عليه الأدلة الواضحات البينات.

فتأمل! يقول ابن تيمية: (**وَأما الِاسْم الْمُفْرد مظْهرًا، أَو مضمرًا؛ فَلَيْسَ بِكَلَام تَامّ، وَلَا جملَة مفيدة، وَلَا يتَعَلَّق بِهِ إِيمَان، وَلَا كفر، وَلَا أَمر، وَلَا نهي**)؛ ما معنى: (**وَلَا يتَعَلَّق بِهِ إِيمَان، وَلَا كفر، وَلَا أَمر، وَلَا نهي**)؟ الآن لو قال شخص: اللطيف، اللطيف، وأخذ يرددها هل يتعلق بها كفر؟ هل يتعلق بها أمر؟ هل يتعلق بها نهي؟ الجواب: لا، حتى يضاف إليها ما يعبد بها إيمان أو كفر أو غير ذلك، فقد يقول إنسان: الله أكبر، وقد يضيف إليها آخر من الملاحدة ويقول: الله غير موجود، فإذًا المعنى والمقصود من إيمانٍ أو كفرٍ أو غيره يظهر بالجملة المفيدة، أما اللفظ المفرد ما يفيد، توحيدًا ولا إيمانًا ولا غير ذلك.

قال: (**فَلَيْسَ بِكَلَام تَامّ، وَلَا جملَة مفيدة، وَلَا يتَعَلَّق بِهِ إِيمَان، وَلَا كفر، وَلَا أَمر، وَلَا نهي**.

وَلم يذكر ذَلِك أحد من سلف الْأمة، وَلَا شرع ذَلِك رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَلَا يُعْطي القلبَ بِنَفسِهِ معرفَة مفيدة، وَلَا حَالًا نَافِعًا**)؛ هذه كلها يذكرها في نقد وإبطال هؤلاء باللفظ المفرد. (**وَلَا يُعْطي القلبَ**)؛ يعني لو أن شخصًا يردد

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مثلًا اسم اللطيف، مرات كثيرة، قال: (**وَلَا يُعْطي القلبَ بِنَفسِهِ معرفَة مفيدة، وَلَا حَالًا نَافِعًا، وَإِنَّمَا يُعْطِيهِ تصورًا مُطلقًا وَلَا يُحكم عَلَيْهِ بِنَفْي وَلَا إِثْبَات؛ فَإِن لم يقْتَرن بِهِ من معرفَة الْقلب وحاله مَا يُفِيد بِنَفسِهِ وَإِلَّا لم يكن فِيهِ فَائِدَة**)؛ يعني يقول: إن قلب هذا الشخص الذي يردد اللطيف، إن لم يكن فيه إيمان مثلًا ويستصحب هذا الإيمان مع هذا اللفظ، وإلا لم يستفد أصلًا قلبه الشيء بذلك؛ لأن ترداد الاسم مجردًا مضمرًا أو مظهرًا مثل ما قال شيخ الإسلام: (**وَلَا يتَعَلَّق بِهِ إِيمَان، وَلَا كفر، وَلَا أَمر، وَلَا نهي**).

قال: (**والشريعة إِنَّمَا تشرع من الْأَذْكَار مَا يُفِيد بِنَفسِهِ**)؛ هذه كلمة جميلة أيضًا، (**والشريعة إِنَّمَا تشرع من الْأَذْكَار مَا يُفِيد بِنَفسِهِ**)؛ لاحظ كلمة: (**مَا يُفِيد بِنَفسِهِ**)؛ يعني لو شخص قال لك: أنا أردد اللطيف، اللطيف مثلًا آلاف المرات، وأنا في قلبي أضمرت أن اللطيف بيده كل شيء مثلًا، هذا اللطيف بيده كل شيء فهذا عقيدتي أنني أضمرت هذا، يقال له: الشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه، يعني نفس اللفظ، لا ما قام في قلب قائله من ماذا؟ من تصور أو اعتقاد، يعني شخص مثلًا يقول: أنا أردد لفظ الجلالة (الله) ألف مرة، وأنا في قلبي مضمر وأنا أقول الله أي الذي لا إله إلا هو مثلًا، يقال له: لا، الشريعة لم يأتي فيها من الذكر إلا ما يفيد بنفسه، لا بد أن اللفظ الذي تذكر الله به في جملة مفيدة، لا إله إلا الله، سبحان الله، الله أكبر، الحمد لله، حسبي الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، كلها تنظر تجدها تعطي معاني، الله أكبر فيها التعظيم،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

سبحان الله فيها التنزيه، الحمد لله فيها الثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا إله إلا الله فيها التوحيد، لا حول ولا قوة إلا بالله فيها التوكل وهكذا، كلها تعطي معاني مفيدة.

قال: **(والشريعة إِنَّمَا تشرع من الْأَذْكَار مَا يُفِيد بِنَفسِهِ، لَا مَا تكون الْفَائِدَة حَاصِلَة بِغَيْرِهِ)**؛ فإذا قال: أنا عندي الفائدة حاصلة بما قام في قلبه من أمرٍ أضمرته وأنا أردد هذه الألفاظ يقال له: لا، الشريعة لم تأتِ بذكر بهذه الصفة، بل جاءت بالأذكار بما يفيد بنفسه، جملة مفيدة، يعني هو بنفسه جملة مفيدة.

(وَقد وَقع بعض من واظب على هَذَا الذّكر فِي فنون من الْإِلْحَاد، وأنواع من الِاتِّحَاد كَمَا قد بُسط فِي غير هَذَا الْمَوْضُوع)؛ يعني من ترك الآن هؤلاء لا إله إلا الله، سبحان الله، وقالوا هذا ذكر العامة، يعتبرون لا قيمة لها، واشتغلوا مثلًا بلفظ الجلالة: الله، وإذا ترقى أحدهم وصار من خاصة الخاصة يقتصر على الاسم المضمر الذي هو: هو، فيردده، وأحد من كان كذلك وتاب، وهو موجود وحي يرزق، حدثني شخصيًا قال: كنا نجتمع في بستان، مجموعة، كبيرة نجتمع في بستان ونذكر بصوت واحد بالاسم المضمر: هو، بصوت واحد، نبدأ سويًا، وبصوت واحد نذكر باسم المضمر: هو، ونبدأ سويًا بصوت عالي، هو نفسه يقول لي: يقول: والله لو كنت وراء الحائط وتسمع الصوت وما ترى الأشخاص تعتقد أن هؤلاء ليسوا من بني آدم، وسمى لي حيوان من الحيوانات ويقول: لا تعتقد أن هؤلاء من بني آدم، يقول: ونحن

عند أنفسنا أنا نذكر الله بأفضل الذكر، أنه يذكر الله رب العالمين ما في أحسن منه، خاصة الخاصة، فانظر الضلال؟! انظر الضلال العظيم كيف الشيطان يشطح بهؤلاء ويبعدهم أشد البعد، حتى أنهم الذكر المشروع لا يرونه شيئًا، ويقولون: هذا ذكر العامة، مع أن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبه قدم شيخ الإسلام الحديث قال: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»؛ فهؤلاء مثل ما قال: يواظبون على ذلك فيدخلون في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد، لماذا؟ لأن سبحان الله! الذكر الشرعي الذي يعطي جمل لا يزال تكرارك له مع فهمك لمعناه يغذي قلبك بالإيمان، فإذا كنت تقول: لا إله إلا الله تستشعر معناها تغذي في قلبك التوحيد، وإذا كنت تقول: سبحان الله تستشعر معناها تغذي قلبك بالتنزيه لله، وإذا كنت تقول: الله أكبر تستشعر معناها تغذي قلبك بالتعظيم لله، وإذا كنت تقول: الحمد لله تستشعر معناها تغذي قلبك بالحب والثناء والتمجيد لله، فهي الأذكار الشرعي هي بنفسها تفيد، أما هؤلاء لم يعنوا أصالةً بالتوحيد والتعظيم والتنزيه والتمجيد لله، وفي الوقت نفسه أخذوا هذه الضمائر ويرددونها ويشغلون أوقاتًا طويلة أنفسهم بها؛ فيدخلون في مثل ما قال: (**فنون من الْإِلْحَاد، وأنواع من الِاتِّحَاد كَمَا قد بُسط فِي غير هَذَا الْمَوْضع، وَمَا يذكر عَن بعض الشُّيُوخ من أَنه قَالَ: أَخَاف أَن أَمُوت بَين النَّفْي وَالْإِثْبَات**)؛ يقصد أيش؟ أخاف أن أموت بين لا إله إلا الله، يعني أن يقول: لا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

إله، ولا أكمل إلا الله فأموت، وأنا قلت: لا إله، طبعًا من قال: لا إله واكتفى بها يكون ماذا؟ مُلحدًا، الإلحاد أن يقول: لا إله ويكتفي بهذا، فيقول: أنا أخاف أن أموت بين النفي والإثبات، انظر مدخل الشيطان عليه، لو أن إنسانًا قال: لا إله ومات، وهو يبغي يقول: إلا الله، وهو سيقول: إلا الله، له ماذا؟ ما نوى، له ما نوى، الموت حال بينه وبين ما نوى له ما نوى، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحًا**»، فشخص ما قال: لا إله ومات فجأة، أو جاءته طلقة أو شيء من هذا ومات، له ما نوى، يكون مات على التوحيد، فانظر الشيطان كيف يدخل على هؤلاء، قال: أنا أخاف أن أموت بين النفي والإثبات، النفي في لا إله، والإثبات في إلا الله، إذًا ماذا يريد أن يقول: بذلك بكتفي بالله، أني أخاف أني أقول: لا إله إلا الله، وأموت بينهم، فأنا ما أريد أن أقول لا إله إلا الله أعوذ بالله، يعني هذا كلام من أشنع ما يكون، ويأتون بمداخل وأشياء من هذا القبيل وتشوش على العوام مسكين العامي، العامي لو قيل له هذا الكلام خوِّف بهذه الطريقة - نسأل الله العافية- يجعلون في قلبه بُغض لـ (لا إله إلا الله) وعدم رغبة فيها، وكم يجني هؤلاء الجهال الضلال على أنفسهم وعلى غيرهم.

فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَمَا يذكر عَن بعض الشُّيُوخ من أَنه قَالَ: أَخَاف أَن أَمُوت بَين النَّفْي وَالْإِثْبَات حَال لَا يقْتَدى فِيهَا بصاحبها؛ فَإِن فِي ذَلِك من الْغَلَط مَا لَا خَفَاء فيه؛ إِذْ لَو مَاتَ العَبْد فِي هَذِه الْحَال لم يمت إِلَّا على مَا**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قَصده ونواه؛ إِذْ الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ)؛ من الفوائد التي تذكر هنا في ترجمة أبو حاتم أو أبو زرعة الرازي أحدهما أو هما زميلان، لما حضرته الوفاة اجتمع عنده اثنان من طلابه ومحبيه، اجتمعا عنده وأرادا أن يذكروه بـ (لا إله إلا الله)، وأنها آخر ما يقوله، «**من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**»، فجلسا عنده وهو في النزع، والقصة إسنادها صحيح وممن رواها ابن البنا في كتابه [فضل التاريخ]، وأيضًا في ترجمة أبو زرعة أو أبو حاتم الآن نسيت.

مداخلة: أبو زرعة.

في ترجمة أبو زرعة الرازي، والذي عنده أبو حاتم الرازي وزميل له آخر، فجلسا عنده، وعلى طريقة المحدثين أحدهما قال للآخر: ما خاطبه مباشرة، أحدهما قال للآخر: حدثنا بحديث فلان، فأخذ يسوق الإسناد من أوله، لما انتصف في الإسناد من الموقف الذي أمامه والشيخ في النزع ما استطاع أن يُكمل، فحاول زميله الثاني أن يأتي بالإسناد كاملًا ما استطاع، فقال لهما: أردتما حديث فلان؟ حدثنا فلان عن فلان عن فلان ساق الإسناد كامل، كامل ساق الإسناد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله...**»، قالوا: وخرجت روحه مع (الهاء) قبل أن يقول: «**إلا دخل الجنة**»، ساق الإسناد بتمامه، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من كان آخر كلامه**

من الدنيا: لا إله إلا الله...»، خرجت روحه مع (الهاء) قبل أن يقول: «**إلا** **دخل الجنة**».

فالشاهد: أن هذا حديث: «**من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله...**»؛ حتى في لحظة -مش في صحتك وعافيتك- حتى في لحظة الاحتضار يطلب من الإنسان أن يقول: لا إله إلا الله، وهذا يأتي بهذه الكلمة حتى لا يقال: لا إله إلا الله، يقول: خوفًا من أن أموت بين النفي والإثبات.

قال: (**وَقد ثَبت أَن النَّبِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَمر بتلقين الْمَيِّت: «لَا إِلَه إِلَّا الله»، وَقَالَ: «من كَانَ آخر كَلَامه: لَا إِلَه إِلَّا الله دخل الْجنَّة»**)؛ أمر: أي قال: «**لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله**»، موتاكم يعني من هو في النزع ليس من مات فعلًا، وإنما المراد بموتاكم أي من هو في النزع، حضره الموت، فيلقن لا إله إلا الله يذكر بها، ثم إذا ذكِّر بها وقيل له: لا إله إلا الله، وقال: لا إله إلا الله يُترك، بعض الناس يخطئ، يكرر عليه وهو في النزع إذا قال: لا إله إلا الله وسكت بعدها لا يُعاد عليه، لكن مثلًا لو قال: لا إله إلا الله، وبعد مثلًا فترة قال: أعطوني ماء، أو وين فلان؟ أو شيء من هذا الحديث يُذكَّر مرة ثانية، بعض الناس تجده يكرر عليه، قال: لا إله إلا الله يكرر عليه، وهو في آلام وفي معاناة وفي شدة وفي نزع، وإلى آخره، فينتبه لهذا وإنما يلقن فإذا قال: لا إله إلا الله يترك حتى تكون هي آخر كلامه ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، نسأل الله أن يختم بنا جميعًا بها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَلَو كَانَ مَا ذكره محذورًا**)؛ ولو كان ما ذكره أي ذلك الشيخ محذورًا أن يقول أخاف أن أموت بين النفي والإثبات (**لم يلقن الْمَيِّت**)؛ شو الكلام الجميل! لو كان ما ذكره يوم يقول: أنها أخاف أن أموت بين النفي والإثبات (**وَلَو كَانَ مَا ذكره محذورًا لم يلقن الْمَيِّت**)؛ لأنه لو لُقن على زعم هذا يمكن يموت بعد ما قال: لا إله يموت، فلا يُلقن معنى ذلك، فانظر الاستدلال الجميل بالحديث في إبطال هذا القول، يقول: فترة الموت يُلقن، كيف أنها تجعل أيضًا ذريعة لأصلًا ترك الاشتغال بالذكر بلا إله إلا الله في كل وقت كما يرمي إليه هؤلاء بهذه الكلمة؟!

قال: (**وَلَو كَانَ مَا ذكره**)؛ يعني ذلك الشيخ. (**محذورًا لم يلقن الْمَيِّت كلمة يُخَاف أَن يَمُوت فِي أَثْنَائِهَا موتًا غير مَحْمُود، بل كَانَ يلقن مَا اخْتَارَهُ من ذكر الِاسْم الْمُفْرد**)؛ يعني ما اختاره ذلك الشيخ من الاسم المفرد يعني الله وحده فقط، خشية أن يموت كما يزعم ذاك بين النفي والإثبات.

ثم يواصل النقد والرد يقول: (**وَالذكر بِالِاسْمِ الْمُضمر الْمُفْرد أبعد عَن السُّنة وَأدْخل فِي الْبِدْعَة وَأقرب إِلَى إضلال الشَّيْطَان؛ فَإِن من قَالَ: يَا هُوَ يَا هُوَ أَو هُوَ هُوَ وَنَحْو ذَلِك لم يكن الضَّمِير عَائِدًا إِلَّا إِلَى مَا يصوره قلبه**)؛ انظر أيضًا هذا الكلام الجميل في النقد، لم يكن عائدًا إلا ما يصوره قلبه، إذا كان يقول: هو، ما التصور الذي يقوم في قلبه؟ ما هو التصور الذي يقوم في قلبه؟ فهذا التصور الذي يقوم في قلبه الناطق بهذا الضمير يعود إليه نطقه، لم يكن الضمير عائدًا

إلا إلى ما يصوره قلبه، (**وَالْقلب قد يَهْتَدِي وَقد يضل**)؛ بخلاف الذي يقول: لا إله إلا الله، فماذا؟ فهي كلمة تفيد التوحيد بنفسها تدل عليه. فإذا قالها مستحضرًا معناها أفادت قلبه التوحيد، وانتفع بها.

(**وَقد صنف صَاحب "الفصوص"**)؛ يعني فصوص الحكم. (**كتابًا سَمَّاهُ كتاب "الهو"**)؛ صنَّف كتابًا سماه كتاب [الهو]، كل الكتاب يورط الناس فيه بمثل هذه الاشتغال بالضمير عن توحيد الله، وإخلاص الدين له، وتسبيحه وتنزيهه، وتقديسه، وتعظيمه، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لئن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»؛ يعني من الدنيا وما فيها، ويأتي هؤلاء الضلال ويشغلون الناس إما بضمير أو بلفظ عن هذه الكلمات التي هي أحب الكلام إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

(**وَزعم بَعضهم**)؛ انظر الاستدلال أيضًا العجيب. (**وَزعم بَعضهم أَن قَوْله:** ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:7])؛ يقولون: هذا دليل على الذكر بالضمير (هو)، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾؛ هكذا يفهمون ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، معنى الآية عندهم: ما يعلم تأويل (هو) الضمير إلا الله، قالوا: وهذا دليل على، أنا قرأت في ترجمة شيخ الإسلام أنه يقول رَحِمَهُٱللَّهُ، الشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ منذ حداثة سنه فتح الله عليه في العلم قبل أن يبلغ، حتى إنه في سن البلوغ أو قبله تحاور مع يهودي فأسلم، فكان في طريقه لدرسه، وفي

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

مجموع صدر بترجمة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لو يقرأه طالب العلم يؤثر فيه تأثير عظيم من حيث الهمة الطلب، وحفظ الوقت، والجهد الذي بذله رَحِمَهُ ٱللَّهُ معاني عظيمة تراها في حياة هذا الإمام منذ صغره، منذ صغره ونعومه أظفاره وهو في العلم، ومجد فيه، قرأت في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه ذكر احتجاجهم ذكر هو احتجاجهم بهذه الآية، قال لي أحدهم ذلك، وأنا وقتئذٍ -معنى كلامه-، وأنا وقتئذ صغيرًا كم أبلغ، كلمة قريب من هذا المعنى، وأنا وقتئذ صغير لم أبلغ فقال: أحدهم قال لي: الله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ قلت: لو كانت وهو صغير لم يبلغ- قلت له: لو كانت كما تقول لأُثبتت في المصحف هو بالهاء والواو، مباشرة، لو كان كما تفهم وتعتقد لأثبتت في المصحف (هو) هاء وواو؛ لأن الضمير (هاء، واو) فأراد أن يستدل بالآية فبين الآية وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ التزم التزام عجيب، قال: أنا مع كلامه ملتزم أن كل مبطل يستدل بآية من القرآن أن أرد على باطله من الآية نفسها، أي آية، يستدل بها على باطل أن أرد عليه بالآية نفسها، غير الآيات الأخرى التي، لكن التزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أي مبطل يستدل بآية أن يرد عليه بالآية نفسها التي يحتج بها. والقرآن لا يدل على باطل، يدل على حق.

فيقول: (**وَزعم بَعضهم أَن قَوْله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾** [سورة آل عمران، من الآية:7]؛ **مَعْنَاهُ :وَمَا يعلم تَأْوِيل هَذَا الِاسْم الَّذِي هُوَ الهو**)؛ لأن هذا فهمهم، (ما يعلم

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

تأويله هو) هكذا فهمهم، وقلت لكم: أنه وهو صغير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: لو كان كما تقولون لكتبت بهاء وواو.

وقيل: (**هَذَا وَإِن كَانَ مِمَّا اتّفق الْمُسلمُونَ بل الْعُقَلَاء على أنه من أبين الْبَاطِل**)؛ اقرأ ما عندك من عند (**وَزعم بَعضهم**).

(وَزعم بَعضهم أَن قَوْله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:7]؛ مَعْنَاهُ: وَمَا يعلم تَأْوِيل هَذَا الِاسْم الَّذِي هُوَ الهو. وَإِن كَانَ هَذَا مِمَّا اتّفق الْمُسلمُونَ بل الْعُقَلَاء).

(**وَإِن كَانَ هَذَا مِمَّا اتّفق الْمُسلمُونَ بل الْعُقَلَاء على أنه من أبين الْبَاطِل؛ فقد يظنُّ ذَلِك من يَظُنّهُ من هَؤُلَاءِ، حَتَّى قلت مرّةً لبَعض من قَالَ شَيْئًا من ذَلِك: لَو كَانَ هَذَا مَا قلته لكُتبت: وَمَا يعلم تَأْوِيل (هُوَ) مُنْفَصِلَة**)؛ أقيد هنا أن هذا قال شيخ الإسلام كما صرح بذلك في موضع -أظن في ترجمته مر علي- أنه هو حديث السن قبل أن يبلغ.

وأيضًا نجعلها بينكم منافسة في البحث عن هذه الكلمة، تأتون بها غدًا من ترجمة كتب أو من كتب شيخ الإسلام، أين قال هذا.. ما هو الموضع الذي قال فيه هذه الكلمة في حداثة سنه؟ وتقرأ من أحدكم غدًا إن شاء الله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حَتَّى قلت مرّةً لبَعض من قَالَ شَيْئًا من ذَلِك: لَو كَانَ هَذَا مَا قلته لكُتبت الْآيَة: وَمَا يعلم تَأْوِيل (هُوَ) مُنْفَصِلَة**)؛ يعني لو كان هكذا رسمها.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(ثمَّ كثيرًا مَا يذكر بعض الشُّيُوخ)؛ سيأتي إعادة للاحتجاج السابق. (ثمَّ كثيرًا مَا يذكر بعض الشُّيُوخ أَنه يحْتَج على قَول الْقَائِل: (الله) بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:91]، ويظن أَن الله أَمر نبيه بِأَن يَقُول الِاسْم الْمُفْرد، وَهَذَا غلط بِاتِّفَاق أهل الْعلم؛ فَإِن قَوْله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ مَعْنَاهُ :الله الَّذِي أنزل الْكتاب الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى، وَهُوَ جَوَاب لقَوْله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سورة يونس، من الآية:666]؛ أَي: الله الَّذِي أنزل الْكتاب الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى، ردٌّ بذلك قَول من قَالَ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾؛ فرد عليه بقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، ثمَّ قَالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أنزلهُ، ثمَّ ذَر هَؤُلَاءِ المكذبين ﴿فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾). قرأت هذا ولا أنا تعديت القراءة؟

القارئ: قريب منه.

طيب.. نعم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وَمِمَّا يبين مَا تقدم مَا ذكره سِيبَوَيْهٍ وَغَيره من أَئِمَّة النَّحْو: أَن الْعَرَب يحكون بالْقَوْل مَا كَانَ كلَامًا، ولَا يحكون بِهِ مَا كَانَ قولًا. فَالْقَوْل لَا يحْكى بِهِ إِلَّا كَلَام تَامّ، أَو جملَة اسمية، أَو جملَة فعلية، وَلِهَذَا يكسرون

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(إِن) إِذا جَاءَت بعد القَوْل، فَالْقَوْل لَا يُحْكى بِهِ اسْم؛ وَالله تَعَالَى لَا يَأْمر أحدًا بِذكر اسْمٍ مُفْرد وَلَا شرع لِلْمُسلمين اسمًا مفردًا.

وَالِاسْم الْمُجَرّد لَا يُفِيد شَيْئًا من الْإِيمَان بِاتِّفَاق أهل الْإِسْلَام، وَلَا يُؤمر بِهِ فِي شَيْء من الْعِبَادَات، وَلَا فِي شَيْء من المخاطبات.

وَنَظِير من اقْتصر على الِاسْم الْمُفْرد مَا يذكر: أَن بعض الْأَعْرَاب مر بمؤذن يَقُول: (أشهد أَن مُحَمَّدًا رسولَ الله) بِالنّصب، فَقَالَ: مَاذَا يَقُول هَذَا؟ هَذَا الِاسْم، فَأَيْنَ الْخَبَر عَنهُ الَّذِي يتم بِهِ الْكَلَام؟).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمِمَّا يبين مَا تقدم)**؛ أي ما تقدم فيما قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في معنى الآية الكريمة: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾؛ ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. يقول: **(وَمِمَّا يبين مَا تقدم مَا ذكره سِيبَوَيْهٍ وَغَيره من أَئِمَّة النَّحْو: أَن الْعَرَب يحكون بالْقَوْل مَا كَانَ كلَامًا لَا يحكون بِهِ مَا كَانَ قولًا. فَالْقَوْل لَا يحْكى بِهِ إِلَّا كَلَام تَامّ، أَو جملَة اسمية، أَو جملَة فعلية، وَلِهَذَا يكسرون (إِن) إِذا جَاءَت بعد القَوْل)**؛ يعني إذا وقعت إن في مقول القول تُكسر، **(وَلِهَذَا يكسرون (إِن) إِذا جَاءَت بعد القَوْل، فَالْقَوْل لَا يُحْكى بِهِ اسْم)**؛ يعني لا يُحكى به إلا جملة مفيدة، ومن ذلكم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ فقولهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ بناءً على هذه القاعدة التي ذكرها سيبويه وغيره جملة مفيدة، ليس اسمًا مجردًا، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ هذه جملة مفيدة ليست اسمًا مجردًا، هذا مبني أيضًا

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

على القاعدة التي ذكرها سيبويه وغيره، فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ هذه جملة مفيدة تمامها دل عليه الاستفهام، ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾.

(فَالْقَوْل لَا يُحْكى بِهِ اسْم؛ وَالله تَعَالَى لَا يَأْمر أحدًا بِذكر اسْمٍ مُفْرد، وَلَا شرع لِلْمُسلمين اسمًا مفردًا مجردًا)؛ أي يذكرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها.

قال: **(وَالِاسْم الْمُجَرّد لَا يُفِيد شَيْئًا من الْإِيمَان بِاتِّفَاق أهل الْإِسْلَام)**؛ وهذا أيضًا سبق أن أشار إليه في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **(وَلَا يتَعَلَّق بِهِ إِيمَان، وَلَا كفر، وَلَا أَمر، وَلَا نهي)**؛ فـ**(وَالِاسْم المفرد الْمُجَرّد لَا يُفِيد شَيْئًا من الْإِيمَان بِاتِّفَاق أهل الْإِسْلَام)**؛ يعني لو قال قائل: الله وردده ألف مثلًا أو أكثر، هل تفيد إيمانًا؟ أو توحيدًا؟ أو تنزيهًا؟ أو تعظيمًا؟ أو تقديسًا؟ لو ردده الآلاف المرات، لا تفيد، إيمانًا باتفاق أهل الإسلام، وإنما يفيد إذا أضيف إليها وأصبحت جميلة مفيدة فيقال: الله أكبر، أو الحمد لله، أو سبحان الله، أو لا إله إلا الله، أو غير ذلك من الأذكار الشرعية التي كلها جاءت في جمل مفيدة.

قال: **(وَلَا يُؤمر بِهِ فِي شَيْء من الْعِبَادَات، وَلَا فِي شَيْء من المخاطبات)**؛ فلا يوجد هذا، **(وَنَظِير من اقْتصر على الِاسْم الْمُفْرد)**؛ من جهة أنه لم يحصل باقتصاره على جملة مفيدة من هذا الجهة نظيره: **(مَا يذكر: أَن بعض الْأَعْرَاب مر بمؤذن يَقُول: "أشهد أَن مُحَمَّدًا رسولَ الله" بِالنَّصب)**؛ نصب رسول، رسولَ الله، **(فَقَالَ: مَاذَا يَقُول هَذَا؟)**؛ أعرابي. فقال: ماذا يقول هذا؟ أشهد أن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لا إله إلا الله ووقف، أشهد أن محمدًا رسولَ الله ووقف عندها، (**فَقَالَ: مَاذَا يَقُول هَذَا؟**)؛ يعني يقصد أن كلام هذا لم يتم، (أشهد أن محمدًا رسولَ) بالنصب أصبحت ماذا؟ (رسولَ) بالنصب أصبحت صفة مثلًا أو تابع لمحمدًا، فأين الخبر الذي يفيد الجملة؟ فقال: (**فَقَالَ: مَاذَا يَقُول هَذَا؟هَذَا الِاسْم، فَأَيْنَ الْخَبَرَ عَنهُ الَّذِي يتم بِهِ الْكَلَام؟**)؛ لأن (أشهد أن محمدًا رسولَ الله) لم تتم، يعني لو قال: أشهد أن محمدًا رسولَ الله إمامنا قدوتنا؛ تم الكلام، تم الكلام وأفاد جملة، لكن أشهد أن محمدًا رسولَ الله؛ لم يتم الكلام. وتمامه بالعناية بالضبط الصحيح بضم رسول حتى يكون رسول هو الخبر، أشهد أن محمدًا رسولُ الله، أي الذي أشهد به أن محمدًا رسولُ الله؛ هذا هو الخبر وبه تتم الجملة، فلما نصب أصبح الكلام غير تام؛ لأنه لا يوجد فيه الخبر الذي تتم به الجملة.

لا يزال حديث شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى موصولًا في نقد كلام هؤلاء وبيان ما فيه من خطأ من خلال الأذكار الشرعية المأثورة في ذكر اسم الله، وفي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ويؤجل الكلام عنه إلى لقاء الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اللهم انفعنا جميعًا بما علمنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا

مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس التاسع عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وَمَا فِي الْقُرْآن من قَوْله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [سورة المزمل، من الآية:8]، وَقَوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة الأعلى، من الآية:1]، وَقَوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى، من الآية:14-15]، وَقَوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة الواقعة، من الآية:74]، وَنَحْو ذَلِك لَا يقتضى ذكره مُفردًا.

بل فِي "السّنَن" أَنه لما نزل قَوْله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي ركوعكم»، وَلما نزل قَوْله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودكُمْ». فشرع لَهُم أَن يَقُولُوا فِي الرُّكُوع: (سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم) وَفِي السُّجُود: (سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى).

وَفِي "الصَّحِيح" أَنه كَانَ يَقُول فِي رُكُوعه: «**سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم**»، وَفِي سُجُوده: «**سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى**»، وَهَذَا هُوَ معنى قَوْله: «**اجْعَلُوهَا فِي ركوعكم وسجودكم**» بِاتِّفَاق الْمُسلمين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

فتسبيح اسْم ربه الْأَعْلَى وَذكر اسْم ربه وَنَحْو ذَلِك هُوَ بالْكلَام التَّام الْمُفِيد، كَمَا فِي "الصَّحِيح" عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «أفضل الْكَلَام بعد الْقُرْآن أَربع وَهن من الْقُرْآن: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْد لله، وَلَا إِلَه إِلَّا الله، وَالله أكبر».

وَفِي "الصَّحِيح" عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «كلمتان خفيفتان على اللِّسَان، ثقيلتان فِي الْمِيزَان، حبيبتان إِلَى الرَّحْمَن: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيم».

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «من قَالَ فِي يَوْمه مائَة مرّة: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك، وَله الْحَمد، وَهُوَ على كل شَيْء قدير، كتب الله لَهُ حرْزًا من الشَّيْطَان يَوْمه ذَلِك حَتَّى يُمْسِي، وَلم يَأْتِ أحدٌ بِأَفْضَل مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رجل قَالَ مثل مَا قَالَ أَو زَاد عَلَيْهِ». و «من قَالَ فِي يَوْمه مائَة مرّة: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيم، حُطت عَنهُ خطاياه وَلَو كَانَت مثل زبد الْبَحْر».

وَفِي "الْمُوَطَّأ" وَغَيره عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «أفضل مَا قلته أَنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك، وَله الْحَمد، وَهُوَ على كل شَيْء قدير»، وَفِي "سنَن ابْن مَاجَه" وَغَيره عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «أفضل الذّكر: لَا إِلَه إِلَّا الله، وَأفضل الدُّعَاء: الْحَمد لله».

وَمثل هَذِه الْأَحَادِيث كَثِيرَة فِي أَنْوَاع مَا يُقَال من الذّكر وَالدُّعَاء).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لا يزال كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى موصولًا في الرد على من يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بالاسم مفردًا مضمرًا كان أو مظهرًا، وقد بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ غلط هؤلاء من وجوهٍ كثيرة، وأيضًا بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى غلطهم في سوء استدلالهم وفهمهم لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو حمل كلام الله عَزَّوَجَلَّ على معاني ومقاصد لا يحتملها تأويلًا للكلام وتحريفًا للكلم عن مقصوده ومراده.

وفي كل ذلكم يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى غلطهم بيانًا وافيًا، ومن ذلكم ما سبق أن بينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خطأ في استدلال هؤلاء بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ وأنهم فهموا من ذلك أنه يفيد مشروعية الذكر باسم الله مفردًا، ويكرره الذاكر مستدلين على ذلك بالآية، ومر معنا تنبيهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على غلط هؤلاء فيما فهموه من هذه الآية الكريمة.

وكذلك من يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ بالاسم مضمرًا الذي هو لفظ (هو) يكررونها مرات، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن بعض هؤلاء استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ وفهموا أن قوله: (هو) الضمير ﴿تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾-إذا وقفت عليها- أن الضمير، وعند الوصل ينطق: ﴿تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ بضم الهاء، ففهموا من ذلك دلالةً على مشروعية ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بالاسم مضمرًا، وفهموا من قوله: ﴿تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾؛ أي تأويل اسم الله (هو) هكذا فهموا، ونبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على غلط هؤلاء، وأن هذا من أبين الباطل حتى قلت مرةً لبعض من قال بشيء من ذلك: لو كان هذا كما قلته لكتبت (وما يعلم تأويل هو) منفصلة.

وأشرت إلى أن هذا الكلام قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو صغير السن، وبعض زملائكم كما كنت بالأمس طلبت أحضروا نص شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك الذي صرَّح فيه أن ذلك حصل إبَّان صغر سنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ففي مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجلد العاشر، صفحة خمسمئة وتسعة وخمسين من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وقد نقل ذلك من زملائكم اثنان -جزاهم الله خير الجزاء-.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَأَغْرَبُ مِنْ هَذَا مَا قَالَه: لِي مَرَّةً شَخْصٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الغالطين فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللهُ﴾، قَالَ الْمَعْنَى وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيله (هاء واو أَيْ اسْمُ "هُوَ" الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : "هُوَ هُوَ" وَصَنَّفَ ابْنُ عَرَبِيٍّ كِتَابًا فِي "الهو" فَقُلْت لَهُ -وَأَنَا إذْ ذَاكَ صَغِيرٌ جِدًّا- لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ: لَكُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ مَفْصُولَةً (تَأْوِيلُ هاء واو)، وَلَمْ تُكْتَبْ مَوْصُولَةً، وَهَذَا الْكَلَامُ**

الَّذِي قَالَهُ هَذَا مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالِاضْطِرَارِ. وَإِنَّمَا كَثِيرٌ مِنْ غَالِطِي الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مِثْلُ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

ثم مضى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في مناقشة هؤلاء ورد دعواهم الباطلة، وقولهم الزائف في التمحل في الاستدلال للذكر بالاسم مفردًا مظهرًا كان أو مضمرًا، فاستمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر وجوه الرد عليهم، فمن ذلكم قوله: **(وَمَا فِي الْقُرْآنِ من قَوْله:** ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [سورة المزمل، من الآية:8]، **وَقَوله:** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى، من الآية:1]، **وَقَوله:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى، من الآية:14-15]، **وَقَوله:** ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الواقعة، من الآية:74]، **وَنَحْو ذَلِك لَا يقتضى ذكره مُفردًا)**؛ قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ هذا الأمر ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ لا يقتضي ذكر الاسم مفردًا، فمن قال: مريدًا بقوله تأويل الآية تأويلها أي القيام بما تؤول إليه، لو قال: (العظيم) وكرر هذا الاسم، لو قال: (العظيم) وكرره، لم يكن قد عمل بأمر الله في قوله: (سبح اسم ربك العظيم)، ولم يكن أيضًا لو كرر اسمه (الأعلى)، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؛ لو سبح اسم (الأعلى) مئات أو عشرات المرات لم يكن عمل بهذا الأمر في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؛ بل مثل ما جاء في الورقة التي.. أو الموضع الذي نقلنا منه الآن كلام شيخ الإسلام فيما نقله زميلكم، لو قال ذلك ألف مرة -يقول شيخ الإسلام-، لو قال ذلك ألف مرة لم يكن تعلق

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بذلك إيمان أو تسبيح أو تنزيه أو تعظيم أو تكبير إذا ذكر الاسم وحده (العظيم أو الأعلى) أو نحو ذلك، فلا يكون قد عمل بهذه الآية الكريمة.

يوضح ذلك ما جاء في السنن قال: (**بل فِي "السّنَن" أَنه لما نزل قَوْله:** ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، **قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي ركوعكم»، وَلما نزل قَوْله:** ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، **قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودكُمْ». فشرع لَهُم أَن يَقُولُوا فِي الرُّكُوع: (سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم)، وَفِي السُّجُود: (سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى)**)؛ إذًا قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾؛ فعلك لهذا الأمر أن تقول: (سبحان ربي الأعلى)، أما لو قال قائل: الأعلى، الأعلى، الأعلى وكررها لم يكن من أهل هذه الآية، ولا من العاملين بها، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت في الحديث الصحيح أن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم وبحمدك، ربنا اللهم اغفر لي**»، يتأول القرآن أي يعمل بما طلب منه في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [سورة النصر، من الآية:1-3]؛ فكان يقول عملًا بذلك: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»، يقولها في ركوعه ويقولها في سجوده -صلوات الله وسلامه عليه-.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ولا يوجد إطلاقًا في الأذكار المأثورة عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذكرٌ بالاسم مجردًا، مضمرًا أو مظهرًا، إطلاقًا لا يوجد، كل الأذكار المنقولة والمأثورة عنه -صلوات الله وسلامه عليه- كلها جمل مفيدة، جمل تامة مفيدة، منها ما يدل على التوحيد، ومنها ما يدل على التعظيم، ومنها ما يدل على التنزيه، ومنها ما يدل على التمجيد، وغير ذلك مما يؤثر عنه -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: (**وَفِي "الصَّحِيح" أَنه كَانَ يَقُول فِي رُكُوعه: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم»، وَفِي سُجُوده: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، وَهَذَا هُوَ معنى قَوْله: «اجْعَلُوهَا فِي ركوعكم وسجودكم» بِاتِّفَاق الْمُسلمين**)؛ أعيد ما سبق.. لو أن أحدًا قال في ركوعه: (العظيم)، وكررها عشرات المرات، وقال في سجوده: (الأعلى) وكررها عشرات المرات لم يكن قائمًا بما طُلب منه في الآيتين الكريمتين؛ لأن المأمور به في الآيتين تسبيح الله عَزَّوَجَلَّ باسمه العظيم، بأن يقول: (سبحان ربي العظيم)، وتسبيحه باسم الأعلى: (سبحان ربي الأعلى)، منزهًا ربه جَلَّوَعَلَا؛ لأن التسبيح هو التنزيه، منزهًا ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عما يليق بجلاله وكماله وعظمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَهَذَا هُوَ معنى قَوْله: «اجْعَلُوهَا فِي ركوعكم وسجودكم» بِاتِّفَاق الْمُسلمين**.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**فتسبيح اسْم ربه الْأَعْلَى وَذكر اسْم ربه وَنَحْو ذَلِك هُوَ بالْكلَام التَّام الْمُفِيد**)؛ سبح اسم ربك، أذكر اسم الله، ما لم يُذكر اسم الله، ذكر اسم الله، تسبيح الله، تسبيح باسم الله، كل هذه الأوامر التي في القرآن من هذا القبيل لا يتحقق القيام بها إلا بجملة مفيدة: (سبحان ربي الأعلى)، ذكر اسم الله على الذبيحة ما المراد به في آيات؟ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:121]، ذكر اسم الله أن يقول: (بسم الله)، والباء للاستعانة، فقوله: (بسم الله) هذه جملة، والجار والمجرور متعلقٌ بمحذوفٍ مقدر يُعلم من فعل المسمي، فإن كان ذبحًا أي: (باسم الله أذبح)، إن كان قراءة: (بسم الله أقرأ)، وإن كان دخولًا: (بسم الله أدخل)، وهكذا، فهي جملة تامة، (بسم الله) جملة تامة، وهكذا جميع ما هو من هذا القبيل فعل ما طُلب من العبد من ذلك أن يأتي بجملة تامة مفيدة، مثل ما كان يقول نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**»، وفي ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**».

قال: (**كَمَا فِي "الصَّحِيح" عَنهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **أَنه قَالَ: «أفضل الْكَلَام بعد الْقُرْآن أَربع وَهن من الْقُرْآن: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْد لله، وَلَا إِلَه إِلَّا الله، وَالله أكبر»**)؛ هذه الكلمات الأربعة التي هي أحب الكلام إلى الله كلها جمل مفيدة، **الأولى**: سبحان الله تفيد التنزيه.

والثانية: الحمد لله تفيد الثناء على الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

لا إله إلا الله تفيد التوحيد.

والله أكبر تفيد التعظيم.

فهي كلمات كل كلمة منها تفيد بنفسها لا بشيء قام بقلب الذاكر، وإنما هي بنفسها تفيد معنى، وجميع الأذكار المأثورة كلها من هذا القبيل جمل مفيدة، كلها جمل مفيدة.

قال: (**وَفِي "الصَّحِيح" عَنهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنه قَالَ**: «**كلمتان خفيفتان على اللِّسَان، ثقيلتان فِي الْمِيزَان، حبيبتان إِلَى الرَّحْمَن**..»)؛ وهذا فيه تشويق عظيم جدًا يجذب السامع جذبًا قويًا لهذه الكلمات، ويرغبه فيها ترغيبًا عظيمًا، وهذا من كمال نصح نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (**كلمتان**)؛ يعني ليس شيئًا كثيرًا، (**خفيفتان على اللِّسَان**)، وقوله: (**كلمتان**)؛ هذا من إطلاق الكلمة على الجملة، «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**»، كلمة! ما هي الكلمة؟ جملة: لا إله إلا الله، «**قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**»، فتُطلق الكلمة ويُراد بها الجملة المفيدة، فهنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: (**كلمتان**)؛ أي جملتان مفيدتان. (**خفيفتان على اللِّسَان**)؛ من وصفهما الخفة على اللسان، (**خفيفتان على اللِّسَان**).

(**ثقيلتان فِي الْمِيزَان**)؛ أي وزنهما ثقيل. (**فِي الْمِيزَان**)؛ أي الذي يُنصب يوم القيامة وتوزن فيه الأعمال فيكون لهتين الكلمتين ثقل عظيم في الميزان يوم

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

القيامة. (حبيبتان إِلَى الرَّحْمَن)؛ الله عَزَّوَجَلَّ يحبهما، ويحب من عبده الإكثار منهما، فرَّغب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم ذكر الكلمتين: (**سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيم**)؛ وكلٌّ من الكلمتين جملة مفيدة تعطي معنى للتنزيه، والتعظيم، والتقديس لله عَزَّوَجَلَّ مع الثناء عليه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنهُ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «من قَالَ فِي يَوْمه مائَة مرَّة: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك، وَله الْحَمد، وَهُوَ على كل شَيْءٍ قدير، كَتب الله لَهُ حرْزًا من الشَّيْطَان يَوْمه ذَلِك حَتَّى يُمْسِي، وَلم يَأْتِ أحد بِأَفْضَل مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رجل قَالَ مثل مَا قَالَ أَو زَاد عَلَيْهِ»**)؛ فهذا ثواب عظيم يترتب على ذكر الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بهذه الكلمة العظيمة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، ولها أثر قوي وعظيم جدًا في طرد الشيطان، وحفظ العبد منه وصيانته يومه كله، لها أثر عظيم جدًا، وتحتاج من العبد إلى مجاهدة ومصابرة حتى يُتم المئة، ولا يزال الشيطان يُنازعه في ذلك ويصرفه عن ذلك ويشغله عن ذلك، وإذا أكرمه الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وأتم المئة كان في صيانة عظيمة وحرز من الشيطان، كما أخبر نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كَتب الله لَهُ حرْزًا من الشَّيْطَان يَوْمه ذَلِك حَتَّى يُمْسِي**»؛ حرز أي حصن، لا يجد الشيطان عليه أي سبيل، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:64]؛ انتبه!

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾؛ من الذي يرضى أن يشارك في أهله وولده من هذا العدو الخبيث؟! ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:64-65]؛ أي في حرز.

قال غير واحد من المفسرين: ﴿عِبَادِي﴾؛ أي الذين يذكرون الله، ومن ذكر الله ذكره بهذا الذكر العظيم، التهليل بهذه الكلمات كل يوم مئة مرة، وفي الحديث قال: «من قَالَ فِي يَوْمه»؛ لم تقيد في الصباح، لكن الأولى أن يؤتى بها في الصباح في أول اليوم، مسارعة للخيرات ومسابقةً لها للقيام بها، وأيضًا ليفوز بهذا الحرز وهذه الحماية والصيانة من الشيطان من أول اليوم وبدايته.

قال: («**وَلم يَأْتِ أحد بِأَفْضَل مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رجل قَالَ مثل مَا قَالَ أَو زَاد عَلَيْهِ**»)؛ ليس معنى: (**زَاد عَلَيْهِ**)؛ أن يعد مئة وعشرة مثلًا، هذه الألفاظ، بل يعدها مئة، يأتي بها مئةً، وزاد عليه بالأذكار الأخرى المأثورة أو بالتهليل المطلق، لكن لو قال شخص: أنا سأجعل وظيفتي أن أقولها: مئة وعشرين مثلًا، أو مئة وثلاثين ويواظب على ذلك، هذا ليس هذا التقييد ليس عليه دليل، والتخصيص تشريع. فقوله: (**أَو زَاد عَلَيْهِ**)؛ أي زاد عليه بالأذكار

الأخرى المأثورة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المقيدة أو بالأذكار المطلقة، فإذا انتهى من المئة وأتمها ثم مضى يهلل التهليل المطلق له ذلك.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**ومن قَالَ فِي يَوْمه مائَة مرّة: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيم، حُطت عَنهُ خطاياه وَلَو كَانَت مثل زبد الْبَحْر**»)؛ وهذا فيه أن هذه الأذكار العظيمة المباركة المأثورة تساقط الخطايا وتحت الذنوب، وترفع الدرجات، حتى إن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما جاء في "السنن" كان مع أصحابه يومًا ومر بشجرة يابسة وبيده عصا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فضرب الشجرة اليابسة بالعصا فأخذ الورق يتحات، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ينظرون لهذا المنظر، أمامهم أوراق الشجر يتساقط من الشجرة، فقال الناصح الأمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ لتساقط الذنوب كما تساقط ورق هذه الشجرة**»، والصحابة ينظرون للورق يتساقط، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يضرب الأمثال كثيرًا في أحاديثه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي تجعل الأمور المعنوية بمثابة الأمور المشاهدة المحسوسة التي تراها أمامك بعينك، والأمثال نافعة جدًا، ومفيدة في فهم المعاني، فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُكثر -صلوات الله وسلامه عليه- من ضرب الأمثال.

فالشاهد: أن هذه الأذكار العظيمة المأثورة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تساقط ذنوب العبد وتحت الخطايا ولو كانت كثيرة، قال: «**ولو كانت مثل زبد البحر**».

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**وَفِي "الْمُوَطَّأ" وَغَيره عَن النَّبِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «أفضل مَا قلته أَنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك، وَله الْحَمد، وَهُوَ على كل شَيْء قدير»، وَفِي "سنَن ابْن مَاجَه" وَغَيره عَنهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنه قَالَ: «أفضل الذّكر: لَا إِلَه إِلَّا الله، وَأفضل الدُّعَاء: الْحَمد لله»**)؛ ومر ذكر هذين الحديثين عند شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في موضعٍ قريب.

وجميع هذه الأحاديث ساقها رَحِمَهُ اللَّهُ ليبين من خلالها أن الذكر المأثور الذي تترتب عليه الأجور العظيمة والثواب الجزيل وحط الذنوب وتكفير السيئات ورفعة الدرجات كله جمل مفيدة، لا يوجد في شيءٍ من الذكر المأثور عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرٌ بالاسم المفرد مجردًا، هذا لا يوجد إطلاقًا فيما جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولما ذكر هذه الأحاديث أتبعها بقوله: (**وَمثل هَذِه الْأَحَادِيث كَثِيرَة فِي أَنْوَاع مَا يُقَال من الذّكر وَالدُّعَاء**)؛ وينظر في هذا الباب الكتب المصنفة في الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لا يجد المطالع لها شيئًا من الذكر المأثور عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ باللفظ أو الاسم المجرد مضمرًا كان أو مظهرًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَذَلِك مَا فِي الْقُرْآن من قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:121]، وَقَوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:4]، إِنَّمَا هُوَ قَول: بِسم الله، وَهَذِه جملَة

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

تَامَّة، إِمَّا اسمية على أظهر قولي النُّحَاة، أَو فعلية وَالتَّقْدِير: ذبحي بِسم الله، أَو أذبح بِسم الله).

أعد..

(وَكَذَلِكَ مَا فِي الْقُرْآن من قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:121]، وَقَوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:4]، إِنَّمَا هُوَ قَول: بِسم الله، وَهَذِه جملَة تَامَّة، إِمَّا اسمية على أظهر قولي النُّحَاة، أَو فعلية وَالتَّقْدِير: ذبحي بِسم الله، أَو أذبح بِسم الله. وَكَذَلِكَ قَول الْقَارئ: بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، فتقديره: قراءتي بِسم الله، أَو اقْرَأ باسم الله. وَمن النَّاس من يضمر فِي مثل هَذَا: ابتدائي بِسم الله أَو ابتدأت بِسم الله، وَالْأول أحسن؛ لِأَن الْفِعْل كُله مفعول باسم الله لَيْسَ مُجَرّد ابْتِدَائه، كَمَا أظهر الْمُضمر فِي قَوْله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق، من الآية:1]، وَفِي قَوْله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [سورة هود، من الآية:41]، وَفِي قَول النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كَانَ ذبح قبل الصَّلَاة فليذبح مَكَانهَا أُخْرَى، وَمن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله**»، وَمن هَذَا الْبَاب قَول النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح لربيبه عمر بن أَبى سَلمَة: «**يَا غُلَام سم الله وكل بيمينك وكل مِمَّا يليك**»، فَالْمُرَاد أَن يَقُول: باسم الله، لَيْسَ المُرَاد أَن يذكر الِاسْم مُجَردًا، وَكَذَلِكَ قَوْله فِي الحَدِيث الصَّحِيح لعدي بن حَاتِم: «**إِذا أرْسلت كلبك**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

الْمعلم وَذكرت اسْم الله فَكل»، وَكَذَلِكَ قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذا دخل الرجل منزله فَذكر اسْم الله عِنْد دُخُوله وَعند خُرُوجه وَعند طَعَامه، قَالَ الشَّيْطَان: لَا مبيت لكم وَلَا عشَاء» وأمثال ذَلِك كثير).

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى آيات من القرآن في الباب نفسه فيها الأمر بذكر اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والمراد بذكر اسم الله أي أن يكون هذا الذكر في جملة مفيدة، نظير ما مر معنا في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؛ فكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**سبحان ربي الأعلى**»، وفي قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ كان يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، أيضًا الآيات التي فيها الأمر بذكر اسم الله، كقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وأيضًا في الآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ ما معنى ذكر اسم الله على الذبيحة؟

هل من جاء بذبيحة وقال: (الله) وذبحها، هل فعل ما أُمر به في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾؟ لم يفعل ذلك، ولا يكون قام بالمأمور به، حتى يقول ما شُرع له أن يقوله فعلًا، بأن يقول: بسم الله، وبسم الله التي تقال عند الذبح، وأيضًا تقال عند مواضع أخرى أشار شيخ الإسلام إلى شيءٍ منها جملة تامة مفيدة كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالعمل بهذه الآيات يقول: (**إِنَّمَا هُوَ قَول: بِسم الله، وَهَذِه جملَة تَامَّة**)؛ (بسم الله) جار ومجرور، وشيخ الإسلام يقول: هذا جملة تامة؛ لأن الجار

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

والمجرور متعلق بمحذوف مقدَّر، اختلف النحاة كما أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هل هو اسم أو فعل؟ فإذا كان اسم تكون جملة اسمية، وإذا كان فعل تكون جملة فعلية، وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأظهر أنه اسم، قال: (**وَهَذِه جملَة تَامَّة، إِمَّا اسمية على أظهر قولي النُّحَاة، أَو فعلية**)؛ اسمية: ذبحي باسم الله، وفعلية: باسم الله اقرأ، أو أقرأ بسم الله، ففي الجملة محذوف مقدر تقديره ذبحي أو أذبح، ذبحي باسم الله، أو أذبح باسم الله، وهذا المحذوف المقدر يُعلم من فعل المسمي إن كان ذبحًا فتقديره: ذبحي أو أذبح، إن كان قراءةً: قراءتي أو اقرأ، إن كان دخولًا: دخولي أو أدخل وهكذا..

وكذلك قول القارئ: (**وَكَذَلِكَ قَول الْقَارئ: بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، فتقديره قراءتي بِسم الله**)؛ على القول الأول تقدير المحذوف المقدر اسم، (**أَو اقْرَأ باسم الله**)؛ تقديره فعل، فعلى الأول تكون الجملة اسمية، وعلى الثاني تكون الجملة فعلية.

(**وَمن النَّاس من يضمر فِي مثل هَذَا: ابتدائي بِسم الله، أَو ابتدأت بِسم الله، وَالْأول أحسن**)؛ لماذا؟ يعني بعضهم يضمر ابتدائي يقول: المحذوف ابتدائي، ويكون متناول أي شيء سميت فيه، ابتدائي أي في القراءة، ابتدائي أي بالذبح أو ابتدائي بالدخول إلى غير ذلك، فبعضهم يقول: من الناس من يضمر في مثل هذا ابتدائي بسم الله، أو ابتدأت (بسم الله) جملة اسمية أو جملة فعلية. قال: (**وَالْأول أحسن**)؛ ما هو الأول؟ أن يكون المقدر مأخوذ من

الفعل الذي سمى لأجله، قراءةً أو كتابةً أو ذبحًا أو دخولًا أو خروجًا أو غير ذلك.

قال: (**وَالْأول أحسن؛ لِأَن الْفِعْل كُله مفعول باسم الله لَيْسَ مُجَرّد ابْتِدَائه**)؛ شوف كلام جميل جدًا. قال: (**لِأَن الْفِعْل كُله مفعول باسم الله لَيْسَ مُجَرّد الابتداء**)؛ يعني مثلًا القراءة لما يقدر ابتدائي بدل قراءتي، انصبت التسمية على بدء القراءة، انصبت التسمية بهذا التقدير على بدء القراءة فقط، بينما إذا قدرت قراءتي تناول التسمية لجميع القراءة، وهذا من دقة فهمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن دقة عنايته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بذكر الله، وفي هذا أيضًا تتنبه إلى أهمية فهم المعاني - معاني الأذكار-، انظر الآن جميل الفهم ودقيق التمعن في الأذكار، استبعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقدر ابتدائي لماذا؟ لأنها تجعل التسمية قاصرة على أول القراءة، تجعل التسمية التي هي استعانة بالله والتيمم بذكر اسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على أول قراءة، ابتدائي بسم الله، لكن إذا قدرت قراءتي بسم الله؛ فإن ذلك (**أحسن؛ لِأَن الْفِعْل كُله مفعول باسم الله لَيْسَ مُجَرّد ابْتِدَائه**).

أيضًا وجه آخر في الاستدلال على أهمية تقديره من نفس العمل الذي سمى المسمي لأجله، قال: (**كَمَا أظهر الْمُضمر فِي قَوْله**: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق، من الآية:1])؛ أُظهر المضمر، أين الإظهار للمضمر هنا؟ ها! ﴿ٱقْرَأْ﴾، الإظهار للمضمر ﴿ٱقْرَأْ﴾؛ فـ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾؛ فهذا مما يفيد أن

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

يكون تقدير المحذوف يكون من الفعل نفسه الذي سمى المسمي لأجله، كذلك إظهار المضمر (**وَفِي قَوْله**: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [سورة هود، من الآية:41]، **وَفِي قَول النَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**من كَانَ ذبح قبل الصَّلَاة فليذبح مَكَانهَا، وَمن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله**»)؛ أظهر المضمر في قوله: «**يذبح باسم الله**»، موضع الشاهد في قوله: «**يذبح باسم الله**»؛ أظهر المضمر.

قال: («**من كَانَ ذبح قبل الصَّلَاة فليذبح مَكَانهَا أُخْرَى**»)؛ حتى لو كان ذبحه قبل الصلاة بنية حسنة وقصدٍ طيب، مثل ما حصل من بعض الصحابة، أنه في يوم عيد الأضحى ذبح ذبيحته قبل الصلاة، لماذا؟ لقصد طيب، وهو قال: أذبحها قبل الصلاة وتجهز وتهيء بحيث ما ينصرف الناس من الصلاة إلا وهي جاهزة، لكن لو ذبحتها بعد الصلاة تحتاج أن تهيء إلى وقت، لكن في هذا ما تنتهي الصلاة إلا وهي جاهزة، يطعمها ويقدمها ويهديها هذا قصده، فماذا قال له النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟، قال: «**شاتك شاة لحم**»؛ يعني ليست أضحية، لم يشفع له حُسن قصده في أن يكون عمله مقبولًا أضحية، والعمل لا يكفي فيه حسن القصد بل لا بد مع حسن القصد مع الاتباع، وبعض الذين يقعون في مخالفات يقول: أنا قصدي طيب، أو يقول: ما أردت إلا الخير، مثل النفر الذين دخل عليهم عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن وهم عليهم رجل قائم يقول: سبحوا مئة فيسبحون، هللوا مئة فيهللون، فقال لهم: أما والله إنكم جئتم ببدعة ظلمًا أو فقتم أصحاب محمدًا علمًا، قالوا: والله يا أبا عبد

الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال لهم: وهل كل من أراد الخير أدركه؟ أي أنه لا يدرك الخير إلا من عمل بالسنة وبالمأثور عن نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما من يعمل بالبدع ويقول: ما أردت إلا الخير، ترد عليه بدعه، لا يكفي حسن القصد أو إرادة الخير، بل لا بد أن يوافق العمل السنة؛ سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (**وَمن هَذَا الْبَاب قَول النَّبِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الحَدِيث الصَّحِيح لربيبه عمر بن أَبى سَلمَة: «يَا غُلَام سم الله، وكل بيمينك، وكل مِمَّا يليك»**). (**سم الله**)؛ أي في الأكل، فعندما تأكل سم الله، (**وكل بيمينك**)؛ والمسلم عندما يقول: بسم الله عند الأكل، ما تقدير تمام هذه الجملة: بسم الله عندما يأكل، بسم الله آكل، أو بسم الله أكلي؛ فعليةً كانت أو اسمية، وكونها اسمية أظهر وأولى كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالمراد أن يقول: بسم الله ليس المراد ذكر الاسم مجردًا؛ يعني في جميع هذه النصوص المتقدمة في قوله: بسم الله أو ليذكر اسم الله؛ المراد بسم الله أن يقول: بسم الله. (**لَيْسَ المُرَاد أَن يذكر الِاسْم مُجَردًا**).

(**وَكَذَلِكَ قَوْله فِي الحَدِيث الصَّحِيح لعدي بن حَاتِم: «إِذا أرْسلت كلبك الْمعلم وَذكرت اسْم الله فَكل»**)، (**وَذكرت اسْم الله**)؛ أي قل: بسم الله.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**وَكَذَلِكَ قَوْله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذا دخل الرجل منزله فَذكر اسْم الله عِنْد دُخُوله، وَعند خُرُوجه، وَعند طَعَامه، قَالَ الشَّيْطَان: لَا مبيت لكم وَلَا عشَاء**» **وأمثال ذَلِك كثير**)؛ ذكر اسم الله هنا المراد به أن يقول: بسم الله، ولهذا صح عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه يقول في الخروج: «**بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**»، فقوله: («**إِذا دخل الرجل منزله فَذكر اسْم الله**»)؛ أي قال: بسم الله، («**عِنْد دُخُوله، وَعند خُرُوجه، وَعند طَعَامه**»)؛ ولهذا يُسن للمسلم ويُشرع له في كل مرة يدخل البيت عند أول الدخول يقول: بسم الله، وفي كل مرة يخرج يقول: بسم الله، وعندما يتناول الطعام يقول: بسم الله.

(**قَالَ الشَّيْطَان: لَا مبيت لكم وَلَا عشَاء**)؛ إذا قال ذلك المسلم، (**قَالَ الشَّيْطَان: لَا مبيت لكم وَلَا عشَاء**)؛ يعني لا يدخل البيت ولا يتناول من الطعام، معنى ذلك: أن من لا يسمي بتركه للتسمية فتح المجال -والعياذ بالله- للشيطان ليدخل بيته وليتناول من طعامه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وأمثال هذا كثير**)؛ يعني في الأدلة أمثال هذا كثير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَذَلِكَ مَا شرع للْمُسلمين فِي صلَاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تَعَالَى إِنَّمَا هُوَ بِالْجُمْلَةِ التَّامَّة كَقَوْل الْمُؤَذّن: (الله أكبر، الله أكبر، أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، أشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله)، وَقَول الْمُصَلِّي: (الله أكبر، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم، سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، سمع الله لمن حَمده،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

رَبنَا وَلَك الْحَمد، التَّحِيَّات لله)، وَقَول الملبي: (لبيْك اللَّهُمَّ لبيْك) وأمثال ذَلِك.

فَجَمِيع مَا شَرعه الله من الذّكر إِنَّمَا هُوَ كَلَام تَامّ لَا اسْم مُفْرد، لَا مظهر، وَلَا مُضْمر).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَذَلِكَ مَا شرع للْمُسلمين فِي صلَاتهم**)؛ أي أنظر أذكار الصلاة والأدعية المأثورة في الصلاة في جميع أحوال الصلاة من قيام أو ركوع، أو سجود، أو جلسة بين السجدتين، أو في التشهد جميع الأذكار التي جاءت في الصلاة، هل يوجد في شيء منها ذكرٌ للاسم مجردًا مظهرًا أو مضمرًا؟ لا يوجد، كلها تجدها جمل تامة مفيدة، كذلك في الأذان -ألفاظ الأذان-، تأملها لفظًا لفظًا من أول الأذان إلى آخره، تجدها ليس فيها كلمة مجردة مظهرة أو مضمرة، وإنما كلها جمل مفيدة، (**الله أكبر، الله أكبر، أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، أشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله**)؛ كلها جمل تامة مفيدة، فليس فيها اسم مجرد مظهر أو مضمر.

كذلك في الحج، الأذكار المشروعة في الحج وشعار الحج التلبية: (**لبيْك اللَّهُمَّ لبيْك**)؛ وهي جملة مفيدة تفيد التوحيد، وتفيد الاستسلام، وتفيد التعظيم، وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم قال: فأهل النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد: (**لبيْك اللَّهُمَّ لبيْك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**).

(**وحجهم وأعيادهم**)؛ أي ما يُشرع في العيد من التكبير، وأيضًا الصلاة التي في العيد، وخطبة العيد، وغير ذلك كلها تكون جمل مفيدة، ما شُرع فيها من ذكرٍ لله تعالى، (**إِنَّمَا هُوَ بِالْجُمْلَ التَّامَّة**).

قال: (**كَقَوْل الْمُؤَذّن: (الله أكبر، الله أكبر، أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، أشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله)**)؛ إلى آخر ألفاظ الأذان.

(**وَقَول الْمُصَلِّي: (الله أكبر، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم، سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، سمع الله لمن حَمده، رَبنَا وَلَك الْحَمد، التَّحِيَّات لله)**)؛ هذه أمثلة يذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ من الأذكار والدعوات المشروعة في الصلاة كلها جمل تامة مفيدة، كذلك: (**قَول الملبي: (لبيْك اللَّهُمَّ لبيْك)**)؛ جملة مفيدة. (**وأمثال ذَلِك**).

قال: (**فَجَمِيع مَا شَرعه الله من الذّكر إِنَّمَا هُوَ كَلَام تَام**)؛ هذا خلاصة ما سبق من أمثلة ساقها وذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ، خلاصة ذلك أن: (**جَمِيع مَا شَرعه الله من الذّكر إِنَّمَا هُوَ كَلَام تَامّ، لَا اسْم مُفْرد، لَا مظهر، وَلَا مُضْمر**)؛ يعني لا يوجد في الأذكار المشروعة اسم مفرد سواءً كان مظهرًا أو كان مضمرًا، مظهرًا مثل (الله)، ومضمرًا مثل (هو)؛ هذا كله لا يوجد فيه شيء من الأذكار المأثورة عن نبينا الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسمى فِي اللُّغَة (كلمة) كَقَوْلِه: «**كلمتان خفيفتان على اللِّسَان، ثقيلتان فِي الْمِيزَان، حبيبتان إِلَى الرَّحْمَن: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيم**»، وَقَوله: «**أفضل كلمة قَالَهَا الشَّاعِر كلمة لبيد: أَلا كل شَيْء مَا خلا الله بَاطِل**»، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [سورة الكهف، من الآية:5]، وَقَوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:115].

وأمثال ذَلِك مِمَّا اسْتعْمل فِيهِ لفظ (الْكَلِمَة) فِي الْكتاب وَالسّنة، بل وَسَائِر كَلَام الْعَرَب، فَإِنَّمَا يُرَاد بِهِ الْجُمْلَة التَّامَّة، كَمَا كَانُوا يستعملون الْحَرْف فِي الِاسْم فَيَقُولُونَ: هَذَا حرف غَرِيب؛ أَي: لفظ الِاسْم غَرِيب.

وَقسم سِيبَوَيْهٍ الْكَلَام إِلَى اسْم وَفعل وحرف جَاءَ لِمَعْنى لَيْسَ باسم وَلَا فعل، وكل من هَذِه الْأَقْسَام يُسمى حرفًا، لَكِن خاصَّة الثَّالِث أَنه حرف جَاءَ لِمَعْنى لَيْسَ باسم وَلَا فعل. وسمى حُرُوف الهجاء باسم الْحَرْف وَهِي أَسمَاء.

وَلَفظ الْحَرْف يتَنَاوَل هَذِه الْأَسْمَاء وَغَيرهَا، كَمَا قَالَ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من قَرَأَ الْقُرْآن فأعربه، فَلهُ بِكُل حرف عشر حَسَنَات، أما إِنِّي لَا أَقُول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، وَلَكِن ألف حرف، وَلَام حرف، وَمِيم حرف**»، وَقد سَأَلَ الْخَلِيل أَصْحَابه عَن النُّطْق بِحرف الزَّاي من زيد؟ فَقَالُوا: (زَاي)، فَقَالَ: جِئْتُمْ بِالِاسْمِ، وَإِنَّمَا الْحَرْف (زَ).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثمَّ إِن النُّحَاة اصْطَلحُوا على أَن هَذَا الْمُسَمَّى فِي اللُّغَة بالحرف يُسمى كلمة، وَأَن لفظ الْحَرْف يخص لما جَاءَ لِمَعْنى لَيْسَ باسم وَلَا فعل كحروف الْجَرّ وَنَحْوهَا.

وَأما أَلْفَاظ حُرُوف الهجاء فيعبر تَارَة بالحرف عَن نفس الْحَرْف من اللَّفْظ، وَتارَة باسم ذَلِك الْحَرْف، وَلما غلب هَذَا الِاصْطِلَاح صَار يتَوَهَّم من اعتاده أَنه هَكَذَا فِي لُغَة الْعَرَب، ومنهم من يَجْعَل لفظ الْكَلِمَة فِي اللُّغَة لفظًا مُشْتَركًا بَين الِاسْم مثلًا وَبَين الْجُمْلَة، وَلَا يعرف فِي صَرِيح اللُّغَة من لفظ (الْكَلِمَة) إِلَّا الْجُمْلَة التَّامَّة).

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن لفظة: (كلمة) تُطلق ويُراد بها في اللغة من إطلاقاتها تُطلق ويُراد بها الجملة التامة، وجميع ما سبق من أمثلة فيما أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أذكار ودعوات مأثورة، وأشار إلى نماذج كثير من ذلك كله من هذا القبيل، مثل كلمة التكبير، وكلمة التحميد، وكلمة التهليل، وكلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله، وكلمة التسبيح، وغير ذلك إطلاق لفظ (كلمة) على ذلك أي على جملة تامة، وهذا معروف في لغة العرب، أن يُطلق على الجملة التامة كلمة.

من الشواهد على إطلاق كلمة على الجملة التامة ما تقدم في الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللِّسَان**»؛ ما المراد بالكلمتين؟ الكلمة الأولى:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ)، والكلمة الثانية: (سُبْحَانَ الله الْعَظِيم)، فأطلق عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الكلمة على الجملة التامة، أيضًا من إطلاقه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الكلمة على الجملة التامة. (قَوله: «أفضل كلمة قَالَهَا الشَّاعِر كلمة لبيد: أَلا كل شَيْء مَا خلا الله بَاطِل»؛ ماذا تكون هذه؟ (أَلا كل شَيْء مَا خلا الله بَاطِل)؛ جملة تامة. (وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ [سورة الكهف، من الآية:5]،)؛ أيضًا هنا أُطلقت كلمة على جملة تامة في كلام هؤلاء الباطل، وكذلك: (قَوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:115])؛ أي صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام، (وأمثال ذَلِك مِمَّا اسْتعْمل فِيهِ لفظ (الْكَلِمَة) من الْكتاب وَالسُّنة، بل وَسَائِر كَلَام الْعَرَب، فَإِنَّمَا يُرَاد بِهِ الْجُمْلَة التَّامَّة، كَمَا كَانُوا يستعملون الْحَرْف فِي الِاسْم فَيَقُولُونَ: هَذَا حرف غَرِيب؛ أَي: لفظ الِاسْم غَرِيب)؛ أي كما أنهم يطلقون كلمة على الجملة، يطلقون حرف على الكلمة، ويطلقون حرف على الاسم.

(وَقسَّم سِيبَوَيْهٍ الْكَلَام إِلَى اسْم وَفعل وحرف لِمَعْنى لَيْسَ باسم وَلَا فعل، وكل من هَذِه الْأَقْسَام يُسمى حرفًا)؛ على الإطلاق الذي بينه رَحِمَهُٱللَّهُ، (وكل من هَذِه الْأَقْسَام يُسمى حرفًا)؛ الاسم يسمى حرف، والفعل يسمى حرف، وأيضًا الحرف حسب التقسيم أيضًا يسمى حرف على الإطلاق الأول الذي أشار إليه بقوله: (يستعملون الْحَرْف فِي الِاسْم)؛ يستعملون أي العرب (الْحَرْف فِي الِاسْم فَيَقُولُونَ: هَذَا حرف غَرِيب؛ أَي: الِاسْم غَرِيب)؛ إذا كان العرب

يستعملون الحرف حتى في الاسم، فيأتي تساؤل: ما وجه هذا التقسيم: اسم وفعل وحرف؟ ما وجه هذا التقسيم بحيث خُص الثالث منها بأنه حرف، والأول اسم، والثاني فعل، فإذا كان كلها يطلق عليها حرف ما وجه هذا التقسيم؟

يقول: (**لَكِن خَاصَّة الثَّالِث أَنه حرف جَاءَ لِمَعْنى لَيْسَ باسمٍ وَلَا فعل. وسمي حُرُوف الهجاء باسم الْحَرْف وَهِي أَسمَاء**)؛ حروف الجر سميت حروف وهي أسماء، الزاي، العين، الحاء، الخاء، الراء، هذه أسماء، فسميت حروف الهجاء باسم الحرف وهي أسماء.

(**وَلَفظ الْحَرْف يتَنَاوَل هَذِه الْأَسْمَاء وَغَيرهَا، كَمَا قَالَ النَّبِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قَرَأَ الْقُرْآن فأعربه، فَلهُ بِكُل حرف عشر حَسَنَات، أما إِنِّي لَا أَقُول** ﴿الٓمٓ﴾ **حرف، وَلَكِن ألف حرف، وَلَام حرف، وَمِيم حرف**»، **وَقد سَأَلَ الْخَلِيل أَصْحَابه عَن النُّطْق بِحرف الزَّاي من زيد؟**)؛ يعني طلب منهم أن ينطقوا بحرف الزاي من زيد، أول حرف من كلمة (زيد)، (**فَقَالُوا: (زَاي)، فَقَالَ: جئْتُمْ بِالِاسْمِ، وَإِنَّمَا الْحَرْف (زَ)**)؛ لأنك لما تنطقها ما تقول: زاي، وإنما تقول: زيد، (**فَقَالُوا: (زَاي)، فَقَالَ: جئْتُمْ بِالِاسْمِ، وَإِنَّمَا الْحَرْف (زَ)**).

(**ثمَّ إِن النُّحَاة اصْطَلحُوا على أَن هَذَا الْمُسَمَّى فِي اللُّغَة بالحرف يُسمى كلمة**)؛ ولهذا يقولون: الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسمٌ وفعل وحرف.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**وَأَن لفظ الْحَرْف يخص لما جَاءَ لِمَعْنى لَيْسَ باسم وَلَا فعل كحروف الْجَرّ وَنَحْوهَا. وَأما أَلْفَاظ حُرُوف الهجاء فيعبر تَارَةً بالحرف عَن نفس الْحَرْف من اللَّفْظ**)؛ مثل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا أَقُول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، وَلَكِن ألف حرف، وَلَام حرف، وَمِيم حرف**».

(**وَتارَة باسم ذَلِك الْحَرْف**)؛ مثل ما مر معنا في الكلام الذي جاء عن الخليل في القصة التي أوردها شيخ الإسلام عن الخليل.

(**وَلما غلب هَذَا الِاصْطِلَاح صَار يتَوَهَّم من اعتاده أَنه هَكَذَا فِي لُغَة الْعَرَب، ومنهم من يَجْعَل لفظ الْكَلِمَة فِي اللُّغَة لفظًا مُشْتَركًا بَين الِاسْم مثلًا وَبَين الْجُمْلَة، وَلَا يُعرف فِي صَرِيح اللُّغَة من لفظ (الْكَلِمَة) إِلَّا الْجُمْلَة التَّامَّة**)؛ يعني في إطلاق كلمة في اللغة إنما يُراد به الكلمة التامة، ولهذا رأينا في الحديث قال: «**كلمتان**»، «**أفضل كلمة**»، ولهذا نظائر كثيرة عند الإطلاق للكلمة يراد بها الكلمة التامة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْمَقْصُود هُنَا أَن الْمَشْرُوع فِي ذكر الله سُبْحَانَهُ هُوَ ذكره بجملة تَامَّة، وَهُوَ الْمُسَمّى بالْكَلَام وَالْوَاحد مِنْهُ بِالْكَلِمَةِ، وَهُوَ الَّذِي ينفع الْقُلُوب وَيحصل بِهِ الثَّوَاب وَالْأَجْر، والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وَغير ذَلِك من المطالب الْعَالِيَة والمقاصد السامية.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَأما الِاقْتِصَار على الِاسْم الْمُفْرد مظْهرًا أَو مضمرًا فَلَا أصل لَهُ فضلًا عَن أَن يكون من ذكر الْخَاصَّة والعارفين.

بل هُوَ وَسِيلَة إِلَى أَنْوَاعٍ من الْبدع والضلالات، وذريعة إِلَى تصورات وأحوال فَاسِدَة من أَحْوَال أهل الْإِلْحَاد وَأهل الِاتِّحَاد.

كَمَا قد بُسط الْكَلَام عَلَيْهِ فِي غير هَذَا الْموضع).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَالْمَقْصُود هُنَا**)؛ أي من البسط السابق والبيان المتقدم. (**أَن الْمَشْرُوع فِي ذكر الله هُوَ ذكره بجملة تَامَّة**)؛ يعني الكلام الذي مضى أراد أن يُبين أن خطأ هؤلاء في جعل الاسم وحده أو مجردًا مضمرًا أو مظهرًا، وذكرهم لله به هذا ليس عليه أي دليل في المأثور عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا من حيث اللغة لا يستقيم، كما نبه على ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من خلال اللغة، فبين خطأ هؤلاء أنه خطأ من حيث الشرع، وأيضًا ليس مستقيم لغةً، حتى في يعني متعارف خطاب الناس وحديثهم المعتاد، لا يعتبر هذا فيما يتأمل فيه المتأمل لا يعتبر هذا كلامًا مفيدًا، يعني لو أن شخصًا خاطب زميله بأن أخذ يردد اسمه، مثلًا اسمه خالد، ولا حسن، ولا زيد، وجلس أمامه ويردد اسمه: زيد، زيد، زيد مئة مرة، ألف مرة، ماذا يترتب على هذا الترداد؟ وأي فائدة يثمرها هذا الترداد؛ لأن ترداد هذا الاسم لا يظهر منه أي فائدة.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أذكر سمعت الشيخ الفاضل أبو بكر الجزائري متعه الله بالصحة والعافية، وختم له بالحسنى، ورزقه الدرجات العلا في جنات النعيم، ورجل أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ عمر مديد في التدريس في هذا المسجد المبارك -مسجد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- نسأل الله أن يتقبل منه كل ذلك بقبول حسن.

أذكر وأنا صغير، سمعت منه -حفظه الله وجزاه خير الجزاء- فائدة وهو يرد على هؤلاء الذين يذكرون بالاسم مظهرًا: الله، الله، أو يُدخلون عليه حرف النداء، يا الله، يا الله، فيقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما حفظته عنه، يقول أحدهم: يا الله، يا الله، يا الله، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: عبدي اسأل، هكذا يقول الشيخ والله! يقول: عبدي اسأل، ناديت الآن: يا الله يا الله، اسأل ما هي حاجتك؟ أما أنك تردد مئة مرة أو ألف مرة: يا الله يا الله تنادي، طيب ما هي حاجتك؟ الشيخ يقول، تقول: يا الله، يا الله، الله يقول: عبدي اسأل، يعني ما هي حاجتك؟ مراده لذلك، إذا ناديت تذكر حاجتك، تنادي الله، ولهذا انظر نداءات الأنبياء في الأدعياء كلها تُذكر الحاجة، و(اللهم) حذفت ياء النداء وعوض عنها بالميم الساكنة في آخرها، فالميم عوض عن ياء المناداة، (اللهم) معناها: يا الله، لا تجد في الأدعية المأثورة: (يا الله) وانتهى الكلام، أو (اللهم) وانتهى الكلام، تجد اللهم ارحمني، اللهم اغفر لي، اللهم وفقني، اللهم اهدني أما يردد: اللهم اللهم اللهم ألف مرة ألفين، أو يا الله يا الله يرددها آلاف المرات

هذا كله ليس من الذكر المشروع والمأثور عن نبينا الكريم -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

قال: (**وَالْمَقْصُود هُنَا أَن الْمَشْرُوع فِي ذكر الله سُبْحَانَهُ هُوَ ذكره بجملة تَامَّة، وَهُوَ الْمُسَمَّى بالْكلَام وَالْوَاحد مِنْهُ بِالْكَلِمَةِ**)؛ الكلمة مثل: سبحان الله، مثل: الحمد لله، مثل: لا إله إلا الله، مثل: الله أكبر، ومثل ما قال شيخ الإسلام: صريح اللغة من لفظ الكلمة إنما يراد به الجملة التامة، قال: (**وَهُوَ الَّذِي ينفع الْقُلُوب**).

(**وَالْمَقْصُود هُنَا أَن الْمَشْرُوع فِي ذكر الله سُبْحَانَهُ هُوَ ذكره بجملة تَامَّة، وَهُوَ الْمُسَمَّى بالْكلَام وَالْوَاحد مِنْهُ بِالْكَلِمَةِ، وَهُوَ الَّذِي ينفع الْقُلُوب وَيحصل بِهِ الثَّوَاب وَالْأَجْر، والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وَغير ذَلِك من المطالب الْعَالِيَة والمقاصد السامية**)؛ أي عندما تذكر الله بـ(سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله، إلى غير ذلك، أو استغفر الله وأتوب إليه)، أو نحو ذلك من الأذكار والدعوات كلها جمل تامة تنفع القلوب. (**وَيحصل بِهِ الثَّوَاب وَالْأَجْر، والقرب إلى الله ويحصل بها معرفته ومحبته وخشيته وَغير ذَلِك**).

وهنا تنبيه لطيف جدًا من شيخ الإسلام أن الأذكار المشروعة المأثورة تفيد هذه المعاني، وتثمر في الذاكرة هذه المعاني، ولا سيما من يتأمل فيها، تنفع

قلبه، وكل ما أكثر من ذكر الله مستحضرًا معاني الذكر انتفع القلب، وعظم الثواب والأجر، وحطت الخطايا والذنوب، وأيضًا تستجلب للعبد مزيد المعرفة والمحبة والخشية وغير ذلك.

ولهذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام جميل في كتابه [مدارج السالكين] في الوسائل الجالبة للمحبة، كيف تستجلب لقلبك محبة الله، ذكر عشرة أمور تجدونها في كتابه من ضمنها الإكثار من ذكر الله، فالإكثار من الذكر يجلب المحبة لله، وأيضًا المعاني التي اشتملتها تلك الأذكار أيضًا يستجلبها الذكر للقلوب من خشية من تعظيم، من تسبيح، واستعانة، والتجاء، وطلب غفران وغير ذلك مما تدل عليه الأذكار والدعوات المأثورة.

قال: (**وَغير ذَلِك من المطالب الْعَالِيَة والمقاصد السامية**)، قوله: (**من المطالب الْعَالِيَة والمقاصد السامية**)؛ فيه أن الأذكار المشروعة مشتملة على المطالب العالية والمقاصد السامية، إن أردت في ذكرك لله ودعاءك له عليك بالأذكار المشروعة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنها مشتملة على المطالب العالية والمقاصد السامية وهذا من جهة.

ومن جهة أخرى معصومة ليس فيها أي خطأ، تذكر بها وأنت مطمئن، الآن تجد بعض الناس يأتون إلى بعض المشايخ ويقول: ما رأيك في هذا الدعاء؟ أدعية يسمعونها من الناس، لكن الدعاء المأثور عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

صفته أنه معصوم، ما فيه خطأ إطلاقًا، وإضافةً إلى أنه لا خطأ فيه، مشتمل على أعلى المقاصد، وأنبل الغايات، وأسماها وأرفعها.

قال: (**وَأما الِاقْتِصَار على الِاسْم الْمُفْرد مظْهرًا أَو مضمرًا فَلَا أصل لَهُ**)؛ أي في الذكر والدعاء المأثور عن نبينا -صلوات الله وسلامه عليه-. (**فَلَا أصل لَهُ، فضلًا عَن أَن يكون من ذكر الْخَاصَّة والعارفين**)؛ والقوم الذين يرد عليهم شيخ الإسلام في بداية رده عليهم ذكر عنهم أنهم يقسمون الذكر إلى ثلاثة أقسام: ذكر العامة الذي هو: لا إله إلا الله، وذكر الخاصة: الله، وذكر خاصة الخاصة: الضمير (هو) فيقول: هذا الذكر بعد أن ناقشه وفنده وبين خطأه أيضًا رد عليهم فيما أساءوا في فهمه من آيات، لما انتهى قال: هذا الذكر، يعني بما تبين من سابق كلامه: (**فَلَا أصل لَهُ، فضلًا عَن أَن يكون من ذكر الْخَاصَّة والعارفين**).

(**بل هُوَ وَسِيلَة إِلَى أَنْوَاع من الْبدع والضلالات، وذريعة إِلَى تصورات وأحوال فَاسِدَة من أَحْوَال أهل الْإِلْحَاد وَأهل الِاتِّحَاد**)؛ وهذا المعنى سبق أن أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: (**وَقد وَقع بعض من واظب على هَذَا الذّكر فِي فنون من الْإِلْحَاد، وأنواع من الِاتِّحَاد كَمَا قد بُسط فِي غير هَذَا الْمَوْضع**).

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ثم أيضًا ختم هذا السياق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالإشارة إلى أن ما ذكره هنا إنما ذكر على وجه الاختصار، وأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بسط ذلك في غير هذا الموضع أي من كتبه ومؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عجبًا في رد الباطل، وفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه في هذا الباب فتح عجيب، وإذا أخذ في نقد شبهة ترى العجب في تفنيده لها، وبيان الوجوه الكثيرة في خطأ تلك الشبهة، وأحيانًا يتكلم بسرد الأجوبة على الشبهة وليس معه كتب، ولا مؤلفات، ويأتي بالعجب العُجاب، ومما ذكر في ذلك أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لما وقعت بينه وبين المتكلمين المناظرة في الكلام النفسي، وأخذ يرد عليهم ويبين خطأهم وشوا به إلى السلطان وسجن، فأرسل له القضاة رجلًا في السجن وقد كتبوا ورقة واحدة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبلغني أنهم مزقوها أكثر من مرة، يعني يكتبون الورقة مجتمعين القضاة، ثم يقولون: لا هذا خطأ ويعيدون كتابتها من جديد، فمزقوها أكثر من مرة حتى أتفقوا على ورقة واحدة وأرسلوها له، فقال للمرسول: أخبرهم أن هذا الكلام خطأ من وجوه: الأول، الثاني.. وبدأ يعد عليهم، قال: أنا ما أحسن أن أنقل هذا الكلام.. أكتبه لي، ففي جلسة واحدة كتب تسعين وجهًا، وهذه التسعين وجه طُبعت بعنوان التسعينية في إبطال الكلام النفسي تسعين وجه في السجن كتبها، ولا أوراق وسرد وجوه كتبها وأعطاه إياه يسلمها لهم، فكان –رحمة الله عليه– عجب في رد الشبهات وتفنيد باطل المبطلة، سواءً كانوا من

المتكلمين أو من أهل السلوك، وأعطاه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قوة في الحق وهيبة في البيان والإيضاح، فرحمه الله من إمام، وجزاه الله عَزَّوَجَلَّ خير الجزاء.

وبقي لنا من كتابه مجلس واحد نتمه بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في يوم الغد، وأحب من الإخوة أيضًا مثل ما أوردوا لنا وأفادونا بكلام شيخ الإسلام في رد قول استدلال هؤلاء بقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ وهو صغير، أريد أيضًا من الإخوة أن يبحثوا في ترجمة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما أشرت إليه بالأمس (قصة اليهودي) التي أشرت إليها بالأمس، التي فيها مناقشة شيخ الإسلام له في حداثة سنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهي موجودة في بعض الكتب التي ترجمت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلس العشرون والأخير

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

كنت بالأمس طلبت ما يتعلق بترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في قصته في حداثة سنه مع الرجل اليهودي الذي كان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى سببًا في إسلامه، مشيرًا بالقصة إلى أن رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ حداثة سنه وعنده عناية بالعلم، وتمكن من رد الشبهات، ونقد الباطل؛ فقد فتح الله عليه في هذا الباب فتحًا عظيمًا.

جاء في ترجمته كما نقل اثنان من الزملاء زملاءكم -جزاهما الله خيرًا- من كتاب [الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، جاء في الترجمة قال المؤلف عمر البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمته لشيخ الإسلام قال: **(أخبرني من أَثِق بِهِ عَمن حدثه أن الشَّيْخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي حَال صغره كَانَ إِذا أَرَادَ الْمُضِيّ إِلَى الْمكتب يَعْتَرِضهُ يَهُودِيّ كَانَ منزله بطريقه بمسائل يسْأَله عَنْهَا، لما كَانَ يلوح عَلَيْهِ من الذكاء والفطنة، وَكَانَ يُجِيبه عَنْهَا سَرِيعًا حَتَّى تعجب مِنْهُ، ثمَّ إنه صَار كلما اجتاز بِهِ يُخبرهُ بأَشْيَاء مِمَّا يدل على بطلَان مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلم يلبث أَن أسْلَمْ**

وَحسن إِسْلَامه، وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه). قوله: (**ببركة الشيخ**)؛ يعني المراد: ما أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ به من العلم النافع، والحُجَّة.

أيضًا مر معنا في موضع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب [العبودية] موضع فيه خطأ تواردت عليه النسخ المطبوعة، وهو قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَيَقُول محققوهم: الشَّرِيعَة فِيهَا طَاعَة ومعصية، والحقيقة فِيهَا مَعْصِيّة بِلَا طَاعَة، وَالتَّحْقِيق لَيْسَ فِيهِ طَاعَة وَلَا مَعْصِيّة**). الموضع الثاني من هذا الكلام فيه خطأ، وصوابه: (**وَيَقُول محققوهم: الشَّرِيعَة فِيهَا طَاعَة ومعصية، والحقيقة فِيهَا طاعةٌ بِلَا معصية**)؛ والمثبت في عامة النسخ عكس ذلك وهو خطأ، والمراد بالحقيقة ما سبق أن تحدثنا عنه من خلال كلام شيخ الإسلام غير مرة: أن من يشهد الحقيقة الكونية يرى أن أعمال الناس كلها طاعات؛ لأنها موافقة للمراد الكوني؛ فالذي يشهد الحقيقة يرى أن أعمال الناس وأحوالهم كلها طاعة بلا معصية؛ لأنها موافقة للإرادة الكونية القدرية.

وشيخ الإسلام -وهذا نقله أحد زملائكم- في مواضع من كتبه كما في كتابه [الفرقان]، وكتابه [النبوات]، وكتابه [اقتضاء الصراط المستقيم]، وكتاب [الإيمان الأوسط]، في كل ذلك يذكر هذه التقسيم الثلاثي بالصواب دون الخطأ الذي موجود عندنا في المطبوع من كتاب [العبودية].

مثلًا في كتاب [الفرقان] قال: (**وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدمون الأولياء على الأنبياء، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع. كما يُذكر عن ابن سبعين وغيره، ويجعلون المراتب ثلاثة: يقولون: العبد يشهد أولًا طاعة ومعصية، ثم طاعة بلا بمعصية، ثم لا طاعة ولا معصية**).

وذكر أيضًا مثل هذا في كتابه [النبوات]، وفي كتابه [اقتضاء الصراط المستقيم]، وفي كتابه [الإيمان الأوسط]، فعلى كل حال يصوب ما جاء في جميع النسخ المطبوعة للكتاب في هذا الموضع، فيكون صواب الجملة: (**وَيَقُول محققوهم: الشَّرِيعَة فِيهَا طَاعَة ومعصية، والحقيقة فِيهَا طاعةٌ بِلَا معصية، وَالتَّحْقِيق لَيْسَ فِيهِ طَاعَة وَلَا مَعْصِيّة**)؛ أي أنهم يجعلون المراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: مرتبة أهل الشريعة؛ أهل الإيمان، والطاعة، والعبادة، والاتباع للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقولون: أهل الشريعة عندهم طاعة ومعصية، الطاعات أن يفعلوا ما أُمروا به، والمعاصي أن يفعلوا ما نهوا عنه؛ فعندهم طاعة ومعصية.

والقسم الثاني: أهل الحقيقة؛ أي الذين يشهدون الحقيقة الكونية والإرادة الكونية؛ فهؤلاء عندهم طاعة بلا معصية؛ لأن كل عمل يقوم به الإنسان من خيرٍ أو شر، كفرٍ أو إيمان، هداية أو ضلال أو غير ذلك كلهم عندهم طاعة؛

لأنه موافق للإرادة الكونية القدرية، وجاري على وفق الإرادة الكونية القدرية.

والقسم الثالث - حسب تقسيم هؤلاء-: أهل التحقيق ومرادهم بأهل التحقيق أهل الوحدة؛ وحدة الوجود، والاتحاد، فهؤلاء ليس في طاعة ولا معصية، لماذا؟ لأن عندهم أن الرب عبد والعبد رب -تعالى الله عما يقولون وسبحانه وتعالى عما يصفون-، فهذا تقسيم هؤلاء، ولهذا لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ القسم الثالث -الذي هو قسم أهل التحقيق الذين يقولون عن أنفسهم: أهل التحقيق الذي فيه لا طاعة ولا معصية لما ذكره- قال: (**وَهَذَا تَحْقِيق مَذْهَب فِرْعَوْن وَقومه الَّذين أَنْكَرُوا الْخَالِق، وأنكروا تكليمه لعَبْدِهِ مُوسَى وَمَا أرْسلهُ بِهِ من الْأَمر وَالنَّهْي**).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب [العبودية]: (وجماع الدَّين أصلان: أَلا نعْبد إِلَّا الله وَلَا نعبده إِلَّا بِمَا شرع لَا نعبده بالبدع. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]، وَذلِكَ تَحْقِيق الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، وَشَهَادَة أَن مُحَمَّد رَسُول الله.

فَفِي الأولى: أَلا نعْبد إِلَّا إِيَّاه.

وَفِي الثَّانِيَة: أَن مُحَمَّدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هُوَ رَسُوله الْمبلغ عَنهُ؛ فعلينا أَن نصدق خَبره ونطيع أمره.

وَقد بَين لنا مَا نعْبد الله بِهِ، ونهانا عَن محدثات الْأُمُور، وَأخْبر أَنَّهَا ضَلَالَة، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112].

وكما أننا مأمورون أَلا نَخَاف إِلَّا الله، وَلَا نتوكل إِلَّا على الله، وَلَا نرغب إِلَّا إِلَى الله، وَلَا نستعين إِلَّا بِاللَّه، وَأَلا تكون عبادتنا إِلَّا لله؛ فَكَذَلِك نَحن مأمورون أَن نتبع الرَّسُول ونطيعه ونتأسى بِهِ، فالحلال مَا حلله وَالْحرَام مَا حرمه، وَالدّين مَا شَرعه، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ فَجعل الإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [سورة الحشر، من الآية:7]، وَجعل التَّوَكُّل على الله وَحده بقوله: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173]؛ وَلم يقل: وَرَسُوله - كَمَا قَالَ فِي

وصف الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فِي الْآيَة الْأُخْرَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173]، وَمثله قوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:64]؛ أَي حَسبك وَحسب الْمُؤمنِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36]– ثمَّ قَالَ: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ فَجعل الإيتاء لله وَللرَّسُولِ وَقدم ذكر الْفضل لله؛ لِأَن ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد، من الآية:29]، وَله الْفضل على رَسُوله وعَلى الْمُؤمنِينَ وَقَالَ: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ فَجعل الرَّغْبَة إِلَى الله وَحده كَمَا فِي قَوْله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [سورة الشرح، من الآية:7-8]).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: **(وجماع الدِّين أصلان)**؛ أي ما يقوم عليه الدين ويُبنى، والدين بمثابة البناء، والبناء لا يقوم إلا على أصول وأعمدة، فكذلك الدين له أصول عليها قيامه، وهذه الأصول التي عليها قيام الدين هي مثل الأساس للبناء، والأصول للأشجار، وقد قال الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:24]؛ فالدين يقوم على

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أصلين أي على أساسين متينين لا قيام له إلا عليهما ألا وهما: أن لا يُعبد إلا الله، وأن لا يُعبد إلا بما شرع؛ لا يعبد بالأهواء والبدع، فعلى هذين الأصلين قيام دين الله.

فمن أشرك مع الله غيره في العبادة لم يُقبل له عمل، ومن عبد الله بغير ما شرع لم يُقبل عمله بل رد عليه، دليل الأول قوله سبحانه في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، ودليل الثاني قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، فدين الإسلام جماعه أمران، وقيامه على أصلين: (**أَلَا نعْبد إِلَّا الله، وَلَا نعبده إِلَّا بِمَا شرع، لَا نعبده بالبدع.كَمَا قَالَ تَعَالَى**: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:110]،)؛ وهذه الآية الكريمة ذُكر فيها الأصلان معًا: الإخلاص والمتابعة، أما المتابعة ففي قوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، وأما الإخلاص ففي قوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾؛ والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل عمل العامل إلا إذا كان منضبطًا بهذين الضابطين، مقيدًا بهذين الأصلين العظيمين.

قال: (**وَذَلِكَ تَحْقِيق الشَّهَادَتَيْنِ**)؛ الإشارة بقوله: (ذلك) إلى الأصلين: (**أَلَا نعْبد إِلَّا الله، وَلَا نعبده إِلَّا بِمَا شرع**). (**وَذَلِكَ تَحْقِيق الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، وَشَهَادَة أَن مُحَمَّد رَسُول الله**)؛ الأولى شهادة أن لا إله إلا الله فيها

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

أن لا نعبد إلا الله، ففيها نفي وإثبات، نفيٌ للعبودية عن كل ما سوى الله، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده، فلا إله إلا الله معناها: ألا نعبد إلا الله أن نخلص عبادتنا لله وحده.

(وَفِي الثَّانِيَة)؛ أي شهادة أن محمدًا رسول الله، **(في الثانية أن محمدًا هُوَ رَسُوله الْمبلغ عَنهُ)**؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة النور، من الآية:54]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء، من الآية:64]؛ ففي الثانية شهادة أن محمدًا رسول الله، فعلينا أن نصدق خبره وأن نطيع أمره.

وهذا كالشرح للمراد بالشهادة، شهادة أن محمدًا رسول الله، فشهادة أن محمدًا رسول الله، معناها أن نصدق خبره، وأن نطيع أمره، وأن ننتهي عن نهيه، لو قيل: ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله؟ جواب ذلك معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاء بهذه الأمور الثلاثة، جاء بأوامر ونواهي وأخبار، فمن قال: أشهد أن محمدًا رسول الله؛ وجب عليه أن يطيعه فيما أمر، وأن يصدقه فيما أخبر، وأن ينتهي عما نهى عنه وزجر، كما قال تعالى في الآية المتقدمة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أُرسل ليطاع، فمن شهد أنه رسول

من عند الله يجب عليه أن يطيعه، وأن يصدق الأخبار التي جاء بها، وأن يأتمر بأوامره، وأن ينتهي عن نواهيه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقد بَين لنا**)؛ أي الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. (**مَا نعْبد الله بِهِ، ونهانا عَن محدثات الْأُمُور، وَأخْبر أَنَّهَا ضَلَالَة**)؛ وهذا كله جاء في أحاديث كثيرة، بيَّن لنا ما نعبد الله به، وهذا بينه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيانًا وافيًا، ما ترك خيرًا إلا دل الأمة عليه، ولا شرًّا إلا حذرها منه، بلغ البلاغ المبين صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولم يمت إلا وقد أنزل الله قوله في بيان إكمال الرسول وإتمامه للبلاغ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [سورة المائدة، من الآية:3]؛ ولهذا قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما لم يكن دينًا زمن محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه فلن يكون دينًا إلى قيام الساعة، واستدل لذلك بالآية الكريمة.

قال: (**ونهانا عَن محدثات الْأُمُور**)؛ وكان ينهى عن ذلك نهيًا متكررًا، ويُسمع منه يوم الجمعة: «**أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، فجاء عنه النهي عن المحدثات.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**وَأخْبر أَنَّهَا ضَلَالَة**)؛ أنها أي المحدثات كلها، لا يستثنى منها شيء، أي أمرٍ أحدث في الدين فهو ضلالة؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**كل محدثة ضلالة**»، ولو كان هذا العموم عليه استثناء لاستثنى هو صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الناصح الأمين، فلما قال: «**كل بدعة ضلالة**»؛ ولم يستثنى بدعة من ذلك؛ عُلم أن جميع البدع ضلالة، ولو كان في القول استثناء لاستثنى؛ لأنه ناصح صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، مثل ما جاء في الحديث الآخر قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة**»؛ هذا الكلام أو هذا العموم فيه استثناء، فاستثنى قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله!، قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**». أما في التعميم الأول لم يستثني، ولو كان فيه استثناء لاستثنى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

لقال: (كل بدعة ضلالة إلا بدعة كيت وكيت)، لكنه عمم ولم يستثني؛ فعُلم من ذلك أن جميع البدع في الدين ضلالة، كما يدل لذلك قوله في الحديث الآخر: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، أي مردود على صاحبه غير مقبولٍ منه.

ثم أورد آية أخرى جمعت بين الأصلين كالآية الأولى: (**قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:112])؛ الأصل الأول وهو الإخلاص في قوله:

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي مخلصًا، والأصل الثاني وهو المتابعة في قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ لأن العامل لا يكون محسنًا في مله إلا إذا اتبع الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقام التوحيد بقوله: (**وكما أننا مأمورون أَلا نَخَاف إِلَّا الله، وَلَا نتوكل إِلَّا على الله، وَلَا نرغب إِلَّا فِي الله، وَلَا نستعين إِلَّا بِالله، وَأَلا تكون عبادتنا إِلَّا لله؛ فَكَذَلِك نَحن مأمورون أَن نتبع الرَّسُول ونطيعه ونتأسى بِهِ، فالحلال مَا حلله، وَالْحرَام مَا حرمه، وَالدِّين مَا شَرعه**)؛ أي كما أننا مأمورون بالإخلاص ولا تقبل أعمالنا إلا به؛ فكذلك نحن مأمورون بالإتباع ولا تقبل أعمالنا إلا به، ونعيد مرة ثالثة كلمة الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود، من الآية:7]؛ قال: أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟! قال: (إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة)، فهذه كلمة عظيمة جدًا، وسبق أن نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع متقدم مر علينا في كتابه [العبودية].

فإذًا كما أننا مأمورون بالإخلاص ولا تقبل أعمالنا إلا به، فكذلك نحن مأمورون بالإتباع فلا تقبل أعمالنا إلا به، والناس في هذا الباب أربعة أقسام:

- قسمٌ أعمالهم جاءت على الإخلاص والمتابعة وهم الذين يقبل الله أعمالهم.
- وقسمٌ أعمالهم بإخلاصٍ بلا متابعة.
- وقسمٌ أعمالهم بمتابعةٍ بلا إخلاص.
- وقسمٌ أعمالهم لا إخلاص فيها ولا متابعة.

وجميع الأقسام الثلاثة الأخيرة مردودة غير مقبولة، فالله لا يقبل إلا من كان عمله خالصًا لله، موافقًا لسنة رسول الله -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالى: (﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59])؛ أورد هذه الآية ليبين من خلالها أن الحقوق التي لله الخاصة به يفرد بها ولا يجعل معه فيها شريك، حتى من هم أفضل خلقه كالرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي هو أفضلهم، فلا يشرك مع الله فيها غيره، فحق الله خالصًا.

وأما الحق المشترك مثل ما يأتي في الآية الإيتاء والطاعة؛ لأن طاعة الرسول من طاعة الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والائتمار بأمره، والانتهاء عن نهيه -صلوات الله وسلامه عليه-، فبين من خلال هذه الآية هذه الأمور: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾. قال: (**فَجعل الإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ كَمَا قَالَ الله تعالى**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [سورة الحشر، من الآية:7])؛ فالإيتاء لله وللرسول إذًا ما جاء به الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما أتى به الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجب أن يتلقى بالقبول، لأنه مبلغ عن الله، وقرن سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إيتاءه بإيتائه، إيتاء رسوله بإيتائه سبحانه، وإيتاء الرسول فيما جاء به من الدين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾؛ هو وحي من الله، وهو فيه مبلغ عن الله، فيجب أن يطاع، وأن يتبع، وأن تمتثل أوامر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، (**فالحلال مَا حلله، وَالْحَرَام مَا حرمه**).

(**وَجعل التَّوَكُّل على الله وَحده**)؛ قال: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ ما قال: (ورسوله)، وإنما قال: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ لأن الحسب الذي هو الكافي الله جَلَّ وَعَلَا، فجعل التوكل على الله وحده، ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ وانتبه جيدًا لقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَجعل التَّوَكُّل على الله وَحده**)؛ لتفهم من ذلك أن كلمة: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ كلمة توكل على الله في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء، يُشرع لك أن تقولها في مقام جلب النعماء في سؤال الرزق، تقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، وأيضًا في دفع

الضر والبلاء تقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، أما قولها في مقام جلب النعماء فدليله الآية التي ساق شيخ الإسلام: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ فهنا قيل: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ التي هي كلمة توكل في مقام جلب النعماء وطلب الرزق.

فيُشرع لك في هذا المقام أن تقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، أما أن يُقال في هذا المقام: (حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله إنا إلى الله راغبون)؛ بحذف: ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾؛ هذا من الخطأ؛ لأن كلمة التوكل في الآية هي كلمة: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، أما باقي الآية فهو رد على المنافقين، والآية في سياق الرد على المنافقين الذين يلمزون المطوعين في الصدقات، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:58]؛ فرد الله عليهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هذا اللمز والطعن والوقيعة في أهل الخير والفضل بقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ فإذًا في مقام جلب النعماء تتوكل على الله تقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، وأيضًا في مقام دفع الضر والبلاء، تقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي كافينا الله، فالله كافي عبده

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

في جلب نعمائه ودفع ضره وبلاءه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، من الآية:3]؛ أي كافيه، وقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36].

قال: (وَجعل التَّوَكُّل على الله وَحده بقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ وَلم يقل: وَرَسُوله - كَمَا قَالَ فِي وصف الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْآيَة الْأُخْرَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:173])؛ هذه الآية في ماذا؟ فيها التحسب في مقام دفع الضر والبلاء، فالصحابة قالوا: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾؛ في هذا المقام عندما قال لهم الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾؛ قد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾؛ ومن فوائد الآية: أن التوكل على الله والثقة به وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يزيد إيمان الشخص، ويزيد من قوة قلبه، وثبات نفسه، ورباطة جأشه.

قال: (وَمثله قَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:64]). ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي الله كافيك، هذا معناها، ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي يكفيك الله، والحسيب اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه الكافي، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾؛ معطوف على ما قبله، لكن السؤال: هل هو معطوفٌ على لفظ الجلالة، أو معطوف على الكاف في ﴿حَسۡبُكَ﴾؟ لو قيل: إنه معطوف على لفظ الجلالة يُصبح المعنى خطأ، خطأ فادح؛ لأن المعنى سيكون: (حسبك الله وحسبك المؤمنون)، يكفيك الله ويكفيك المؤمنون، وهذا خطأ، والصواب: أن قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾؛ معطوف على الكاف في: ﴿حَسۡبُكَ﴾؛ والمعنى كما قال شيخ الإسلام: (**أَي حَسبك وَحسب الْمُؤمنِينَ**)؛ أي يكفيك ويكفي المؤمنين، بخلاف المعنى الأول فإنه معنىً فاسد، (**أَي حَسبك وَحسب الْمُؤمنِينَ، كَمَا قَالَ تعالى**: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:36]- **ثمَّ قَالَ**:...)؛ أي في الآية المتقدمة: (﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59]؛ **فَجعل الإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ، وَقدَّم ذكر الْفضل لله؛ لِأَن** ﴿ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد، من الآية:29]، **وَله الْفضل على رَسُوله وعَلى الْمُؤمنِينَ**)؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

تنبيه:

الشيخ لم يراجع التفريغ

(وَقَالَ)؛ أي في الآية المتقدمة (﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:59])؛ وهذا حصر فالرغبة إلى الله وحده، لا يشرك معها أحد كائنًا من كان؛ فالرغبة إلى الله. قال: (فَجعل الرَّغْبَة إِلَى الله وَحده كَمَا فِي قَوْله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [سورة الشرح، من الآية:7-8])؛ أي ارغب إليه وحده دون سواه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاس: «إِذا سَأَلت فاسأل الله وَإِذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِالله»، وَالْقُرْآن يدل على مثل هَذَا فِي غير مَوضِع. فَجعل الْعِبَادَة والخشية وَالتَّقوى لله، وَجعل الطَّاعَة والمحبة لله وَرَسُوله، كَمَا فِي قَول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [سورة نوح، من الآية:3]، وَقَوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [سورة النور، من الآية:52]؛ وأمثال ذَلِك.

فالرسل أُمروا بِعِبَادَتِهِ وَحده، وَالرَّغْبَة إِلَيْهِ، والتوكل عَلَيْهِ، وطاعته، وَالطَّاعَة لَهُم، فأضل الشَّيْطَان النَّصَارَى وأشباههم فأشركوا بِالله وعصوا الرَّسُول فـ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:31]؛ فَجعلُوا يرغبون إِلَيْهِم، ويتوكلون عَلَيْهِم، وَيَسْأَلُونَهُمْ مَعَ معصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسنتهم.

وَهدى الله الْمُؤمنِينَ المخلصين لله أهل الصِّرَاط الْمُسْتَقيم، الَّذين عرفُوا الْحق واتبعوه فَلم يَكُونُوا من المغضوب عَلَيْهِم وَلَا الضَّالّين؛ فأخلصوا دينهم لله،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وَأَسْلمُوا وُجُوههم لله، وأنابوا إِلَى رَبهم، وأحبوه، ورجوه، وخافوه، وسألوه، وَرَغبُوا إِلَيْهِ، وفوضوا أُمُورهم إِلَيْهِ، وتوكلوا عَلَيْهِ، وأطاعوا رسله، وعزروهم، ووقروهم، وأحبوهم، ووالوهم، واتبعوهم، واقتفوا آثَارهم، واهتدوا بمنارهم.

وَذَلِكَ هُوَ دين الْإِسْلَام الَّذِي بعث الله بِهِ الْأَوَّلين والآخرين من الرُّسُل، وَهُوَ الدَّين الَّذِي لَا يقبل الله من أحد دينًا إِلَّا إِيَّاه، وَهُوَ حَقِيقَة الْعِبَادَة لرب الْعَالمين.

فنسأل الله الْعَظِيم أَن يثبتنا عَلَيْهِ، ويكمله لنا، ويميتنا عَلَيْهِ وَسَائِر إِخْوَاننا الْمُسلمين).

(**ويكملنا به**)؛ ماذا في النسخ الأخرى؟ (**ويكمله لنا**)؛

(فنسأل الله الْعَظِيم أَن يثبتنا عَلَيْهِ، ويكمله لنا).

(**ويكملنا به**)؛ الأقرب.

(ويكملنا به، ويميتنا عَلَيْهِ وَسَائِر إِخْوَاننَا الْمُسلمين.

وَالْحَمْد لله وَحده وَصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد، وَآله وَصَحبه وَسلم).

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حديث ابن عباس في وصية النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ له وفيها أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له: «**إِذا سَأَلت فاسأل الله، وَإِذا استعنت فَاسْتَعِنْ**

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

بِالله»؛ فجعل السؤال والاستعانة كله لله، لا يُلجأ إلى غير الله في شيءٍ من ذلك، «**إِذا سَأَلت فاسأل الله**»؛ أي وحده. «**وَإِذا استعنت**»؛ أي فاستعن بالله وحده، ولا تجعل مع الله شريكًا في ذلك، فهذا فيه الإخلاص لله سبحانه في السؤال والاستعانة.

قال: «**إِذا سَأَلت فاسأل الله، وَإِذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضرون إلا بشيء كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

قال: (**وَالْقُرْآن يدل على مثل هَذَا فِي غير مَوضِع**)؛ القرآن فيه آيات كثيرة جدًا في مواضع كثيرة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ تدل على ذلك.

قال: (**فَجعل الْعِبَادَة والخشية وَالتَّقوى لله، وَجعل الطَّاعَة والمحبة لله وَرَسُوله**)؛ فهذا أيضًا من قبيل ما سبق، هناك حق خالص لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وهو العبادة بما يندرج تحتها من المحبة والدعاء والرجاء والاستعانة، والتوكل والاستغاثة وغير ذلك هذا كله لله. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:162-163]، (**وَجعل الطَّاعَة والمحبة لله وَرَسُوله**)؛ الطاعة في آيات كثيرة: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:32]؛ والمحبة مر معنا قول الله تعالى: (أحب إليهم من الله ورسوله)،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

وأيضًا مر معنا الحديث: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»، ومحبة الرسول تبع لمحبة الله، محبة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من محبة الله، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَمَا فِي قَوْلِ نُوحٍ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [سورة نوح، من الآية:3])؛ فذكر حق الله العبادة والتقوى، وحق الرسل طاعتهم فيما يأمرون به ويدعون أقوامهم إليه، وقول الله تعالى: (﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [سورة النور، من الآية:52])؛ فذكر هذه الآية طاعته وطاعة رسوله، وأما الخشية والتقوى فـ لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الخشية والتقوى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وختم الآية بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾؛ حقيقةً عندما يُتحدث عن الفوز ينبغي أن تستحضر مثل هذه الآيات؛ لأن الفوز في مفهوم كثير من الناس ولاسيما الشباب في زماننا انصرف إلى اللعب، الفوز انصرف إلى اللعب، إذا قالوا: الفائز أو من الفائز أو من الفائزين أي في اللعب، ولا يحضر في ذهنهم عند الحديث عن الفوز إلا اللعب، أما الفوز المبين والفوز العظيم والفوز الأكبر: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:185]؛ هذا الفوز في غفلة عنه، وقلوبهم لاهية عنه، ونحن نعلم أن الشخص إذا حب الفوز جد واجتهد له، فالذين يلعبون إذا أرادوا الفوز في لعبهم اجتهدوا، معروف أن من أراد الفوز لا بد أن يجتهد له، ويبذل قصارى جهده

حتى يفوز، فمن الأمور المؤسفة في هذا الزمان أن أكثر ما يُتحدث فيه عن الفوز والفائز وأكثر ما تأتي هذه اللفظة في الألسن عن اللعب، ويُنسى الفوز العظيم، والفوز المبين، ينسى هذا المعنى العظيم الذي هو حقيقة الفوز.

فإذا قيل: من الفائز؟ يقال: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ من الفائز؟ إذا قال قائل: من الفائز اليوم؟ هذا كثير السؤال عند الشباب، من فاز اليوم، قل لهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾؛ وتكون حقيقةً أدخلت عليه هذا المعنى العظيم وهو غافل عنه، وذهنه منصرف عنه، فكم يحتاج الشباب فعلًا أن يذكروا بهذا الفوز؟! جعلنا الله أجمعين وذرياتنا ومن نحب من الفائزين.

قال: (**وأمثال ذَلِك. فالرسل أمروا بِعِبَادَتِهِ وَحده، وَالرَّغْبَة إِلَيْهِ، والتوكل عَلَيْهِ**)؛ أمروا بذلك جميع الرسل أمروا بذلك، بعبادته وحده والرغبة إليه وحده، والتوكل عليه وحده، وإخلاص الدين له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأيضًا في الوقت نفسه أمروا بالطاعة لهم؛ لأنهم مبلغون عن الله، والرسل بعثوا ليطاعوا، كما مر معنا في الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء، من الآية:64]؛ فأمروا أقوامهم بعبادة الله وإخلاص الدين لله، وفي الوقت نفسه أمروهم أن يطيعوه وأخبروهم أن النجاة يوم القيامة إنما تكون بطاعة الرسل، وأن مهمتهم البلاغ عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: **(فأضل الشَّيْطَان النَّصَارَى وأشباههم فأشركوا بِاللهِ وعصوا الرَّسل)**؛ يعني عصوا من الجهتين من جهة الإخلاص ومن جهة المتابعة، من جهة الإخلاص أشركوا مع الله غيره، ومن جهة المتابعة عصوا الرسل، (فـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:31]؛ **فَجعلُوا يرغبون إِلَيْهِم)**؛ يعني إلى الأحبار والرهبان والمسيح. **(يرغبون إِلَيْهِم، ويتوكلون عَلَيْهِم، ويَسْأَلُونَهُمْ مَعَ معصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسنتهم)**؛ فجمعوا بين السيئتين: سيئة الشرك، وسيئة البدعة، فأشركوا الأحبار والرهبان والمسيح مع الله في العبادة، وفي الوقت نفسه عصوا الرسل فيما يدعونهم إليه من طاعة الله وعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإخلاص الدين له.

قال: **(وَهدى الله الْمُؤمنِينَ المخلصين له أهل الصِّرَاط الْمُسْتَقيم، الَّذين عرفُوا الْحق واتبعوه فَلم يَكُونُوا من المغضوب عَلَيْهِم وَلَا الضَّالّين)**، قال: **(عرفُوا الْحق واتبعوه)**؛ والذي عرف الحق واتبعه هو المنعم عليه، قد قال الله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:6-7]؛ فالمغضوب عليه الذي عرف الحق ولم يعمل به، والضال الذي عمل بلا علم، والمنعم عليه الذي أكرمه الله بالعلم والعمل، **(عرفُوا الْحق واتبعوه)**؛ هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

(**فَلم يَكُونُوا من المغضوب عَلَيْهِم وَلَا الضَّالّين**)؛ أي الذين يعلمون ولا يعملون، ولا من الضالين الذين يعملون بلا علم، (**فأخلصوا دينهم لله، وَأَسْلمُوا وُجُوههم لله، وأنابوا إِلَى رَبهم، وأحبوه، ورجوه، وخافوه، وسألوه، وَرَغبُوا إِلَيْهِ، وفوضوا أُمُورهم إِلَيْهِ، وتوكلوا عَلَيْهِ**)؛ هذا القسم كله الأول وهو الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقسم الثاني المتابعة قال: (**وأطاعوا رسله، وعزروهم**)؛ أي احترموهم ووقروهم. (**وعزروهم، ووقروهم، وأحبوهم، ووالوهم، واتبعوهم، واقتفوا آثَارهم، واهتدوا بمنارهم**)؛ وهذا المتابعة، فجمعوا بين الأصلين: الإخلاص الذي تدل عليه شهادة: أن لا إله إلا الله، والمتابعة التي تدل عليه شهادة: أن محمدًا رسول الله.

قال: (**وَذَلِكَ هُوَ دين الْإِسْلَام الَّذِي بعث الله بِهِ الْأَوَّلين والآخرين من الرُّسُل**)؛ فالله عَزَّوَجَلَّ بعث الأولين والآخرين بالإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، وعن هذين الأصلين يُسأل الأولون والآخرون يوم القيامة، ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا أجبتم المرسلين؟ الأول سؤال عن الإخلاص، والثاني سؤالٌ عن المتابعة.

قال: (**وَذَلِكَ هُوَ دين الْإِسْلَام الَّذِي بعث الله بِهِ الْأَوَّلين والآخرين من الرُّسُل، وَهُوَ الدَّين الَّذِي لَا يقبل الله من أحدٍ دينًا إِلَّا إِيَّاه**)؛ كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ

عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:19]؛ وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:85].

قال: (وَهُوَ حَقِيقَة الْعِبَادَة لرب الْعَالمين)؛ حقيقة العبادة لرب العالمين أن نخلص الدين لله متبعين رسله، سائرين على نهجهم مترسمين خطاهم.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل أعمالنا جميعًا صالحة، ولوجهه خالصة، وأن لا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا، وهي الدعوة التي كان يدعوا بها عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وقد نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذا الكتاب.

ثم ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء، ختم هذا الكتاب المبارك بهذه الدعوة، قال: (**فنسأل الله الْعَظِيم أَن يثبتنا عَلَيْهِ**)؛ أي على دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينًا سواه الذي هو إخلاصٌ للمعبود ومتابعةٌ للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وأن (**يكملنا به**)؛ لأن العبد إنما يكمل بهذا الدين، وحظه ونصيبه من الكمال بحسب حظه ونصيبه من هذا الدين، وهذا المعنى سبق أن أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في موضعٍ مر معنا من كتابه [العبودية].

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

قال: (**ويميتنا عَلَيْهِ وَسَائِرِ إِخْوَانَنَا الْمُسلمين**)؛ والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:102]، وفي الدعاء للميت الوارد في السنة: «**اللهم من أحييته منا فأحييه على الإسلام، ومن توفيته فتوفه على الإيمان**».

ثم ختم بما بدأ به وهو حمد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعًا بما علمنا، وأن يجعل ما تعلمناه حُجَّة لنا لا علينا، وأن يجزي هذا الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى خير الجزاء على هذا الكتاب المبارك، وأيضًا أن يجزي ولم ننسه السائل الذي سأل شيخ الإسلام ذلك السؤال الجميل الذي ترتبت عليه بفضل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجود هذه الرسالة بفضل الله عَزَّوَجَلَّ، فنسأل الله أن يجزيه أيضًا خير الجزاء، وأن يجزي جميع علمائنا الأولين منهم والآخرين على ما يقومون به من جهودٍ عظيمة في تعليم الناس التوحيد، وتعليمهم الاتباع للرسول الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي بيانهم لحقيقة العبودية لله عَزَّوَجَلَّ التي ضل عنها كثيرٌ من الناس في أوديةٍ كثيرةٍ من أودية الهلكة.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا أجمعين على ذكره وشكره وحُسن عبادته، وأن يجعل أعمالنا كلها صالحة، ولوجهه خالصة، وأن لا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا،

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ

ونسأله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يُصلح لنا جميعًا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يُصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يُصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علينا إنك أنت التواب الكريم، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

أيضًا أختم هذا المجلس بالدعاء لكم جميعًا أن يجزيكم خير الجزاء على هذا الجلوس وعلى هذا الإنصات وعلى هذا الصبر، جعل الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في موازين حسناتكم، ونفعكم ونفعنا أجمعين، وهدانا إليه جميعًا صراطًا مستقيمًا، وأصلح لنا جميعًا شأننا كله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

تنبيه:
الشيخ لم يراجع التفريغ